

لويس ديث دل كورال
من العالم الجديد إلى العالم القديم



ترجمة علي منوفي

من العالم الجديد
إلى
العالم القديم



من العالم الجديد إلى العالم القديم
أدب رحلات

الطبعة الأولى : ٢٠١٦

رقم الإيداع : ٢٠١٥/٨٦٩٠

الترقيم الدولي : ١-٨٥-٦٣٠٦-٩٧٧-٩٧٨

القـلـاف : حاتم سليمان

جميع الحقوق محفوظة

الكتب خان للنشر والتوزيع ⑧

١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.

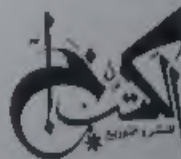
تليفون : +٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩ - +٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨

بريد اليكتروني : info@kotobkhan.com

موقع اليكتروني : www.kotobkhan.com

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب، بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية،
ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة، أو استخدام أي
وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copy Right © 2016 Al Kotob Khan for
Publishing & Distribution The Moral Rights of the author has been
asserted. All rights reserved.



من العالم الجديد إلى العالم القديم

لويس ديث دل كورال

ترجمة د. علي المنوي



إصدارات

مجلة القرب (ش.م)
١٢ ش باربارا دي براجنثا
مدريد (١٩٦٣)
مسجل تحت رقم ٤٢٨-٦٢
رقم الإيداع M. ١٤٥٠٢-١٩٦٣

Del Nuevo Al ViejoMundo

Luis Díez del Corral

Revista De Occidente

Madrid 1963

Depósito legal: M14502 1963

فهرسه أثناء النشر

الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية

دل كورال، لويس ديث

من العالم الجديد إلى العالم القديم : أدب رحلات / تأليف لويس ديث دل
كورال؛ ترجمة علي المنوفي. - القاهرة : الكتب خان للنشر والتوزيع، ٢٠١٦

٥٢٠ ص ، ٢٤ سم

تدمك : ١ - ٨٥ - ٦٣٠٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ - العالم القديم - وصف ورحلات

أ. المنوفي، علي (مترجم)

رقم الإيداع : ٨٦٩٠

الطبعة الأولى ٢٠١٦

تنويه

أتوجه بالشكر للزميل الفاضل الدكتور / كمال جاد الله

أستاذ الأدب الفرنسي بقسم اللغة الفرنسية

كلية اللغات - جامعة الأزهر

على ما قام به من جهد رائع في ترجمة النصوص الفرنسية في هذا الكتاب

ملحة موجزة عن المؤلف

لويس ديث دل كورال (١٩١١-١٩٩٨)

هو أحد أبرز المفكرين الأسبان ومؤرخي الفكر، محامي في مجلس الدولة (١٩٣٦). كان استاذ كرسي تاريخ الفكر والأنماط السياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة مدريد (١٩٤٧) كما شغل منصب المستشار الثقافي للسفارة الأسبانية في باريس (١٩٤٨) هو عضو عامل في كل من أكاديمية سان فرناندو للفنون الجميلة (١٩٧٧) والأكاديمية الملكية للتاريخ (١٩٧٣) والأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية والسياسية والتي تم انتخابه فيها كرئيس شرفي.

حصل علي مدار حياته علي الكثير من الجوائز والنياشين التي نبرز منها: الجائزة القومية في الأدب (١٩٤٢)، وجوقة الشرف الفرنسية (١٩٥٣)، والجائزة الدولية مونتث بيلابو (١٩٦٦).

والدكتوراه الفخرية من جامعة السوربون (١٩٨٠)، ووسام الاستحقاق المدني الذهبي الأوربي (١٩٨٧)، وجائزة أمير أستورياس في العلوم الاجتماعية (١٩٨٨).

وتتسم أعماله بأنها كانت تضع أعمال خوسيه أورتيجا إي جاسيت نبراسا لها وبذلك أسهمت في تحسين وتجديد المعرفة بتاريخ الفكر السياسي الليبرالي. أضف إلي ذلك أن كتاباته تعكس اهتماماته بتاريخ المؤسسات الأوربية وموضوعاتها وكذلك الفن والمشهد العام والرحلات والأدب. ومن الأمور الدالة علي البعد العالمي لإسهاماته تلك الترجمات لبعض أعماله الي عدة لغات وخاصة كتابه "نشوة أوربا" حيث ترجم الي اليابانية. وفي باب نشاطه كمؤرخ يمكن إبراز الأعمال التالية:

- ميورقة، (١٩٤٢)، الجائزة الوطنية في الأدب.

- الليبرالية النظرية (١٩٤٥).

- نشوة أوربا، قراءة تاريخية لزمثنا، (١٩٥٤).
 - مقال عن الفن والمجتمع (١٩٥٥).
 - عن التاريخ والسياسة (١٩٥٧).
 - وظيفة الأسطورة الكلاسيكية في الأدب المعاصر.
 - من العالم القديم الي العالم الحديث. (١٩٦٣).
 - العقلية السياسية لتوكيفيل مع تسليط الضوء علي باسكال (١٩٧١).
 - المملكة الأسبانية في الفكر السياسي الأوربي. من ماكيافيلي الي همبولت (١٩٧٦).
 - بيلاثكيث، الملكة وإيطاليا (١٩٧٩).
 - الفكر السياسي لتوكيفيل (١٩٨٩).
- جري نشر الأعمال الكاملة في أربعة أجزاء من خلال مركز الدراسات السياسية والدستوية (١٩٩٨).

مقدمة

هذا الكتاب هو حصيلة رحلتين أولاهما إلى الأراضي الأمريكية، خلال الفترة من التاسع من أكتوبر عام ١٩٥٥ حتى الثامن من يناير لعام ١٩٥٦؛ أما الثانية فكانت إلى الأراضي الآسيوية خلال الفترة من بداية نوفمبر ١٩٦١م حتى الرابع من يناير لعام ١٩٦٢م. كما تتضمن صفحات الكتاب أيضاً رحلتين أخريين استغرقتا ما يقرب من شهرين إلى دول في الشرق الأوسط، وكان ذلك خلال فصل الربيع من عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦١. غير أن طبيعة هذه التجربة تمثلت في مجرد إشارات عابرة، دون الأخذ في الحسبان رصد ملامح تجربة هاتين الرحلتين.

يتسم عنوان الكتاب بنوع من الغموض، "من العالم الجديد إلى العالم القديم"، وهذا يعني أن هناك ترتيب في المسار؛ إلا أنه يعني أيضاً موقفاً إزاء المشاهد العامة وثقافات الأماكن، أي أن هذا يستهدف اكتشاف ما هو قائم في تلك المناطق مما هو قديم وما هو مغرق في القدم، أي أن الكتاب يتناغم مع الرؤية الأصلية التي عليها الرحالة الذي يتسم بسمعة مهيبة وهي أنه مؤرخ.

ربما، لهذا السبب، يمكن أن يؤخذ على بعض الفصول البعد العلمي أو الدراسي بالنسبة لكتاب في أدب الرحلات. غير أن الذي كتب سطور هذا الكتاب هو - على الأقل - من تولد لديه الانطباع بأن الأفكار الأكثر تجريدية، التي صادفها، كانت مرتبطة بكثير من الخدس المحدد بشكل كبير. أكد فيكتور هوجو في بعض كتاباته أن النظرة الغامضة أدت إلى فك أسرار عصر الملك لويس الخامس عشر في *marteau de porte*. وما لاشك فيه أن هذا الصنف من الهرمينوطيقا يتسم بالمخاطرة كما أن الكاتب ليس واثقاً على الإطلاق من

لجأه؛ إلا أنه يمكن أن يضمن أن التأويلات واسترجاع الماضي التي نراها على صفحات هذا الكتاب تتماشى مع النداءات الملموسة للغاية.

كانت الرؤية والتنظير عند اليونانيين من الأنشطة الشديدة الصلة ببعضها للدرجة يمكن معها أن تكون في كلمة واحدة. ومن الواضح أن كلا منهما قد انفصلت عن الأخرى منذ قرون، إلا أنه يجدر هنا أن نذكر بأصول مصطلح "نظرية" ولو أن ذلك يمكن أن يكون مجرد عزاء لهؤلاء الذين هم في حاجة إلى استناد عملية التأمل على أسس المعاني؛ وتحديدًا نقول إن اليونانيين كانوا على استعداد دائم لأن يقدموا النبوءة الملائمة لمن يطلبها، وأن يقدموا نموذجًا غمطيًا لمؤرخهم الرحالة العظيم هيرودوت الذي يعتبر ليس فقط أبا علم التاريخ القديم وإنما التاريخ الحديث من المنظور العام والمقارن. وسيرا على نهجه أخذ توينبي، منذ زمن ليس بالبعيد، محبرة *báculo* السائل وريشته، بتؤدة يحسد عليها وسار على النهج القديم.

يبدو أنه لا مناص من الإشارة إلى كتاب آخر، هو "نشوة أوروبا" *El rapto de Europa*... الذي يرتبط بالكتاب السابق لأسباب منها أن أغلب الرحلات التي تناولها كان ياعثها الأول محاضرات ترتبط بموضوعات تناولها؛ فمن حيث المبدأ يبدو أن الكتب تتضارب مع بعضها؛ فالكتاب الثاني "نشوة أوروبا" يتناول انتشار ثقافة في العالم ينظر إليها على أنها ثقافة منتصرة؛ أما الكتاب الآخر فإنه يحاول أن يكون منفتحًا على التعددية في الثقافات الإنسانية بتنوعها الأكثر عمقا. لكن هناك أيضاً ذلك الوعي المتأورب بهذه التعددية وهذه القدرة على الشعور بها. والشيء نفسه بالنسبة للموقف النقدي، حيث الأمر مؤسف للجميع في كثير من الجوانب، وهو أن هذا الموقف وضع تلك الثقافات في وضعية توسعية بشكل فريد بسبب ما عليه من توجه عقلاني وعالميتها المسيطرة.

يتسم عنوان الكتاب بأنه شديد المنطقية فيما يتعلق بالفصول الخاصة بأمريكا، فالرؤية المتعلقة بمدنها وأراضيها تميل إلى الماضي، أي نحو ماضي شديد الصلة "بالعالم القديم" وخاصة مع أسبانيا. من الممكن في هذا المقام أن يستاء بعض القراء من هذه النبرة الوطنية التي تعتبر ذات نبرة حماسية إزاء ما قامت به أسبانيا في تلك الأقاليم الصعبة التي توجد في جبال الأنديز أو منطقة الكاريبي؛ وبغض النظر عن أن هذه الجولات البطولية

تشكل العنصر الأساسي لهذا الفحار الذي يمكن أن نشعر به نحن المتحدثين بالأسبانية، فإنه من غير المشروع استخدام تلك الصفة بالمعنى السيئ. وإذا ما كان هناك شيء مؤكد بالنسبة لمن بطوف بالقارة الجديدة فهو حقيقة ما قام به الأسباني، من حروجه من وطنه وضرب بجذوره في أقصى الأصقاع في هذا الكوكب. كما أنه عاش طوال العصور الوسطى في إطار التعددية الثقافية، ولم يكن صعبا عليه، في بداية العصر الحديث، التعايش في مجتمع له نفس المصير، مع شعوب أوربية أخرى ومع شعوب تعيش في أقصى نفاق الأرض حول المحيط الباسفيكي.

وربما لأجل هذا، يكتب روسو في كتابه "إميليو" عن الأسباني الرحالة، الذي أخذ يتضاءل فضوله ما يلي:

"بسماء يهرع الفرنسي الي الغائبين في بلدنا، ويقوم الإخيليري برسم إحدى التحف الفنية، ويحمل الألماني ألوما من عند جميع العدماء. فإن الإنسان الأسباني يقوم في صمت بدراسة نظام الحكم والعادات والسباسة وهو الوحيد، من بين هؤلاء الأربعة، الذي - عند عودته إلى بلده، يكتب عن كل ما رأى ملاحظته بافظة لوطته".

وإذا ما كانت رواية روسو المتدخلة تبدو سببها بالنسبة لهذا الكتاب، هذا إذا ما عدنا جانباً ما هو كريب في مصطلح "السيد"، نحن نقول أن كتب لرحلات بينة نأيتها وقراءتها لقضاء وقت ممتع بالمعنى السهل للكلمة. وبعد، فهي لنصر لمدى عاش فيه روسو كانت كتب الرحلات معونة بشكل حدس على شعور سيبي. ساحلي جمال في إيطاليا، و"ساحلي الجمال والتسلية في الدمار والبروج" و"مدونة وساحلي جمال في سويسرا" إنها مماووس جميلة وحذانة ولا يمكن قراءتها دون شعور بالحدس. هذا هو حال دور أن يخص أوقافاً مليئة بالمنع الكثيرة الموعودة، صفتها بنوع من

وفي أيامنا هذه نجد أن أهم ما حدث في رحلته وأكثر إثارة للمشاكل مقدرة عما كانت عليه على زمن روسو. وحسب الأمر أن أكثر الشرى نواصعا في بولينا أو الهند لازالت تقدم، لمن يتمكن من النظر بسهولة. هذا هو السعد.

لأسمح لنفسي قبل الانتهاء من كتابة هذه السطور أن أعرض على ملا تقديم شكري العميق للبروفسور تاكهيكو كوجيم Takehiko Kojima الذي فعل الكثير من أجل

دخولي إلى المشهد العام لبلده العزيز . وكذلك للسيد خوان بيرث دي تطيله ، وإلى صديقي
العزيز خوسيه لويس البارث حيث تكرموا عليّ بمراجعة الفصول المتعلقة بإسبانيو أمريكا
والبابان كل في تخصصه .

الباب الأول

أمريكا

١ أمريكا من الجو

السفر جواً له جانب الطيب وجانب السيئ، مثل كافة الأمور في هذا العالم وخاصة ما ينشأ عن التقنيات المستخدمة في أيامنا. ومن الشائع أن نسمع التعبير عن الأسف حالة العجلة التي يتسم بها السفر جواً، حيث يستوحش المرء الطرائق الأكثر بساطة في الانتقال والتي كانت تسمح للإنسان أن يرى، عن قرب، المشهد العام والتفاعل معه بشكل حي. كما نسمع أيضاً مقولة تشير إلى أنه من الأفضل أن يعرف بلدنا من الداخل، وهذا فيه منطق، وأن يعرفه بطريقة متبينة مثيرة من معرف عدد كبير من البلدان بشكل سطحي وذلك من خلال اللجوء إلى بوسائل مادية وحديثة التي تتقدم من خلال الملاحقة في الجو والتي حولت القارات إلى محطبات وحيت الأرض إلى بلد أصغر حجم بمعنى أنه إذا وضعنا مسافات معينة لوحدنا لن نرى سوى سطح من الأرض في رؤسنا.

أدى تقصير المسافات إلى نوع من عدم الالتفات بالمشهد الطبيعي أو الاجتماعي، مما أدى إلى فقدان الكثير من القيم الجمالية والسقشات، أي هذه الحياة المكسلة الملامع التي كان يحجبها عن أعين المسافرين على عربات تجرها الخيول أو حتى في السفن، مما يقوّي إيمانه بأنه في غضون عدة أسابيع بينما نجد أن الكسندر بون هو من بدأ هذا الأمر، كان سيعرق في بداية القرن التاسع عشر خمسة أيام من السفر من باريس إلى لندن وغير أنه في الوقت الذي يعود فيه ونحن نحد حول حوضي ابوكس من هو قد عاد لميلو المدين ليس فقط بالمعلومات بل أيضاً بكثير من الحداثة والاختراع، كما أنه كان في حاجة إلى عشرين عاماً إلى أن يودع ما اكتشفه في ثلاثين يوماً. رافع تحت عنوان "رحلة إلى الأفق الاستوائية" equinoxiales في العالم الجديد خلال الفترة من ١١٩٩ حتى ١١٠٤.

من البدهي أن عدداً غير قليل من تأملاته يعتمد على أساس . لكنها أحياناً ما تميل إلى
المسألة في النقد الذي يجرى عليه الاحتجاج على التقنيات الحديثة ومتكرراتها وهذا أحد
سمات بعض الذين يفحرون بنوحيتهم الإنسانية ورقبتهم . وأفضل من الاحتجاج المسامح
فيه أو إخماس المساذج لهذه المخرعات الغير عادية والتي وصفتها الصناعة الحديثة بـ
أبدينا . هو التمييز بين النتائج الخيدة والسبب التي تصاحبها والعمل على الإفادة إلى أقصى
حد من الميزات وإحيلولة دور لتتبع السبب . وعندما أقول نتائج فإني لا قصد فقط تلك
الظاهرة بل أيضاً تلك المتعلقة بموقف الإنساني للرحلة مفهومه العميق

عادة ما تثير فينا الكلمة وواقع الماكينة أصداء مادية لكن لا أحد في أي مكان أو هناك
ما كُتبَ عن أنه لا يمكن أن تثير أصداء بطولية وشعرية وربما يصل الأمر إلى ما وراثية مثل
المطارات والظاهرة وحوه كأنها مسوخ لأناس يدهشون إلى مكان ما لفعل شيء ما بأسرع
طريقة ممكنة دور أن يشعروا أنفسهم على الإطلاق بالطريق أو بكيفية قطع المسافات . وهذا
أقل بكثير جداً مما عليه المسافر بالقطار أو السيارة الذي يدخل عليه المشهد العام والقرى
التي يمر بها وإيقاع الزمن الذي يمر به من خلال نافذة حجرة قطار أو الرحاح الأمامي
للسيارة شاء أم أبى . وعندما يسافر المرء بالظاهرة ينتهي مشغولاً بعدم بعيداً جداً . ولا تكاد
توجد عقبات في الطريق اللهم إلا مسافة صديقة في السيارة تحرك فيها وتنبه لذلك
تتحول الرحلة إلى شيء من الفراغ والتحديد . أي في مجرد عملية انتقال جسدي . إذاً
اعتاد المرء ذلك

ومع هذا فمن بين الكثير من الناس الذين يسافرون وسروراً بطريقة غير متسقة أو
يتسلون بالكتابة على الآلة الكاتبة وتعتلي وحوههم متسرع كل يوم يتم اكتشاف وجوه
لأشخاص يعيشون هذه المعاصرة الإنسانية الرائعة التي هي أصلاً هناك وحوه بعينها
التفكير حيث يمكن تخمين الفخار الذي تشعر به بالمشاركة في هذه النتائج التي جرى الكشف
من أجلها طوال آلاف السنين من الجهد الذي يبذله البشر في باب العلم والتقنية والخيال
والتنظيم الاجتماعي . هناك وجوه أخرى تتسم بالسلطة والثقة لأناس من الرياضيين الذين
يعرفون عن طريق التجربة أنه لا يمكن مقارنة أي وسيلة حمل بتلك التي تقوم بها الطائرات
عند الإقلاع . حيث تتركز كل القوة الممكنة في العجلات لدرجة تصل إلى فقدانها وظيفتها
حيث تنتقل إلى الطيران لكنها تعتبر الأداة الأرضية لهذه الركوبة الميكانيكية

تطفو إلى الدهس صور وأخيلة أكثر بساطة ولعونة مما في ذلك صور الطيارات الورقية
التي كان يحملها أولئك الرجال الضخام السبة في الحدائق أثناء طفولتنا تقوم المراوح
(مراوح المحركات) بالدوران كثيرا لكن العين البشرية التي تنسم بالبطء في النقاط الحركة لا
تكاد تميز الدوران بشكل حاسم. فعندما تقوم المحركات بالدوران يتأني عنها ما يشبه
النسيج غير الملموس مثلها مثل الطائرات الورقية وهو نسيج من الحرير. أو كأنه قوس قزح
أو خيوط عنكبوت من الأحلام تقوم بهذهمة المسافرين وتسليه الملائكة غير المرئيين. أو ربما
تأتي هذه المراوح لتكون من خلال دورانها الذي لا ينتهي بمثابة تمثيل ملانكي، أي ملائكة
جدد من ملائكة ريلكه التي تتمخص عنها بشكل معجز الميكانيكا المعقدة للمحركات
الانفجارية

وإذا ما قارناها بالطائرات ذات المونورات المعكسة reaction لانضح أن هذه
الأخيرة مبتورة إذ تفتقر إلى تلك الأطراف الشعرية والجوهرية، وفي الداحل يشعر المسافر
بأنه أسير، بدرجة كبيرة، ما كينة انطلقت في الفضاء فالطائرات ذات المراوح تغوص أكثر
في الفضاء وتسبر أغواره وتعتمد على أنسجته غير المرئية لكنها لا تلتهمها تتحرك في الهواء
بحرية وكأنها طائر ضخم الحجم أو كأنها كائن ملانكي وحاسة عند الهبوط، ذلك أن
هبوطها ليس بأن تترك نفسها تسقط أو أن ندخل في النهاية المعنوية لمسار ينتهي أمد بلوع
الهدف بل أنها تقوم بعملية اقتراب محسوبة وعملية توقف بطي. وكأنها تعود إلى العرش أو
أنها أدت رسالة ما تنسم بالمهاية.

عندئذ تبدى لنا الأرض باعتبارها مستقر الإنسان في هذه الجغرافيا الأمريكية
الشاسعة، لا زالت ترى، وبشكل عام، بعض القطاعات الكبيرة من سلسلة اجبال أو
الخلجان إضافة إلى أن مسطحات الأطراف وخطوط النشاط. سلاقي نحو المركز الحضري
الذي تقترب منه. إنها أول رؤية للمدينة التي سقضي فيها عدة أيام، غير أننا لا نبتغي فقط
الحالة الحضرية بشكل منعزل بل في إطار السياق الجغرافي الضخم الذي كثيرا ما ينسم بتمرده
في كثير من الأحيان مثل ريو دي جانيرو وسانتياجو وكيشو ويوغوتا والمكسيك في القارة
الجديدة.

إذا ما وصل المرء إلى المدن الأمريكية بطريق البر أو البحر من الصعب تكوين صورة لهذا الذي هي عليه من صورة معقدة وشديدة الضخامة، وها هو الشد والجذب الدرامي بين الحقل والمدينة، أي ذلك الملمح الذي ربما كان الأكثر راديكالية في أي مدينة مقارنة بغيره من الملامح ألا وهو اختيار موقعها، وهنا ننظر إلى الحالة الأوربية، حيث يمكن اكتشافه من فوق برج أو هضبة قريبة. إلا أن الأمر يختلف في الحالة الأمريكية إذ أن أبعاد المكان تتطلب الصعود إلى أعلى لآلاف الأمتار لإدراك ما عليه. . . أو أن يصل المرء إليها بالطائرة. وعندئذ يمكن للمسافر أن يتكون لديه بالفعل مفهوم ليس فقط عن الشكل الذي عليه الرقعة العمرانية أو صلته بما يحيط به من الحقول بل وتموقعه الجغرافي أيضاً، أي بوضعيته كخليج أو مرتفع ومخفض أو واد في إطار السمات الغاية في الضخامة التي عليها الطبيعة الأمريكية حيث نجد أن الطاهرة الحضرية ليست مجرد شيء تم إعداده كما أنه مرغوب من الطبيعة مثلما هو الحال في حوض البحر الأبيض المتوسط أو اليابان، بل إنه شيء تم فرضه على يد الإنسان بشكل بطولي وبروح وثابة وأنه يجب العناية به بشكل يومي حتى يواصل العيش.

وبعد ذلك يقوم المسافر بتنحصر تلك الرقعة العمرانية التي رآها، بشكل فيه عمومية، من الحواضر، ويقوم بفحص المكان ناحية بعد ناحية والتكوين المعماري لتلك المدن ذات الطابع الاستعماري تم سزلق تحت الأسطح لرمادية اللون والمنكورة التي تبدو عليها الكنائس من الطائرة وربما يتحاور حدود الكتلة معمارية حتى يصل إلى جوار البركان العظيم الذي بدا لحظة هبوط الطائرة أن يكسو لأفق بعينه لكن إذا ما رُوي من جانب سوف تتجلى عظمتة أمام الرائر

تصيح الأرض والمدينة أكثر ترواً ونوعاً مما شوهدت عليه عند أول نظرة غير أنه لا يمكن نسيان الانطباع الأول، من الحواضر وهو سطوع بقى كنه إصار عام تدرج فيه التحليلات الخاصة. وعندما نحين لحظة الرحيل، عند مسافات تقصر بين الآثار والمبشرين والملاعب والأحياء السكنية وتدحل كلهم متراكمة في إطار الرقعة العمرانية التي تتسم بشرائها الواسع الذي يفوق ما كانت عليه من حلال رؤيتها عند الوصول لكنه وجود متسق دائماً ويترك في مخيلة المسافر الانطباع بوجود صورة أكثر عضوية وحقيقية عن المدينة التي

زارها مقارنة بتلك الصورة التي يمكن أن تتكون عنها فيما إذا كان خرج بالقطر وغير الكثير
من الأرباض غير واضحة المعالم.

سوف بتذكر الرحالة المدينة وخاصة في أفقها المحدد وهو فوق ينسج أمه ويسبق
حسب درجة ارتفاع الطائرة، ويميل هذا الأفق إلى صورة إسطوانية حيث نجد شرح
الكاتدرائيات لا يكاد يلمح لها ظل في الميدان الذي تطل عليه ولا نكده تدرج هضاب سانية
Panecillo أو سار كريستوفل S. Cristobal حيث حرى من عبيد نمل الرقعة
العمرائية ويدخل في هذا تلك لقمم العالية الموحودة بالقرب من المكان حيث نصح صغيرة
كما أنها تدخل شكل مرتب في تلك الأستامنا الجعرافية التي يخرج بها المسافر

يعتبر المسافر بالطائرة فوق القارة الأمريكية ممتدة ما وجمع الأسطوانات جعرافية
والأفاق الأسطوانية الشكل المحددة الأضراف من تلك التي تمكن تحريكها في الكرة كسر
فيها من تنوع دقيق ومركز للمشاهد، وأن هذه لها صدى تطب على الأسماع عدم نقوه
الذاكرة بوضع إبرة الحب فوقها

II- سلفادور الخلجان وأمريكا البرتغالية

"سان سلفادور دي باهيا لكل القديسين" : هذا هو الاسم ذو الطابع المسيحي المحض الذي كان يطلق على العاصمة القديمة للبرازيل ، هي مدينة بها مطار شديد البعد عنها ولا يكاد يرى منها شيء لحظة الهبوط عندما يكون الاقتراب من المدرج من الشمال ، كما لا يمكن رؤية الرقعة العمرانية للمدينة أثناء الانتقال عبر الطريق الطويل الذي يربطها بالمطار والذي يسير بمحاذاة الشاطئ وعلى جانبيه مجموعات من النخيل الملساء التي يتأرجح جريدها برشاقة ويتناغم مع تلك الأمواج التي تنكسر على الشاطئ الرملي . هناك عدة "أحصاص" Choza تشدى وكأنها تحيي الرائر رغم أنها ملفوفة وسط النباتات الاستوائية ، يلي ذلك عدة شوارع ضيقة ذات طبع كولومبالي ، وبعض الكنائس في الحايير الأيمن والأيسر ، لكن لا تكاد ترى ملاحظتها المعمارية ، وهناك ميدان فيه وقار متكلف يتم اجتيازه بسرعة . ثم يجد الرحالة نفسه عند مدخل واحد من المصادق الحديثة للعابرة في أمريكا الجنوبية ، الذي يقع وسط المدينة ، دور أن يدري شيئا عن وضعيتها كرقعة عمرانية

من نافذة الغرفة ، يرى إلى حوار النافق حصص مسكنة الكلاسيكي الحمي الذي تحيط به خنادقه ، وبعد ذلك هناك أحدهم يحسبها بعدد من بعض الآثار المقامة على قاعدة مرتفعة أسوة بما هو موجود ، وبعد بعض من هذه مجموعة من المارل التي تبرز فوق هضبة غير مرئية

تنموج الأرض كثيرا تحت مارل السلفادور تحت براها حمل طابع العصور الوسطى أكثر من حمل بصمة المدن التي أقامها الأسار في العالم حديد ، لها شوارعها الممتدة في حط مستقيم على أراض سهلية أو أنها تريد أن تكون كذلك . عكس ذلك براه في المدينة البرازيلية حيث يلاحظ أنها تنسم بعدم استقامة سطح الأرض خيت يتم صعود المنحدرات

الوعرة بمساعدة عامل من السكان الأصليين ، وهو يعمل على المبالغة في الشعور بالإرهاق
ردعاً لمن تسول له نفسه تقليده في هذه الحالة فإن الأمر يتعلق بالقراصنة الذين يكثرون على
الشواطئ البرازيلية ويجبرون المدن على الإحتباء بالجبل وكأن الأمر شبه مما كان يحدث في
حوض البحر المتوسط .

ليس من الضروري السير في الشوارع المتعرجة في المدينة صوب الجزء العلوي فيها
والأكثر سلا ، إذ هناك مصعد رافع يؤكد ظهور ملامح احبة الحديثة في العاصمة القديمة .
حيث يوفر المصعد جهداً على السائر عبر أنه بدلاً من إلقاء اختلاف الارتفاعات يزيد منها
حدة حيث يمر المدينة وكانت حصن على مرتفع تضم مدينة سلفادور ، مثلها في ذلك مثل
كثير من المدن في أوروبا معجور . تسعين سككيات محتملين أولهما يسمى Cidade barva
أي ' المدينة السفلى ' وهي منطقة موقعة في حوار مباء ، أما ثانيهما فيسمى praira .
إضافة إلى المنطقة تعيد التي تأسست عام ١٥٤٩ على يد طومبي سوورا Sousa I أور
حاكم عام ١٥٥٠ ريل وسار على تسمية قديمة ' نصاً ' أخذ مركزها عبارة عن ميدان واسع
أعلى لهفئة تحد مني لاكثر خمسة في سنة ١٥٥٠ أحد الأصلاع الذي يبدو مفتوحاً
ودلت لوضع موقع المدينة في سنة ١٥٥٠ ' كسني سحر '

تتمتع المدينة بـ ١٠٠٠٠٠ نسمة في عام ١٥٥٠ من المدن نصاحه أيضاً حصون كثيرة
سواء كانت دحرجة معاصرة وعلى طرفها إدهاك حصن Barra ،
ومسرات ، وسوودرو ، ومار Mar ، وكان لكثير من الكنائس أيضاً دور دفاعي
كأنها حصون مثل كنيسة سان فيوفيو وسو كمالاً داخلها ينصح عن كثير من
ذكرات المخطوطات في عام ١٥٥٠ ' العامة ' generales ، الذين كانوا ينتمون
مبولهم احرة بالضرورة ، كان سور الملوك virreyes الأسار ، رغم أن اللحظلات
الأكثر صعوبة بالنسبة مدينة سلفادور سقطت بالحقبة التي تم فيها توحيد أسابيا والبرتغال
الأمر الذي أدى إلى قيام اليهوديين بحلول عام ١٦٢٤ م حتى تم تحريره خلال العام
التالي على يد فرقة أسابية برتغالية بقيادة إدريث دي طليطله L adrique de I

كان تاريخ أمريكا البرتغالية أكثر صعوبة من تاريخ أمريكا الأسابية ذلك أن مدينتها
الأكثر أهمية لم تكن لها دفاعات جغرافية طبيعية بل كانت على حافة البحر وبالتالي فهي

معرضة للهجمات والاحتلال المستمر الذي تقوم به شعوب أوربية أخرى. ظلت البرازيل طوال سنوات طويلة عبارة عن واجهة بحرية، أو مجموعة من المدن الموزعة على شاطئ طويل للغاية وتعيش صعوبة الاتصال الأرضي فيما بينها ولم تغلح في إمكابة احتفاظ على استقلال هذا البلد الأمريكي، الذي بلغت الانتباه شدة، إخراسة المستمرة التي يقوم بها سكان القرى والمدن وكذا الجهود المستمرة التي لم يبذل بها أهلها عندما كانت الظروف تتطلب ذلك وهي كثيرة

وانطلاقاً من موقعها الجغرافي، نجد أن كل واحدة من المدن البرازيلية كانت تابعة بشكل مباشر للعناية للوطن الأم، فالبحر الاستوائي الذي لا تخفف منه الارتفاعات، مثلما هو الحال في المرتفعات في الأندلس جعل المدن البرازيلية في حاجة مستمرة للموارد الزراعية القادمة بانتظام من "العالم القديم" بما في ذلك السلع العدائية أما بالنسبة للسكان، فإن انتقالهم من أحد شطآن المحيط الأطلنطي إلى الشاطئ المقابل كان أمراً سهلاً وكثير الشبوع في حالة المدن القائمة في سلسلة جبال Cordillera ونهر الأمازون النسيبة، وخاصة في الأعمال النسيبة، على هذا النوع من العلاقة الحميمة التي كانت للبرازيل مع العالم القديم

لا نجد في كتابات سلفادور أو قصورها أي إشارة بمثل نحو الأشكال نسبة المهجعة، وكذلك الشيء نفسه بالنسبة لعدم تحمي عن مدارس لافيسنة باستوحاشه هو لترات الفني والعملي (operario) للسكان لاصين وما يسر به من توجهات بوحدة في الأعمال التي يتم التكليف بها من خلال صمد، يصنع محمي من خلال لأسكان المعينة بالنسيبة المحلية أو من خلال برار بعض حورب في لأسكان منه مسودة لأمر الذي يجعلها قابلة للفهم لدى السكان لأسكان، وهذا ما قد يكون في أراضي التي كانت تابعة للإمبراطوريات السابقة على ما قد يكون من أسلافها من أسكان بالنسبة للمصابين الأوربيين هو أن الأرض هذا كان بها برنها وحياتها و... ما يحور في السير على إيقاعها في الوقت الذي كانت فيه أراضي أمريكا لاصينها من نوع من السورة التي لم يكتب عليها شيء حيث كان يمكن الخدمة حرة مقبلة

هنا يمكن القول بأن المشاريع الخاصة بدور معادة ونقصور واستثنيات الح، في السلفادور وفي المدن البرازيلية الأخرى، كانت تأتي معادة سلف في معتمدها من لشوية.

ولم يقتصر الأمر فقط على المشروعات وإنما تعدى ذلك إلى الكتل الحجرية، فهنا هي كاتدرائية سلفادور، أي الكنيسة القديمة لطائفة اليسوعيين، والتي أسهمت في رسم جزء حاسم من تاريخ البلاد، تعتبر صورة طبق الأصل لدار العبادة التي كانت لتلك الطائفة في سانتاريم Santarem، وليس هذا فقط بل جرى بناؤها باستخدام "كتل حجرية بيضاء" منقولة من لشبونة - كنيسة Conceicao da Prata التي كانت في منتصف القرن الثامن عشر أحمل كنيسة أقيمت في البرازيل، مشيدة بكتل حجرية مقطوعة ومعدة من لشبونة وليست أكثر أمريكية من أسابي الرومانسية التي أعيد بناؤها في متحف The Cloister في نيويورك

وإذا لم يبق المسامر بالنمى كثيرا في الحصور والكنايس والقصور وباقى المباني الأثرية وحوار اهتمامه بذكره في استوارع لوحد أن الشاقص شديد للعاية

كانت البرازيل من بين الدول الأولى ملثني melting-pot أي بلد متعدد الأعراق، دلت أن البرازيليين هم بقدر ما هم من أصول أوروبية أو إفريقية أو أصلها من خلال أملاكهم في كل من آسيا وأفريقيا، فمن سبب هذا أصل في الحركة والمعاملة التجارية وهو انحاء دخل عليه عدد من المهاجرين من أوروبا، من بينهم من أصل Bahian، الخليج، المراكب التي كانت تعود من أفريقيا إلى البرازيل، كما سمى السعير البرازيل بأنه ذو طابع بحري إذ أن الشناد إلى داخل البلاد ثم انتشر من خلال أسبارات أدبية مثلما هو الحال بالنسبة لهرمان فرانسييسكو الذي تجرأ على أن يسمي بحور نموذج لاستعمار البحاري الأسبوي إلى الأساس والدافع وراء التوسع الدائم في البلاد، ومن حيث حصر الممر السماع عشر حيث شهد التوسع البرتغالي الكبير على طول الساحل البرازيلي وركز حول البحث عن النوازل حيث فقد البرتغاليون أدراكهم من هذا في مسرح

قام البرتغاليون بنقل الأيدي العممة من أفريقيا إلى البرازيل وهي الأيدي التي أشأت البلد الجديد، ولما كان السات الضعيف في حاجة إلى عناية فإن الجنس الأبيض في المنطقة الاستوائية الأمريكية كان في حاجة إلى الجنس الأسود وعليه وقع عبء العمل في الحقول والصناعات والمناجم طوال فترة الاستعمار كان الأفريقي أكثر التراما وقدرة على العمل وأكثر ثقافة مقارنة بالأمير ندو amerindo الرجال في العاسات البرازيلية، وبالتالي حل محله

بسهولة رغم أنه قام في الوقت ذاته بدور الوسيط بين دك وبين البيض. وهنا نحدد أن الأوروبي كان يشعر بالميل أكثر إلى الرجل الأسود منه إلى الرجل الهندي وكان ذلك لعدة أسباب منها الأسباب النفسية ومنها أن ذلك يرجع إلى مفاهيم مسبقة طبقاً لما يقوله جواو ريبير^{١١} وبذلك تمكّن الأسود من القيام بدور رئيسي في تطور البرازيل سواء على الصعيد الاجتماعي أو الجغرافي نظراً لتأقلمه الكامل على المناخ الاستوائي

غير أنه في سلفادور لا يمكن الحديث عن الأسود بل عن السود. بصيغة الجمع، ذلك أنه إذا ما كان هناك أمر ملحوظ في شوارع المدينة فإنه يتمثل في التعددية العرقية للافارقة كان العبيد الذين حُمِلوا إلى الررايل قادمين من مناطق عديدة في القارة اشتداء من تلك المناطق القريبة وحتى حزر "الرأس الأحضر" وصولاً إلى مورمبيق، وقد أتوا ليشكلوا في القارة الأمريكية عينة مكثفة لكافة أعراقهم وسلالاتهم، ولقيلها شكل أفضل حيث كانوا أكثر من مجرد عينة ذلك، فهم لم يقتصرُوا على الانخراط مع بعضهم وإحداث التعايش بين مختلف الأنماط الإنسانية بل تعدوا ذلك إلى التهجين عندما احتلطوا ببعضهم البعض ومع اليهود والبعض ولهذا من شوارع لساندوس Rúa dos Sapateiros يعتبر واحداً من الأماكن الشديدة احدة لتي حببنا لها على الحرية الأرضية كما أنه واحد من الأماكن التي تنسم بصيرة بغير سلالا التي من حلال بصره فيها كرم ومروية هذا الشهر الشرقي الذي حوي فيه بعدة من حمار لا يوقف سراج لسلالات، على مدار أربعة قرون، من سلفادور في العالم حيث ظلت دماءهم ببعضهم في تكوينات سلفادور ومع ذلك إلى ذلك، لعمري

ترداد حالة الاسمر - بعض نباتات في الهند المعمورة التي تحرك دحلها هذه الكتلة البشرية الشديدة النوع - ومن المعتقد ان في الهند اشارة للعراسة في هذا الكوكب ان لها مركز جذب من سحابة الالهة والالهة في الهند - فهي افرغ أو اسيا حارة أن وجود سوق عادي أو سوق عظمى بعدة أفضل من سوق عادي وهم فيه وكذلك المساح الملاثم الذي يلفهم جميعا مثل اشجرة حتى تعطي الشجرة - واما ما رأينا حملا أو مندية أو هيكل pagoda لوجدنا أنها رموز تشير إلى مقبور بعيد - غير أن الذي يستدعي لاساه هو القاسم

(١) مارج البراييل، ربوئي حيدر ١٩٥٥ ص ٩٠

المشترك، في إطار التنوع البشري، من خلال الزي وأنماط الحياة في مدينة مثل القيروان أو بانكوك. تكتشف العيون بهذا الشكل إستامبا مقصودة، بها مركز للتسرب لا يصع الضمير الإنساني في حرج. إلا أن الحالة الخاصة بالخليج لا يمكن الفرار منها، ففي وسط الحسي البحري وما به من مشاهد فريدة تعلو الأسراج الرفيعة لكيسة Conceição da Praia التي تحول دون قيام الرحالة برصد هذا العالم الغريب الذي يمتد أمام ناظره. يحدث الشيء نفسه في تلك المناطق الأكثر ارتيادا في المدينة والتي استحققت لأهميتها لإقامة دار للعبادة أو مبنى فخم

تقدم لنا مدينة سلنادور خليج مجموعة إنسانية شديدة التنوع شكل لا يصدق لكنها موزعة بين شعور وكسب ذات الأسلوب الأوربي الصرف دون أن تكاد تكون هناك رابطة من المفترض أن تكون بين أسس الدين يتحولون وبين المكان، تستجيب أغلب دور العبادة، سواء بين ساحل أو الحرج، وسواء من حيث العى الزخرفي الذي عليه الأجزاء البارزة أو الواجحات منها هو حرج في التفاصيل الدقيقة في غرف حفظ المقدسات الرائعة، نقول لكافة قواعد السلنادور، وهو موجه بروكي دو طاع شديد المدينة ذلك أن الواضد الكبيرة الموحودة في الواجحة تنوع دور الحرج لقصو إلى الكورو ونضمي عليها طابع القصور، كما أن المدبر والمشرقات بنى فتح على لملاتة تصني حوا من البهجة على المكار وكأنه صالو حنودات شديدة على الحرج في كثير من الكسب في وسط أوربا وهذا هو أساس التأثير الموجه على العمارة، فخلال القرن الثامن عشر، كما أنها مختلفة عما عليه الحوا العام الحسي والاسمي رغم أن عليه من فخامة وشراء رحرفي بين الكنائس الأساسية مرتجة

وبالنسبة للكنائس لا أثر شهرة الموحودة في سلنادور، من النادر العثور على أشكال مربة نصم سمه الطسة والنسب إلى نفرض وحوودها من يتيمور الشعائر يوجد داخل الكيسة الراجعة التي يقدس فيها سيد النهايات الطيسة) Senhor de Bomfim، لوحات تحمل صور معجرات، ومربا والأسباح حديدية والدور، وكل ذلك موضوع بشكل فيه رقة ما عليه نوزيع انقطع في الصالونات الأمر الذي يجعلها تسليخ عن التوجه التقني. إذا ما ألقينا نظرة على أية قرية من إقليم إكستريما دورا الأسامي أو إقليم ألينتجو Alentejo البرتغالي لوحدنا أن هناك نوحها ديمقراطيا مقارنة بأغلب كنائس المدينة البرازيلية حيث

تبدو إذن من أبراجها الرشيقة ومن مصانعها الراقية وكأنها قطع موسيقية نورار من أحسن التسليبة التعليمية للسود. أن يسير المرء في شوارع سلندور هو بمثابة لعبش في نوتر درامي على كافة الأصعدة حيث يبدو الأمر وكأنه السير في سالرورج التي يسكنها الأفاعي، أو كأننا مصغي أدنا للموسيقى الممنعة لرباعية تعود لثامن عشر، بينما يدخل عبر الأدب الثاني قعقة أوركسترا موسيقى أحرار

ومع هذا فتمي كلا المجموعتين لأور كستر البئر ناعمة بشكل جيد ورعهم حدائق
مباني ريو دي جانيو هناك عقلانية تبدو أنها فوق السوارق السلالية، حيث تحدث المكوّنات
الأنثوية للسكان تبدو أكثر اختلافاً وفوق الرئي لعالية المتصلة من مجموعات ناطحات
السحاب يعيش السود في عشيتهم وكأنهم سكان من كوكب آخر هناك أيضاً ما يشهد به
الحدائق وكذا البروليترب في مستودع مدسة التي تعتبر ابراعاً في الاراض من حيث تعداد
السكان، وهي مركز صناعي مهم فلا مناسات حديثة يبدو أنها تدخل في إطار حضري
موحد وأنها تاعية من ماضي تاريخي تبدو وكأنها قد نزع على انعكاس السمات
الاجتماعية والانثوية التي عيها سكانها

[illegible]

III - سانتياجو دي تشيلي أو الأسرية

عندما يستعد الرحالة ، بعد التجربة البرازيلية ، لعبور القارة بالطيران فوق جبال الأنديز ، فإنه مصمم على مواجهة كافة أنواع المفاحآت والنصاريس الجغرافية ، فمنطقة الأحراش Pampa هي منطقة مأهولة بعض الشيء بالمقاربة بالعبارة إلا أن القلائل من السكان الذين يعيشون بها في تجمعات سكنية عبارة عن قرى ، وكدارعاة الخيل المورعين هنا وهناك يزيد من الإحساس باللاهائية لهذه الرقعة التي تختارها الطائرة على مدار ساعات نثير الملل ، أما الرقع العمرانية الصعبة الموحودة على الأرض فتزداد صفراً لتصبح ميكروسكوبية ذلك أن الطائرة تزداد ارتفاعاً لتتجاوز سلسلة الجبال Cordillera

تتوجه النظرات متسائلة نحو العرب نخاً عن الكتلة الرقواء لذلك السياح المحلي المتوقع بينما نجد في الأسفل منطقة الأحراش سبيل في مشهد الذي لا يتغير وكأنها تلح على الرحالة بما عليه من شكل هندسي ذي معبرين وذلك حتى يتبدى المعد الثالث عندما تطل سلسلة جبال الأنديز على مشهد سنكل مفتوح ترأسها قمة أكويكاجوا Aconcagua التي يبلغ ارتفاعها سبعة آلاف متر

إنها حجاب جغرافي غابة في الضحكة وسر بضم أموراً رصية عامضة هذه المرتفعات الشديدة الوعورة وذات القمم الجليدية والمنشعب الذي لا رجع فيه ولا ست نعطي الانطباع بأنه يتم الانتقال بين عاملين الأمر الذي يؤدي أن مصدعة درحة لاستعراة التي شعر بها المرء في أمريكا الأطلطية وسرعان ما يتوقد الفصول ذلك أن اسرار سد يتم دفعه ، بمعنى أن الطائرة أخذت مرحلة الهبوط ، عبرت الطائرة هذه السلسلة الحبية في غضون عشرين دقيقة وأخذت تنهباً للهبوط بسرعة في سانتياجو الواقعة إلى جوار ذلك الحائط الصخيم

يتمثل الأمر في شكل انزلاق قوي على أحد جوانب الستار الشديد الانحدار الذي
 يسترد قمة ارتداعته الشاهقة في السماء فيما يثرب نحواً عمق الوادي المركزي لشبلي.
 ويتبدى منه بطري الرحلة انتهى ليكتشف في هذا الركن القصي من الكوكب - وهو
 الركن الذي حظي باسم نسائي للعبة هو 'كستريت دورا' Extrema dura - الذي يجمع
 أكبر المحيطات وأعنى سلاسل الجبال، إنه فردوس عريب صغفه الطبيعة من حلال
 الهضاب ولألوان السديدة العراة والسات غير المعروفة الح

ومع هذا، فإن قول شيء يمكن أن يلفت الانتباه هناك في الأسفل هو مجموعة من
 لأشجار تنسج أشجار بريشور معوجة. والكاسة أمام مقصع يبدو أنه يقوم بتكسير احجارة
 عديدة لكي يتم قطعها من أي من الهضاب وبعد مرور هبة تخذ صفنا نائب آخر يتسدى
 في صورة صفوف من أشجار حور تدفئة بين الحقول المختلفة التي يتم زيتها مشب هو
 احار في بي سفينة من مناطق مزارع في حوض نهر يسرو بأسبانيا هناك بيوت صغيرة
 موزعة متباعدة تقسم عدد البررعة والأحجار حثية الأمر الذي يؤدي إلى التقصاء على
 ذلك حسنة معبدة به فردوس لأرضي لغرض. وتنتقى الأسماك في هذا للقاء
 من باب الحار في شبي راسن ساسح

توجد في هذا المكان عدد من الدور بها يتسبح فيها بهبوط وكذلك لتقدم للرائر فرصة
 لتجسس من حلالها وحلالها من راسها هذه الأرض تم تتولى الشوارع أمر القصة
 انما هي في هذه المنطقة التي تسمى بـ

تعد هذه المنطقة من المناطق الأصعب ترددات نظرت حدة
 وإتاحة صعب مؤثر على هذا من بعد وذلك حتى يمثل الأشياء في سياق ما هو
 شبي. وهذا من مساحات الشصعة جراف وفي المدن الأربكية تساعد في المقام الأول
 في مثل هذه الأطلال مساحه. ولها معده سم امر في ساسحودي شيلي، وخاصة
 ذلك امر حله بقادم بعد روية مساحات الشصعة في رسودي حبيرو أو بوبوس ايرس
 سوف يعيش حارة تسدية مستمرة نواحيه من حلال وجهات مسابي دا الحواف الشديدة
 اقرب من اسطوح ولأمر هو أنه رغم أن مسابي حديثة في عاصمة شيلي تبدأ من الأرض
 مصحوبة بواذر وحود عدة أدوار. فإن لأرض لا تسمح بذلك، أي تطوير نظرية الأدوار

المتوقعة ويصبح المشهد وكأننا نرى ناطحات سحاب مبنورة ونكد تكون على درجة
الارتفاع التي عليها المنازل الأكثر تواصعا من تلك المتيدة خلال القرن التاسع عشر
الشوارع تتسم بأنها ضيقة بدرجة ملحوظة ومأهولة شعبية مديدة ومعنى هذا أن قرب
الأشياء من نواظر الرحالة يجعله يتحلى عن رؤيته إلى ما هو أبعد من ذلك وأر تتحول
النظرة إلى نظرة تقليدية أسرية وكأنه يتمنى في شوارع سرقسطة أو بنسبة

وبالفعل نجد هناك في احوار أي على الأرصفة وعلى الأشجار التي زرعتها
البلدية. ذلك لثراء السمطي الذي نجد في تلك المدن الزراعية في شبه جزيرة أيبيريا
وعندما يعبر المرء إحدى نواصي كثير من بضعة موحود ندو وكنه معروفة من دي قل
وربما كانت مأثوفة. وكنه وحوه لأحد لأقرباء الذي نرى من لحظة عبدة ولا يكدره
إلا قليلا. الباءون هم كدث من ذوي موحود مأثوفة. ويضعون فوق رؤوسهم طيات
ورقية مثل الباءين في مدريد وذلك نقاء لأشعة الشمس الحارقة عندما هو الحال في بهضة
الوسطى في إقليم قشتالة وعندما يعب مسافر من سحور في شوارع وسرعة من
تلطف الكائنات من دحيث ذلك منسجون. نحن نحت شجر على مقعد مستطيل كائن في
الميدان الرئيسي وسرعة من شجر وهو حسن. ذلك شعور سي شعور بها بظهور متعة من
عناق قوى تلاحقها بها تلك ممددة. مع أشعة الشمس في حد. من شبه جزيرة أيبيريا
كما تشبه أيضا في تلك المدن موحود. ولا بد من أن يكون ماسحي لأحذية ندى
يأتون ويظنون منكم نقاء حذائهم وهم حسن مع. من المدن والأشجار

وشكل لا بد من أن نرى جمع الناس في تلك الأماكن التي لا نرى
تذكر من شدة معرفتها ولا بد من أن نرى تلك الشوارع التي تقطع آلاف
الكيلومترات وبطن لا يعنى. شارع حد. مع. من تلك المدن موحود
أكثر من ذلك في مدينتي سرقسطة وبنسبة على. من تلك المدن موحود
جاذبية أكثر من الأمور المأثوفة. كم من سر. مع. من تلك المدن موحود
الحلف من قبل ذلك الشخص محلف في سر. من تلك المدن موحود
وها هو ذلك الأتوبيس المتهاك الذي يجري نداء كدربة ويشهد شحبه على عمده الذي
يرجع إلى ما قبل الطوفان ألا يتضبط الأمر. من أجل موحود سبر. الشهادة معروفة
للميكانيكيين من المظنين بالأساسية وبس ذلك تنصيع محركات شحربة من الأمر هو أن

يمتد العمر الافتراضي لهذه المحركات إلى ما لا نهاية" وعندما نترك الميكانيكا والأنماط المتطورة للحياة الاجتماعية نجد كثرة الأطفال وسعادتهم الحيوية حيث ينزلون بعضهم فوق قطعة من الخشب مركبة فوق عجلات صغيرة من الحديد تحدث صحيحا وجلسة تؤذي السمع أين شوه هذا ماعدا أي من عواصم المحافظات في شبه جزيرة أيبيريا

غير أن الأمر المثير للفضول هو أن أغرب وجوه الشبه التي تُرى لا تبدو وكأنها موروث مباشر، أي أنها من بقايا لعصر الاستعماري؛ وكل ما بقي من ذلك العصر لا يتجاوز الثلث الأخير من القرن الثامن عشر إذا ما كنا نتحدث عن الآثار، باستثناء كنيسة "سان فرانسيسكو" التي تحملت الرلازل والفيضانات المدمرة لهير "ماونتشو" Mapocho. تُرى إذن سانتياجو اليوم على أنها شيدت في أغلب أحرانها بعد الاستقلال، إلا أنها تسير على خط تطور تلقائي يسير بشكل متوار مع كثير من المدن في الحضارة القديمة ويصل الأمر في هذا إلى التفاصيل الدقيقة، ولهذا فإن الطابع الأساسي لسانتياجو دي شيلي يبرز بشكل أكثر مقارنة مع عليه الأمر في المدن التاريخية لأمريكا، حيث نرى أن ما هو أساسي يتحلى وكأنه شكل من الأشكال التي بقيت رغم مرور الزمن أو غسدت على ما هو عليه ويستقل بكم إلى أزمة بعيدة ليست هي أزمائكم ونظر لعدم وجود علاقة تاريخية واضحة الملامح بالنسبة لشيلي فإن الطابع الأساسي للحضارة الساسية بالأساس والانعاصرة والحميمية، فلا شيء يثير اعجابكم سواء كانت الآثار أو الأشياء، بل شيء آخر معروف العبارات الكلاسيكية في اللغة أو أية إشارات يقوم بها شخص واحد، كل شيء معروف لكم وشائع ويوحى وكأن امرء قد عاد إلى سرله

هذا هو السبب الذي من أجله سرعان ما يقسح له أصداؤه في ساحة حيث يتأني عن التعامل معهم نوع الرثابة الباحية عن الثقة والمودة وكأنهم يعرفهم من مقدور الجماعة أو أننا قمنا سويا برحلة بل نعرفهم في مرحلة الطفولة وشميت هذا، استمروا من ذكرنا، ورغم هذا بقي أثر اللطف الذي لا يمحى وهما يمكن للدردشة في حد اسمي أن تمتد لساعات وساعات أي أنها تتجاوز حدود الرمن وتخرج عن أي إطار مقفى من خلال ذلك التبادل البسيط والشديد الحميمية، أي من خلال الدردشة وهي أفضل سمة ثقافية في العالم المتحدث بالأسبانية ولا زالت قائمة في الأراضي الشيلية في حماية الامركية احرافية وتظل طازجة، وتظل عقبرية لكنها أخذت تفقد مكانتها على أرض الحاضرة القديمة (أسابيا)

ذهبت في إحدى الأمسيات وكان من الضروري فعل ذلك إلى حدائق
 "سانتالوتيا" الواقعة في منطقة هضبة حلف تحصيل أقامه Valdivia يتم الدخول إلى
 المكان من خلال باب ضخم شيد من لأجر الذي يتسم بخصوصية الحفاظ على واحد من
 الثروس الموروثة عن الأسرة المساوية ويؤدي المسار إلى ميدان صغير باخديقة به مقاعد
 مستطيلة شيدت من سيراميك سيرا على هذا الأسلوب الإسباني الذي أسهم في نشره
 "المعرض الأيبيري لأمريكوي" في كافة المدن التي شاركت فيه وفي وسط الميدان هناك
 تمثال من أسس المدينة وهو يتخذ الشكل الحربي amador على طريقة الملوك القوط في
 كثير من الطرق في شبه جزيرة أيبيريا وتحت التمثال هناك مركب صغير مكشوف كان يشير في
 النفس مبول بطفولة المدينة

وهناك جمال لأندر يكسبها لرحمة في العمق، وبذلك تجد تناوياً بين هذا وبين جمال
 الحديقة مليئة بالأصناف والأزهار، ويحيط سور من كتلة لأندير كانت تحميهم وتضفيهم
 وتبدي لأعلى أنها ستروفي من لأندير نعمة وعمر المأوىة للالأندير حبيبة
 التي استقلت من صرف قصبي في عهده ووجدت في ركن حقه في عهده لآله الساسي وبه
 طابع أسري همه وصغير ودهضات في السور

IV- على متن قطار في الهضاب

من المزايا المختلفة للسفر بالطائرة هناك واحدة وهي أن هذا السفر يعتبر إعادة اكتشاف السفر على سطح الأرض ومزاياه على سبيل التقابل بين الوسيلتين . ومن الواضح أن القطار الصغير الذي يربط بين "لاباث" و "بوتوسي" Potosi يقوم بتحقيق ذلك الهدف والأرض وعرة والقطار يتسم بعدم القدرة الميكانيكية الحيدة وكذا الهواء الذي يحيط بهذه المنطقة الوعرة حيث يمر القطار والذي يشعر به المرء ليس فقط من خلال الرتتين بل من خلال علوية القطار البخارية ، وهذا كله يسهم في أن يكون القطار بطيئاً للغاية

لم يكن يهم أن يكونوا وضعوا أربعة قاطرات إثنين في الأمام وأحريان في الخلف حتى يتمكن القطار من صعود هذا الوادي الوعر الذي توحد فيه "لاباث" ومن المنطقي أن هذا العدد المبالغ فيه طبقاً للمطور الأوربي يسهم في إصغاء الانطباع بأننا أمام لعبة مبتكرة تتمثل في هذا القطار ، غير أنه حتى لو كانت القاطرات كبيرة وأكثر قوة لأصبح الانطباع الخاص عن القوة الميكانيكية مرتبطاً بشكل نسبي بحجم المشهد . نحن القطار من اناره مشاعر عامة أو شعرية تتسم بالاستغراب بالنسبة للحقول المؤسسة في أوروبا لكن باب من حساس بالقوة بمكن أن ينأى عنه هذا القطار السريع وهو يتحرك أمام تلك الكتلة الضخمة من الحمال ، مع قصة إيماني Illemani ، التي تصل إلى ستة آلاف وسمائة متر ارتفاعاً

تبدو مدينة "لاباث" الواقعة في قلب المنطقة الوطنية التي تتدثر بها من الرياح الشديدة البرودة سواء القادمة من puma أو من المناطق الشديدة الانحدار وكأنها تضاريس إنسانية صغيرة لا تكاد تحدث تعبيراً على السلام الحيولوجي المهدد الذي هو المشهد الطبيعي ؛ وتدحل في هذا أيضاً مجموعة الساعات الصحيرية التي استكنت ولم تجرؤ على تسلق الحائط الشديد الوعرة والذي يعتبر عمارة القاعدة لـ Puma حيث ترى وكأنها شيء

مصطنع . تأخذ أهمية المدينة وأشجارها في التضاؤل كلما زاد صعود القطار بصعوبة بين أشعة الشمس في المساء . ويمكن أيضاً أن يحدث أي انهيار أرضي أو نوع من السيول الهابطة والتي تضرب بقوة نسبة الكتلة الجبلية التي تولد فيها ويؤدي كل هذا إلى زوال عاصمة البلاد من الوجود .

ليس الأمر مجرد انطباع شخصي فبعد أن جرى تأسيس المدينة بقليل ، عام ١٥٤٩م . شعر سكانها بالفرع من هذا المشهد الجيولوجي وفكروا في نقلها بالقرب من بحيرة تيتيكاكا Titicaca بشطآنها المليئة بالهنود ، ولفعلوا ذلك منذ زمن ، لولا أنهم قاموا على مدار أعوام سابقة باستخراج كميات كبيرة من الذهب من ذلك الوادي الضخم وهو وادي خوسافات Josafat الذي يوجد في شوكيابو Chuquiabo حيث تستقر مدينة لاباث . كما أن هناك سببا آخر وهو الأسطورة القائلة بأنه توجد تحت الجليد الموجود على قممها كنوز مهمة لأحد المعابد . إلا أن نهر الوادي الذي كان يضم جزيئات من الذهب كان يمثل تهديدا قائما للمدينة التي شعرت بالكرب للموقف الذي هي عليه حيث أعلنت عن نفسها أنها تنديدة السلمية من خلال اسمها . ومن خلال هذا المنخفض الكبير انطلقت مياه بحيرة كبيرة صوب الأمازون ، وهي بحيرة أكبر من تيتيكاكا ، عندما جرى سحب ألسنة المناطق الجليدية . كما أنه في نهاية القرن الثامن عشر حاول الهندي توباك أمارو الرجل الذي كان على رأس تمرد قام به السكان الأصليون أن تتكرر الظاهرة نفسها ولكن بطريقتهم وذلك بالقيام بقامة سد في بداية لوادي ليقوم بعد ذلك بفتح الطريق أمام المياه المخزنة ويدمر المدينة التي تسدها الدبس أتوا إلى المكان .

وعند الوصول على مستوى (المرتفع) puma ومع برودة هواء الليل ، يكتسب القطار سرعة أكبر ، وربما كان ذلك ملحوظا بشكل كبير في قلة جلبة الصوت عند الصعود والالطف في حواسعه المتكلف وتحديدًا بدت الحركة أكثر خفة عندما تخلص القطار في أورورو (Oruro) من الوحدات المخصصة لكوتشا بامبا Cochabamba المليئة عن آخرها بالمسافرين الذين ذهبوا ليقضوا في هذا الوادي الطيب احتفالية القديسين والموتى ؛ لكن لم يتعد الأمر مجرد خيال فيما يتعلق بزيادة السرعة الناجمة عن الخيال العصبي الذي عليه المسافر الذي وصل إلى ارتفاع لا يكاد معه يداخله النوم .

هناك مسطحات صحينة من الأراضي ذات اللون الأبيض، وغير المروعة، لكن
نمو فيها نبات عذرة عن غلب دي لور أحضر نمت بميل إلى الصفرة. ألا وهو hicho
بدي يستخدم في رعي حيوان الالاما (guanaco) لوحيدشي واللامة والألكا alpaca
وأحيانا ما تظهر رراعات قليلة معنية بذلك عن وحود قريبة مع وحود فحوات لا تكاد
تحدث أي حداث على مستوى الأرض حيث يتم إسراع الـ quancoa والـ oca وكذا.
على سبيل إحصاء. الـ Papad التي يتم تخزينها تنضج بعد ذلك عبارة عن chuno
المتحضر الذي هو أساس غذاء السكان الأصليين. يتحلل شطط العيش في هذه التساع
بقائه بين الحقول الشاسعة المروعة وبين منازل القرى التي يربطها حبل في الحساس
صعبة لأرض

غير أن عملية بناء في حدود الحد الأدنى هذه، نصف بشروط ماحمة الضديدة
بصعوبة. لها حداثتها ليست أدري كيف كما أنها فوق موعود وحيد. من ذلك عندما
يحدث بعدا عن الشقة السائدة ونمعد عن بلاد التي يذهب فيها في دراع من
محصره. الإنسان بعد يخصى نوع من صمير بناء محاصر لم يدا التي نعرض لها
من قبل حداث لاخرى لأكثر تقدم. كتب سويسني فيون وهو يحول في ذلك
مرتفعة في بيرو. بعد قدم بعد متحضر على تدمير ذاته في بعض الاحار عند لا
تصيفات تكونو حيا والحيور و إنما فير مؤداء للاحين مرتبطين بالأرض سوف
بسنمرو في حياتهم وناسيتهم حتى يعيدوا عمار لأرض من جديد عند تنهي موحدة
التدمير مسموحة من رما يكتفي ألف عام حتى يتمكن الرواد من تلاحين شقيمين في
حيوت كندا الفرنسية من الالتقاء بالرواد من التلاحين اليهود من الكيوسنو اسدين هم في
الشمار وموحدون بين أضلال مبامي أو هيوستر. وفي ذلك اليوم سوف تحدث العالم
احديد قد أعيد نسكبه

وكوع من التكرية لهذه احالة الفريدة التي يوحجها الإنسان والتي تمثلها القرى
الواقعة في المناطق محدرة. يتوقف القطار عند هذه القرى ومع هذا يصعد إلى عرسات

(1) Arnold J. Lee East to West: A Journey round the World London 1988 page 18

القطار أو يزل منها بعض اليهود ملاسهم الأصلية. وترندي النساء القبعات وتحملن
أمنتهن الشخصية على ظهرهن حيث أحيانا ما تكون هناك طفلة صغيرة مسالمة للعبية مثل
والدتها. البيوت مشيدة من الطوب اللبن دون دهن وعبر مرتفعة كما أن الخواص لا تكاد
تلاحظ وجودهم اللهم إلا من خلال الألوان الراهية وصوت بعض سيارات النقل التي تسير
في طرق لا تكاد تكون موحودة وتقترب من محطة القطار تتوارى أيضاً أسماء القرى
المكتوبة بحروف متحركة مفتوحة مثل حالي كسا Galicampa وتشابانا Challapata
وبانزا Panza

طل الأفق في رواله على مدار العديد من الكبلومات في دلت الشريط الحريري
لبحيرة بوبو Poopo حيث يلتقط البصر المرة ثلث الأخرى. وكأنه يبرق، تلت لإشارات
المحددة التي ترسم في الأفق لبروفيلات اعلى حيوانات الlamas ولكن لا يرى
عن قرب سوف تحدث حمة حرة تنسج أن در يمكن نصفت اللام، أطلق لأساس
عديها حرف حمال لأمدير. عبر من تنسج حمل ألبا ويس هذا ثقلين وبها شبه باحمار
وكذا باحبة من خلال رفسها مقبوضة في سفير برأس صبعة على شكل رندة دودبة ونفضل
عليكم سطرة بلها، المحددة

من الصعب تحديد نسبة النسل من الألبا واللاما لوحيدية
 guanaco ونوع آخر منها يسمى guanaco. والألبا نفسها صنف ما
 يقوله الكثير من كتاب حيوانات أمريكا الجنوبية. في بعض المصنفات يسمى بهم
 الأمر تطبيق معيار نسبة الدم. مع نسبة الدم في حدود 1 في الألبا
 البيرو وحتى أكثر من 2 في الألبا. في بعض المصنفات من حيث اللامنة
 الوحشية vicuña غالب ما يقع في حدود نسبة الدم 1 في الألبا و 2 في guanaco
 ويطلقون على هذا الأسس أن ينسبوا حدًا معينًا من نسبة الدم كان له قبل أن
 يتم استئصاله

نذهب إلى أبعد من هذا - ونسور لم يكن هذا - سقيف و تنويب والاستخدام المنطقي وذكر الأحداث الترتيبية شكل محدد في نيت لأصنع ' لأمر لدي يسير متوترة جيدة في هذا النبات الأمريكى يسير على النحو الذي عليه ثبت لأميوي وهو العرلة

الصوفية والفكر الميتافيزيقي والاعتقاد بتناسخ الأرواح - وهذه جوانب غير جوهرية ومثيرة للحريرة في ظاهرها - وحلول الأشياء .

ومع هذا كانت تلك الأرض واحدة من المسارح الأولي التي جرى فوقها هذا التوسع الكوني للروح الفاوستية faustico التي عليها الغرب حيث قامت هنا بواحدة من المهام العقلية المهمة عن إرادة واختيار هذه الأرض التي ترتفع من خلال أكبر التسوآت الموجودة على ظهر الكرة الأرضية كانت تضم تحت جليدها الرقيق والحساس والأشقر الضارب للصفرة كنوزا مادية لا تصدق عبارة عن معادن ثمينة التي بمجرد استخراجها من بطن هذه الأرض ، يتم نقلها على ظهر حيوانات اللاما العبر وحشية لتصل بعد عدة شهور إلى أسبيلية ، ثم تبدأ من هناك في الانتشار في كافة الأسواق الأوروبية ويتضاعف عددها ، وتحدث ، بهذا الشكل ، ثورة اقتصادية تفتح الباب أمام الرأسمالية الحديثة

ياله من جهد كبير في العمل على أن يصل إلى أمبريس Amberes أو حيف رطل من الفضة أو سبي ، هو استخراج المعدن من ارتفاع يصل إلى أربعة آلاف وخمسمائة متر ، وهما تدخل عناصره كبره في أعمال وحيوانات النقل والاحتش والعدة المستخدمة والكثير من العناء للبشر حاحات الكثير من الأفراد الذين يستلزم لمسافة مئات الكيلومترات ثم تأتي بعد ذلك رحلة العمل إلى المحيط اساسمكي عبر أراضي شديدة الوعورة حتى الوصول إلى ميناء أركنة Arica ، ثم تبدأ الرحلة الأولى بالركب صوب البرح Istmo ، كما أن النزل يكون على الأرض والنهر حتى الوصول إلى بلدة "Nombre de Dios" أو "بورتوبيلو" Portobelo ، حيث أنها محطة رئيسية في "قرطاجنة لهند" ثم تستمر الرحلة بحرا صوب أسبيلية في سبعين رطل ببلندي من المراكب ، وكان ذلك بدأ منذ عام ١٥٦٤م تحميه مراكب حرسية بمد مر كك الترامسة ، وهناك من الناس من لا زال يؤمن بالمقولة التقليدية المعتادة التي تشير إلى عدم قدرة السلت الأيبيريين على التنظيم العقلاني والتوجه نحو الحداثة في المسألة الاقتصادية ، وهما عليه أن يطوف بتلك الأقاليم غير المأهولة .

كما أن عليه أن يطوف بها ذلك الذي يعتقد أن التنظيم النفعي والعقلاني يتسم بأنه نشاط خاص ونوعي وجديد ظهر أمام الإنسان الحديث بمثابة أنه عضو لا مناصر منه ، في الوقت الذي تسند إليه فيه مهام أقل عممية هي أصلا من سمات الأداء لدى إنسان العصور

الوسطى . لم يكن على رجال المناجم والحكام الذين كانوا يجولون في أعالي البيرو أن يتحلوا عن السياق الذين يعيشون فيه وهو الاتصال بالقسيسين ورجال اللاهوت الأسبان ، ذلك أن الميل القوي إلى ما بعد الحياة الدنيا كان حافزا للصعود هذه المناطق الوعرة التي تتجاوز أي شيء في العالم ؛ كما أن الأصول المتبعة في الهضاب الأيبيرية التي تنحو إلى التصوف جعل من عملية صعود تلك التضاريس وسكنى الهضاب والمرنفات في الأنديز أمرا ممكنا .

ليس الأمر مجرد نكهات بل هناك علاقة مباشرة شديدة الوضوح ، وفي الوقت ذاته محد القديسة نيرسا تصعد إلى جبل الكرمل ، وأصل أخوتها الأربعة صعود 'قمة الأنديز' ؛ وبالنسبة للاح الأكر ، إيرناندو ، محده وقد برر في احتلال Quijos كيهوس ، ذلك أنه عندما حمي وطيس المعركة قام هو وجمود آخرون بالصعود على مرتفع عال للسيطرة على منطقة كانت في حوزة اليهود وتمكن الأسبان من حوصص محاصرة والسيطرة عليها وهناك سرزت كثيرا عظمة الكائن إيرناندو دي أومادا 'H. de Ahumada'

كتب أغسطس ، عام ١٥٨٢ م . وهو في كيو ، إلى نيابة الملك في البيرو يطلب عونه بعية الخروج برفقة مائة رجل " للسيطرة على محافظة شهدها بعض سكان احوار وقالوا عنها أنها غنية بالسكان والذهب الذي شوهد وحوده هناك ، ومن خلال ما تمت رؤيته ومشاهدته يعتقد أنها بلدة Dorado التي جرى العمل على السيطرة عليها عدة مرات وراح صحبة هذه المحاولات الف قائد وحدي ، وإن هذه البلدة سددته القرب من " أبيل " التي تعتبر بلدة تابعة لهذا الأقليم والتي بعد من يمكن الذين حل فيه مسافة سير لثمانية أيام " "

كانت هذه البلدة ، الدورادو ، التي حسم بها رودرغو شقيق نيرسا حيث شاركها تلك الرغبة أثناء الطفولة في الاستشهاد وحملات التوسعة ، سديدة الخطورة وبعد السير عبر أراضي " نهر الفضة R. de la plata " من جبال الأنديز لسوت وهو يجارب 'الأراوكان' araucanos عام ١٥٥٧ م إلى انعام نفسه التي يلعب فيها القديسة نصحتها وسلامها الروحي

مخطوطات بيرونية في مكتبات في المراجع - ليما ١٩٣٥ م الجزء الأول ص ٢٤٥ - Ruben vargas de ante

يعتبر حوسبه ذي الكوسن، من جملة اليسوعيين، واحداً من أشهر مرحلات في أعالي
النبرو وهو مؤلف كتاب عو به 'السريخ الطبيعي والأخلاقي لبند' الذي قد عهده فور
هو مولت في تلك الأيام بأنه 'معرض النظر عن' واعتبرت احصاة سريحيات في كنفه
أسر ما يصف عليه ابوم جعفر فيا بغير بنية' ومن السعي أن هذا الكتاب حثرت كنفه
على يد من ألف أبص كدر في التفسير، وهو كذب يعتبر مؤذناً في سنة ١٩٠١ كلالا الكتابين
يعتبر الانطباع أنهما كذا أو أنه تصورهما. مروح عدر، وروح وسنة وكثير من الظواهر
الطبيعية

يعتبر كذب ذات كوسن رفيق جيد في مرحلة من سدة يونوسبي، وذاً في
ذلك كثيرة يذكر منها أن كذب يصح به ذنبه، و كذوبة يتوصل إلى تفسير مقنني
لصخرة تسمى 'الزق' أو 'شعور سبي' و ماضق المرتفعة كسب صخرة جديدة ثم
ينظرق إليها كل من أرمضو وييسو، و كذا ذلك أشهر كذا، مثل مشعر، و سحسطين
في علمه 'ميتونو حجب من بدهاء، في حيرة من الأمر ويعلم عدد الناس من سدة كسفة
سني أصقت انصاع مسيحي على مفهوم لاومي بسعة، وحتى ذلك حين كذا شري
دارنوبويه ذي لاس كذا من 'يعتقد أن لردوس كذا موحود في التقسيم كذا سبوه
وأنه ينسب سدهاء و رقة' وأنه 'لوق سريخ' و 'المصرا' وأنه يفتق في سداحات ارموا سني
ثم سوعه من حلال مده بطور، و ذلك دور كذا كذا كذا في مفهوم الاومي
المسيحي اليهم، فلا يشاق ذلك مفهوم على علمه جيد

ثم بناخر سري شعور سبروي هذه كذا مفهوم ذلك فهم علمه كذا كذا و
الماضق المرتفعة في حذر والتدبر وسي كذا ضعف ربيع سلاله في أوربا، كذا موضع
الذي عليه مرخنة كذا بعد عن تلك بصورة سني كذا بسطر أن كذا قروية و كذا حذر
ذلك الأب الكوسن ووصفه به بشكل دقيق عدم كذا سسنة سري كذا كذا
وحق الحظ يؤكد 'أنه هو أشهر ذلك كذا كذا كذا كذا كذا كذا كذا كذا كذا
عربا كذا لا عن تخضع حسد من يعكس هو أنه كذا عن كذا كذا كذا كذا كذا
حقة الهواء الذي كذا يتم مستشفاه

ولما كان رجلا روحيا فإن ابن الأقاليم هذا كان يؤمن كثيرا بالهواء والريح حيث
خصص لهما جزءا كبيرا من الفصل الذي كتبه عن العاصف في كتابه "تاريخ" كتب
الأب أكوستا يقول^(١) "يدخل إلى أحشائنا وفي كل حطة برور الثلث وبهذا يطعم عليه
سماته، فإذا ما كان هواء فاسدا فهو قاتل، أما إذا كان صحبا فإنه ينشط لقوى وفي بهاية
المطاف يمكن أن نقول أن الهواء فقط هو كان مباحي الحياة للنشر" الهواء ذو هو عنصر
شديد التعير ويتضمن الكثير من الأسرار، ويتذكر الأب أكوستا، في هذا مقدم العبادة التي
قالها القديس خوان spiritus ubi vult spirat كما أنه من بين كافة أنواع الهواء نجد
الهواء الخاص بالمناطق الشائعة الارتجاع في لأندير يتسم بالحدة وبالتالي لا يكاد يحسن به أو
يدخوله إلى الجسم" بمعنى أنه "يمر بالاحتباس" ويحدث ثراء على كروب بقلب

و "كروب القلب" التي بنه شعور بها في مرئعات الأسير ولتي طر تأثيرها على مدار حياة رجل الجماعة اليسوعية " فاشي صغرة منه الشعور بها في كافة الأفعال باستخدام مصطلحات يبدو أنها مأخوذة من كتاب متقدمة تدريب بني كات نعي شدة بكل ما يحدث لأחותها في عسارتهم في بعض مدد حربية و بها كات شديدة تأثير موت رودريجو. الأمر لدي جعل "حلامي في نفسية حميدة بعد ان بعد مات شدة ذوات دفاعا عن الدين "

سلط ترينتس قسطنطين لاجد على مملكة في لاسير، فاستدعى كرسفوس
بحدث لدور كيجو به نو كرسفوس على مملكة في لاسير، فاستدعى كرسفوس
بطلبها شعف، غير أنه عندما ذهب إلى مملكة في لاسير، فاستدعى كرسفوس
لوجدنا أنها لا تمت لاصفة وحنة في لاسير، فاستدعى كرسفوس
هذه المغامرة عندما تمكوا. على مملكة في لاسير، فاستدعى كرسفوس
لكتاب ثريانتس

(1) تاريخ الهند العربية محمد لاوي شمس الدين

BAE. مدريد ١٩٥١ ص ٥٧

(۲) اخبار الی دلت سلفور دی مدرجہ فی راجہ ڈاکٹر محمد زبیر صاحب مدظلہ العالی

١٩٥٩ م ص ١٢٩

V- الصعود إلى بوتوسي Potosi

تكاد الحقول التي يمر منها القطار تكون صحراء جرداء بمحرد معادرة المحطة، لم تعد هناك هذه الموجات من الهنود التي كانت من سمات عصر نيابة الملك، حيث كانت الطرق آنذاك، طبقا لما يقوله أحد كتّاب الخوليات، "تبدو وكأنها معطاة بالشر وكأر المملكة تنتقل من مكان لآخر". هناك سُمع الهنود يدفعون الضرائب و يقطعون في منطقة شاسعة محيطية بمدينة بوتوسي، والتي تصل من الساحة الشمالية إلى كونكو Cuzco في البيرو المعاصرة، ومن الناحية الجنوبية حتى تاريجا Tarija بالقرب من حدود الأرجنتينية، وكان الهنود يأتون إلى هذه المنطقة الوعرة برفقة أسرهم أثناء تلك الفترة التي كان فيها استغلال المناجم هاك على أشده. ووصل الأمر بتعداد السكان الذين ستم انتقالهم إلى أربعين ألف فرد في العام

هناك أحد شهود العيان الذي وصف لنا تلك الرحلة المظنة التي يقوم بها الهنود من محافظة تشوكيتو Chuquito، حيث يصعدون كل عام إلى تلك المنطقة المرتفعة "كل كل هؤلاء يذهبون إلى المكافئ شكل منتظم فيهم وياؤهم وعندما يراهم المرء مرتين وهم يصعدون، يمسكي الثوب بأن إحدى يديه سبعة آلاف، وتسا كل هدي من هؤلاء يصحب ما لا يقل عن سبعة حروف أو ثمانية آلاف من حيوانات الابل Paco من الذكر أو الأنثى للطعام، هناك أحرون من هم - رعدا يحملون معهم ثلاثين أو أربعين خروفا، وهؤلاء كانوا يحملون معهم عداءهم من ليرة وبتنا المقاطع chuno وبتاطينهم إضافة إلى حصائر لاتقاء البرد القارس هناك ذلك أنهم دائما ما يسمون في العراء... وعلى بعد مائة فرسخ يحدهم يستعرقون شهرين في هذه الرحلة إذ لا يمكنهم أن يجعلوا رؤوس القطعان التي ترافقهم تسير بسرعة وكذلك أبعاءهم الصغار الذين كانوا

يمشون وأعمارهم تتراوح بين خمسة ولسادسة " كما نقرأ في مصدر يرجع إلى نهاية
القرن الثامن عشر بتعلق بالهنود ميتاي Mitayos في إقليم تيتيكاكا أن ما يفعله هؤلاء
الأساس شبيه بما يقوم به "الروبيان" ذلك أن هذا الأخير يستهت ما هو مزروع أيما أمر.
يبدأ أولئك يعيشون على لقطعان بدح الأبقار والحراف للتغذية ولا يرحلون اللاما المملحة
على أساس أنهم خدم الملك .

وفي هذه الخاتمة فإن الملك الكاثوليكي، كان كما هي العادة بالنسبة للملوك كثيرين،
الوريث المباشر لإمبراطورة كوتكو (Cu/Cu)، وبالتالي كان يحظى بهذا العمل الجماعي
الذي كان يقوم به الملاحون من خلال الاقتراع على لعمل سحرية وكان يحظى بشكـة
رثعة من الطرق لصورية بلحظ على إمبراطورية عربية من سيرة الأطراف وهما يتحدث
كتب حوليات في البرو عن هذه الصرق وحصة الفارس بدر تيت ري ليون الذي صـف
بالبلاد بعد إحلال لسلام بها مباشرة ووصف حراء منهم من الطريق الرئيسي الذي كان
يبدأ في كيتو (Quito) ويمر بكونتوكو ويعبر المرتفعات ليويفيه سم يهبط إلى نوكون
Tacuman لتكون النهاية في شيببي كان طول الطريق ثـف وثمانـي فرسخ وكان فيه أماكن
للراحة أو قصور كل ثلاثة أو أربعة فراسخ وكانت كل هذه المدن هذه حـدة ويمكن
مقارنة هذا الطريق بالطريق الثاني الذي وصفه امروموس والذي يملأ عـدية من سـبب الطريق
النص " ٧ "

يسير شريط السكك الحديدية بالقرب من ذلك بقدر ما حتى نقطة ريو مولانو R
Mulato تم يعترف من هناك منحها صوب بويوس. ثم في "حفرة السكك الحديدية
ليرافقه، إذ من خلال بلدة توبت. AP 1 يقسم بين الولاية وولاية مع شبكة السكك
الحديدية الأرجنتينية إلى الاتصال الأكثر قصرًا. على الرغم من أن هذه المنطقة من خلال
بويوس أيرس، ولقد قام الأسبان مستكشف هذه المنطقة من قبل إسبانيا كانت أول
رحلة انتقلت من البيرو صوب "ريودي لا بلاتا"، محذرينهم انقراضات مني كانت بين

(1) كونيكونوروكورنو قصه شاعر العميد لساندين، احرء سامي، القيس، حامي، عبد الله، العلاقات التاريخية
الاذنية في ترك خوسه BAI مدريد 1959 ص 35

(۷) بدرونتی نور حوسه سزو، لقصین حادی عسر نقر حویب رسوب بهد حء شمایی B \ H مدرسه
۱۹۴۷ م. ص ۳۹۳

أنصار أمأخرو وأنصار بشارو وكانت هذه الحملة مكونة من الكائنات ديبخو دي روحاس
وفيلسي حويرث وبكولاس دي إيرينديا حيث استطاعت الوصول إلى الحصن المقام إلى
حوار النهر الكبير على يد سبستار كانونو، لكن دون وجود إشارات على وجود سكان
لما كان ديبخو دي روحاس قد مات بسبب قذيفة عبارة عن سهم مسموم وجهه إليه
الهنود، وبعد ذلك قام فرانيسكو دي سيدونا بالتقاء القبط على فيلبي حويرث وأمره
بالعودة إلى البرو وسط مخاطر شديدة، كما أن فرانيسكو دي سيدونا نفسه توفي عندما عاد
بعد اكتشاف النهر، ونجدنا توفي مع قائده المبدئي روي سانشيث دي إيوجوسا، فمن
خلال بكولاس دي إيرينديا لم يتم اكتشاف تلك الأجزاء بالكامل، وذلك لشعب بعضهم
لنقص الأمر الذي جعلهم يعودون إلى البرو

كان من الضروري استعلان ملاحم بونوسي عام ١٥٤٥م وذلك حتى يتم تشجيع
الفرق المحورية غير أن بعده تشجيع كان يجب أن تكون بقوة عبر معهودة في إطار اقتصاد
طبيعي منبسط كان عنه ذلك، ولسبب ذلك يتجلى في الأساس في عدم معرفة
العجينة والحضرة من قبل صوري وأنصار مدممة ليس البحاري أو شمال الأعداد
بصورة من الاستبان بصفحة لا يرى و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى
لأنهم أرادوا أن يكونوا صورة مستحقة في حين أن استجره كنت قبيلة
على رأس حضارة لا... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى
مؤقت إلى أقسام محورية... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى
عدم أن بونوسي من محقة... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى
كان ذلك بلطفهم مع أن... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى

لم يبحر لأورسو... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى
الديبمكي وانتوني بغير... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى
أحدث متحرك قول من انحراف... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى
القول تحمل إلى هذا مقصد... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى
مختلفة من العالم سواء كان ذلك بغير... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى

(١) بروندي سور... و... حواره الذين كانوا ضرورة قصوى

هناك ماء، غير أن هذه المرتفعات تفرض نفسها ربما بسبب جفافها وصمتها المطلق وعدم
تبدأ الشمس في المغيب تكتسي أعشاب hicho باللون الذهبي وتتقافز فيما بينها ونحري
حيوانات اللامة vicunas ذات اللون الذهبي المتلألئ وكأنها حيوانات مقدسة من
حيوانات الشمس تحتفظ بها لنفسها وتغذيها بالرحيق الحالص^(١) وهو رحيق يحتوي على
أكبر قدر من الحيوية التي تساعد تلك الحيوانات على القفر واجري بينما الرحالة الحاصل
صامتا في مقعده يشعر بأن الجسد أخذ يتهاوى وخارت قواه رغم أنه لا يقوم بأية حركات
أخرى غير تلك الضرورية لبلوغ فئجان القهوة أو كأس الكونياك

النظرة هي التي لم تتأثر كثيرا بما عليه الجسد، غير أنها كانت تدور قبل ذلك فاحصة
وأكثر رضا وكأنه الأمر عبارة عن أن الاقتراب إلى هذه المناطق المرتفعة هو بمثابة روية
تجاوز حدود الطبيعة. وهنا فإن الحالة المعنوية التي عليها الرحالة تحد صدق أفضل لها من
خلال الصفحات التي كتبها الأب أكوستا مقارنة بما كتبه ذلك الموظف الذي ينسب إلى
عصر التنوير والذي يشعر بالرضا الشديد ويميل إلى الترحه الوضعي وإذا ما كارايس
الأقاليم قد مر بهذه المناطق لكن ليس على ظهر بعلة، بل على سائر الهوائ، بل جاء
وهو جالس في مقعد في القطار من وراء نافذة، لتمكن من حسوبة دور مواجهة الصعب
الطارئة ولترك لنا تأويلا وتفسيرا أكثر روحانية لهذه القصة:

أخذ القطار ينزل في أراضي تتسم بشامي تنوعات تضاريسها وألوانها بشكل ملحوظ
مقارنة بأشعة في المساء التي تضيء المكاز وكأنها ركاز معدسة على سطح الأرض وهذا هو
على الأقل ما يبدو بالنسبة للأسبان مثلما هو الحال في سائر شبه شكل مباشر ألا وهو أنه في
نهاية القرن الثامن عشر كانوا يتوجهون بالشكر للعبادة الإلهية من خلال أحد كتاب
الحوليات^(٢) الأكثر رومانة في ذلك القرن ذلك لأنه أراح عنهم الخثر من الدمار ذلك أنه
عند اكتشاف المناجم القائمة في المرتفعات كسا ثروات الماحم بالوان، "ودلك ليرتاح الأسار
وليتعافى من جهله.

(١)

(٢) ندر وبنني كابتني إى دومسحت 'الدليل التاريخي والجغرافي والقبريسي والساسى والمدني والقانوني للحكومة وقيادة
محطة بونوسي'، الجزء الأول، الفصل الأول، "سلسلة الثقافة الوليفية"، بونوسي ١٩٥٢ م، ص ٤٥

وكلما استمر القطار في طريقه كلما أخذت تتوارى ملامح التعديين ، فهناك رقع في الأرض معطاة ببطقة من البانات ، كما تظهر من بين الأودية المزروعة رغم ما بها من فقر مدقع الأمر الذي يذكرنا بما عليه بعض الوديان في حوض البحر المتوسط وهل لأنه بعد تحاور المناطق الجرداء محد الرحالة القادم من حوض نهر إبرو Ebro يكتشف في الفضاء لموجود أمامه أركاننا تكاد تكون مألوفة لديه " ليس الأمر مجرد إنطباعات عشوائية ، فالشاعر روبن داريو يؤكد ذلك في قصيدة له بعنوان " إلى بوليفيا " حيث تم اجمع بين تحريته في كل من الأندلس وحوض البحر المتوسط

أناء الأيـم زرقاء اللون في طعولتي الذهبية

كنت سعيداً على التفكير في اليونان وروبيشيا.

في اليونان كان عهد الرحيق الذي يهدي من حرقه الشوق.

وہ بولیں گے کہ ایک عسکر قدیم

هو العشق بالله الذي يعقده الكواكب حسي

توزيع الكتب الكلاسيكية سحب من خلال المصنفة

[illegible]

أحدنا شرب من جويوسي ووجدنا أن الماء جويوسي على السواء من بعد على
هرم Rico Certo ووقع عندنا من الماء جويوسي على السواء من بعد على
ذلك أن المدينة توحد على الماء جويوسي ووقع عندنا من الماء جويوسي على
المقام يبدو أن طء النصار أحد الماء جويوسي ووقع عندنا من الماء جويوسي على
ويوقار شديد بحيث يصح على الترجمة أو ثوب من ذلك الحين الأسطوري
الذي خلفته "مدينة بوتوسي الإمبراطورية" على ذلك المركز التجاري لمطقة
الهدد ومركز القدرة الحديدية وكافة أنحاء الأنهار عوربة يهتد

(١) الأشعار بكسبة، دار نشر اتحاد، مدريد ١٩٠٥ ص ١٩٠

"هذه المرتفعات هي الأعلى والأكثر ثراء من نوعها وهي مرتفعات بوتوسي، التي
تعتبر علامة على قدرة الله وهي المعجزة الطبيعية الوحيدة"، حيث جرى رسمها بدقة
هندسية بارعة وأصبح شكلها محروطاً "غاية في الجمال لدرجة تبدو معها وكأنها مصنوعة
يدويًا وتبدو وكأنها كومة ضخمة من القمح" ليس هناك الكثير من التصاريس الحجرية
التي حظيت بالمدح والتناء مثلما عليه sumaj-(Orko بمعنى "المرتفع جميل" في اللغة
التي يتحدث بها السكان الأصليون حيث يطلق عليها أنها "إمبراطور احسان" و"حسم
الأرض وروح الفضة" و"الأعحوبة الكاملة والدائمة في العالم" و"العملة التي ينسب بها
شراء السماء" و"البوق الذي يمسع صوته في كل مكان" الح

هذه ليست مدائح جاءت من عديّات الرحالة المادحت بل هي عبارة عن أشعار
مخدّعة في أسلحة المدينة التي يرى صورها على الوثائق المتعلقة بالأوامر الإمبراطورية والملكية
رغم أن بلوغها كان كنف سكّنها وربهم فالنرس الأول للإمبراطور كروس الخامس ع
فيه حملات صغرى التاج الإمبراطوري وعلى أحاسيس لا يسهل مع عبارة Plus ultra
وعده العبارة

أنا بوتوسي العنية

في هذا العالم أنا الكثر

أنا ملك احسان

ومحل حسد الملوك

وفي الترس الشعار الذي منحه الملك فيليبي الثاني للمدسة هناك تنكر آخر لا يكاد
يكون متواضعاً "إلى الإمبراطور العظيم، وإلى الملك الحكيم يهدي إليه هذا حمل الأشم
من القصة والذي به سيفزو العالم بأجمعه"

تلتصق شسكية العين صورة "المرتفع العنى" ذلك أن طريق السكك الحديدية يسو
أنه قد صُمم بعرض نويم الرحالة قبل الوصول تمر ساعات الليل، وفيها تبدأ الأضواء
التي تأتي إلى المحطة بذكرى "لاس جوايراس las guairas" وأفران الصهر، التي يصل
عددّها إلى حوالي ستة آلاف، مشتعلة وتساعد الرياح في المرتفع على ذلك وكذا المساطق

من رفعة المحاور على 'شكر المصباح' و 'تنحور' في حرفة رات سور رمسي 'ويسعد
 على اذكاء النار بها. طفت نقور كتاب خوبات. محمول معصرة مكلفة في سماء هذه
 المنطقة الاستوائية الشديدة الارتفاع طير في مسعر ردي بقدر عكس في بوقت حاصر لا
 نظير به. ذلت اذ الانوار مضاءة في اعمى حين تنسج نابت ثوبه وجرده وصغر طر من سدر في
 تكوين شكل مصطع على حرف لا علامة على مسعر كعب فترت معطر من مدسة
 وهذا صنف لا يقوده روث مرحة. وهو ردي يعني ناسه مرحه موحتر

ذكر نو كات فاصو، قسمة ودية على مرقع خدش كثرية وصغر ك، وسعد
 امير اركدر في يومسي وخص من هذه الفصو، من سدر في حشيرة لا تجري لا فدية
 بسبب حرفة مشرق ردي نصف حرمه ركب مزرع حطب درخت سي في اركدر شامسي
 في حدة مرقع سدر من حكمة سدر ردي به مسطح في سماء ثور سدر حرمه ردي
 امسجه ردي انما على ثوب كبر مسجه طير طير حشيرة ردي حرمه ردي ردي
 ردي ردي وفسولون سدر ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 انما مة مة ثيرة كبر سدر ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 انترت من وحيثه ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 المقعة

والثوب من سدر ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 ذلك شقيل خد وحيثه ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 الاحراس ثوب على ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 البرحالة لاسي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 ومن قساسة القدمة ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 صفوفه اذبن بدور ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 تتعلق موضوعات تثير احدهم وخرجه ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 بانتظام، دور صبح ومراحمه ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي
 الموليقيين حيث هم قد روي على ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي ردي

VI- المرتفع الغنى Cerro

كانت أول زيارة لنا بالطبع إلى المرتفع الغنى الذي بطل عاليا على المدينة الإمبراطورية أو، بمعنى أصح، على المدينة التي لا قيمة لوجودها إلا بوجود "المرتفع" وأنها بدأت كمركز لاستغلال مناحه التي تمتد تحت قدميها لارال الجبل يقدم صورته وكأنه هرم، أو جبل مقدس، ولا يستغرب المرء شئاً أنه كان في عصر إردهاره بمثابة قاعدة بصليب كبير، مثلما نرى ذلك في اللوحات التي وصلت إلينا

إلا أن الشكل الذي كان يتسم بتمردة عند حلول المساء، وكأنه محروط غامض من الطلال، كان يتلألأ الآن تحت الشمس التي ترسمها أبواب محلفة الورد والليلك Lilas والألوان البنية والرمادية والأفحوية والذهب والارحوية. نكثر الألوان الدافئة والمائلة إلى الاحمرار وكأنها نائمة عن حروح سبب خنق وصرجات السكين في المطبخ كما لا تبدو جروحاً سطحية. أما الاندصاص المتعثرة فكل بها، بسبب ثوبها العميق، شكل الأحشاء، أو شكل المقاطع الجيولوجية التي تم اقتطاعها من احشاء احسن كتب كاسيتي" يقول كان "المرتفع" محترماً كأنه جرم صغير، كما أن كثرة تلك الاعمال القديمة والحديثة وتداخلها مع بعضها من داخل أحشائها تبدو مثلما عبق الحار في المراعات التي تحدها في إسفحة"

وفي عملية استغلال حديثة للمعجم حد أن التعديلات التي نظراً على الأرض يمكن أن تكون بداهة، أكبر بكثير من تلك التي نرى في "المرتفع" الشهير، لكنها تتم بشكل ممنهج باستخدام وسائل ميكانيكية في الحفر والنقل وادرا ما تظهر على أنها منطقة جبلية مهتمة مثل ذلك الذي نراه هناك. كان العمال الذين عملوا في الماحم أثناء عصر نيابة

(١١) العمل المشار إليه سابقاً، الجزء الأول، الفصل الثاني، ص ٥٦

الملك لا يمتلكون إلا عدة وأدوات بدائية للغاية، ولهذا، وكذلك بسبب النظام الفردي، أو
الفوضوي في إرساء حق التنقيب، تمكنوا من مهاجمة الجبل من مختلف جوانبه - أي أن هناك
أكثر من خمسة آلاف فتحة منجم - وكأنه الجبل ثور يستعصى على الموت

هذه الصورة العضوية ليست مجرد تشبيه وانتهى الأمر، ذلك أن "المرتفع" كان يسكن
أمام رجال المناجم الذين كانوا يستعملونه وكأنه كائن حي ولم يكن الأمر عبارة عن
معتقدات شعبية فيها هم أهل الاختصاص والعلميون ودارسو المناجم يفترضون أنه معجم
قادر على إعادة التوالد وفي هذا المقام يؤكد الأب كالانشا Calancha أن "المعادن التي
يتم قطعها من صخرة بوتوسي فإنها إذا ما كانت هذه العام ذات القراريط الرسمية، فإنها في
غضون أربعة أعوام تنمو وتصبح مستوفية الشروط" - نحد أيضا أن ألونسوباربا، بشهرته،
من خلال كتابة "فن المعادن" يشير إلى أنه يوجد في بطس المرتفع "عملية ولادة دائمة
للفضة" - ثم نصل إلى نهاية القرن الثامن عشر لسرى أن هناك من كانوا يعتقدون أنه في
الغنور في عمق الجبل على بنايع من هذا المعدن، وساء على هذه المعتقدات والحاحات
الملحة للعاصمة ورحص الأيدي العاملة من السكان الأصليين لس من المستعرب مواصلة
اخفر في الجبل من كل مكان في عملية نحت لا تنوي رعم استه، فصل العروق التي تحتوي
على المعدن ورعم امتداد الدهالير ورعم عمليات العروق الخشنة

وإضافة إلى الخط العاثر الذي حمله الناس للجبل نحت أو صنع في الحسان تلك
الخاصة بموقعه الجغرافي الذي بصفه كتاب حوليات شكل قبة للعبة وكان ذلك نوع من
التبرير لأعمال الذبح غير الرحيم الذي يتعرض له - وقد سير دور بيسي كانييتي مؤكدا
"أنه أصبح مسطحا وجافا وأجرد قاحلا وباردا ولا حياة فيه" - وكب لويس كاونشي
في نهاية القرن السادس عشر يشير إلى "أنه لا توجد فيه حياة أو في حوار، وليس هناك أي
نوع من الأمور التي تقيم الأود اللهم إلا بعض البان، والاما، والشعر الأحضر الذي لا
تنصح حياته بسبب البرد الدائم وهو في هذا يزيد على ما هو في كل من قشتالة القديمة
وفلاندرس، لعدم وجود الوقت الكافي لكافة العناصر حتى تنوي الأرض ثمارها للإنسان
الذي يسيطر عليها الأرض إذن هي جرداء ودون أي شجر أو حضرة"

١ - عن عدم إمكانية الامتداد لوجوده في العلاقات بدرجة لادته في مركز حوية صفة لويس هاست
B 11 - مدريد ١٩٥٩ ص ١٥

هذا الوقت والسلام غير الكافي بين العاصر كان كنوع من التعبير الطاهري عن تلك المراحل الرهيبة والقوية التي جعلت من الحبل هرباً من الفضة، وأن أحصل لا زال يلهو في جوفه أصف إلى ذلك أن هذا الوضع ساهم كحام لكل هذه الثروة التي حنطها الله وحنأها على مدار سنوات عديدة طقاً لما يقوله كايوتسي^(١) وذلك حتى تكون الميلاد وطوق النجاة لأمتنا. وعلى هذا جعل الله هذه الممالك الديوية عبدة وهو يعرف نوايانا التي تميز شدة على تلك المعادن، لأنها لو لم تكن موحودة لكان التبشير قد واحة صعوبة في أرض شديدة البعد ووعرة "إنها أكثر ثروة في العالم" وضعها الله كطعم في مركز عبر مأهول في أمريكا الجنوبية حتى يتم تحويل أهلها إلى المسيحية

تبدو هذه الاعتبارات وكأنها فرسية على اداسا، لكنها لم تكن كذلك بأي حال من الأحوال بالنسبة للأسبوع خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر في ذلك الحين كان هناك ترابط حميم بين علم اللاهوت والتعدين والإمبراطورية، ومدد المصور الرومانية في التوجه الخاص بالسيطرة السياسية كان مصححاً بالرعة في الحصول على المعادن النقية، وعندئذ كانت شبه جزيرة أيبيريا أسد لوحده من بين البلدان التي حكمتها روما التي قدمت لها الكثير لتتبنى عبيدها ورعايتها مشروعة في شراء وهدايا دور يحل على أساس للثبات بوظيفة العميدة الذي كان قبل ذلك في بلادها واساتيع تعبئة لآلهة رقص، رقص ذلك، القدرة الجديدة من حل أسد حروب وسود لعالم وأسماء سدور السدي حنتها به

مألوفة تلك الامارة أو السيادة في عصر سري-مهي-س-ساريج-مسمي للعالم الجديد، ورغم أنها لا تعد، إلا أنها كانت بمثابة العالم الذي سراه في عصر النهضة نجد عدد غير قليل من المستعمرات في أمريكا الشمالية واللاتينية، يشير الدهشة في أن يكون العلم الحديث وحياته في أمريكا الشمالية واثبتت في المكان الذي بدأ فيه إيمان العصر الحديث في أمريكا الشمالية لتقدم وتبجيله وأن يجزؤ على إعلان اتحاد حقد حقد في أمريكا الشمالية لم يعرف الرومان مثل هذه الكثور الضخمة بنى عبيد وحيث، ولم تكن عليهم ثيابهم جهود أو

(١) مصدر نفسه ص ١٧

حملات بطولية كذلك التي قام بها الأسبان من أجل استغلال تلك الثروات. أضف إلى ذلك أن تقيانهم كانت أقل. عرف الرومان فائدة الذهب من خلال الزئبق لكن لم يعرفوا ما يتعلق بالفضة، الذي تم اكتشافه في "أسبانيا الحديدية" وتم إدخاله إلى بوتوسي على زمن السيد/ فرانسكو دي طليطلة هذا النائب العظيم للملك؛ كان ذلك عام ١٥٧١ من على يد بدرو فرناندث دي بيلاسكو، مما جعله يتلقى جائزة قدرها أربعمئة ألف بيزو النصف منها من الخزانة الملكية والصف الآخر من العاملين في الزئبق

لم تكن فائدة الزئبق، المستخدمة فيه تقنية غاية في التعقيد، بالشيء الجيد في نظر الأسبان والجدير بالحكم على الأنشطة التي تحتم في هذا السياق. لم يكن الأمر عبارة عن تحويل عناصر طبيعية واستعمالها. الأمر كان يتمثل في أن الزئبق يسهم في تنقية الفضة بشكل أفضل مما عليه أية عملية أخرى، الأمر الذي يجعل هذا المعدن يفصح عن سماته في أنه معدن كامل. وكانت هناك اعتبارات أخلاقية ودينية تحدث تأثيرها على مبدئية "الطبيعة" من خلال تقسيم المعادن بين صفيين: كاملة وناقصة، وهذه الأولى تشكل ثلاثة وهي الذهب والبلاتين والفضة. أضف إلى ذلك أن تقنية الرنق كانت تساعد على الحصول على فضة شديدة النقاء دون أن تختلط بها معادن أخرى من ذلك الصنف غير النقي، والتي تختلط بها في المناجم، الأمر الذي يجعلها أكثر كمالاتها وتفردا في ذاتها.

ولهذا فظراً للميل الشديد الذي كان الناس عليه، في ذلك العصر، فيما يتعلق بالقياسات لا نستغرب أن تنبثق عن تقنية إعادة الفضة من الرنق حكم عالية الشأن. كان يُنظر إلى العمليات والمراحل المكونة من الطحن والحل والعسبل والعجين (التخمير) والطبخ وإعادة طبخ الخلطة ومرورها لتكون تحت المدقة ثم العرلة ووضعها في المعجن ثم القرن فالخوض الخشبي والتغطيس والعصارات والأفران، بقول كان يطر إليها على أنها نوع من العمل الشاق المضني الذي يتعرض له المعدن حتى يصل إلى درجة النقاء. كانت تلك المراحل تبدو نوعاً من التمثيل لما ورد في الكتاب المقدس عن الطيبين sicut argentums justes probatum terrae, purgatum septerplum ومتى يتم تنقية الفضة الخام يجب أن يتم عمل مراحل سبعة وهنا كتب الأب أكوستا^(١) أنه لكي يتم تنقية الفضة وجعلها خالصة ونظيفة من التراب والطين الذي نشأت فيه يجب فعل ذلك سبع

(١) التاريخ الطبيعي والأخلاقي للهند، الكتاب الرابع، الفصل الثاني عشر، الصفحة المذكورة، ص ١٠٦

مرات من التفتية والنظهير. وهي سبع مرات تسم سلسلة الشذيدة حتى تصح القصة نقيصة
وحالصة والشيء نفسه فراه في تعليمات الرب^١

لا يمكن شرح تاريخ بونوسي بدون علماء الأخلاقيات ورجال اللاهوت الذين عملوا
كعلماء مناهج. ولا يمكن فهم رجال المناهج الذين يعملون كعلماء الأخلاقيات ورجال
اللاهوت. وهذا هو التخصص لأكثر بروز في تاريخ النعدين في بونوسي تتمثل بلا شك في
شخص أندرو أنوسو باربا الذي كان كاهنًا في إحدى كنائس في مدينة ومولف كتاب فن
المعادن^٢. وبالنسبة لبحر مونتيا من صناعة الدومبيكر نخدم وقد حصل على تصريح
حصري لعشرين سنة لمعادن المعدن السوداء (negros) من خلال منحده نظام سري
أخبره بواسطة لرنق هناك أيضًا حوتلو كاريو من يسوعيين. ١٦١٤. حيث كان يعد
من بين رجال الدين الذين كانوا من موقف ضد عدم الإمبرورية والنقصة والدين وقد
ارتبط الثلاثة برضا وتيق. كتب أحد المؤرخين من جماعة بريسبيسكان. خلال القرن السابع
عشر 'بقول' تعيش بونوسي من أجل الرجاء بعدة برعرات محمودة مثل التي تقوم بها
'سابق'. إنها تعيش لتكون صوت ضد بركي. وبمجرد حبيبها مرور وترتعد منها
فرائض فلانديس ونحسني منها حذر. تعيش. تعيش كذب عمود ومسلة للإيمان^٣

يعد أيضًا بريس كاتولشي رجل مناهج بوحيد الذي رسم له مشهدًا حين لاستغلال
امناحه في بونوسي في نهاية القرن السادس عشر. وفيه ورد وصفه بالتقنيات وكذا قائمة
بأنواع عروض القصة بكثرة وضخامة وسيرة بارسون وبعدين ومعدات المناجم
وحالات العمق التي عيبت. مع. وكان من بين من كتب عن المناجم وبعدين ومعدات المناجم
هو تدين وطبي وصاحب مصالحة ولا يبري عن خارج لأحد سورانية من سياقها
مثلما يحدث ذلك عندما يشرح روعة وتفا. بعد في سنين. الذي بعد فصل ما في المرتفع
cerro، والذي يرتفع على سطح الأرض وكان قمة تسمى بالاسم نفسه بولا وثلاثة عشر
عرضا^٤. وأن هذه القمة تم اكتشافها وتعريفها من خلال خطوط. لكنها طمت تقووم قوة
إبياه واندفاعها^٥

^١ ورد ذكره عند بريس هانت مدة بونوسي لأمر صورة. فصل ٤. حسب في تاريخ معناه أحمد. - راسل

موكري. ١٩٥٤م. ص ٩٨

^٢ لعمل لسبق. ص ١٠٥

وحقيقة الأمر استغرب بأن اليهود لم يستمعوا منحنياً مرتباً وواضحاً لكن امولت نفسه
سار على نهج تقليد قديم بأن أضاف بأن اليهود عندما أرادوا استعمال المرتفع certo مات الكثير
منهم كما أنهم "سمعوا أصواتاً في الهواء تقول إن هذا الكنز محفوظ لآس أفضل".

وعندما وصل الناس إلى المكان الذي فيه، وكدليل لسيادتهم وعظمتهم التي
بعضدها في هذه الحالة وجود كل هذه الثروة الطبيعية بدأ حفر أول منح في القمة نفسها
على ارتفاع ٤٨٩٠ متراً، بمعنى أن ذلك كان أعلى من "مونت بلانك" Mont Blanc
وهناك كان يبرز "العرق العني" بامتداده كأنه "رمح مشرع إلى أعلى" إضافة إلى عروق
أخرى لبست أقل شهرة في المنطقة المحاورة هناك عرق Descubridora أو
Centenso، وعرق Estano وعرق Mendieta

هناك شيء إيجابي وهو أن أعمال حفر أحدث برداء عشت كنسائه الحصول على
جزء من المعدن من ذي الجودة العالية، وهو ما يسمى بالبرونز كما أن الراس ليس مضطرب
للتعود إلى تلك الارتفاعات حيث يتمكن من تنفيذ نظريته بنفسه من خلال فوهات
الماجم على مستويات أدنى، وما عليه إلا أن يربط ما وجدته من البرونز من وحي
خياله من جراء ما يعنيه تسليق مائة متر أخرى حيث كان - ٢٣٠٠ - لي عليها والتي ترمز
الحسم لمجرد السير دون أن يتقوى تنكسر عرق السجود، أو أن يصعد
السلالم "المسحورة" المصنوعة من قطع من حديد، أو من حديد على ظهره
ربيعين (٢٣ كجم) من المعدن

وفي نهاية القرن السادس عشر كانت هناك ١٠٠٠٠٠٠٠ دولار ببلغ امتدادها
سبعمائة باراً (٨٤ سم للوحدة)، كما أن السلالم سواء من الحديد أو من كل مسافة
عشرين متراً مع وجود سطات لها ويمكن أن تكون من حديد، سبورة درج معاة اليهود
"الميتاي" بمجرد إلقاء نظرة على تلك النودات الرمسية غير متساوية، وهما هي الآن مضادة
بالشموع التي يتم "ربطها بالإصبع الإبهام، وهي السمعة التي حميت من يتقدم مجموعة من
ثلاثة هنود من الذين اعتادوا الصعود والهبوط في آن معاً وكان اليهود يصلون وهم
يتصبون عرقاً ويلهثون، وعندها يذهب أحدهم ويأتي ليرد الذي عدده ما يرويه على أنه عراء

من التعب بأن يقال لهم أن ذلك ليس شيئا وأنهم لم يأتوا إلا بالقليل من المعدن أو أنهم يتأخرون كثيرا أو أن ما يحملونه ليس إلا ترابا أو أنهم سرقوا ما أتوا به^(١).

العمل في المناجم ليس بالأمر الهين في أي من المناطق أو العصور، غير أن الأمر في ظل الظروف الجغرافية التي عليها بوتوسي ونظرا للتمييز القائم ليس فقط من حيث المستويات الاجتماعية بل كذلك السلالية والجنس من أجل الثراء الذي كان عليه رجال المناجم الذين كانوا في طليعة العقليات الجديدة لما يسمى ما قبل الرأسمالية نجد أن الظروف المهنية تتسم بصعوبة شديدة، وخاصة عندما يحدث على العوائد الهامشية انكماش يفصل نفاذ أفضل صنف من المعدن وبالتالي كان من الصعب تقديم مرتبات مرتفعة ومزايا أخرى كانت قائمة في البداية لدى الهنود، وبالتالي لم يكن توسع المسئولين عن تحييد العمال في المناجم إلا تطبيق أعلى قدر من الصراحة وفيما يتعلق بوصف طبيعة العمل في المناجم البيروانية خلال منتصف القرن الثامن عشر، والذي جاء من لدر كل من أنطويو دي أبوا وخورخي حوان في كتاب بعنوان "الأخبار السرية لأمريكا" يحده بعض صفحات محرنة للغاية لأسباب كثيرة من بينها ما حدث من تعبير على مشاعر من ينتقدون

وليس الأمر أن هذه الانتقادات لم تكن موجودة أو لم تكن حادة وواضحة وحرية منذ بداية النشاط التعديني في المناجم، حيث حاشى الأعمال الخفية التي كان يقوم بها الهنود وكذا الأوروبيون وهما فإن رجال التعدين كانوا يعتبرون بوتوسي على أنها "عامود أو مسلة الإيمان" كان الأمر ينتهي بهم إلى سيف أسود في هذا الموضع للمعوز "عبارة عن "هوة حقيقية في طرائق المعاملة" هناك أحكام تصدر بدعاية ثم تكرر لتصدر بالضرورة عن أناس مختلفين بل كذبوا ما صدر عن الشخص نفسه" وهذا يذكر مثالا هو خينيس دي سيبوليدو ابن رجل الدين من أسد أنصار الطريقة الكلاسيكية حول قوانين الطبيعة حيث كان يخفف من حدة ربه، وسي - من الرحمة معتبرا أن يستمر كل المقابل للجهود التي كان الهنود مطالبون بها ذلك أن هذا المسدس يكسب الإنسانية طابع الفضيلة كما أنه هو الديانة الحقيقية وهذا هو نفس من الذهب والفضة

(١) لويس كاتوتشي، المصدر السابق، ص ١٠٩

(٢) Democrates Alter في "جريدة أكاديمية التاريخ" مدريد ١٨٨١ ص ٣٣٣

غير أن هذا لم يكن حجة في غفران الكثير من الاعتساف والقسوة التي ارتكبوها
الأسبان في العالم الجديد. لن تتمكن القوانين الرحيمة والنوايا الطيبة من محو قسوة الأفعال
لكنها كانت أفعالاً تتمخض عن نتائج ملموسة يهفو إليها كافة الأوروبيين. ولم يكن أي
منهم شديد الحساسية لما يحدث في بوتوسي. رغم أن ذلك يضم بشكل مقع بعض قطرات
العرق والدم اللذين كانا يصدران عن العاملين اليهود. وعندما يجلس المرء ليفكر في الأمر من
منظور أخلاقي فلا يمكن غفران الاستيلاء عليهم من خلال أعمال القرصنة والإنيل بهم
محبوسين في سحارات الغليونات أو بيعهم وشرائهم كما لا يمكن غفران المحن بهم إلى ارتداء
يبلغ أربعة آلاف متر. وهنا فإن الخطيئة الأولى كانت تتحلى مصحوبة بأعمال الشاقة لخدمة
التي يقومون بها وأن ذلك لا مثيل له إلا بالأحداث الشاقة في تاريخ العرب

إن من يخرج من أحد الحجور socavon الفانسة على أطراف المرتفع العمي
يتوجه ببصره نحو الأفق فيكون أو ما يواحه هو الضوء الشديد الواضح، فالمرتفعات صلبة
وتتبدى عن بعد، ولا تكاد الساعات تعطي نبتتها الجيولوجية. وأحدثت ههنا ليس عن
الإنسان فقط ولكن عن الحيوان والشجر حيث لا يكاد يكون هناك وجود لهم. ما هناك هو
أن الضوء يقطن في هذه المنطقة الشاسعة وغير ذات الناحية. عند سفح الجبل، تحد
العيون تكتشف الرقعة العمرانية لمدينة عظيمة

من البدهي أنها مدينة صغيرة استناداً إلى التراحات السطحية من المدرج والمباني المعزلة
عن الجوار. هناك كنائس ذات بناء قوي ومتين ترتفع معزولة عن سطحها لا توحى بأنها
كنائس مشيدة وسط العلاء بل هي علامة على أحياء زالت الآن من الوجود. يواصل البصر
تأمله في الأطلال الموروثة عن العظمة القديمة ثم يأخذ في رسم حدود المدينة وهي حدود
كانت أكبر في بداية القرن السابع عشر (وطلقاً لشهود مونتوفينهم) مقارنة بأشبيلية
بأرباضها. لم تقتصر بوتوسي على رفعتها المعمارية فقط. تم اكتشاف البصر في سفح
المرتفع Cerro مباني تكاد تكون مهتمة مطلة على البحيرات القديمة والتي كانت شديدة
الأهمية لحياة المدينة حيث كان يتم استخدام المياه حيث يقوم به من يسكنون على الشاطئ
ويقومون بطحن المعدن عندما تم إدخال نظام الاستفادة من الزئبق.

تُعتبر الحجرات التي وصل عددها إلى اثنين وثلاثين عام ١٦٢٣م علامة على ما عاشه القصة القديمة التي استحدثت في بونوسي وظلت كذلك حتى مرحلة متقدمة من القرن السابع عشر ، كما أنها لا تزال حتى اليوم عبقراً حوالياً من المشهد العام للمدينة مسجلة بذلك الطابع الهسباني للمكان . إن كل شعب يحمل تراثه من ماضي التاريخ بما في ذلك صعوبة الطقس ، وما فإن الأسييريين وأصلوا عيشهم في الهضاب الأمريكية وهم يشرفون للمياه مثلما كان حالهم في وطنهم الذي ينسم بقلعة المياه . وما قال الأب أكوستا : " وكان الأمر بالنسبة لاستخراج القصص هو أن الناس ينمون عاماً طيباً في بونوسي مثلما هو الحال في أماكن أخرى لطلب العيش "

وفي بعض الأحيان شعر الناس بفسوس شديد، على عرار ما حدث عام ١٥٨٣م
والعام التالي له، من حيث قلة لأمتدد الأمر الذي حدث دون قيام المصانع بطرح احمام مما
حفل السائين يقومون بتعليق السدود مع المحاضرة بدوحة أنديها وقد حدث ذلك في يوم
١٥/٣ ١٦٢٦م عندما تخطم السند على بحيرة كاريكاري (Caricari) أو القديس
إلفوسو، وقضى على كثير من اهنود التي سالت على مدار سنوات طويلة، حيث
دخلت المياه إلى كافة المصانع الواقعة فوق السند وعلى بعضه تلك التي كانت على الشاطئ
Ribera وحطمت المصانع وفقدت كل شيء من مصانع خشبية وعمدت الخواطر
وأعرق المزارل ودمرت كل شيء فيها من مزارع ومزارع على الشاطئ
عرفا، كان الأمر يبدو وكأنه واحدة من المصانع، حيث كانت مياه

فلا ذلك مرحلة طويلة وصعبة لابد من تجاوزها. ولقد كان هذا هو الحال في
القوى الهيدروإليكتريكية كساحل البحر المتوسط. حيث كان لابد من إنشاء محطات توليد
الطاقة في محال الرشق في المياه الجوفية. وهذا هو الحال في سويسرا حيث كان لابد من إنشاء
الثامن عشر وقاموا بتنظيم مراكز مستعانة في كل من سويسرا وفرنسا لتستفيد من
وتشيكاس Chicas وشابانتا Chavanta. وذلك في سنة 1950م. فقاموا بإنشاء مصنعها
بوتوسي نجدها وقد امتدت إلى المنطقتين اللتين كانتا في السابق تحت سيطرة
الأخرى.

(١) التاريخ الطبيعي والأخلاقي لبهد، الكتب أربع، انقضى باب عس، قصصه باب بيده، ص ٩٠.

(٢) كذا ينبغي العمل المشار إليه سابقا، لحرر، لأور، المتصل، حسن، ص ١٤

عرضة للتأثيرات ذات الطابع الجمالي الذي كسب عليه المدينة الإمبراطورية حيث تحولت
في غضون الفترة من ١٦٥٠م حتى ١٧٥٠م إلى واحدة من المراكز الرئيسية في كافة أنحاء شبه
المملكة Virreinato ، ولكن الوسائل الفنية لاستغلال المدحج والتي كانت ذات يوم شديدة
التقدم أخذت تتراجع في هذا المقام قياسا على ما لدى الأوربيين كما تقدمت لسور في هذا
القرن وبالتالي أخذت المدينة تعيش مرحلة أفول خلال النصف الثاني من القرن المذكور
حيث تناقص عدد سكانها مع نهاية القرن إلى النصف أي إلى ٢٥٠٠٠ نسمة وهو عدد
نعددها في عصر الازدهار هذه هي الحالة التي وحدها عليها سيمون بوليفر عندما دخلها
المدينة الإمبراطورية والتي كسب آخر المعاقب بنسطة المحكمة في أمريكا الجنوبية

هذا أمر شديد الدلالة سواء بالنسبة لبوتوسي أو بالنسبة للاستضافة الاستعمارية التي
قامت بها أسبانيا في أمريكا ؛ وليس أقل من ذلك دلالة الترميزية والإسلاعية التي تحدثت به
المحررون فمن فوق ذلك الحبل الشهير الذي يقع في مركز الجغرافيا والدرج الجوهري به
أراد بوليفار أن يعلن أمام الدنيا كلها تحقق بكلمة ستي فيها على حين حر في احتفالية
مهيبة ورتناها صورة حية متصل ما كتبه جبريل سيمون ذلك لإخيليري لونغ ، عن
استقلال البيرو وبالتالي عن بوتوسي مدحج مدحج

كان الشتاء قد ولى مد فترة وجيزة وأحدثت رياح عاصف شديدة برجة
حرارة شديدة الانخفاض لكنها لم تنجح في تبريد حجب وسواء المستوحى فبعد تناول
الغداء والأحباب الوطنية وأحدثت أعلام الدول التي حررت في حر في مكان أعلى
بوليفار "أنا نحقق انتصاراتنا في كل مكان انتصاراتنا من سويسرا والاندلس وخلال خمسة عشر
عاما من الكفاح الذي قام به العمالقة تمكن من هزيمة سويسرا والاندلس ، الذي كان قد تشكل
بهدهو على مدار قرون ثلاثة مليئة بالانقسامات والفتن ، من سويسرا والاندلس ترى العديد
من ملايين الرجال الذين استردوا حقوقهم بفضل أسرار وحسن 'ونسبة لي وأب أفند
اليوم فوق هذا الجبل من الفضة الذي يسمى بوتوسي والتي كسبت غروب المعبد الشديدة
الثراء فيه جرن أسبانيا على مدار ثلاثمائة عام فيسي لا يرى كل هذا شراء يساوي شيئا عندما
أقارنه بالفخار بالنصر وحمل راية الحرية ابتداء من الشوق في مدينة أوريبوكو (Oruro)
لأقوم برفعها هنا في قمة هذا الجبل الذي يتبرع ما بداخله ستعرف بكون وحسنه

VII - فن شديد الرفع

تسم الزيارة " للمدينة الإمبراطورية " بأنها أكثر تعقيدا بالسيرة للرحالة مقارنة
" بالقمة الثرية " ! رغم وجودها على ضلع مئات من الأمتار في الأسفل كما أنها لا تتمتع بما
عليه القمة من منحدرات وهضاب وليس من المستوع في هذه الحالة أن يقوم أحيال بإكمال
البيانات التي تحاول أن تملئها عليه الأحاسيس بل بحجب بدل الجهد لإعادة رسم تلك التحفة
الإنسانية الفريدة التي تمثلت في العيش في مدينة بهذه السمات وبحجب على الرحالة الرائر
لهذه المدينة الإمبراطورية أن يصفي نفسه سيرا والايقتصر أداءه على مجرد تأمل الكسانس
وهو جالس أمامها على أحد امتداد الحنية من عبيد ر بصعد أو منقورة الكهنة وكان
الأمر حفل عرس لأحد لأشراف، من بعدد في حقل للعددين، وربما عليه أن يصعد
ذات مرة إلى أعلى برج لأحراس لا يمكن أن يصعد بسهولة في صحن المكن وفي الضيق
السفلي لدار " ست العينة " من عبيد ر سيرا والايقتصر أداءه على مجرد تأمل الكسانس
حتى الآن حتى يرى القواديس التي كانت حجب من عبيد ر سيرا والايقتصر أداءه على مجرد تأمل الكسانس
الخشب بغية درفلة النضرة، وكذا من عبيد ر سيرا والايقتصر أداءه على مجرد تأمل الكسانس
تحول الآن إلى متحف ذي صالات لا حصر لها

ومن يتمكن من خوص تحفة لنواحد في يوسفي حداد من عبيد ر سيرا والايقتصر أداءه على مجرد تأمل الكسانس
إطلالة بل رؤية البنية كاملة كما أن الأمر عذره من عبيد ر سيرا والايقتصر أداءه على مجرد تأمل الكسانس
الأمر بشكل شديد الفعالية رغم أن ذلك يمكن أن يكون سبب من عبيد ر سيرا والايقتصر أداءه على مجرد تأمل الكسانس
يتلقى تأثيرات ناجمة ليس فقط عن صعوبات في التنفس وصعوبات التنفس بل ناجمة عن اصح
نفسه الذي يبدو وكأنه بطيء في الأداء بسبب ذلك الألم العرسي الساحم عن العيش في

المرتفعات . غير أن هذا السياق الفسيولوجي لا يقتصر على توليد الشعور بالثقل . هناك شعور آخر يتولد إلى جانب ذلك الآخر وهو الشعور بالخفة التي تكاد تصل إلى النشوة أو العبث في الأوهام . وعندما يطوف الرحالة بالمرتفعات وهو يركب القطار يتولد ذلك الشعور نفسه والذي يرجع ، على الأقل ، إلى امتناعه عن القيام بأي نوع من النشاط غير الضروري كما يرجع إلى ذلك الحلط الذي يتركه المشهد العام في شبكية العين وهو مشهد غير محدد الملامح وتكراري . يحدث أمر شبيه أيضاً في بوتوسي حيث يجد الجسد نفسه مجبر على شد عضلاته ، رغم أن ذلك بشكل تدريجي ، من أجل أن يسير في الشارع أو يصعد سلم أحد الأبراج ، وهنا يداخله هذا الشعور الغريب وكأنه كائن ملائكي رغم عدم انساق حركته أو كأنه شبح مُقيد .

يبدو هؤلاء الهنود الذين يمشون في الشوارع دون إحداث جلبة وغير عابئين بوجودهم وكذا بكل ما يحيط بهم ، يبدون وكأنهم يعيشون بطريقة فيها شروء ، وكأنهم كائنات من الأشباح ؛ أي كائنات غريبة تلتحف العباءات Ponchas ذات الألوان النحاسية ووجوههم التي يعلوها الهزال وقبعاتهم الضخمة ذات الألوان الزاهية والخواف الطويلة والشكل المخروطي من أعلى والتي تبدو وكأنها مأخوذة بشكل مباشر من القبعات القرطبية . نجد أيضاً أن هنود منطقة كوتشابامبا " Cochabamba " يصنعون قبعات تبدو أنها متأثرة بالموديل الأيبيري نفسه لكن الشكل المخروطي العلوي أوسع وأقل ارتفاعاً عما عليه القبعات في بوتوسي وهذه الأخيرة هي قبعات أصبحت علامة على المدينة الكائنة على ارتفاع شاهق كما أنها شاهدة على الشكل اللاواقعي الذي عليه سكانها الأصليون

وفي لاباث La Paz نجد أن القبعات التي يضعها أبناؤها من الهنود سواء الرجال أو النساء تنسم بأنها على شكل فطر hongo ذي لون رمادي أو مائل للحمرة الأمر الذي يجعلهم جميعاً يبدون كأنهم حوذيون . كان موديل القبعات الأوربية في العاصمة لاحقاً على ما هو في بوتوسي أو كوتشابامبا ، ومع ذلك فإن استخدام القبعات التقليدية لهاتين المدينتين لم يكن شديد القدم والدليل على ذلك ما ورد من وصف كتاب الحوليات لما يضعه السكان الأصليون على رؤوسهم حيث يكثر استخدام لفظة " بونيه " bonete وهو وصف لا يمكن أن يكون شديد الاختلاف عن الوصف الذي عليه قُبعات بوتوسي .

يعلم الله تلك المناسبات والأسباب التي من أجلها يضعون مثل هذه الأشكال الغربية. ومن خلال خورخي خوان وأنطونيو دي أيوا تتوفر علي معلومات شديدة العناية بصناعة القبعات وأنه في عام ١٧٣٧م حدثت ثورة حقيقية في طريقة الصناعة وكان ذلك نتيجة لظهور قبعة إنجليزية في ليما والتي بمجرد أن تعرضت للإثراء أصبح سرّ صاقتها في يد واحد من ضباطها. غير أن تلك الثورة اقتصرّت على قبعات من وبر اللامة vicuna ذي اللون الأسود وليس الأبيض ذلك أن هذا الصنف الأخير كان يتم تصنيعه في بوتوسي^(١). أضف إلى ذلك أنه بمجرد ابتعادها عن المذاق الإنجليزي بغض النظر عن الشكل الذي عليه اليوم، أصبحت شديدة الشيوع في "العاصمة الإمبراطورية".

ربما كانت القبعات الخاصة بمدينة بوتوسي ذات أصول لاهوتية ذلك أن المبشرين أصرّوا بشكل كبير على تغيير الملابس والرقصات والاحتمالات التي يقوم بها الهنود، وكان الهدف من ذلك قطع صلتهم بترائهم والعمل على أسبتهم. حدثت هذه التغيرات في المقام الأول بمناسبة حالات التمرد التي قام بها الهنود في أعالي البيرو خلال القرن الثامن عشر؛ وعندئذ جرى إلغاء الألقاب والوظائف التي كانت للزعماء المحليين cacique وصودرت صور الإنك التي تركوها في منازل النبلاء من الهنود، ومنع منعاً باتاً ارتداء الملابس القديمة وكذا maskapaicha، أي ذلك الشريط الإمبراطوري، والكراكولات التي كانت تعلن أصواتها الحزينة عن الحداد الجماعي على موت أحد النبلاء. ويمكن القول بأنه أريد أن يوضع في هذه القبعات الخاصة بمدينة بوتوسي نوع من الزباق ضد هذه الآلات الحزينة، وقام بذلك أحد الآباء الذين يتبعون جماعة الفرنسيسكان أو بعض القضاة Corregidor من إقليم الأندلس السفلى، اللهم إلا إذا كنا نعرف أن بوتوسي لم تكن بحاجة لمثل هذه الإحالات في الملابس، فقد كانت المدينة الوحيدة التي لم تشارك في تلك الحركات شبه الثورية واستحقت بذلك المزيد من الألقاب، وإلى جانب تسميتها بالمدينة النبيلة والإمبراطورية أضيف إلى ذلك عام ١٧٨٣م مسمي "المدينة الشديدة الوفاء".

(١) خورخي خوان وأنطونيو دي أيوا "الأخبار السرية لأمريكا" الجزء الثاني، الفصل التاسع، بوبوس أبرس ١٩٥٣م ص ٤٤٧ وما يليها.

كانت عملية أسبنة ملابس الهنود ذات طابع فيه عفوية ورحمة نظراً للإعجاب الذي كان بالنسبة لما كانت عليه أنماط الحياة. ويزيد من هذا ما كان عليه ألباء الطبقة العليا في المدينة. ولا شك أن هذه الخطوات كانت شديدة الشبه بتلك التي كانت البدايات في صناعة 'البديل' الشعبية في مختلف المحافظات الأسبانية. وهنا نقول أن هؤلاء المنشآت من الهنود الذين يتجولون في السوق الرئيسي للمدينة هم الذين فضلوا على الأقل ارتداء تلك الملابس الجديدة وظهروا بها أمام مدخل كنيسة سان لورنتيو. حيث نجد في تلك الواجحة أقصى تعبير عن توجهات مدرسة الباروك.

من حقائق الأمور هو أننا هنا بعيدون عن تلك الأنماط الفنية الشديدة الانتماء بالقواعد في الفن الأوروبي فحاملات الواجحات هي متاح هذا الدمج بين العمود السليماني Salomónica والعمود الذي على شكل امرأة Camatide. غير أنه في الوقت الذي يحتفظ الصنف الأول من هذين النمطين بسلسلة التوريفات أسفل بدن العمود (القاعدة Gimoscapo) إضافة إلى الزخرفة التقليدية المكونة من عقيد العشب وورقه. نجد النمط الثاني وقد تحول الشكل السوي للعمود إلى امرأة هندية ind. atide ذات ملامح سلالية. وتغير ثوبها peplo إلى تنورة عمارة عن أوراق تصمم ستلات صاعدة وكسيرة لزهرة كبيرة متفتحة متوافقة في هذا مع ما عيه هوى الهنود. كانت مدينة سان خوسيه كبرى الأورنتهم غير أنها في منتصف الطريق تقدم لهم أشكالاً فنية مبهجة من تصميمهم.

بوتوسي هي واحدة من أفضل المدن التي قدمت نماذجاً معمارية مبهجة أسبانية هندية وكان ذلك لأسباب منها أنها تقع بعد كبير من المحطات على طريقهم وحيود كثير من النساء البيضاء الناجم عن قسوة الطقس. وتعتبر كل من كنيسة سان فرانسيسكو وسان فرانسيسكو ولا ميرثيد وسان برناردو وواجحات مارل إيريرا Alameda وسان مار كيرات سانتا ماريا دي أوتابي أمثلة جميلة لهذا التزاوج الحضاري. غير أن الأثر الأكثر حملاً أو الأكثر بروزاً وشهرة ربما تمثل في كاسا دي لاس ريكو حيداس Casa de las Recoídas حيث تعكس، في إطار المقابلة بينها وبين التوجهات الفنية الأفقية التي عيها أغلب النماذج الكبار في بوتوسي، دينامية باروكية حقيقية في الأعمدة التي تسحب نخاعاً عن تأثيرات أعظم.

لا يركز هذا الاختلاط الفني البوتوسي إلى مجرد اجمع بين العناصر المعمارية والزخرفية الأوربية وبين العناصر الأمريكية بل يضم أيضاً عناصر مدحجة في مجموعة

الكنائس ذات الأشكال القصاعية في السقف من هذا الصنف والتي من بينها نبرز كنيسة سانتو دومنجو والكنيسة القديمة سان مارتين التي تقع في أحد الأحياء السكنية المثيرة فنيا التي يعيش فيها السكان الأصليون. وهناك احتمال كبير في أن المصلين كانوا يؤدون الصلوات وهم راضون تحت القصاع الموجودة في السقف ذات الطابع المسرحي - حيث نجدها هناك ذات أشكال جذابة وبها أخشاب استوائية لها رائحة طيبة - وليس تحت قباب دور العبادة ذات الطابع الغربي الصرف.

لم يتوقف من قاموا بتشيد المدينة الإمبراطورية عند إبراز ما هم عليه من ثراء في الجمع بين الموضوعات الفنية والأشكال والأساليب التي تقادمت بشكل أو بآخر، بل كانوا يذلون جهدهم بطموح شديد في تطبيق المثاليات الأكثر نبلا في العمارة في الغرب. هناك الأكثر شهرة ونبلا في بوتوسي، وهو عمل خرج من لدن هندي "عالي الشار" في مجال التحجير، "سباستيان دي لاکرو" الذي شيد في البداية برج *Compañía* حيث الشكل الأبوني *jonico* التوسكاني الذي عليه الواجهة التي في الوسط واستخدم في ذلك أربعين عمودا منحوتة أطلق عليها أعمدة سليمان مورعة بين رح الأجراس والواجهة، وهذا طبقا لما جاءنا به كاتب الخوليات والمؤرخ بارتولوميه أرساز دي أروسا إي ببلأ وهنا نجد أن من الصعب العثور على نموذج مماثل لرح الأجراس هذا الذي يعلو مستوى "بيت سك العملة" مطلا على السماء الصافية لبوتوسي - عظمة له من عقد النصر الذي كان لروما القديمة^(١).

وبالنسبة للهندي الذي شيد ما نجد أنه لم يشعر بمقدار ما هو مواطن من أبناء المدينة الإمبراطورية الأمريكية بل بأنه أيضا شريك في المثلثات الإمبراطورية الربعية التي عليها الغرب، حيث جرؤ على أن يضع أعلى الواجهة عند المستمر، وليس عندما يمر من تحته الناس أو ليكون بمثابة مفخرة للمواطن الذي يشعر بالرحمة بأنه إنسان له وجود عندما يمر من الأبواب الضخمة - بل حتى يكرر ربط وتثبيت الأجراس الموحودة على أقصى ارتفاع في تاريخ المسيحية.

(١) إيريكي ماركو دورقا "الباروك في حديقة بوتوسي المنكبة" كرامات - سمسرة القديمة بوتوسي ١٩٥٥.

ينجيه الفن الأوربي ليعلو شأنه في مرتفعات بونوسي ولا يقتصر الأمر على الفن المعماري بل يمتد أيضاً إلى الرسم وهذا هو الأمر الذي يتسم بأنه فريد ومميز دست زده الفن، من بين الفنون الأوربية خاصة. كان فما مضى في مدر تقع على ارتفاع عترة قبيلة من مستوى سطح البحر وأحياناً تحت مستوى سطح البحر كما هو الحال في مونسد وميسر والعكس من ذلك تماماً نجده في العالم الجديد حيث نجد أن المرتفعات لاكثر شهرة وسود وعملوا في المدائن الواقعة على ارتفاع كبير من مستوى سطح البحر ومن غير متصور أنه في إطار نيابة الملك في البيرو ورغم أنها شديدة القرب من البحر وأنهم مركز فني من مصر الأول نجد أن مدينة ليما لم تنجب لنا رسماً على الدرجة التي عليها من مدينة كينوبير دي سانتياجو وابن مدينة كوثكو ديجوكبي نينو أو ملنشور سبرت وليجور سدي وندي كوتشابامبا والذي عاش ضيلة حياته في مدينة بونوسي

ما هي أوجه الأصلة التي عليها هذا الفن الأخير من موكده في شهرة كبيرة في كافة أنحاء أمريكا الجنوبية وعمل خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وسدوت القرن الثامن عشر على أعلى منصة للرسم صعد إليها من على الأرض

الإحابة صعبة. إذ، من حيث هذا، يصعب أن نجد أمراً في مشهد عام من الواضح أيضاً أن هذا المشهد العام يكثر في أعمال الرسامين الكهنة من أحواد صفة عامة في النقوش واللوحات ذات الطراز الفلامنكي وعلماء كان يرمون في مدينة يغمضون عيونهم تقريباً عن المشهد العام المحبب لهم من ذلك هذا ما نرى في مشهد مخطط mestizo أمام هذا المشهد الطبيعي الصريح في منطقة الأندلس ومن قبل أو بوحاته من العالم القريب منه ليس إلا أموراً عادية من مشاهد الحياة اليومية مثل بيت منعقة خشبية التي كان يستخدمها المسيح لبقدس مدروني صغيرة، وعباءة امرأة للحمرة والمخططة على أكتاف ملاك، وصفات cholera، سدر، سره وهي في طريقها إلى مصر، والإناء الذي كانت تغسل فيه الأحفصة الح

غير أنه إذا لم يكن من الممكن أن يكون المشهد العام للأندلس حاصراً في لوحات رسام هندي، كان ممكناً أن يختار هذا بين الموضوعات التي يقدمها له الرسم الأوربي وخاصة تلك العناصر التي تتسق مع عالمه. هذا هو بلا شك السبب في كثرة الكائنات الملانكية في لوحات

بيرث هوجين ، والتي نجدها بشكل عام في كافة اللوحات في فن الرسم في أعالي البيرو .
والشيء الذي بلغت الانتباه بشكل خاص هو العناية بالكائنات الملائكية ورؤساء الملائكة
التي رسمها فنانون مجهولون لكن حازت قبولا واسعا أثناء حكم الملك كارلوس الثاني .
حيث نجدها متكررة على حوائط الكثير من الكنائس في أعالي البيرو والتي تشكل نوعا من
النظريات الطقسية وتوجد تحت السقف ذي الأشكال القصاعية . ورغم ذلك محدد في
العالم الديوي ، أي في شيلان من الحرير مطررة بألوان زاهية وحيلة وفي أكماس واسعة
ومفتوحة على الرسغ وشريط عريض على الرأس يعلوه رأس رائع الألوان يسما الأيدي
مشغولة بينديقة طويلة إما بإطلاق ما فيها من شحنة أو شحنها

تعتبر ملائكة الرسام هوجين أكثر بساطة من هذه الشخصيات الأسطورية التي
تشكل واحدا من المشاهد الأكثر إثارة ومتعة من تلك التي يراها أمام الكنائس البوليفية .
كما أن هؤلاء الملائكة يحملون ملامح خاصة بسكان السلسلة المحلية هناك الملائكة الذين
يطبرون بسرعة بالقديس بدرو ريجالادو P Regalado في لوحة بونوسي . وهناك كبير
الملائكة جبريل . ملاك البشارة في سوكري Sucre . وهناك الكثير من الكائنات الملائكية
التي تملأ اللوحة التي تصور يوم حساب في سان يورثو دي بونوسي . حيث تجد بعضها
يحمل سمات السكان الأصليين . وينحركون في فضاء مكرر شديدا فريدة وكأنها كائنات
تطوف ' بالهواء الشديد العمومة ' على قمة لأنديز صف متقنة الأب كوست . الأمر الذي
بدالها وسطا شديد السهولة بالنسبة لحركتها

يحدث الشيء نفسه لهؤلاء الشر الذين تصور في ملاحظهم في لأشكر الملائكية
والتصوفة ، وهذه الشخصيات هي من الأمور الشديدة غموض في لوحات الفسار من مدينة
بونوسي حيث يقوم برسمهم من خلال نظرة قوية بسمة بظرب الشديد وكأن اللوحة
مطلوبة لتعكس الوصف الذي عليه المطلق امرتمة . وهذا ما يتحلى أيضا فيما يتعلق
بالتمثيل التصويري للنور . وإذا ما نظرت إلى حالة السور الذهبي التي تحيط برؤوس
القديسين ، ليس فقط من خلال التصوير الشعبي لكوئكو Cuzco بل من خلال بعض
اللوحات للفنان ذات الطابع الذاتي لأمريكا الجنوبية . لوحدنا أن ذلك لا يرجع فقط إلى
مبول إلى ما هو قديم ، بل مما لا شك فيه أنها تستلهم إيجاءات مشهد طبيعي حيث يكتسب
الضوء أهمية شديدة ودور بطولة . والدليل على أن الأمر ليس مجرد نرعة قوطية هو أن

نوحات الرسم عند هوجين نظورت في الاتحاد ذنه سدي كـ غيبه كسر شمس سدي
من الأوربيين. وهو عبارة عن أن يسوء هو مثل وضع فريد في سويحة وذات سويحة
كاملة لظلال والإعلاء من مثل شبيه ذات شكل من حلال الاختلاف في سويحة

عبر أنه في إطار وجود مسيئة مرتكبت بشبهة شدة في مسدودات مغربية خسر
الأشياء كحود، كما أن الأرض تنسج بقوة حاذية صافية. وعند ما يتحسني في بوحه
القدار على التعليق من خلال أنكر لأحسده. ثم ما لبث أن استمر في مسدودات وعند
القمم ترتطم بالأرض يعرف أن كلاما حوسية ذي بسبب ويرصد جبروت نفس
صليبا في دراسة الرسم في أعني بيزو. وقد بعد لأشياء من حود مسدودات ويرصد في
تري في اللوحات الكري نيرث شوحن. حيث كدر في مستقر على شحوصه وسرور
الوحود والأبدى والآخر الأكثر تعبيراً عن حسد وما سبي من عود مكمن
'مكر مشا' ويرى القدر وحود فيه بين شدة بصرية في الرسم ومن سنووش حوصه
للمراقبين في 'أب نيهو' كوا 'أب نيهو' التي بعد ذلك على سرور سبي
يرجع إلى ما قبل عصر اكتشاف أمريكا. وأنه يرجع إلى 'أب نيهو' وهو مشدود
الواحد الذي ينسج يسترد وقد لا 'أب نيهو' في منطقة 'أب نيهو' وهو مشدود
وينكمش ثم يحنى في ركن نفسي من روحه. وفي 'أب نيهو' وهو مشدود
من خلال الحلق.

إنها عملية الكماش والإعلاء. وهي وعي الإنسان بحاله ونفسه
يبرز ذلك، وهاتان هما صفتان ملازميتان. فكلما تعمق الإنسان في نفسه
عليه الحال في مذهب المذيرين، كلما تعمق في نفسه، كلما تعمق في نفسه
الواقعية في لوحات بيرث هوجين. وأخذت تنبئ به، كلما تعمق في نفسه
كانت حياتها تتردد بين قطب الحركات الانعكاسية. لأن كل إنسان له
الذي نراه وقد مثله الفنان في لوحة "متحف أمربيك ندرلند" وهي بعد حياة الذكرى

(١) حوسبه ذي ميث ونيرم جبريت . هوحد واورمه في نعي سرور سب سب سب
ص ٧٢

(٢) انحصار السابق، ص: ٦٠

دخول أسقف دي تشاركاس ، فرأى ديبحو مورثو روسو دي أونيو ، المدينة الإمبراطورية
يونوسي ، عدة أيام ، عندما كان ينتقل إلى ليما ليشغل منصب نائب الملك بالنيابة في البيرو

نعتبر اللوحة إنتاجاً أميناً للحفلات التي تنظمها المدينة ، وهنا فإن الصفحات التي
خصصها مؤرخها لوصفها ، بار تولوميه أرسانز دي أورو سا إي بيلا^١ تتوافق مع المناظر
المرسومة وتساعدنا على التوصل لفهم أفضل لمعنى المشاهد المتعددة التي تتضمنها اللوحة
الضخمة وحلال زمن قليل للعديبة تمكنت بوتوسي من تجهيز الاستقبال بأر أقامت عقود
نصر ضخمة وتارعا واسعا من الخشب وكذا ما يقرب من مائة وعشرين عقد من المصبة
المشعولة تظهر في اللوحة أيضاً ، طبقاً لوصف كتب الحولية ، الواحها " وقد ازدادت
من أعلى إلى أسفل بالزينات المعلقة والمتنوعة ، من الساتان والقطيفة وألف سجادة " ، كما
أن الرسام أضاف من عدياته لوحات معلقة في الشرفات وكلها ذات موضوعات
مينولوجية

لا يكاد يرى شيء من المدينة في المشهد الرئيسي الذي تصوره اللوحة ، وهي مدينة
مغطاة بالزينات مثلما يحدث في الأحفلات الميمية وهذا يجب تدقيق النظر في الجزء
المستطيل للتعرف على ميدان رحو نبحو^٢ في بوتوسي ، خطة اقتراب
الأسقف من كنيسة ماتريت غير أنه أي حدث حدث الجزء هناك الحر ليرر بأمانة شديدة
" القناع " الليلي الذي جهره المتخصصون في الرسم ولدي صهر منه " الأثنى عشر بطلاً من
المشهورين ، حيث يتم الاحتفال بالشهرة وبعدهم تسير هذا العدد النبصر كارلوس الخامس
والسيد رضوان دي السما والسيد لانا وليم حور السلاح وبعد ذلك الأثنى
عشرة عرافة وهم يرتدين ملابس فخمة وينطلق صهيولاً وهم يولي ذلك الإنويويون
بصحبهم ملكهم المتوح بالمجوهرات واللباس

لم يظهر أي شيء من الخيال أو السحبات أو شخصيات الرميعة الشار أو رجال
المجمع الكنسي ، واقتصر الأمر على هذه لاجبة المسرحية حيث فرصت نفسها كواقع
مرئي - إضافة إلى صور القديسين والملائكة يقول فرصت نفسها على ريشة الرسام الأول
في منطقة الأنديز . حدث الشيء نفسه بالنسبة لرسامين آخرين في أعالي البيرو . وحتى

يتمكن المرء من تكوين فكرة عن حياة كوئكو Cuzco من المهم اللجوء إلى اللوحات
المجهولة المؤلف التي تزين كنيسة سانتا أن في العاصمة القديمة للإنك التي لا تكاد مبانها
تري من وراء الستائر Colgaduras ومذابح الكنائس وعقود النصر المقامة بمناسبة
الاحتفالية الكبرى لذكرى صلب المسيح ، حيث كانت تطوف بها عربات مغطاة بطبقات
من الفضة المشغولة وتحمل صور عدة جماعات دينية والفرسان الملكيين الذين يرتدون
ملابسهم طبقا لتقاليد الإنك وهي ملابس مطرزة ومصحوبة بكافة الألقاب المتعلقة بكونهم
فرسانا للجماعات الحربية وما على الرايات ورجال الدين الذين يرتدون ملابسهم الموشاة
واناس من مختلف السلالات والأوضاع الاجتماعية .

VIII - ألف ليلة وليلة في بوتوسي

نظرا للأهمية والقيمة العالية للآثار التي يمكن أن شاهدها في المدينة الإمبراطورية
معرف ما كان ينفق على الملابس والحواهر ومأدبات الطعام والاحتفالات الدينية أو الدينية
أو الخنازيرة ، وكانت تصل إلى أرقام فلكية وهي أرقام أعلى بكثير مما كان يتم استثماره في
المباني التي ظلت قائمة حتى الآن كتب كاسيتي يقول "التعبير عن الاستعراة للملح
الطائل من المضة الذي أنفق على الاحتفالات والهدايا ومباحي أخرى دينوية ، وأنه لم
يستخدم نصف عشره في عبادة الله وبعد ست سنوات على اكتشاف ساحه لم ترفع
Cerro فإن الأحاسيس الملكية التي تم تلصقها من قبل البح وحيث طيف لم كنه سدرو
ثيساليون" ^{١٢} إلى أكثر مما كانت عليه عندما كان لأساس في القنينة Atahualpa ، كما لم
يوجد مثله في مدينة كونكو عندما تم اكتشافها ، وإن كان هذا الترواة الضخمة صهر سوي
كان يتجاوز كثيرا كافة أسواق البروز ، حيث كانت هناك أسواق في يوم واحد في أربعين
ألف بيزو ذهبية "وأظن أن هذا لم يحدث في أي مدينة أخرى"

لم يكن ذلك الرقم مجرد ذكر برفق بل كان من شأنه أن يلفت الانتباه
وهذا ما أضافه كاسيتي نفسه ، الذي زعم في عام ١٥٤٦ بعد ثلاث سنوات على
تأسيسها كانت هناك أسواق كثيرة حيث كانت هناك أسواق من المعادن مثل
Ruanes والأقمشة بسعر يكاد يكون رهيبا عندما كان في سبيله ، وتلصق عليه
لويس كابوتشي أن الأنبيذة "القوية والحنينة" التي سحقتها فنتسنة كانت تصل إلى بوتوسي
وقد "أصبحت عالية الجودة" ، كما أن المدينة التي شاهدها المدينة التي اقتضرت على

(١) المصدر السابق، الجزء الأول، الفصل الأول، ص ٣٩

(٢) المصدر السابق، الجزء CX، الصفحة ثمانين. ص ٤٤٩

الملابس القديمة من المصدر نفسه كان يصل حجم تخزينها إلى مئتين ألف بيسرو صر
استهلاك المنسوجات مرتفعاً حتى نهاية القرن الثامن عشر. وهناك كوكولور كورس
يكن مشيراً إلى أن أفضل شيء في المدينة كحد في ملابس الرتبة ذلك أن عود سماء
لهن أكثر من حلة موشاة بالفضة ولذهب وكأهن أفضل في عبيد أميرة أستورياس.

لا تتوقف حوليات عن مرور أعداد لا يحصى من مبعوثات تنبئة لأتية من عشرين
بلدان العالم إلى المدينة الإمبراطورية ونيس فقط من البلاد لأوربية. كانت هناك ملابس
حربية تصل من الصين. وهناك النسيج الأبيض والسجاد من فريقتين. ومارس من سبلان
والعطور من شبه الجزيرة العربية. وقماش الـ *Calico* والرحاح والعرج والأحجار شجر
والباغة *Cary* من الهند الشرقية ولبنان و *Amst.* و *Calico* حب مسك وحرير
لأبيض للخبس من ميريلا *malacca* و *Laminate* و *China* في الهند. الع
والسنة للوضع في بونوسي به تقتصر التجارة على منتجات رخيصة من رعم زهر
كان أمراً معهوداً ذلك. من منتجات في مصارعة بونوسي من رعم. ولاشطة لأخرى في
مدينة تقع وسط صحراء حرداء كم ياب كانت مع شمس لا كبر ولا أكثر نمر في
أمريكا

وبعد خمسة وعشرين عاماً على تأسيس بونوسي أصبح عدد سكانها مائة وعشرين
الف ثم زاد لعدد ليصل إلى مائة وستين سنة ١٧٥٠م. بعد مرور مائة سنة بعد تأسيسها
الخمسة عشر ألفاً وفي نهاية القرن الثامن عشر دخلت المدينة حتى وصلت إلى خمسين
ألفاً وفي عام ١٧١٣م. أي عندما هبط الأسطول في بونوسي مع الأسطول كان عدد سكان
المدينة الإمبراطورية تسعين ألفاً وظلت كذلك إلى سنة ١٧٦٠م. ولكن مع مرور
السنوات خلال ذلك القرن تفوقت عليها مدينة ماساتشوستس التي وصلت بعدد سكانها عام
١٧٧٢م إلى مائة وأثنى عشر ألفاً أما بالسنة المستعصيات فبالسنة في كل من فبراير
وماسوتشي تس *massachusetts* فلم يكن إلا عشرة مائة سنة. هذا كنها أطفال في
سن الثامنة في الوقت الذي وصلت فيه شهرة بونوسي إلى كفة أوجها. بعدم وشرونها من
الفضة لدرجة أن أطلقت عليها عبارة 'يسدوي واحد بونوسي' *Vale un Potosi*

كانت بوتوسي أول Far-West في العالم الجديد ولم يتم تجاورها إلا حتى وقت قريب. كانت السلالات الأكثر تنوعاً تختلط ببعضها في هذا الملتقى المرتفع؛ فهناك الهنود الذين أتوا من مختلف الأصقاع والذين تزوجوا فيما بينهم ومع البيض؛ وهناك السود الذين أتوا من خلال مدينة بوينوس أيرس، والأجانب الذين أتوا من مختلف البلدان، وهم أكثر مقارنة بمن كانوا في أية مدينة أخرى من الهند العربية. وفيما يتعلق بعرقاء القرن السادس عشر، نجد أن الأراشيف سجلت أسماء فرنسيين وإيطاليين وفينيقيين وبوسانيين ومغاربة... الخ. كان البرتغاليون كثيرين في بوتوسي، وخاصة ابتداء من عام ١٦٤٠ عندما انفصلت بلادهم عن إسبانيا الأمر الذي أثار قلقاً شديداً لدى سلطات شركاس " Audiencia de Ch. أما بالنسبة لمن جاءوا من نابولي لوحظ أن أعدادهم كانت آخذة في التزايد مما كانوا عليه عام ١٦٥٦م حيث كانوا يجاربون في صف واحد ضد الأندلسيين والبيروانيين، وكانوا حلفاء للباسكون والقطاران " أما بالنسبة للأقاليم الأسبانية فكانت كلها ممثلة في المدينة الإمبراطورية ودلت من خلال كل "أمة" واختلطوا بالسكان الأصليين. وصار تجار فيما بينهم كنوع من الإمرة لإقليمية لكل وهي أمر من الأمور التي ينسجم بها أهل شبه جزيرة أيبيريا. كما أن هذه السمة أصبحت أكثر حدة في القارة الجديدة منذ السنوات الأولى للاستعمار أصفى في ذلك كتب هناك تروايات كثيرة وكان الصراع عليها قويا ذلك أن الحواش القبايلية والاقتصادية لم تكن حاسمة وواضحة كما أن المشاعر تتأجج بشكل أدى إلى أن تتحول اقتصادات معينة إلى معارك شوارع ودلت بعد أن تأسست المدينة منذ أعوام قليلة

وفي عام ١٥٤٨م، أي العام الذي تأسست فيه بوتوسي، تأسست معارك "بيس القوميات" في وفاة أربعين فرداً، من عام ١٥١٥ - ١٥١٨ وفي عام ١٥٨٦م تأسست المختلطون mestizos في حدوث ثمة، وفي ثلاث سنوات حروب شخص يدعي خوان فرنانديث على القيام بمؤامرة ليصعب نفسه على بوتوسي كان يسوي السيطرة على المدينة بتعاون إخوته الذين يقيمون فيها. ورغم أن فرنانديث كان متزوجاً إلا أنه اختار أرملة هي ماريا ألبارث وذلك ليتقاسم العرش معها " لكن السلطات تمكنت من

(١) مارتولوميه أرسايز دري أوروسا إي بيللا، لعمل انتشار به - جزء لاو - الكتاب التاسع، الفصل التاسع ورقة رقم ٧٣٢٥

القبض على فرناندث قبل البدء في مشروعه ، ومع هذا قبل ثلث لم يكس المرة الأخيرة في إطار ما ولدته الثروة الموحودة في بوتوسي من حسي الطموح الذي لا حدود له

وهناك من مثل هذه الأحداث ما يكفي لكساسة محلد كبير مثل تلك المؤامرة التي اشتملت غير أنها بر السيد ، حوثالو لويس دي كاسريرا والمقرر الثانوي ' لإدارة سباركس A. de Charcas ، السيد خوان ديات دي أورنيث ، اللذان حاولا ، من بين تصرفات أخرى ، أن يذخلا عبر نهر لابلاتا عام ١٥٩٩م عدة مئات من الإغليس إلى شوكيسا Chuquisaca وذلك لاستخدامهم في أعمالهم التعددية طلب بوتوسي على مدار زمر طويل المدينة الكرى التي هي رمز الازدهار والفلافل هناك الاحتفالات والتجديت واللعب واحبابة والقتل والحرب ، إذ اردتهم كل ذلك واثاء إباح طسعي مجتمع في حلة تخمر وشديد البعد عن المراكز السياسية الفسدة ، وغولت المعركة العظيمة إلى معة لقص الوقت وإلى نشاط اجتماعي مسموح به بدرجته عظمى ، محاسن ، محاسن كوايلدهور ، الاجتماعات وهم مسلحون بالسيف والسندق تخمبهم بروح وثورة

ولما لم تكف قمصي سون كثيرة من الثروة سبع عشر سواحد في مدينة في وقت واحد سبعمائة أو ثمانمائة معاصر من المحترفين ودية وعشر من السلاء ، مذكر منهم السيدة/ كلارا ، التي كانت تثير الرعب في بيوت بيت بيت من جمال وثراء صف لروايات كتاب الخوليات ، حيث كانت مرة واحدة في بوتوسي ار كانت تعرف تزيين منزلها الضخم بكل شيء جميل ات من شرق بوتوسي ورت ، وحسن اسم عرص كل هذا الجمال وغيره من الأنشطة المشروعة كانت بوتوسي بوتوسي على مسرح به كراسي بصل سعر الكرسي من أربعين إلى خمسين بيرو وكانت تخرى عروص مع ثوب اربعة من الهليلين أضف إلى ذلك أنها كانت تضم مد نهاية القرن السادس عشر من ربيع عشرة مدرسة للرقص ، وحتى يتم إقامة احتفال ديني خلال تلك فترة مددورده أحد أحكام تنظيم حفل ضخم في حديقة تم إعدادها مسبقا وحسن بها في تهيبة كافة أنواع الحيوانات من تلك التي كانت على سفينة نوح

(١) Vid لويس هناك 'موتوسي' المدينة الإمبراطورية فصل به كتب في تاريخ عدة حدة ، ص ١٥ وما يليه

لم تصل الحياة المزدهرة في أي بقعة من بقاع الهند الجديدة مثلما وصلت إليه في تلك الأيام الزاهرة التي عاشها " المرتفع الفضي " Cerro de la Plata . كتب سلبادور دي ما دارياجا^(١) " لم يعيش الإنسان حياة أكثر حرية من تلك التي استطاعت فيها أن تركض قنطورات ولعه بالحقول الخاصة بواقع يتسم بأنه إيجابي وسحري تناقضا مع ما هو من الأحداث اليومية ، وهو في الوقت ذاته ضمن مناخ ملى بالتهبؤات والرؤى التي يتم استلهاها من السماء ومن كهوف الجحيم ، التي تم قبولها على أنها كائنات عادية مثل الكائنات الأخرى المخلوقة من لحم ودم . وصل الأمر بالحياة إلى هذه الدرجة من التجلي أدت إلى أن يكون الجحيم والفردوس ، والمسرح والقصة وكتب الفروسية وقصص ألف ليلة وليلة تعيش على الأرض نفسها وتنفس الهواء نفسه الذي يثلج صدور الرجال والنساء سواء في النهار أو الليل " .

يتضمن كتاب " تاريخ المدينة الإمبراطورية بوتوسي " الذي ألفه بارتولوميه أرساير دي أروسا إي بيلا آلاف المشاهد التي تثير الدهشة الشديدة حيث يختلط فيها الأمر . بإيقاع قوي . بين السعادة والمأساة ، واللعب والموت . ودات يوم طيب من عام ١٦٥٦ في معرض الحديث عن واقعة شائعة ولافتة للأنباء كان يلعب في " جبل حوان يو " الأخوان سيليرو ، من مواليد بوتوسي . مع بديرو دي أوريبال من الباسك . ولما " كان العدو المشترك يحاول دائما إثارة المشاكل ، تمكن من ديك (dick) الذي دخل بدوره في الدهاليز أو المماسي حيث كانت توضع الشموع ، فطرده القنبيس ، وفي هذه اللحظة قام الباسكي بحركة ، كما قفز " الديك " أعلى المائدة وترك روثه فوقها فتنازل واحد من الأخوين سيليرو ها هو الربال مشبرا إلى الروث ، لكن لما كان أوريبا قصير النظر عجز عما قبل به فتفتح بده بسرعة فانسحبت بما كان يعتقد أنه ربال غير أنه لما كان شديدا حرم من وجهها وأصل اللعب مع كل هؤلاء الذين كانوا هناك " لكن كان هناك باسكي آخر من أخوة حديد ملأه العبط فحرج لبشار لكرامة ابن بلده . " هاج الجمع وراح وجرى بحراج السوف من أعماده في الشارع وأخذوا يضربون بعضهم البعض ، وقتلوا السد حوان دي بارناحاسكو بخادا " ثم

(١) العمل المشار إليه سابقا ص ٢٧٤

(١)

عادوا للعراك في اليوم التالي وتسبب ذلك في مقتل فرد آخر ، وفي الأيام اللاحقة واصل
الربال الرائف إحداث أثره السيئ .

تسم الحكايات الأنثوية بأنها متميزة للغاية في الحوليات احاصة بيوتوسي لا يمكن
لخيال لوبي دي بيجا أن يصل إلى هذا الحد سواء فيما يتعلق بالمعاناة أو ما يتعلق بالمغامرة
وأدوار البطولة . " وذات ليلة عندما خرجت هاتان الفتاتان / السيدة إيوسناكيادي سووسا
والسيدة / أنا برنثا في سمت الرجال ، قام إثنان من الخدم بقتل القاضي المذكور بالبدقية .
وفيما يتعلق بالوصية السادسة فإن هاتين الفتاتين كانتا دقيقتين ذلك أنه " طوال أربعة عشر
عاما ، وفي غيبة الوالدين ، أخذتا تسيران على سمت الرجال وطافتا بأغلب أجزاء البيرو .
وعندما عادتا بعد مرور تلك السنوات وكانتا على وشك الموت سويا قالتا إنهما لاراك
عذراوين لأنهما حافظتا على عفتهم "

وفي عام ١٦٠٦ هناك قصة حب على شاكله قصة روميو وحوليت ، نظرا للكراهية
" الوطنية " التي كانت عليها الأسترتان ؛ كانت هذه القصة بين السيد بيكولاس باسوبوشي
دي ليون والسيدة / مارحريتا أستيتي . حيث تصممت تلك الواقعة لشهيرة التي حدثت في
مدق aposento دي شوكيساكا حيث كان ثمة الروحان حدد وهما " السيد ديبجودي
موندراجون ، ابن عم المتوفى ، حيث أخذ سيف السيد بيكولاس ودخل إلى حيث كانت
مارجاريتا وكانت نيته ومقصده مهلكين لدرجة أنه وصل إليها وهو يحمل خنجره a.fanje
وتمسك بشعر رأسها ويذبجها ، وعندما وجدت مارحريتا أنها في خطر محقق لم تحرك يديها
العاريتين والبيضاوين ، وأعطاهما الله القوة حتى تتمكن من تصف دراع العدو وهذام
فعلته ، بحمية ملحوظة حيث أمسكت الخنجر بكنتا يديها وبدي كان يقبض عدوها عليه
بقوة ، ولما استعملت كل قوتها وجهته نحو الوجه حيث كان اتجاه فصل السلاح وتمكنت من
إحداث جرح في وجه الباسكي ابتداء من الأنف حتى الرأس وعرضته في وجهه لمسافة ثلاثة
أصابع وهنا وقع مغشيا عليه . خرجت مارجاريتا لتساعد روحها وهي تحمل الخنجر في
يدها بينما جسده مغطى بملاءة قرمزية اللون لأنه كان لا يرتدي إلا القميص " ، وفي وقت
وجيز تمكنا من دحر ثلاثة من أعدائهم إضافة إلى ذلك الذي تركته يصارع الموت " (١) .

(١) المصدر السابق - الجزء الأول ، الكتاب الرابع ، الفصل التاسع ورقة ١٤٧

لم يقتصر دور المرأة في بوتوسي على مجرد هذه التصرفات البطولية الإجبارية بل كان شائعا دخولهن في معارك تتعلق بالمبارزات الرسمية، وأحيانا ما يشاركن في الدفاع عن الغير مثلما حدث عام ١٦٤١م حيث شاركت السيدة، جراثيانا جونتالت أخاها السيد بدرو في مواجهة تحد قاتل ضد شقيقتين هما: السيدة كتالينا والسيدة أمحلا "الطفلات الأميرات" إيتا السيد/ أعسطين مورالس، حيث إستردتا شرفهما ولم يكن ذلك بموت المذنب فقط بل أيضاً من خلال سلوك الأخت التقية "صاحبة الحجّة القوية وهذا هو الأمر الرئيسي، وكذا في أمر الحيل والسلاح"^(١)

هناك حالة أخرى من حالات استرداد الشرف رغم أن ذلك في معرض مختلف، وهو المشاركة في البدخ الذي كانت عليه احتفالات التي كانت تعقد بمناسبة الأحداث الملكية وهذا ما يمكن أن يحدث في مدينة شديدة الارتباط بمصير الملكية الكاثوليكية ومصيرها. وفي عام ١٥٥٦م، أي بعد تأسيس مدينة بوتوسي بأحد عشر عاما شاركت في احتفالية تتويج فيليبي الثاني من خلال احتفالية استمرت أربعة وعشرين يوما وتكلفت ثمانية ملايين بيسرو. لكن الأمر الأكثر إثارة للإعجاب والذي يصعب فهمه هو أن المدينة أنفقت ستة ملايين في جنازة فيليبي الثالث "والشيء نفسه مع دفي ملوك قسنانة". طبقا لما أشار إليه كاييتي"^(٢) فأى كمية من قماش القطيفة والتفاديل velvet واتعاب لمرنلر في الكائنس وأي كمية من الركام على القبر يمكن أن تكلف ستة ملايين بيسرو

لا زالت بوتوسي تسير حتى الآن على منوال هذه المعادات احتفالية خاصة بحالات وفيات العظام وكذلك الأمر بالنسبة للملكة الجديدة التي كانت عروسة للحظ، ومع هذا حظيت بهذا الدعم، وهذا ما سمعته حتى يوم من اليوم يعتبر شاهدا على ذلك عبارة عن قصيدة رومانية مجهولة مؤلف ترجع لعام ١٨٠٠م جاءت على لسان تلك المدينة الإمبراطورية التي كانت تختصر

إلى مليكي الكاثوليكي
الذي أهبه آخر نفس من عمري

(١) المصدر السابق، الجزء الأول، الكتاب الثامن عشر، الفصل العشرون، ورقة ٢٢٣

(٢) المصدر السابق، الجزء الأول، الفصل الأول، ورقة ٣٧

يقدم له كل أتباعه
أنفسهم بكل تواضع
أعترف أنني أدين له
بكياني وديانتي
وأن عزائي الوحيد
هو الموت في حمايته
وإلى كافة أبنائي المحزونين
أتركهم في يده الشريفة
متمنية أن تسمعهم وتنظر إليهم
لكونك أب وعاهل .

طُبعت هذه القصيدة في سلسلة كراسات تسمى "سلسلة الثقافة البوليفية" التي يديرها السيد / أرماندو ألبا، وهو أيضا يرأس إدارة المتحف والأرشيف التابعين لدار سك العملة. وفي هذا المقرر النبيل تجري الآن عملية ترتيب الوثائق ودراستها عندما كانت دار سك العملة تقوم بأداء مهامها، وفي الأدوار السفلى لها هناك الماكينات القديمة المستخدمة في سك العملة، وليس هذا فقط بل هناك آلات الطباعة اللينوتيب Linotipias وكذا ماكينات الطباعة وذلك بغية تصحيح خطأ كبير وقعت فيه بوتوسي أثناء قرون الأردهار التي عاشتها: ففي خضم كل هذه الثروة لم يتم - حسب علمنا - نشر أي كتيب في المدينة الشهيرة.

لم تتوقف كتابة الحكايات والقصص والحوليات، ووصل عددها إلى المئات ذلك أن أهل بوتوسي كانوا يشعرون بالفخر بماضيهم كما أنهم كانوا مولعين بإبرازه وذلك لدعم "مطالب" المدينة أمام البلاط. لكن الزمن أتى على هذه المخطوطات واختفت أو أنها في انتظار من ينتشلها وينفض عنها التراب وهي موضوع في الأرشيف والمكتبات، وقد وصل طابع التلاشي هذا الذي عليه المدينة إلى هذا الحد وهو أن أهلها لم يشاؤوا ترك مطبوعة حتى تكون عوناً للأجيال القادمة، نحكي إحتفالاتها وثوراتها ومغامراتها وقصصها التي تضارع قصص ألف ليلة وليلة .

الموجودة في المرتفعات ، وفي حالتها هذه محد أثره كسب الدعم القوي الذي جاء من ليد
مالقي (من مالقة) أصيل ، هو الذي تأملت سحته الصدمة وشترته السمراء على الظروف
الآخر من العربة المطعم (عربة الطعام) عندما كان القطار يمر بمنطقة الكوسدور Coudor
واتضح أن هذه هي لمن قام باستخدامه أما وجهه الذي كان يبدو أنذاك ساهما وشحرا
بفعل الواحد في المناطق المرتفعة فذلك يرجع بشكل أكبر إلى داء الحال والميل السحرة
السفر في الخط نفسه يوما بعد آخر كثرة تزييد على ما يقوم به القصة أو التحار أو ربح
البريد خلال عصر بيابة الملث Virreal

استمرت حياة الأسبان الأوربيين كما كان بقاء ذلك قبل الاستقلال على ونيرة
نشاطها الكبير في مدينة بوتوسي التي تقصت في زمانها ، وأصبحت مادية وكأنها شديدة
الارتباط بحياة البوليفيين وهذا بناء على الثقة التي تسود في العمل والاهتمام الذي يبذل
الجميع في باب الإحياء البليوغرافي للشخصيات التي تشكل موروثا مشترك وهذا هو
مؤلف أول كتاب مهم طبع في "سلسلة لثقافة لبوليفية" السيد سارو بيشني كابيتي في
دومنجث من الناس المحسنين. عنبية لاستقلال. رغم سوسده في ساراخواي. مسكنة
والسلطة في شبه جزيرة أيبيريا على العلم الجديد. كما أنه كان من كبار لبحرة وبدون
عنها أمام هؤلاء الذين يدافعون عن إيمانهم ومن معاد من ساسا أوربيين وهذا
ما اتضح في دراسة "عن الكتاب وعن مؤلفه فدمها جوير سارو" لأرنيف شومي
لبوليفيا وعقله المدر لكن لا لهم كثيرا الأيدويو حة التي هي من شاستي وأحصل الذي
يقف فيه ويدافع عنه. فكتابه بشكل أفضل مصدر لمحققين على معلومات تعرفنا بحياة
مدينة بوتوسي في نهاية عصر بيابة الملث

ورثت أسبانيا من خلال قلم أحد أساء الرعة البول والأموات الحرسو Cnolle في
إطار احتضار أملاكها في الهند العربية، آخر شهادة عظيمة مدونة عن حياة مواطن وهي
شطية حياة محل تقدير وإعجاب لكن نللك لم تكن المحقة لاجرة في عهد بوتوسي
وبالنسبة لمبنى بيت سك العملة، الذي ألف فيه كابيتي كتابه، والذي الذي يعتبر واحدا من

(١) جون سارو "الدكتور السيد سارو شتي كاستي ولقصة القصة والسنة بوتوسي جامعة سارو في سكو حة
سوكري ١٩٥٤م

المباني الكبرى التي شيدت في أمريكا أثناء العصر الأسباني واستخدمت في بنائه مواداً وطرائق فنية من الطراز الأول. نجد أنه شيد خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر عندما كان الحال قد وصل بالمناجم الموجودة في "المرتفع" إلى انحطاط واضح. وبالقرب من هذا المبنى هناك كنيسة ماتريث التي تعتبر واحدة من النماذج الكبرى من بين الكاتدرائيات المشيدة في أمريكا وربما كانت آخر هذه المنشآت.

ليس ذلك العمل نتاج جهد من أحد كبار العرفاء المحليين الذين ساروا على الميول الخاصة بالسكان الأصليين من حيث نماذج دور العبادة في أوروبا. إنما هو عمل يتسم بالبساطة والدقة تولي أمره معماري شديد الاحتراف جرى تشييد المبنى خلال تلك الأيام الصعبة التي شهدت الكفاح من أجل الاستقلال، وهذا في حد ذاته دليل على أن حكومة نيابة الملك ربما فضلت أن تترك في المدينة الإمبراطورية شاهداً على تلك السلطة المحتضرة لهذه الإمبراطورية، وذلك من خلال دار عبادة كبرى تسير على الأسلوب الباروك الأسباني المحض والذي يخلو من أية ملامح لها صلة بما عليه الأسلوب نفسه في الإقليم الذي شيد فيه^(١). غير أن الأمر لم يكن نوعاً من مخالفة التقاليد المتبعة في البلاد بل هو رسالة وحيدة محملة بالقيمة الفنية والروحية. وعلى "ميدان ريجوئيو" الحميل تطل واجهة كنيسة ماتريث وعلى جانبيها برجاً الأجراس اللذان ينسنان بالرساقة، ويرتفعان إلى عوار السماء الزرقاء الصافية في الصباح ولا نجد فيها ما يشبه أو أن هناك ملمحاً للوداع

(١) إريك ماركو دورنا العمل المشار إليه سابقاً ص ٥٠

IX- نزولا نحو مدينة سوكري Sucre

خلال الأرملة الكلاسيكية لمدينة بونوسي كان يتم السور إلى مدينة سوكري. ذات
الأسماء الأربعة: لابلان، تشوكيسكا، ونشاركاس وهاهي الآن تسمى سوكري. وكان
ذلك يتم من خلال طريق كانوا يظنونه عليه اسم شائع هو 'لاديريس' (لطيحاء)
بسبب تعرجاته وتصويره الضعيف في سطح جبل. وهناك احتمال كبير في أن خط
السكك الحديدية الذي يؤدي إلى مقر 'الإدارة' الشذوية Audiencia بأحد المسار نفسه.
وربما على الأقل لا يتغير كثيرا عن مسار التديب حيث يستغرق المرور به سبع ساعات
لقطع خمسة وعشرين فرسحا. وهي مسافة بين مدينتين. طفت ما نشير به الحوادث.
ورغم الجهد الكبير الذي تقوم به الحكومة في تقوية من لابلان إلى بونوسي فإن طريق
نوكيس ليس إلا عملة موهنة من على راس

كان الشك يثبت من في بعضه مما ذكره من معوج اسم مركب لا،
ذلك لأنه عبارة عن خط بسيط مع شدة من حيث السهولة يمكن محووف به لكن
حقيقة تفصل الله وكان من الممكن أن تكون هناك حادثة خطيرة
للغاية ومرنطة بونوسي

لم تكن العربة التي سارت على السكة الحديدية في ذلك الوقت
كذلك عندما وصلنا إلى المحطة في قسح. ونحن عندما حدثت بوحدات تحريك
قامت كل وحدة بالحركة على طريقها ونحن في بونوسي حيث وصلت كدث مفردة
ومستقلة عن بعضها وأخذت تصور صندرها وكثيرا محاولات سارت في طريق المردح

١. كاتيني. العمل التاريخي. جزء الأول. فصل الأول. ص: ٥٥

الذي يسير في خط يكاد يكون موازيا لطريق السكك الحديدية وأحيانا يسير في
الماكينات وكأنها في سباق وتندو كأنها سوف يسبق بعضها بعضا غير أنه لا يكون هناك شريحة
واحد للسكك الحديدية كانت محجرة على فرصة ادكيت القادحة من الحث وأنها بحسب
تظل في الطابور.

كانت السرعة ضئيلة للغاية لدرجة أن هذه الألعاب قد شربة يمكن أن تسير عبيد
دون أية محطرة لم تكن هناك 'دواوين' في العربات متلف كان يحدث في حالات. إن
كان هذا شائعا في الأنوبيات لم يكن هناك منسع لأي فرد ولا عينية بعضى من مركز
من الهندو باستثناء بعض المولدين مثل السابق كما في جمعة واحدة متلاصقين ومنصحين
ويواتينا شعور أفضل شرب لآخر وحوار بعض حلابة التي تنكس. مع حلابة. ليس
نفسه؛ يصح التلاحم كثر قوة تنفس مشهد يضح الذي يضح في حد ذاته كثر
بشرية متلاحمة. ولا يوجد أحد في حرج حيث كان هناك بعض مارة أو بعض برعة
الذين يمكن أن يثقلوا من حدة يتضاع مشهد الحث

وطف لما بقصه كوكولور كورنو ١٩١١. في سيرة في شتريو من
نوتوسي إلى شو كيسكا. هناك مكان وحيث يمكن أن يكون هناك مسجدة في
البريد، أما بالنسبة للجمهور كان هناك سيرة حرة. وهذه سيرة
هو عبارة عن فندق صغير. وهو بقعة عذرة من المدينة مع سيرة على سطح
الإنك. وكان هناك من بينهم نزل في طريق سيرة. في سيرة سيرة في
المقام الأول "فندق بارتولو". ثم "فندق حرة". في سيرة مع على بعد
أربعة فراسخ من نوتوسي لكنه غير مستخدم. في سيرة مع سيرة مع سيرة
يؤمها كثير من أهل المدينة وأحدثوا صيحة كبرى في مكان محققين في سيرة
"الرجال والنساء بالاحتلاط بعضهم ولاستخدام سيرة في سيرة حرة. وعند
للمدير... وبالتالي حدثت فوضى عارمة حتى أن لاستخدام سيرة في سيرة في
صلة". هناك سبب آخر وهو قيام المرضى ولأصحاء - مستخدم سيرة في سيرة في
ثلاثة أيام دون تغييرها أو تبخيرها.

(١) كوكولور كورنو العمل مشربة. حرة سيرة. نفس حرة سيرة.

ولابد أن المكان الذي توقفنا فيه هو ذلك الذي ينسب إلى "الفندق الحديد" (تنامو الحديد) طبقا للمسافة وللوصف الذي قدمه كوكور كوربو وكان سبب الوقفة هو أن يقوم السائقون والركاب بتناول طعام الغداء كانت أطعمة فلكلورية والتي تبدو وكأنها ختم وعلامة، في منتصف سلسلة الجبال، على تلك الطائفة التي تقسم في المكان طوال الرحلة وتعيش في حالة تبادل دائم وتلاصق جسدي والشهيق والزفير والرائحة والطرقات، وكذلك الصمت بصفة خاصة

ومع هذا فما يتم الذهاب إليه في مدينة سوكري ليس الفلكلور أو السكان الأصليين بل عكس ذلك تحديداً أي المدينة ذات الملامح الأسبانية في أعالي البيرو، والتي كانت منوطة بها المسؤوليات القيادية الكبرى في كافة أنحاء البلاد فبالى بوتوسي كانت تأتي من كافة الأرجاء منتجات متعددة وضرورية للحياة فيها، وكانت تتلقى من شوكيساك مادة أكثر أثيرة من أية مواد أخرى، لكنها ضرورية للعناية في الحياة الاستعمارية الأمريكية إنها العدالة، أي العدالة، والقانون حيث لم يكن يختص بإقامتها مباشرة ذلك المجتمع الذي يعيش في العالم الجديد بل كانت نفس إلبهم من خلال قنوات تأتي من مدريد هناك تعارض فريد للعبة بين حبه احتماعية سريعة الإيقاع وغير مسوقة وبين أجهزة قنوية سياسية مترابطة كانت تعمل في إطار الامبراطورية الملكية، وهذا التمرد يتصير على العالم الأسباني الأمريكي وحيدة في لافهم شديدة لتتبع التي تقسمها الامبراطورية، كما أنها عية نخباتها الحاضرة في التي تسمي الامبراطورية تلم هو الحال في أعالي البيرو

ومع هذا فان هذه الارض وحده في حالة من بوتوسي وتشوكيساك بها ما به رها بشكل كبير نظرا للقفوف الشديدة، خصوصية التي كانت فيها الحياة في المدينة الامبراطورية، إنها مجتمع حقير في معبر من معبر على ارتفاع ٤١٠٠ متر فوق سطح البحر ولا يمكن أن تكون كامنة سميت وسميت في علونها أن تسارل ويشل بعض الأحهره الضرورية لحياتها إلى مركز حقير في موقع جغرافي أفضل تلم هو الحال في تشوكيساك الواقعة على ارتفاع ٢٦٠٠ متر في مستوى سطح البحر ورغم أن المسافة الفاصلة بينهما تبلغ خمسة وعشرين فرسحا من لارنس الوعرة، كانت امديسان، بوتوسي وتشوكيساك، تشكلا من المظور الاحتماعي والبيولوجي ما هو أكثر من مدينتين متوءتين

أي مدينة واحدة، والرقعة المعمارية نفسها، والطريق الوحيد الذي يمر منه القطار كان يشوم بدور ليس الطريق الفاصل ولكن الشارع الكبير وكأنه شارع ربط

كان يسير في هذا الشارع عادة الهنود وهم يحملون ثمار مخيرات chamizas أو المزروعات وذلك لتزويد أسواق المدينة الإمبراطورية؛ وهناك أيضاً الهنود ولكن بشكل متقطع وخاصة الهنود الميتاي الذين هم في الأعم الأغلب من الفري التي كانت مجاورة لشوكيساكا. وفي الطريق نفسه كان بعض سكان بوتوسي يهبطون بين يوم وآخر لحل مسائلهم القانونية والإدارية كانت عاصمة نيابة الملك شديدة البعد بينما كانت إدارة تشاركاس Audiencia تتولي أمر المهام الحكومية، وتسهر على احتياط على النظام والإدارة الجيدة للمدن الواقعة في إطار حدودها الإدارية وكانت تسهر بشكل خاص للعباية على رعاية "الخزانة الملكية" وعلى توزيع الهنود وهذه قصايا رئيسية ويومية في حياة بوتوسي.

وهرباً من حياتها الهائجة كان ينزل منها أي من المدينة الإمبراطورية، بعض سكانها بحثاً عن الهدوء والأمن وذلك في حماية "الإدارة الملكية في تشوكيساكا" وأحياناً ما يتحول الأمر إلى عمليات هجرة جماعية لأمم بأكملها من تلك التي لا يمكن لها أن تتحمل تجاوزات المنافسين، مثلما حدث عام ١٦٢٢م لامة الباسكوخادا (الأصل الباسكي) كانوا يتسمون بالجفاء ويشعرون بالسخط ومن المؤكد أنهم يتحدون اللغة الباسكية خوف من أن يشي بهم أحد، وكانوا يأتون إلى تشاركاس بأسمائهم التي تنسج منها رائحة منزل محاط بنبات الزان haya بدرو دي ثاراتي وخوار أوتشوا دي لحاربورو ودومنحودي بيداوريتا، وجابريل دي ريكالدي وإستيبان دي ألداباجا وكريسوفل دي ليزاردي. الخ "ليطلبوا علاجاً لتفادي الموت وللجروح والمطارادات حيث كان يطردهم أبناء المحافظات الأسبانية الأخرى إلى تلك الأماكن لمدة ستة أشهر، ويصبحون من المسؤولين والقتلة"^(١).

هناك صراعات عنيفة ومعارك شديدة القسوة تحدث بسبب الكراهية التي تأصلت وطالت والناجمة عن أسباب اقتصادية، ذلك أننا نعرف أنه في عام ١٦٠١ كان الباسكيون

(١) Vid حور مدونال "الحرب الأهلية بين الباسكيين وبين أمم أخرى في بوتوسي" وثائق الأرشيف الوصي لولمبيا (١٦٢٢-١٦٤١) في "كراسات سلسلة الثقافة السوليمية" بوتوسي، ١٩٥٤م، ص ٤٠

لديهم ثمانون رأساً من حيوان اللامة ingenio من إجمالي ١٣٢ رأساً كانت في بوتوسي، وكان ذلك أمراً من الصعب حله في نظر "الإدارة الملكية" غير أنه عندما كان المجرمون عبارة عن أفراد منعزلين ومن العوام كان يطبق عليهم سيف العدالة وأحياناً ما يتم ذلك بشكل غاية في السوقية وهذا مثلما نراه في حالة "الوبري" vicuma، بدرو جليقي. كان هؤلاء، الوبريون يسمون هكذا لأنهم كانوا يضعون على رؤوسهم قبعات من وبر اللامة أو بسبب غطية الحياة التي يعيشونها "وهي حياة شبيهة بحياة تلك الحيوانات في منطقة الأنديز التي تتسم بسرعة الحركة. وكانوا مجموعة من الورثة، خارج نطاق الزمن، للغزاة الذين لم تعد أمامهم أرض لغزوها، فكانوا يعملون بالأجرة لدى العصابات المختلفة التي تستخدمهم كأداة لارتكاب الجرائم والتفيس عن الكراهية ومن هذا الصف من "الوبريين" هناك نموذج شديد الخطورة هو بدرو جاييجوس، حيث تم التمكن منه بعد مطاردات عديدة وقتلته سلطات تشوكيساكا بفضل عملية مأكرة قام بها أحد شركائه وتم شق جنته وقص رقبتة بعد موته وحرى الإلقاء بأشلائه الأربعة في الطرق وعرضها ليكون عبرة للجميع كما وضعت رأسه في ميدان بوتوسي معلقة في حطاف حديدي.

هناك احتمال كبير في أن هذا التمثيل العيف بالحثه تسبب في إحداث الفرع لدى بعض السيدات في بوتوسي من هؤلاء اللاتي كن يزلن إلى تشوكيساكا لتلد وقد هالها ما حدث رغم ما كان عليه من حرارة وسالة وطبقاً لرواية بعض المؤرخين ففي غضون خمسين سنة منذ تأسيس بوتوسي لم تر المدينة أي ولد لأنوبيس أسابين ذلك أن الرد الزائد عن الحد والهواء الجليدي كان يتسبب في مقتل الأجنة ولادتهم أو قبل ذلك خمسة عشر يوماً كما أن أول طفل تربى وولد في بوتوسي، طبقاً لرواية الأب كالاشا، كان عام ١١٩٨ م، وهو السيد نيكولاس فلورس، وكان هذا حواره بفصل الثقة المقدسة التي وضعها والداه التقين في القديس نيكولاس دي تولنبيو ورعه أن حالات الميلاد التي تمت سجاح أحدثت تزداد شيوعاً بعد ذلك، طبقاً لما ينصه كاسي ' حيث سبب حالات الفشل السابقة إلى أن المنازل لم تكن مريحة خلال الأرملة الأولى، غير أن هذه المنازل المريحة كانت أكثر عدداً في مدينة تشوكيساكا تلك المدينة اللطيفة والتي كانت النساء تقصدها من أجل الولادة وخاصة اللواتي يستطعن ذلك.

(١) العمل المشار إليه الجزء الأول، الفصل الأول، ص ٩١

لم تقتصر العلاقات انقوية بين مدبتي على احوال بني انشروا بينها مسانداً من
تعدي ذلك إلى جانب آخر شديد الأهمية بالنسبة حياة بنونوسي، وهو ذلك الحاصل بالتشديد
لعملتها. ومن بين الأسباب التي جعلت العملة الأساسية في يهدد بمرية أساساً للمعدلات
الدولية وفي العالم جمع على مدار ثلاثة قرون هو أن الترح الأساسي حاشية بثوة على درجة
بقاء (القراريط) العملة ووزنها. ولم يكن أحد يشت في حودة العملة الأساسية لأنها كانت
تتمتع بصغار قانوني وأخلاقي من قبل ملكية كاتوليكية، وهذا تنحلي من حديد الشرح
الإيجابية واخذية لبعض السمات المحددة بني تدويرها مختلفة من حيث الصاهر، وبمرونة
بالمصور الوسطى والعقلية الأساسية تدك

وإذا ما كان لدى الأسس حسن نفعي وحسبي أكثر بالنسبة بحياة من يكونوا بشعر
في اعتبارهم هذا الاحترام لتدبير القيمة العملة فمبهر مدى أنه قد من دفته في بنونوسي
كان أمراً شديد القداسة وهو فوق احداث ومصادح الحاشية. كتب أنه خطى مدغم
الصليب والسيف وهذا كان منذ زمن تنحلي من حلال لاستيف ورئيس بنفبه
تشارك اس Audiencia هناك للاهوتيين وبنو من حاشية ومعدلات بوصفها لشاح من
جانب آخر، حيث بثوه جميع مدغم بنونوسي حاشية مدغم بنونوسي الاسوح
والذي لا يهدأ في بنونوسي عمدة حشيشية نكس بنونوسي حاشية على ظهر لأمر
مهما كانت نوعية احداث بني عديها من مدغم والوجه من مدغم بنونوسي حاشية بنونوسي
بنونوسي الحاشية في استعمالها مدغم على مدغم بنونوسي حاشية على بنونوسي
الشاكلة التي عليها، لو كانت أدلة من مدغم بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية وأفراسري،
من حيث ضبط مواريتها ودبائية لاد، لها بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية، وهذا يرجع إلى
استقلالها الذي لا يصرع وبراهنها

من المهم في هذا المقام أن نذكر كيف أن لاد بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية
رجل مذهب يتلقى الاعترافات في مقر الشركة بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية
أو الحرامات كانت شديدة الصغر لدرجة لا يمكن معها بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية
أن الميزان كان يتم تحت ضوء القديس بحيث لا يكون هناك تباين هواء نكس بنونوسي حاشية
الميزان، ذلك أن هذا الفارق الصغير حدا في الوزن يمكن أن يعبر عن سعر وقيمة عود من
الفضة، حقا هو أمر شديد الحساسية ويتطلب مهارة عادية بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية بنونوسي حاشية

مواطن عدة وذلك للتدليل على أن الله يختبر عباده وللفت الانتباه للاختلاف القائم بين الأمتين وخاصة بالنسبة لـ Jeremías، النبي الذي لقبه الرب بلقب "الحكّاك" ensayador وذلك حتى يوضح القيمة الروحية للبشر وأعمالهم، وهذا من تحارة "روح الله التي تقوم بوزن أرواح البشر" (١).

تواصل قضبان السكة الحديد نزولها ومعها تزداد مساحات الحضرة التي تغطي السطح كنوع من الإعلان عن الوادي الذي يرويه نهر بيلكومايو pilcomayo بمجرأه الواسع المليء بالحصى ومياهه العكرة أحيانا والغزيرة خاصة بالنسبة لمن سار في هذا الطريق آتيا من "لابات" ولم يجد حتى شجرة أو بهرا. وفي الجانب الشرقي لسلسلة Corollera حيث توجد مدينة سوكري، هناك وفرة من البحيرات أكثر عددا مما هو في المناطق الجبلية كما استطاعت أن تفتح لنفسها مجرى لتفريغ ما بها وتكون عن ذلك أنهار ذات أهمية مثل النهر الذي يتحدث عنه بيلكومايو الذي يمتد في الأراضي Chaco البولييفية وأراضي باراحواي، كما أنه يتسبب هناك في إثارة مشاعر الأسى بفيضاناته وما يفرقه من أماكن وهذا واحد من أحد التناقضات العنيفة في الطبيعة الأمريكية.

تشعر العيون بالرضا بما يحدثه تيار من المياه وياله من حجم كبير لا يشعر به إلا أبناء بوتوسي الذين اعتادوا على عدم رؤية المياه اللهم إلا من خلال البحيرات وبقايا مياه ناجمة عن ذوبان الثلوج أو تلك المياه التي أسهم افسار في تجميعها لتشغيل الطواحين الموجودة على الضفة Ribera لنهر قليل المياه ومستخدم في الصناعة هناك الكثير منهم من الذين يشكرون تهاون "السلطة الملكية" التي أهملت في استكمال الحسر الكبير بيلكو Pilco وبالتالي كانوا مجبرين على حوص النهر مسعين بأهل الخبرة في هذا وهم Chimbadores حيث كانوا يقومون بعملهم من خلال حفر فحوات عمري النهر ويجعلوه بذلك شديدة الخطورة في اخوض بالسنة لهؤلاء الذين يريدون عبوره دون إرشاداتهم، حتى أثناء فترات انخفاض منسوب المياه

هذه المعجزة التي جاءت من لدن محري نهر بيلكومايو تتكرر بعد فترة وجيزة ذلك أن خط السكك الحديدية يعبر نهرا آخر وهو نهر كاتسيموتشو Cachimochو الذي يعبر

(١) التاريخ الطبيعي والأخلاقي للهند العربية، الكتاب الرابع، الفصل الثاني عشر، الطبعة المشار إليها ص ١٠٦

وأدبا أكثر ثراء وكثافة سكانية كان نهر الكاتشيموتشو يخترقه الشهيرة وكان في
 كتاب الخوليات مدينة أراخويت Aranjuez في تشوكيسكا وحديقة لأثران كرم
 بالنعل بيوت وسط المناطق احصراء وهي بيوت ذات شبي من لأخمبة نسبت سلف
 الأسر في مدينة سوكري دور احداة إن استخدام أرض مكر تحويته و حدائق
 عمارات شجر الخور. ذلك أن احصرة في تلك الأصناف تعبر نورا عصبيا يكاد يكون نفس
 من أي حديقة فرنسية Chateau و بالنسبة لهذه امدار نحد أن السيد نوسو كورونيو
 كوكولور كورونيو وحدها نسيتها في إقليم كاتاريا وهو بيوت الأنسرف عبر نهر
 الصروري في هذا المقام أن يصحح ما قبله بذكر B. de Chet. وحتى يتولد الاصنع من
 المرء موحود في إقليم كاتاريا من الصروري الموضح بشكل كبر في مضيق لاسون
 والوصول إلى مدينة كيتو وفي المنطقة المحيطة بمدينة تشوكيسكا يمكن أن تكون مزارع
 مدينة أراخويت أكثر مضيقية أو بعض المدن القديمة حتى أصبح لها مكانة عظيمة في
 "السلسلة الأيبيرية"

يسير القطار بعض الوقت متحدة سيرا. وشيئا و... وكذا سرق الخور سرق
 الأندلس. ويتولد لديه الاصنع كرحلة باله مع في حمر... من سونين بعض صيد
 حيث يوجد محددات المرتفعات القريبة من سلك واحد... في نوسو كورونيو
 الحبيبة قد تخلت عن مكانها تتسح محار يرد وسبع وسبع... في وسطه
 تشكّن مدينة تشوكيسكا من الكثير من حدائق... ستر لحصده
 الشمس والهضاب

X- التحرر والولاء

تدخل الرطوبة الثرية والصلبة. في آن. في تشوكيساك وتعطيف - سنحرر - برهور
إضافة إلى نعومة تتناثر في الضوء الذي يتندبني المكن. ثم تأخذ شكلًا وبنو في وجهات
المباني وفي تصرفات السكان. إنها نعومة نحوب تنصاء وسرعة من منحني من الأرضي
الوليفية عند تجاوز المرتفعات الواقعة التي حور سلسلة لأسيرو. وعدم سوف يبرر
الرحالة إلى محافظة سانت كروت في حوض نهر لأسرو. تعتبر لأونية التي تحيط بكن من
مدينة سوكري وكوتشامب أمرًا شقيا بين حداث سدد الذي يربط في سرتنعت لأسيرو.
وبين الرطوبة التي ليست أقل سدة في معدت لأسيرو. إنها حقبة نورر حمر في تعتبر
بمثابة قاعدة لنوع آخر من النوارر الاجتماعي وسرخي قصص

نشعر بالدهشة إزاء العلوية لعنسي في سدد معدية - لأسيرو. ومن - لأسيرو
الرحالة، أي أنها كان يمكن أن يكون على ما - - - - - - - - - - - - - - - -
الأسبوية، وكأنها ثمة الأرض نفسها - - - - - - - - - - - - - - - -
بناها الرجال في هذه الأرض وسدوا حوضها - - - - - - - - - - - - - - - -
جهودهم أقل من ذلك لكنها مسنمة وشهد سدد سدد في حداث وشم لأسيرو
المرء ما الذي يثير إعجابه بشكل أكبر من هي مسنمة سدد سدد سدد سدد سدد سدد
خلال المدينة الإمبراطورية في مواجئة الإمبراطورية. ومن معدت سدد سدد سدد سدد
عليها مدينة تشوكيساك وحد السبد - - - - - - - - - - - - - - - -
الجنوبية، أن مدينة تشوكيساك هي مدينة لأكر عصبية سدد سدد سدد سدد سدد سدد
نضم الكثير من السكان حسني الهنداء على ما يمكن أن يجد المرء في سوتوسي
وأورورو Oruro وباث، وكونكو وهوانجا Huananga حيث يتعق - - - - - - - - - -

في تشوكيساكا إلى أشكال أكثر رقيا وتوازنا وأكثر أوروبية مثلما هو الحال بالنسبة لمقر كبار رجالات "الإدارة الكنسية والمدينة".

كانت تشوكيساكا تختلف اختلافا واضحا، مقارنة ببوتوسي، من حيث الهدوء، فبينما كان سكانها يقتتلون فيما بينهم لأي سبب كانت تتسم شوارع تشوكيساكا، حتى مع نهاية القرن الثامن عشر، عندما كان يخرج للتنزه فيها أحد كبار المسئولين في "الإدارة الملكية" كان التجار يغلقون محالهم لمرافقتهم وملاطفتهم. كما أن سكان تشوكيساكا كانوا دائما يدخلون - وما زالوا يفعلون حتى الآن - من الباب الرائع المسمى "عذراء جوادالوبي" للولوج إلى الكاتدرائية، وهي المركز الكنسي لأعالي البيرو، وكانوا دائما ما يشعرون، ولو كان ذلك في اللاوعي، بأنهم يدخلون مقرا ضخما. كانت الواجهة تنسب إلى فن الباروك، في نهاية القرن الثامن عشر، حيث نجد الكثير من العناصر الزخرفية التي يتأثر عنها هذا التناقض بين النور والظل ولها واجهات علوية منحنية انحناء رشيقا ودون الميل إلى الأذواق الخاصة بالسكان الأصليين. وهذا لا يعني أن ذلك كان تحديا لهم أو أنه أمر مفروض عليهم، بل إن الباروك هو فن يتسم بالرشاقة وأنه فن متفهم من أجل أن يبقى على جنسية مزدوجة هي الأوروبية والأمريكية

ظلت تشوكيساكا وفية للأساليب الأوروبية وظلت على ذلك عندما لم تتمكن الأمط المعمارية في المدينة من أن تقدم لها مدح نواكب العصر الذي تعيش فيه. وهنا فإن الكاتدرائية نفسها ومعها واجهة كبسة "عذراء حوادالوبي"، تفصح في داخلها عن دقائق أسلوب الروكوكو الفرنسي في أشئ صورته. وإذا ما أردنا نمودجا أدق لوجدناه في كنيسة سان فيليبي نيري التي أقيمت خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، حيث تمثل تعبيرا عن أفضل عمارة تسير على قواعد هذا الأسلوب في تلك الأصفاع وكذا الرعية في أن نواكب الحياة في العرب التي كانت تحكم تشوكيساكا

يدعونا هذا النموذج لتأمل، ليس فقط من الدحية احتمالية بل من الناحية السياسية، في تلك الواجهة الرشيقة وما عليه الأبواب في كنيسة سان فيليبي نيري من جمال، وما عليه أعمدتها المربعة pilastras التي تتسم بتوازنها الرائع، كلها تعبر عن التأثير الفرنسي الذي كان ينفذ من خلال ميناء بوينوس أيرس ويصل إلى قلب أمريكا الجنوبية، حاملا معه الكثير

من المخاطر على الأملاك الأسبانية في القارة الجديدة. غير أنه سوف يكون خطأ كبيراً القول بأن استقلال الهند الغربية كان قد انبثق بشكل مباشر من الأفكار الثورية الفرنسية. إذ ركز الاستقلال عملية شديدة التعقيد حيث تضافرت مجموعة من التيارات والتوجهات دون الأصول الأيبيرية مثلما نجد ذلك في تاريخ استقلال بوليفيا التي تعتبر مثالا واضحا في هذا المقام.

ومن الأمور ذات الدلالة والفائدة القوية في هذا المقام زيارة المنى الذي اجتمع به أول 'برلمان للجمهورية' بما فيه من سقف من زخارف على شكل القصص الحسية والكورس المرتفع، على الطراز الباروك والمستتر *oculto* الذي كان يلقى ضوءاً مصلحاً موضوع فوق اللوحة المحاطة بالأعلام والخاصة بأجراال سوكري *Sucre* ولا ينكر للرحالة إلا أن يتذكر كنيسة سان فيليبي نيري التي اجتمع فيها أشهر زعامات 'برلمان قادش' حيث شاركهم في الحضور عندئذ بعض النواب الأمريكيين من البدهي الإسبانية. أن المقر الذي اجتمع فيه ممثلو بلد تعداد سكانه مليون نسمة هو أصغر من المقر الموحود في العاصمة. ومن البدهي أيضاً، سواء في مدينة قادش أو مدينة سوكري، أن الأماكن النهاية بشكل أفضل لمثل هذه الاجتماعات هي المنشآت الدينية. إلا أن المستخدمين المعنادر لهم، وهم رجال الدين، لم يتخلوا عن القيم بدور مهم في احسان كست الهيئات القديونية والسياسية الجديدة تريد أن يطعم بعضها بعضاً على شاطئ الانططفي سيرا على موروث قديم. وهنا نجد أن سيلبيو تابالا^(١) يقول 'هؤلاء الذين قدموا ضد المعركة من أجل الاستقلال بالدفاع عن مفهوم الحرية في الحياة غير ملزمين بالتحسين عن اماضي الأسبانو أمريكي في مجمله، ذلك أنه يتضمن فيما يمكن أن تقدم المساعدة ولتحقيق لذلك الدفاع نفسه'.

وكان على مدينة تسوكيساكا أن تكون المركز القائد في الجمهورية الجديدة، لأنها كانت كذلك في عصر نيابة الملك: فإبتداء من أعالي البيرو والحدود الخاصة بتلك كانت تتوافق مع الحدود الإدارية التي تتبع 'السلطة الملكية لشاركاس'، ونحقق الاستقلال دون أي قلاقل داخلية قد تذكر. وحقيقة الأمر أنه في عام ١٨٠٩م انفجرت في كل من

(١) 'الفلسفة السياسية الخاصة بعرو أمريكا' المكسيك ١٩٤٧م، ص ١٥٣

تشوكيساكا ولايات انتفاضات عفوية، غير أن هذه الانتفاضات وكذا القوات الانفصالية الأرجنتينية التي أخذت تتقدم نحو أعالي البيرو ميث بهزيمة على يد الملكيين، الأمر الذي يشير إلى أنه أثناء حروب الاستقلال الأمريكية عاشت الأراضي التابعة "لسلطة تشاركاس" بشكل سلمي تحت إشراف الجيش الأسباني إلى ما بعد الانتصار الذي تحقق في أياكوتو Ayacucho حيث لم تكن محافظات أعالي البيرو جزءا من هذا الاستسلام

عندما تقدم الجنرال سوكري في أراضيها لم يكن من الصعب عليه أن يقضي على القوة الأسبانية في توموسلا Tumusla ؛ إلا أن البلاد أصبحت تعيش موقفا فيه حيرة وكأنها مركب في مهب الرياح، وأسهمت في ذلك التغيرات التي حدثت بالنسبة لحدودها الإدارية أثناء العقود الأخيرة للنظام الاستعماري. كانت المدينة تتبع بيابة الملك في البيرو حتى عام ١٧٧٦م؛ لكن عندما تم في ذلك الحين إنشاء بيابة الملك الجديدة وهي "ريودي لابلاتا" جرى ضمها إليها، ثم جرى انفصالها وإلحاقها من جديد بالبيرو عام ١٨١٠م خوفا من الفورات الثورية في بويسوس أيرس. وهذا قبل منطقة أعالي البيرو والكائنة في مرتفعات الأنديز انتعدت ضد ذلك حين عن التمدد محبطة بها من خلال نظام استقلال ذاتي فعلي بالنسبة لبيانات من التي عاشت حالة ساحر فيما بينها، وهذا ما أدى بها إلى أن تصح دولة مستقلة تحت الإشراف المباشر لسوكري وكذا الإدارة العبد لوليمار "المشرع" الجديد للجمهورية الوليدة

كان ذلك واحدا من المواقف المهمة التي كانت في خريطة العالم الجديد خلال القرن التاسع عشر، رغم أن الأمر كان يقتصر في هذه المظروف التحول الضروري والملح مثلما كان يحدث في أغلب الأحيان بالنسبة لما كان قائما سلفا كانت مراكز التعدين ومدنها العجيبة التي أسسها الأسبان السب الجديد وراءهم الجمهورية الجديدة ورغم أنه كان يتواجد بها نسبة كبيرة من السكان الأصليين من ذوي السبلان الأمريكية فقد تأسست كافة المدن البوليفية المهمة - مثل لاماث وأورورو وسوكري وكونشاماما ووتوسي وناريجا... الخ - على يد الأسبان، كما أن العالبة العظمى منها كانت مطوعة بالعقلية العربية وأنماط حياتها وذلك بسبب الدور الحاسم الذي لعبته في شروق شمس العالم الحديث.

وخلاصة القول هو أن بوليفيا هي موروث بونوسي أي السل والموروث الأليسي
ففي تلك الفترة التي صعد فيها سيمون بوليفار إلى أقصى مكان مرتفع في 'مرتفع لفصنة
Cerro ليعلن للعالم نهاية ملحمة، توقف استغلال مناجمها وكذا كافة مساحة البلاد تقريبا
بسبب التوترات الاجتماعية الناجمة عن حروب الاستقلال وماتلها من حروب أهلية،
أضف إلى ذلك هبوط سعر الفضة في الأسواق العالمية. وفي هذه الأثناء كانت مدينة
الإمبراطورية يبلغ تعداد سكانها عندما زارها بوليفار ٢٥ ألف نسمة، ثم أخذ ينقص
بسرعة حتى وصل إلى ثمانية آلاف نسمة. وبذلك تحولت إلى رمر حي لما آلت إليه البلاد

كان يمكن أن يقوم البلد المحاور، براحواي، بالانعقاد عن باقي أنحاء العالم. وأنه
حائطا للصين تحت إمرة الجنرال فرنسا. والسبب أنها كانت أثناء فترة الحكم الأسباني بلد
ذا اقتصاد مغلق بفضل نظمها الكسبي المسمى *hortus reclusus* عبر أن حالة التوبية
كانت على التقبض تماما من حالة السائقة فقد شكلت اليونوب المعاشة أيضا في أعالي البر
توجهها بعدم الانعلاق وعدم العمل على البحث عن الكسب الهدي من الافتتاح على العالم
أجمع استناداً إلى قاعدة اقتصادية مرتبطة بالتبادل التجاري الدولي المحصلة بدرمي
التهاوي الصارح للثروة الرئيسية للبلاد الأمر الذي جعلها تعرف نفس منع التي نعرض
لها بلد من آسيا وأمريكا خلال القرن التاسع عشر

في منتصف ذلك القرن كانت احرارة البولسية تنمو على بصرائب التي يتم تحصينها
على نبات الكوكا وكذلك الاحتكار التجاري لمادة الكسب. وبه يكن هذه الدجور
أهمية مقارنة بذلك العائد من وراء استغلال مناجم الفضة. أصب إلى ذلك أنها غير مستقرة
وفي نهاية القرن أخذت تحرة مادة الكسب تهوى وكان على بولسا العمل على الإنقاء على
وجودها الصعب من خلال البحث عن بديل وذلك من خلال استخراج الكونشوك، عبر أن
عندما أصبحت البرازيل جزءاً من محافظة أكري Acre، اعصاراً من عام ١٩٠٣م حدث دور
منع بوليفيا من احتياطاتها المهمة من هذه المادة الخام الأكثر أهمية وكان ذلك قبل وقت قصير
من قيام شيلي بالاستيلاء على منتجات 'السماذ الصاعبي' *guano* عندما أحررت بوليب
على التخلي عن محافظاتها المطلة على الشاطئ. وعلى هذا لم يكن أمام هذا البلد إلا العودة
إلى العمل القديم وهو استغلال المناجم. بالاستفادة من ارتفاع الأسعار العالمية للبرود
المستخرجة، رغم أن هذا الاستغلال لم يصل إلى استخراج المعادن 'الثقبة' بل 'غير الثقبة'

مثل النحاس والقصدير . وأصبحت الأنشطة الصناعية رهنا للتذبذبات المصنية في الأسواق الرأسمالية .

لم تتوفر الجمهورية الصغيرة على قوات للدفاع عن أراضيها في مواجهة جيرانها الأفضل تموضعا وتوسعا . كما لم تتمكن من ذلك في باب الاقتصاد العالمي . كانت بوتوسي في موضع القلب منها . لكنها كانت قطعة جوهريّة في الماكينة الاقتصادية الضخمة آنذاك . أسهم تفكك الإمبراطورية الأسبانية الناجم عن المشاعر الوطنية المتأججة في قطع تلك الشبكة الضخمة من العلاقات التي كانت ضرورية لبوتوسي وتركها بدون حماية تواجه مستقبلا مليئا بالمشاكل . وعندما نتأمل الخريطة الشديدة التفكك التي كانت عليها أمريكا اللاتينية خلال القرن التاسع عشر سوف نجد أن أغلب الموارد الضرورية لاستقلال بوتوسي وكذا غيرها من مراكز التعدين خلال العصر الكلاسيكي كانت تأتي من أقاليم خارج البلاد .

وعلى هذا أصبحت هذه المدينة تعيش موارث صعبة بعد أن كانت من أكثر المناطق طموحا في العالم الجديد وأكثر مدنه أصالة . ومن جانب ورثت ذلك الثقل الميت لذلك المجتمع المصطنع الذي كان من الممكن أن يعيش فقط . بفضل ظروفه الجغرافية الفريدة والسياسية : التي تدخل في تراكم معقد ذي طبيعة اقتصادية وسياسية . ومن جانب آخر ورنّت المدينة أيضاً روح التطاحن والنوصي التي كانت تسمو الواضحة في مناسبات أعالي ليرو أثناء أفضل أوقاتها وقد راد هذا التصحح بسبب التوجّهات التي سادت خلال القرن التاسع عشر الأمر الذي أسهم في إضعاف مستوى التنمية لبلاد وتفكيكها بسبب سلسلة من الحروب المؤسفة بما فيها آخر حرب صدّ سرحواي من أجل سيطرة على تشاكو Chaco .

تصبح بوليفيا إذن بسبب مصيرها غير العادي بلدا مربصا هو مريض جغرافيا وكذلك في كل نواحي الحياة الاجتماعية . وليس هناك أي بلد آخر في عالم أسسوا أمريكا المثير للمشاكل يستحق دراسة إكلينيكية مثل هذا البلد . وليس هناك أي بلد مثله قام كثيرون من الأجانب بإصدار أرائهم بتوصيف أمراضه . هناك الكثير من الأرفف التي قلّوها تقارير الدراسات الخاصة بشأن الثروات الطبيعية في البلاد وحالتها المالية والإدارة الضريبية والملكية

الزراعية والتربية العامة ووسائل الاتصال... الخ. كما لا تقدم الدراسات التي يقدمها المؤرخون، وهنا نجد أن أحد العارفين بماضي هذا البلد وحاضره وهو لويس هاسك يقول بأن "الموقف الحالي في بوليفيا يرجع إلى عام ١٥٤٥ أي تاريخ اكتشاف تلك الثروة الطائلة من الفضة في بوتوسي، والتي سرعان ما تحولت إلى واحد من أشهر المناجم في العالم".^(١)

هناك بعض المؤرخين الذين يقولون بأن بوتوسي هي المسؤولة عن فرض نمط اقتصادي اجتماعي ضار، حيث أعلى من شأن الربحية السريعة للمناجم وترك الزراعة مهملة لدرجة أن غمواً كان معرضاً لخطر شديد وأسهم في استمرارية مجتمع إقطاعي لا يعدم المنطق بشكل ما الطرح الذي يقدمه أولئك المؤرخون، شريطة ألا ننسى أن بوليفيا مدينة لبوتوسي ليس فقط بالأنماط الاجتماعية الإقطاعية بل بتلك الأخرى التي كانت شديدة التقدمية على زمانها كما أنها تدين لها بوجودها خير أو شره. هناك احتمال كبير في أن يكون مستقبل بوليفيا في الزراعة والرعي، وليس في المناجم، وخاصة الرراعة في المحافظات السفلى وهي بني بني Beni وسانتا كروث. لكن ما لا يمكن التنبؤ به هو أن الأسباب لم يقوموا بوضع نظام لاستغلال الثروات الطبيعية، قائم حتى اليوم، سواء خلال القرن السادس عشر أو الثامن عشر.

ورغم أن هذا البلد هو واحد من الأقاليم في الهند الغربية التي دفعت ولا زالت ثمناً غالياً لانضمامها السريع والمثير إلى العالم الغربي، لا يرى بين سكانه، وربما كان ذلك على الأقل سائداً بين أوساط المثقفين، تلك النقمة على الماضي الأسباني الذي يرى في جمهوريات أخرى واضحاً من تلك ذات الطبيعة الأفضل وكذا المصير التاريخي. فهؤلاء الناس الذين يعرفون تاريخ بوتوسي بعمق وكذا تاريخ باقي المدائن الأخرى في أعالي البيرو. يعرفون جيداً تلك المعاناة والكوارث التي تحملها السكان الأصليون. وليس من الضروري أن يكون المرء على دراية كسيرة بالوثائق التاريخية، إذ يكفي التنزه في الأحياء الشعبية لاكتشاف آثار ماض قاس في المنازل وأنماط الحياة وعلى الوجوه الصامتة لسكنها غير أن الأفراد الأكثر وعياً بالمصير التاريخي لوطنهم، ليس فقط بالنسبة للماضي بل فيما يتعلق بالحاضر والمستقبل. وكذلك انخرطهم في أحزاب سياسية تنوي القيام بتحويلات

(١) أمريكا اللاتينية (درة في مرحلة نمرة) المكسيك ١٩٦١م، ص ١٦٧

اجتماعية عميقة وهذا ما فعلته، رغم ذلك تدرك كلها أن مصير البلاد لا يرتبط أكثر بأهواء الذين يقومون باستغلال المناجم بل بالمصير المزدوج الذي وهبها المعاناة والفقر وكذا الفخار المذهل والمفاجئ وكذا كيائها فوق كل اعتبار.

ومن الأمور المثيرة للدهشة في التاريخ أنه لكي يتم البدء في المراحل الدينامية لما قبل الرأسمالية في العالم الحديث، هذا قبل إغراقه بشكل مسبق بالنقود، هو الإفادة من نشاط شعب يجهل استخدام العملة. فإذا ما كان هناك بلد من البلدان وجد نفسه يسير على أحد الأنماط الاقتصادية التي هي على طرف النقيض مما كان ستطبقه الرأسمالية الحديثة فإن هذا البلد هو الإمبراطورية الجماعية لثقافة الإنك. فمن خلال لعبة سيئة لعبها القدر نجد أن الفلاحين الذين كانوا يعملون في الزراعات المشتركة ويسيرون على عاداتهم، تحولوا إلى جماعات ما قبل البروليتاريا وذلك بفضل الظروف الجغرافية والعرقية كما أنه لعب لعبة سيئة أيضاً بالنسبة لأصحاب الأعمال في بوتوسي، فهذا الموروث العظيم المتمثل في المرتفع الغني بالثروة لا زال يحدث تأثيره السلي على الناس من ذوي الأصول الأسبانية من أبناء القارة العجوز. وإذا ما نحينا جانباً تلك الطريقتين التي تساق حول عدم القدرة النظرية. وأخذنا نبحث عن سبب تاريخ محدد ودقيق به الملامح الرمزية لاسم ويساعدنا على فهم جوانب القصور الرئيسية في عقلية الأسبان وسلوكها الاقتصادي سواء كان في أفضل لحظاته تاريخياً أم اليوم فلا يوجد سبب آخر يصارع ذلك الذي عمله ذلك الاسم الأسطوري وهو بوتوسي.

وربما يندرج تحت هذا الاسم أيضاً أحد أكثر الدبوس التي يدين بها الأسبان للإنسانية، وليس هذا لأسباب اقتصادية فقط ولأن لأسباب أخرى أكثر قوة تنصل لدرجة الملحمية. ولهذا أيضاً فإن الحنين الرومانسي للثقوية البولندية لا يمكن إرواؤه بواسطة مفاهيم ضبابية ترجع إلى ما قبل العصر الاستعماري ومن هنا فإن الأطلال الأكثر شهرة في البلاد، وربما في أمريكا الجنوبية كلها، وهي أطلال تياوانكو Tiwanaco، لا يمكن أن تكون ذلك الجذر الرومانسي لجوانب ثقافية للسكان الأصليين، على شاكلة ما هو موجود في كوثكو أو المكسيك. ذلك أنها كانت أطلالا ترجع إلى وقت بعيد قبل مجيء الأسبان. والأولى في هذا المقام هو أنه بدلاً من إرواء العطش الرومانسي من أطلال معبد لا تعرف عنه شيئاً يجب إرواء عطش قلب البلاد من خلال ما هو موجود من الكتل الحجرية والوثائق

والأساطير التي تعيش عليها المدن التابعة لنيابة الملك والتي نجحت في أن تعيش فصلاً من
الفصول المضنية والرائعة - والمأساوية أيضاً - في إطار التاريخ العام للعالم الغربي.

XI - بحيرة تيتيكاكا من حيث أنها متوسطة

كانت المياه الداخلية ضرورية لتطوير الحضارة في صورة حرعات مناسبة تصل عن طريق نهر أو المتوسطي. غير أن أمريكا الجنوبية ليس بها إلا القليل من هذا، فقيما يتعلق بالبحار الداخلية نجد أن أمريكا الوسطى تتوفر على خليج المكسيك والكاربيبي. أما أمريكا الشمالية فتتوفر على البحيرات الكبرى ولتعرحات العميقة في الشواطئ. لكن أمريكا الجنوبية تتولى استغلال شواطئها بشكل حاسم ومعقد وهذا ما يصل إلى أقصى مداه على الشاطئ المطل على المحيط الباسفيكي بسبب مرتفعات الإنديز أما بالنسبة للأنهار فإن كثرتها المبالغ فيها وكذا الحافة الساحلية المسيطرة جعلت من هذه الأنهار غير صالحة في كثير من الأحيان لتطوير الثقافة البشرية وهذا أحد الأسباب وديان الأنهار، وهو وادي نهر بلاتا، أخذ يقوم بدور مهم ليس منذ وقت بعيد.

غير أن القانون العالمي السائد هو أن البحيرات لا تتواجد في مناطق لشربه الكبرى لم يجد عن مساره في حالة أمريكا، بل تالفاً ما وجدنا أنفسنا بسبب أنه تم لوفاء به بالكامل. توفرت أمريكا الجنوبية استغلالاً كبيراً. تسمى السانقة على العصر الاستعماري، على المتوسطية Altiplano. وهو عبارة فيل إلا أنه يمكن أن يفخر بوجود اسمه مقارنة بأسماء أخرى ذلك أنه ليس فقط موجوداً في سوترة ومحاطاً بالأرض من كل جانب بل يقف فوقها على ارتفاع شاهق أعلى بكثير من المرتفعات الموحودة في شبه جزيرة أيبيريا، أي أنها على ارتفاع ٣٨٧٠ م فوق مستوى سطح البحر.

ها هي بحيرة تيتيكاكا التي يبلغ مسطحها المائي ثلاثة أضعاف أكبر بحيرة أوربيية وهي كونستانزا Constanza إضافة إلى عمق مشابه لها، تصمم تروية مائية قادرة على حماية نفسها من التغيرات المناخية في الفصول المختلفة والقيام بدور الوسيط في المناخ العام وهذا يعني

القيام بملحمة حمراء حقيقية نظراً للظروف غير المواتية المحيطة بهما والذي لم يستطع عليها
التدهور المستمر والبطيء. اكتشف المحولون وجود قاعاء من العنبرين بوسع عملاق
انخفاض مستوى مياه البحيرة حوالي ٢٥ متراً وانخفاض كثافة المياه إلى النصف. سجل
العلماء أيضاً وجود بحيرة أخرى مجاورة لكنها أوسع من الأولى. كانت سمات على مياه بحيرة
تينيكازا لكن لم ينق من هذه البحيرة إلا بحيرة بويو Poyoyo. حدثت بحيرة عويها المنة
القادمة من تلك لينحول الأمر بعد ذلك إلى مدخه شمسية مستقيمة

ورغم أن الأسرار لم يأتوا من بلد قحيل، لم يردوا من فهم هذه القصة العنصرية
التي تمثل في تبخر المياه وافترضوا أن المياه تنحلي لها "فلا يمانع من الأرض ثم سور بعد
احمال. كما هي العادة بالنسبة للنساء في البحار، إلى البحيرة". كان هناك سبب احتلاسي
وميتافيزيقي حتى يفكر الأساسي على شاطئ البحيرة "بحيرة" عبارة عن انهار يقسم
البحر/ ألا وهو بحري الموت". غير أنه من المهم عدم الخلط بين حالة بحيرة سكر
بقلب المفهوم الخاص بأنبات الشعر السدنة. حيوانا عذراء. وسوف نشعر شولا
الدين لم يقرروا أنبات الشعر من مرنه حور حتى صار في البحيرة عندما يعبرون على
شواطئ البحيرة، ويعرفون، كما يعرف المحولون، أن البحيرة ليس المقصود النهائي
بل هو أصل مياه البحيرة. الأمر هو أن البحيرة ليست سوى مجموعة من المرتفعات المحيطة
بمجموعات من المرتفعات المحيطة. انبثاق من البحيرة إلى أربعة آلاف متر
ارتفاعاً. وفي هذا المقام هناك دليل دافع على ما ذهب إليه المحولون من أن مياه البحيرة لا
زالت تشهد وجود أحياء مائية. ١٠٠٠ م. وعلى مدار مائة
السنين ابتداء من ارتفاعها من تحت البحر ويوم. ١٠٠٠ م. على المياه العذبة
والباردة للبحيرة من خلال بعض البحيرات التي كانت أحياناً حبيبة

هناك الحد الأدنى من الشد نحو من البحر الممتدة أو، وبالنسبة لبحيرة
تينيكازا دوراً حيوياً بهذا الشكل على مدار تاريخ البحيرة. وبحيرة سكر من الناحية
الاقتصادية أو من الناحية السياسية والدينية. وعلى شواطئها يمكن استئصال اللاما Lamas
وممارسة نشاط الزراعة وخاصة في النباتات الدربية الضرورية لعداء شعوب العالم الجديد
وكذا القارة العجوز مثل البطاطس. وعلى شواطئ البحيرة أيضاً أقيمت الآثار التي ترجع
إلى فترة ما قبل التاريخ في أمريكا الجنوبية سواء في القطع الشمالي للبحيرة، أي في بوكرا

Plutarch. على الأراضي البرولية، أو في الحبوب، في نيبوات كيو (Chunabaco). وكسبه
تدفوت سائمة على ثقافة الأنت ما جعل جزيرة تيبيلي موحدة ومتممة بمياه بحيرة تشوف
موجود أحد أفضل المصانع العسكرية وبمباني تسحت جزيرة مهند ستتمس بوجود من
حديقة بعد الطوفان منها هي أيقنة مهند موكبهم

تعتبر نيبواتكو واحدة من استوائهم الأكثر قدم في ثقافات يهدية بني عذنت فليس
يوصون إلى مستوى الحياة حضارية ونهادا بسبب تقييد حد أن كانت آثار معنوية وغير
مربة ورعه أن المرء يمكن أن يشاهد شرافة حد رحو لا روية لا يستطع ريد عده
دقه استعور ساحرة من الصعاب من ساسة سيديون ومحققين أن محض هذه
مجموعة من المحدثات واحتر والأكو دلي وحده وحده، ولا أكثر من حد يمكن من
يكشف عن المعدل الاجتماعي والديني يهد حيد معسري عملاق سدي ثمن في بقرة
على نقل كتل حجرية يبلغ وزنها ستة طن

كانت نيبواتكو حقلًا من الأضلاع عمدا، وصل إليها الأسس، كسبه به يسكنو من
معرفة الكثير عن أصولها وهذا هو السرس درو تيب دى بيون حضوية معارف خلال عصر
للهضة بطوف بأشهر الأماكن لأتربة في سروز حيث حد معصب وقد ستمر أربعة قرون
فيل أن يكتشف 'و' ويحصل من السكان لأفيسين الذي ساسه في نيبواتكو، على حدة،
كن هذه الإجابة ثملت في أنهم سمعو من حد دهم ر أصبح شراح في حد و وحدوة
هناك ' كما لم يكن من الممكن في تيبواتكو ساسة سروز سديني ثمن من حد في
لأنا الإنكية، ولم يجد هذا الفارس (1571) لا سمور مهند لأفانصات حقيقية وسطي
تكسها المحاطرة وعبر عن اسمه من خلال عمار - سبع في عشر نهضة تشوف ما به يته
تغور في هذا العالم الحديد للهند العربية على حروف مكتوبة فليس سديلا لا حد من
بالسة لكثير من الأمور "

غير أن الاعتماد على "أحدس" وأن لا أمور عميقة لا ينقص من لأمر شيد من
جعل الكتل الحجرية التي ترجع إلى عصر ما قبل الاكتشاف ذات مذاق تاري بمعنى آخر في

منقطة منقطة من المفردة البوبية التي تعني المدينة وهذا العمود الراديكالي سدانية في
 حدة العالم الجديد هو شديد نفوذ من احصى عنه من المديرة - وكذلك قبل اتصال
 تهاون كوتو كوتو بسنة ١٨٤١ على بعد رمي من عدة قرون الأسر الذي يستلث الفكرة
 برمية التي تنصل بينها وبين الأهرامات المصرية عبر أنها تسم بأنها أكثر عموصت بعد
 السب نفسه ترك لرمز التاريخي بصفته على الأهرامات من خلال لسفوف من الهندسة
 استغنية على حوائطها واستمر حتى يومنا هذا كأمر من لشكر لكنه مرتب طمأن لكس
 الحربة في بيهوبك لا تحمل أية نقوش كدسة كدسا أو المرحلة الرسمة التي ترجع إليها
 قطعت وحدة ولا يري منى وكيف. قبل أن يكون بالأسر الأوربي الواحد هناك

لأنه ما حدث كل دراما ومناخنا وهذا سبب السطوح الربيع المنقوش في لمحتج
 الذي قام بتشييد معبد تهاون كوتو باستخدام كل حربة سبلة للعبادة وخلوة من ححر
 معبدة وفي سلسلة حذر الإندس كتب المعادة نغم بدل حمد عسدي الذي يكاد يفسر
 درجة الخبولوجة وهذا ما كان يحاور الخلفاء من عدة عصور في كل مكان في
 المحنات موحدة في تهاون كوتو ونحت ملاس وفي الرسمة ووراء ملامح الوحوش
 التكنة ذات الشكل المعقد الروان وبالحق في هذا السبب من معاناة الحصة نواة
 الشمس الشهيرة حيث تبدو وكأنها مضمون على سطح المذوبة من كتلة حربة
 واحدة وكأنها رسومات لنقطة سحنة سحنة على سطح واحد وانطلاق من السطح
 اخاص في المواءمة بين لتأثير حداثي للعبادة سبب من تصور التريب أم العبد
 نعتبر 'نواة الشمس' وهي عذقة في السبب من هذا واحد من الآثار الأكثر
 تفردا في الصور التي ترجع إلى ما قبل عصر الاستعمار

لكن ليس من حق الشمس كهو من سولي على ذلك لأن رسم أنه يسبب إليها
 حسب التعبير الشائع، فذلك الإله الذي سراه في السبب من لوكد أنه براكوانشا
 Viracocha، وطبقا للأب أكوسنا حرج هذا الإله من حربه كرى هي تيبكا واستقر
 به المقام في تباحواساكو Inaguanaco قبل قيام امير طوربة لانت على يد الهود
 'الكوياس' Collas الذين يقيمون في إقليم تيبكاكا ونظراً لأنه يطلق عليه اسم كويار

١١) المؤلف مقالات حول الفن والمجتمع. مجلة العرب العدد ١٩٥٥. ص ٦٥ وما بعدها

Collao) فإنه يحاط بالأساطير والأرباب الذين لهم صلة بما هو مائي، وهذا ما يعرفه من خلال الشاعر جارتيلاسو دي لايبجا " من سلاله الإيث، الذي يعتبر أفصل مفسر للميتولوجيا والتاريخ في وطنه أفصل من كتاب الحوليات الأسار، نظراً لمعرفته لغة السكان الأصليين وصلته القوية بتلك الأساطير والوقائع مثلما "رصعتها أب" ^{١١} كان اليهود "الكوياس" يفخرون طقناً لما يقتضيه عليهما الكاتب الكبير بأنهم من أشياء كثيرة ومعهم من بحيرة تيبكাকা وآخرون من يسوع كبير، ومن نهر أو من "كهوف ومن أماكن صيقة ذات صحور كبيرة"

وفي الوقت الذي استمر فيه طسعة العقيدة الدينية للسكان الأصليين شائعة من هؤلاء الذين يعيشون على شواطئ بحيرة تيبكাকা تطلت المبادئ المتولوجية الدينية مسطرة على المكان وشمل ذلك بكل تأكيد تباهاواكو كما أن العبادة الممثلة كانت شديدة الارتباط ببعضها البعض مثلما حدث ذلك مرات عديدة في الفترات الأخرى ^{١٢} استاء من مصر وحتى اليابان وكان ذلك من خلال تأسيس نظام سياسي مركزي، والنشء نفسه حدث أيضاً مرات عديدة في حال الأندلس حيث استلمت الأساطير الخاصة بالبحر بالأساطير السياسية وأبرزت مرة أخرى في العلاقات العنصرية بين الآلهة والملوك وفي هذا السياق نجد جارتيلاسو دي لايبجا يردد هذه الفكرة عندما يكتب أن الإيث العاشقين والنلاسة والعماء في أحدهم يسمونهم بـ "البحر" وسميت الشمس أو أشعتها على بحيرة تيبكাকা بعد أن امتدت إلى البحيرة ووعدها أن في ذلك المكان نفسه ستقع أول توبوغرافيا من سلسلة البحيرات وعلامة أولئك الأساطير وإخراجهم من الطور الحيواني الذي كان يسمونهم به "موتوات" و"لات" ^{١٣}

فرض الإيث اعتبار تباهاو دي لايبجا من أن ذلك حدث في مكان ملائم للتغير، ووجد الإله الأندلسي بعد ذلك في البحر البويسي (Poetsidón) للإله ريويس الذي جعل من أمهات البحيرات والبحر وشمس خليبات السياسية. لكن رغم التدهور الذي حل به إلا أنه لم يهرم، وكذلك الأمر بالنسبة لبحيرة

^{١١} "تعلمت فعليه من الإيث" الكتاب الأول الفصل ١٠٠٠ لايبجا جارتيلاسو دي لايبجا الإيث

BAE - مدريد ١٩٦٠م الثاني، ص ٣١

^{١٢} العمل المشار إليه سابقاً، الجزء الثالث، الفصل ٢٥. قصة تباهاو دي لايبجا، ص ١١٩

تنبكك التي لم تهرم بأضعة لنفسك حارثة وفيك دك. عذرا بتفقر مسوينا ليل
مبها تفسح المحل أمام أراضي رضة وصارحة وتعتبر فاك ثريدة في المرتفعات مقار
سطح الحيرة

[illegible]

هناك مساحة صغيرة من هذه الأرض منبسطة ، يسمونها سوحى ، يقطع
كانها ترعت في ناسحت من مكان قريب من الأرض ، هذا هو حجر بعض الشيء في
اكتشاف مياهها ، موزعة تحت سطح من السطح ، في بعض الأحيان تسمى بـ
الطير الواقع على حافة سحيرة ، وإذا كانت السحيرة منبسطة ، يسمونها سوحى ، وإذا كانت
تحت الحيوانات تدخل إلى تلك المساحات المائية ، ولا تسمى سوحى ، وتطهرها ، ويكن
القول بأن هذه الحيوانات تلتل نفسها مقدومة بعض الشيء ، من مسطر على المرتفعات
وتتحول إلى حيوانات برمائية ، أو أن الثيران غير حريصة الحرف نفسها ، وهما هي غابة في
الهدوء - لعدم خبرتها بعالم السوائل ، يتقدم ساس ، يعنى من تتوارب المصوغة من
الأثل junco الأصفر والتي يطلق عليها تونور a l a n d ، ولها فلاح من مادة حمام نفسها ،
يشقون عباب المياه للصيد ونقل الصانع أو بيعهم شعة لبعض ، كسوع من الاحتجاج على
مضبرهم ووضعيتهم في هذه الجحراف ، في مجموعة من شوى لعنمة

وسرعده من ثكن الأوريبور. وهم ناس يركبون النحار. من اتحاد مواقع لهم في
 وسط البحر المتوسط العربي الذي يقع وسط المنطقة الحلية. وأحدوا يبحرون فيه
 ويسمونه. ولقد وجدت في ليون السفن الشراعية ذات القلعيين bergantines لحوان
 وأربزو الرجل الذي يهوى قيس أعماق ذلك البحر الصغير. ومن بين الظواهر المهمة
 التي ركن وراء أجهدي الذي يدل في عمية العرو كانت عملية أعداد مساقط للمراكب على
 الأرض projection وذلك بسوق مياه بحر الخسوف وكذا تحيرات امكسيك أو بحيرة
 بيبيكا وكانت قدفت سنة متحقيق. لأن الهدف الأصعب في السلوع كان هذا الأخير ولم
 يكن ذلك بسبب ارتفاعه الشديد بل لعدم وجود أحشاش صالحة لساء السفن على مدار
 مئات الكيلومترات في أحوار

له بحر هذه المركبات القصورى ثم ووجه على مدار سنوات كثيرة في بحيرة
 بيبيكا وسرعت من ثكنت بها فاعترضتني كبت نهج على امكان طنفا لما يرويه لسا
 ذات كوست. وأحد في الأعسر هذه معاصر هذا المركب التي تقوم بأداء مهمة نقل
 بريد بين مياه حواكي الالهة. ان يوسف يوسف هو هذا إلى البرو. كانت على شكل
 جثث على شكل المعنذ في المراكب التي تسير على سطح بحيرة حتى تفصل إلى شكل
 بندشى مع تلك التي تنحرف في مختلف المساحات المركبة في ورس هول الإغليزية
 وتمت هذه قطعة قطعة على ظهور الدواب. في هذه المساحات هو حاد في المركب
 ذات الصاريين التي حدثت عنها في هذه المساحات. في هذه المساحات هو حاد في المركب
 لم يكن هناك حتى ذلك الحين حقله من هذه المساحات. في هذه المساحات هو حاد في المركب

كانت هناك خطوات الأبحر. في هذه المساحات هو حاد في المركب. في هذه المساحات هو حاد في المركب
 التي يقوم بها رجل الحمرك. وكانت هذه المساحات هي حاد في مياه بحري
 حقيقي. فكان يسمع صوت بكرات والسلاسل. في هذه المساحات هو حاد في مياه بحري
 سريت. كل ذلك في إيقاع يتدغم مع دسوس سميرة على التبدد التي يمثلها بعض
 صايط البحرية الذين يرتدون الزي. وفي هذه المساحات هو حاد في مياه بحري
 إلى ظهر المركب واكتشاف تلك الثمة السعيدة محسوسة حديد في "سلسلة الملكية" يتبادر
 إلى ذهنه أنه يعادر أحد الموانئ الموحودة في المناطق الحلية المنصبة على البحر الأبيض المتوسط
 أو الرويج في فصل الشتاء ذلك أن عيوبه اعتدت روية سطح مياه على أنه أمر عادي

والمحل لقول هو ان شهيد انصار مينو وجدا لانت. حيث تأخذ نيبا في كنيست
 من مدرك وتصفح غير مرتبة بعد ذلك بسماجد مشوء في لأغنى لا يكذبته في كاست
 شمس هي لعصر سبطر على شقة برقاء صور السهار تم يتمد ثوب بعد معيها وفسر
 عباد بر حلف بين ان لا يوشح خسر في شفق سحود و سبب عموال لسحود فوق كبرة
 نبيك ك تنسب ككثتها وكثرتها وبلا لا ككثتها - شفق حيث لا يدو كونه ككثتها عن قرح
 شمس من هي حوريات من حشود مدي تفتيح ونسب في سماء

بعد تنسب سماء بلال في حد مكر بعد موضوع على صفحة نيبا سحيرة. كاست
 ر أن من وسون بين به يتوسو موضوع حد مشيد من خلال رؤسهم نسبة تصفية
 وسبب سبب كورة لأرتبة سسوي حوسى به سنة تحبده بقوة وجوية حبان
 مشوي - مشكك مدي مره على في حور - سسوي و مدي مدي نيبا في سسوي رعم
 به قد يعرف شمس حد على سماء لعن سحود وم لا سبب نيبا - لانت توفرو على
 صور شخصية سماء كاست به نصير مدي حور ونسب وكحوصات تعرف ككثتها
 على مدي ككثتها حشود مدي حوريات مدي سماء ككثتها مدي مدي و لا سبب مدي
 سسوي مدي حوريات مدي سماء مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات
 مشكك مدي حوريات مدي سماء مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات
 برو في سماء مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات

من لأمر دت مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات
 على درحة ككثتها مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات
 لنبه لغربة ا رد لوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات
 صاحبة جلالة شمس مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات
 فست مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات
 له في حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات
 لفتح حوسى ككثتها مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات مدي حوريات

يكتشف 'أحراء عامصة وسوداء في السماء' وهي 'شبه' ولا تذكر أنه شيء ربه عند
كنت في أورما.

لكن لا يمكن أن يكون ذلك اليسوعي لرحمة. على حق في سطور. وهو سحر
البحيرة التي تقع في منطقة شديدة الارتفاع وهي نينكاك. حقيقة الأمر أنه بسبب
التمييز بين النجوم ولم يكذب بتجبل أنها يمكن أن تكون في هذا حقله الهائل من سحر
وتجديدا بسبب هذا العدد اللاهوائي من النجوم كما أن 'صليب احبوس' يفسد
اكتشفه هناك زوحان من الأمل الدليل كما قدم عنى من مركب وأراد رويه در
الصليب. فضلا عن العور فثبت ذلك ذلك أن بعض الأصدقاء عنسوي كيسة كثر
ذلك في سماء مونسوي. بدأت محوطة تحديد وحدة من جهات الأربع التي جعلت نفس
اسمها. لكن المركب عبرت اتجاه عدة مرات وذلك سرور بعض مصيوق وشبه حبر
لبلا ولا ندري في أي اتجاه سير كما ترى سرور بسبب السباحية في كل مكان. كما
محدد الملامح ولم سحر في اكتشافه شكل كمن من سحر

طشبا معوية أحد السحرة يكن لا حدود. وليس هو... أحد منطقت
الذي كان يتلعبه رأسه مستندة نحو سماء دون أن يلاحظ ويصعد على أي من
المجموعات السحيرة بدون شك صلب راسه و... على صلب حبوب
وكانت لسماء تندي أديم مسحة وصلة ذلك... تحت سماء نفسي
بالشرر الحمي وهو شرر يتصاعف. وكان شديدا... فوق مسحة مياه شديدة
الهدوء

(١) العمل السابق، احراء الأول، II، الصفة نشر إليها، ص ٩

XII - كوثكو، ليلا

من المناسب الدخول ليلا إلى تلك المدن الشهيرة بفنونها أو تاريخها، إذ عندما يتم اكتشافها في ضربة واحدة، في وضوح النهار تكون الصدمة عنيفة في كثير من الأحيان وهنا تنزوي الحالة المعنوية تصبح في حالة دفاع عن النفس وتقلل شعورها بالانفتاح الشديد على كل شيء حتى تتمكن من تحمل كل هذا الزخم من الانطباعات. ومن الأفضل في مثل هذه الحالات أن نضع كأسنا تحت تيارها ولكن بكمية أقل ألا نكون مترعين بحيث تكون مرتبة وقابلة للإدراك وهذا لا يتم إلا من خلال الظلام على سبيل المثال.

تبدو المدن ليلا بما تحويه من كنوز وكأنها صدفة نصف مفتوحة، وإذا ما كان حقيقة أن الظلام يشوه شكل كنوز المدينة ويجعلها شحا فإيه يقدم ميرة للزائر إذ يقدم له مساطر جزئية للرقعة العمرانية التي تتسم بأنها سديدة اللاحم بهارا، كما أنه يسمح له بأر يتكون لديه منظوره الشخصي بفضل صمت الليل وعلى أنه حل من الضروري، في حالة مدينة كوثكو، الدخول ليلا.

ومع هذا كان ما حدث في حالتي نوع من الصدفة، أو من أحسن تصارييف القدر، ومختلف عما كان مقررا في جدول المواعيد الخاصة بالسكك الحديدية الليرواوية إذ تعطلت القاطرة في محطة بوبو Puno، إذ لم تعد هناك قوة لسحبها وربما كان ذلك بسبب صعوبة الحفاظ عليه وسط هذا الهواء الغريب واحف في هذه المدقق المرتفعة، فكان علينا أن نتنظر عدة ساعات حتى يصل ضغط البخار إلى المستوى المطلوب، وكانت ساعات قضيناها وسط هذا الهدوء والجو النقي على شواطئ بحيرة تشيكاكا، حيث كانت الشمس ساطعة وطلت كذلك حتى حلول الظلام.

ترك القطار في محطة خولياكا Juliaca بعض العربات التي كانت متجهة نحو أريكيبي Arequipa والمحيط الباسفيكي، وبعد أن ترك القطار وراءه كلا من بوكارا وأيسيري Ayavire، وهما من الأماكن الشهيرة بأطلالها ومقابرهما، أخذ يسير بين الصخور في حط ملتو متجها إلى Paso de la Raya التي تقع على مسافة تصل إلى ٦٠٠م فوق مستوى سطح البحر غير أن اللحظة التي شهدت أقصى قدر من الضوء لم تكن هناك في اسطفة المرتفعة بل كانت عندما نزل القطار متحها نحو كوتكو وتوقف في محطة أرصفته مبنية بأشكال روستيث مصنوعة من الطين المائل للون الأبيض والمدهون بأشرطة ذات لون بني تنكسر عليه أشعة الشمس وكأنها تقوم بتكسير هذه الأشكال الهشة المصنوعة من الطين كان هناك الكثير من القطعان من الثيران التي تقوم برعايتها بائعات جالسات على الأرض وقد بسطن تنوراتهن الملونة والتي كانت بمثابة الضد للون الأبيض الذي عليه البصاعة، وكن جالسات في هدوء يكسو وحوههه السلام الذي لم نستطع العجلة لتي عيهه المشترون أن تعيره حتى يأخذوا المسع المتبقي قبل أن يتحرك القصر

لم يكن الأسبان يكتفون بإدخال البقرات والثيران في أعالي البروبل أنوامعهه بالصورة الطوطمية التي لا زالت باقية عما هي عيه من بعد تنعي إساءة والتي توجد في ثيران قونقة Cuenca إلا أن تلك لتي توجد في اسطيفه منعة في الأدير تكسب في الصوت بسبب أفواهها الواسعة وكذا الأخراس المعينة في رقبتها والتي تبدو على شكل جلد رخو سيرا على الأنماط الأبيرية يبدو الأمر وكأن السردج الحسواسي في شبه جزيرة أيبيريا أصبح أكثر قيمة وثراء باستقاله من يد العرارة إلى يد سكان الأصليين، وأصبحت أكثر استثناسا وحديرة بالإعجاب

كان محرنا أن ينتهي الضوء دون أن يكون هناك نهاء لشفق في الوقت الذي كان فيه القطار يمر بسواد ذي حوائط وردية ويسير بحذاء المعبري المسدس لهر أوروبامبا urubamba. لكن لم يذهب ضوء النهار تماما، إذ حافظت عليه الصنجات لتي كنت أقرأها ضمن كتاب "التعليقات الملكية" حيث تجلت قرينة حارتبلاسودي لايبجاسن حضارة الانك ورسم لنا صورة مثالية للإمبراطورية الشمسية لأجداده وتوجد هذه الصورة أيضا في جرس كان في القاطرة يتم من خلاله الإعلان عن مروره، ودائما ما يتم

فرعه فيصدر منه صوت نقي وواضح وتندف دور وجود أي شوائب نفعية وميكانيكية
وكانه مع من حرس لدرجات

وسط هذا النور الذي تتشربه العيون واسماء هذه الرحلة الطويلة والهادئة وسط
المرتفات والتي كان حلاصها الإيقاع الملح للحرس الصغير، أحدثت تنحلي مدينة كونكو
التيبة في صورة عكس هذه الصورة إذ كانت عارقة في ظلام دامس، ولم يكن ذلك فقط
مقتصرا على ظلمة فلكية وإن ظلمة انريه، كما تنحلي تحت سدول ليل المكمل الأكثر
سطة على الأرض وفي شي الكتل حصرية سدي روياما امرنحلة على الضوء القليل
الصادر عن لمة حيث يظهر وجه الكنة احش امكون من المادة احام وقد نواهم يكمن مع
سباق الليل السير ليلاني كونكو ليس سيرا في مدينة يلتهب الظلام وقد حرمت من ضوء
بل هو سير في مدينة استردت مع غروب الشمس ذلت العانة المقدس للعالم ليدوي وهو
علم ينسج بالعمى وعمق وملامح الاموار حصرية العلية فيه يلمت اني لا توجد به
فجوات وفجوات معمارة ونسج بوجود سحدرات كأنها سير صوت فجوات مناجم
وسط اجنداء سدة تحت الأرض

في دراسة بيور أصل العمل الفني من حيث هو جزء من استخدام عبارات
مضمجة بامفهمه سويوحية تاريخية - فلسفية - لارضي (1) في إطار
الإبداع الفني لأرض هي جزء من العمل الفني وهو في مفهومه غير
المعبد عما يعنى ويتجنى شكله - لارضي - من حيث هو مفهوم فني أماء الدنيا
معنى أنه الفتح وضيقه، وفيه شيء من الفتح والشد والشد والشد
الكوبية تنحلي شكله، وفيه شيء من الفتح والشد والشد والشد
حلال ذلك التفاضل الذي بطرحه من حيث هو مفهوم فني وهو في مفهومه غير
عنه العمل من مدمج في إن يمدح في ذلك من الفتح والشد والشد والشد
بيل في ركوبه على الأرض ليسيقطر عنده وهو لا يسمح، من يقطن أنه لذي بفتح، بأنه
إعلاق تبدل الأرض جهدها وكأنها مسيرة من حيث هو مفهوم فني وهو في مفهومه غير
وعندما يقوم العالم بترتيب العمل الفني وإنتاج الأرض فهذا يخبر من هو ماووه

(1) Hozsegy Frankfurt a.M. 1989 p. 37-38

لكن العالم لم يسهم إلا قليلا في ترتيب العمل الفني في ثقافة الإنك أو العرة السائلة على
ظهورها وكل ما يظهر على سطحها نعتير العمارة السائلة على عصر الاكتشافات الجديدة
رائعا هو تشييد الأسوار التي نعتير نوعا من التكريم المسط للأرض، وهو تكريم مناسب لهذه
ومكتمل للدرجة أن الأرض عندما تتلقاه ندو وكأنها على وشك متصصة وهذا هي الكتل
الحجرية المستخدمة في بناء قلعة ساكساهاومان Saesahuaman التي تتسم بأنها شديدة الصلابة
وشديدة الأرضية ندو وكأنها تحتج على عسيلة الساء التي ياقصها قانون احادية القوى

يمكن أن تكون هناك كتلة حجرية ثقيلة الور في العمارة الهلستية، غير أنه ما من
رفعها على مسافة عالية عن الأرض أصبحت لا تفجر موربها بل على العكس ندو وكأنها
تطفو في الهواء في توازن كامل بين الشكل والمادة وفي حالة سرح الأحرار القديم في
كاندراية شارتر Charres الذي يرى إذا ما دقق المرء بصره قليلا، وهما يحدي الأعلى
حجم الكتل الحجرية به، لكنه يبدو وكأنه ليس كرة تحمل صفات الطفو في الهواء بل زني
قوة الصعود المادة تتسم بأنها شديدة الصبغة الهلستية، أما الأرض، في شكلها المعز في
صورة صخرة، فقد هزمتها الشفافية التي عليها العالم وليس هذا فقط بل قدف بها ككتلة
نجمية نحو المنطقة الشديدة الشفافية فيما وراء العالم

لكن يحدث العكس في قلعة ساكسا هو، ما حث حد أن هذه الكتلة الصلابة
الواقعة على مسافة أشبار قليلة من الأرض ندو وكأنها فوقها وتعمل على انقضاء على
تلك الكتلة الصماء الواقعة تحتها هذا التحليل ليس ببعث فملا سخامة حجم الكتلة، بل
هي عليه من بساطة في التشكيل بل مما لها من الجوهر المسمى بالبن مع التعبير عنه من خلال
الحجم حيث الكون، الذي هو العالم، في لعبة درامية مع ندو الأرضي وهما لا بهم
معرفة نمطية تركيب الكتل فوق بعضها، يتولد في حثية الأمر الانطباع نفسه أمام الكتل
الصخرية التي لم يتم نهذيبها وهي أنها متراكبة ووضعت كأنها بين صلصال ومرصوفة
دون ملاط، مقارنة بالانطباع بأننا أمام كتل حجرية متعددة الرواب لكنها تم إعدادها بعناية
لتتكامل مع جاراتها من الكتل الحجرية الأخرى، ومع هذا يصل ورن بعض هذه الكتل إلى
ما يقرب من مائتي طن مثلما عليه الحال في الحصن المذكور سابقا، يحدث الشيء نفسه
بالنسبة لمبنى كوريكانشا Coricancha أو ما يسمى بمعبد الشمس رغم أنه متواضع البناء،
حيث نجد أن الأطلال لا زالت قائمة لكن أصبحت جزءا من كنيسة سانتو دومينجو

ومعها الكتلة الحجرية الثقيلة للتمثال .^(١١)

كما أن البارثينون Parthenón أقسم بحرق ودم آلاف المهنيين والعبيد وقام على الاستغلال الاقتصادي للمدن اليونانية الخاضعة لأثينا، لكن "الكتلة الحجرية الثقيلة" لا تحدث فوق هؤلاء الذين قاموا برفعها. كما أن الكتلة الحجرية ليست ثقيلة الوزن ولا تحمل بصمات جهد جسدي وانتزعت منها المادية، وأسهمت فكرة المهندس المعماري في تشكيل المادة إلى هذه الدرجة التي تمكن فيها من إلهاء عين المشاهد عن الجهد الذي بذله لعمله في ذلك تذكر وجودهم.

وهنا يحذر لتساؤل بحق هل هذا أثر يشوم أكثر على بقاء العالم مقارنة بمدينة منتشورة تنمو من هناك أطلال أمصتها الصوء ودانت في وضح النهار وهي محاطة بالدائرة التي لا تنتهي للقمم الأنديرية المحفنة بها^(١٢) عبر أن الوضع يتعلق بعالم طبيعي، وعالم لا يتبدى من خلال الإبداع الفني باستخدام لكل أحجره من يحدث العكس أي يصممها ويشتمها أراد الإنسان أن يقيس نفسه بمقدرة الطبيعة في منطقة الأندير لكنه استند إليها وأفاد منها وأعلن نفسه أنه من رعينها. سمع هذا ربح الأحرار التوضيحية تبدأ من عموم شكل السهل، الذي ينقسم بأنه مستر للملح ويعتبر السحاب، لسوء في عالم سماوي انتكرته لنفسها

وللأسباب نفسها نجد أن المذبح في الآلات يسمى بالسلطة السعيدة في مصمونها المعماري وهذا كتب المذبح. بعد المصور والمعد والدارل إنتاج أحصاص السلاح الحوسبة. ولكن بدرجته تنسم بالعظمة في كثير من الأحيان في وديان الأرض. وهذا هو السكيل هو تقنية البناء وكذا ما عليه الواححات من حده. وهذا هو الرئسي والدارجي للكتلة الحجرية هو الذي أصفى على عمارة الإبك السمة المسحقة، وهذا نجد أن السقف أما ألا يكون موحودا أو أنه أعد من مواد هشة متما هو أحد في الأحصاص الربيقية فهي كوريكاشا

(١١) الشيد العام، بوبوس أيرس، ١٩٥٥، حثل ٣٥

(١٢) الإبك، باريس، ١٩٦١ م، ص ١٣٨

Coricancha نفسها أو في معبد الشمس كحد أن حارنبلا سودي لا يصب نصف السقف
كان السقف من القش لأنهم لم يتمكنوا من وضع القرميد.

لا ترتبط قوة الحوائط بوظيفة معمارية بل سرها هو الرعة في أن تتحدى عظمتها
المشروعة المقدسة في حد ذاتها وربما لا يولي علم الآثار الذي بنى دراسة عصر ما قبل
الاكتشاف اهتماماً كبيراً بهذه القيم المعمارية، نظراً لتوجهه الواسعي، حيث يفسر
مضمونها نفعياً لفن الإنك وهذا توجه يكذبه طبعاً المادة الحجرية في البناء فاحذر انفسهم
التي تشكل بسقوفها فراغات معلقة كانت مصدر اتهام لعدم شعبيه كملها نظراً للثقل السد
للمادة التي تحملها، وهذا السقف ليس له قيمة نظراً للصانع الهش والإصا الذي عساه
كما أن كل ملك إنكي كان يترك القصر الذي كان يعيش فيه سائماً ليس لنفسه قصر آخر
وعندما دخل الأسان الكوثكو (11/11) كانت المدينة عبارة عن مقارن مسورة تسوير
قويا، وكل واحد من هذه المباني كان مكرساً للذكرى المثلث الموثى وبالتالي فإن المعنى
الأرضي والجيولوجي للبناء كان يلتف بدلالة حاضرة

ولم يكن الحجر فقط، بل إن الذهب والفضة كما سنعلم في هذه العمارة الحاضرة
كانت الحوائط الأربعة في المعبد طبقاً لما يقوله حارنبلا سودي لا سحاً في معرض وصفه
لمعبد كوريكانشا Coricancha معطاه من ذهب إلى الأسان المذبح الكوريش من الذهب
وفي غرفة حفظ المقدسات التي يطلق عليها "المذبح الكوريش" هناك قرص الشمس
المصنوع من شريحة من الذهب يبلغ مسكه سمعت باقي الأسان معطي الحوائط
كان شديد الضخامة لدرجة عطلت معها غرفه مقدسات في المعبد من حائط إلى حائط
الأخر وعلى جانبي قرص الشمس هناك أحسن المصورات التي سوف امر من حسب
أقدميتهم وكأنهم أبناء الشمس، وهم محطون خيب بدون (لا يرى كيف) أنهم أحب
كانوا جالسين على كراسي من الذهب موصولة فوق القمم للدهشة حيثما كانوا
معتادين على ذلك.

ما هو الانطباع الذي يخرج به الإنسان الحديث في هذه المذبح المتبذ من حدران صلبه
ودون فتحات نحو الخارج؟ هل يمكن للضوء أن يدخل من خلال السقف بقوة كافية حتى
يعكس على قرص الشمس الذي هيؤوه فنيا ودينياً ليكون على شاكلة الإله السح أو

تتلا تلك القطعة الذهبية الضخمة من خلال اللمعان البارد للمعدن الثمين الذي تم اكتشافه في أعماق أحد المناجم؟ هل يمكن لقرص الشمس أن يعكس ما هو بداخل الكهف المعماري ويحوله إلى عالم وبقاء أو أنه كان مجرد أسير الأرض؟

من الطبيعي أن الأوربيين رأوه على أنه مجرد قطعة من مادة معدنية، وكان الرجل الذي اكتشفه محظوظا عندما جرى غزو المدينة، وهو "رجل نبيل من أوائل الغزاة يسمى مانثيو بسرّاً دي ليجيثانو... أكبر لاعب لكافة الألعاب ولأن الصورة كبيرة لعب بها وفقداه في ليلة واحدة"^(١). ليس هناك مصير أكثر حزناً أو تحللاً وسط هذا العتو. وبالنسبة للحوائط الإنكية استطاع الغزاة أن يهوها وطيفة أكثر كرامة، فطلوا يكلفون أبناء السكان الأصليين بالبناء تم يقومون بملء الفراغات المحيطة بالتراب حتى تكون بمثابة المنصات لكانسهم ومنازلهم التي تلعب ما عليه القصور بشكل أو بآخر كما فعلوا الشيء نفسه مع سلسلة لا تنتهي من الأحواض التي كان السكان الأصليون يررعونها على شواطئ أوروبامبا Urubamba والشيء نفسه مع كافة المجتمع وكافة مناحي الثقافة حيث دفن كل هذا تحت ثقل الكتل الحجرية المستوردة

لهذا يجب أن نرى كوتكو ليلا وهذا لأن الحوائط الصخمة تحدد نفسها في إطارها الطبيعي حيث تبدو بأنها تضعكم في اتصال مباشر مع، خلال حذورها، مع الأحشاء الأمومية للأرض حيث تبدو وكأنها رحرر من عذبة صمغها، صمغ غير مرئي

في ظلمة ليل كوتكو يتبدى سحر وشمس مومي الحوائط الصخمة يناصر الماسي الكولونبالية التي ترنو إلى فلق الصباح. نكر القمر لاسوه في حصم السور أو في الدكرات التاريخية بل يبقى مرتبطا بالنواجد الصامت والطليل سمح الحبي وهو حي في بساطته الراديكالية وأصبح قاعدة شديدة الصلابة لشيء صلبة واجتماعية التي سادها ما حظيت بالإمكانات التي كانت تقدمها لها الأساسات

(١) الإنكي حارثيلا سودي لانيجا، العمل المشار إليه، الجزء ثلث، الفصل العشرون، الطبعة المذكورة، الثانية، ص ١١١، ١١٢

XIII - يوتوبيا الهند الغربية في الإكوادور

صحراوي ذلك الشريط الضيق الذي يقع بين الأنديز والباسفيكي ابتداء من شمال البيرو وحتى قبل الوصول بوقت قصير إلى فالبارايسو Valparaiso. والأمطار الآتية من الباسفيكي لا تروي إلا الشاطئ، حتى خمس درجات عرض تحت خط الاستواء، أي في إقبيمي نومبت Tumbez وبيورا Piura. وهما إقبيمان محاوران للحدود مع جمهورية الإكوادور. وإلى الجنوب قليلا تقدم السماء كرها لثاني عندما تصطدم بالواجهة القريبة للسلسلة حيث تأخذ المياه مسراها من خلال أنهر منحنية صوب البحر دون أن تكون هناك إمكانية للسيطرة عليها وهذه التي تستخدم في تروى تعرض للتسرب أو البحر قبل أن تصل إلى الشاطئ.

وابتداء من مطار ليما ندخل في مسيرتها الذي يوحد هذه الواحات الكبيرة جدا وتنكمش عند اقتراب سلسلة الأنديز من سويسرا. وتنكمش معها السهل وتنسحب على هذا الحال في الارتفاع حتى تشكل سلسلة جبال السماء. لهذا تحرف القبر عن الشاطئ، حتى يمكن أن نرى قمة أواسكار. من قرب وهي واحدة من أعلى القمم في الأنديز، حيث يلمع الحليد ذو سمات بيضاء برفيعة تحت أشعة الشمس دون أن نكون هناك سحب أو حتى تتف من الغمام في حيز ومسبح مشهد وكأنه مائي.

كما أن الجو نقي تحت الطائرة عندما تعود وسير متحدة الشاطئ. وأثناء الشتاء الفصلي الذي يستغرق الشهور من يونيو حتى أكتوبر ينتشر في هذا المكان وسيل يومي الضباب الذي يطلق عليه garuas. وهو ضباب يسهم في التقليل من جفاف الأرض غير أنه مع بداية شهر نوفمبر اختفت هذه الظاهرة. كما نكثر حوادث الطرق حيث تروى بشكل

دقيق وكأنها تحت المجهر . غير أن ما يظهر عن بعد على سطح البحر الذي لا ينتهي ليس إلا ما يشبه تراكمات بسيطة تميل إلى اللون الأبيض وغير مجدية

أخذ عدد الواحات يزداد وكذا حجمها ، فها هي واحة موتشي Moche أكبر من واحة سانتا Santa ؛ لكن بحيرة تشيكاما Chicama أكبر من هاتين ، وكذا معها واحة jequetepeque فيكي تيبكي ، وإلى جوارهما هناك واحدة لامبايكي lambayeque وهي واحات شهيرة في الحفائر الأثرية التي ترجع إلى ما قبل عصر الاكتشاف . وكما اقتربنا من خط الاستواء تبدو الحضرة وكأنها تكسب المعركة مع اجفاف ومع هذا ففسر مغادرة أراضي البيرو من الضروري أن تمر الطائرة على صحراء سيشورا Sichura الشاسعة حتى يتضح بجلاء ذلك الشكل الموحش الذي عليه الشريط الشاطئي المطل على المحيط الباسفيكي حيث يبرز جفافه على مدار ما يقرب من ثلاثة آلاف كيلومترا المقارنة بالمياه التي نراها في أكبر المحيطات وكذلك المياه الأخرى المفترضة التي توجد في سلسلة الجبال التي تعتبر أهم سلسلة جبلية على ظهر الكرة الأرضية بعد سلسلة حمال الهيمالايا

وقد يقال أن وجود هذه المنطقة الناحية ربما يرجع إلى مجموعة من العوامل عبر النوبة أنت بها الطبيعة وجعلتها منافسة للقوانين الطبيعية نفسها ، وإلى هذا يرجع ربما - ذلك التغير المفاجئ في المشهد كلما اقتربت القصرة من حواش (Cachay) وبصبح الأمر وكأنه تم القضاء على المؤامرة واستعاد المشهد التوازن لعادي في تلك الأصقاع من الكرة

وخلافا لما يحدث على الشواطئ البريانية . حد هاتين الأنهار الصعبة التي نزل من "السلسلة" استطاعت أن تشق لنفسها في مقبب حواش كل غري كبيرا ينحه صوب البحر وتعاقد مياهه المياه المالحة . وإلى حوار ذلك المحاري الشهيرة بطل لأول مرة على العانات الاستوائية وهذا تناقض تام مع المشهد الصحراوي الذي تركه للتو وكافة الأراضي التي نراها من نافذة الطائرة تتسم بكثرة الحضرة الباعية فيها عندما تأخذ الطائرة في الهبوط . ابتداء من المناطق المنخفضة التي تكثر فيها الزراعة وتشتت أفرع النهر والمصببات ويشمل ذلك الأطراف المغطاة بالأشجار والساافانا التي تفيد في الرعى

كانت الغابة أكثر اتساعا مع نهاية العصر الاستعماري رغم ما تعرضت له من استغلال منذ اليوم الأول للغزو حيث كانت تتم الإفادة من الأحشاب في كل الأغراض في

المدن الساحلية وكذا المناطق الجبلية التابعة لياية الملك وعندما قام كل من حورحي خوار وأنطويو دي ايوا بريارة حواياكيل في منتصف القرن الثامن عشر أثارت دهشتها ما عليه المكان من غابات يانعة ومتنوعة وهي غابات من السهل استغلالها بفصل مصّات الأنهار والقنوات الضيقة التي تتفرع من النهر وتدخل إلى تلك الغابات لمسافات طويلة

كانت أحشاب تلك العرصات مناسبة بشكل كبير لصناعة السفن ولهذا فإن مصب النهر حواياكيل شهد البدء في قيام الغرارة بصناعة أوتى سفنهم، كما أن هذه الترسانات ظلت تعمل حتى بداية القرن التاسع عشر حيث كانت من أهم الترسانات على شاطئ الماسيفيكي أكد بعض القصص أن يتوفرون على معلومات جيدة وموضوعية بشأن هذه الأنشطة البحرية أن وفرة الأحشاب وجودتها في حواياكيل 'لا توجد في أي مكان من أمريكا كما لا توجد في أي مكان آخر من أملاك الأمة لأسبابية أو الأملاك التسعة مئة أحرر

وفي إشارة خاصة إلى حشب guichapeli فهو حشب يغطي تآكرا إعجاب ويعتبر فريدا من نوعه وسط الأحشاب التي تم اكتشافها حتى الوقت الحاضر. حشب يستخدم في صناعة بدر السفينة^١، وحشب حشب درو mulla الذي يستخدم في صناعة صواري السفن التي لم يسمع بها من قبل. وعلى هذا فنقص هذه المواد الخام الرائعة أصبحت السفن في حواياكيل تقصّر في صفت حجم سفن الأورمية طولاً مثل بدك السفينة التي كانوا يطلقون عليها مسمى مئذنة مسموحة^٢ أو أسود اسمن المسح المحجور^٣. حيث جرى إطلاق هذا الاسم نظراً لطول هذه السفينة بل قد لا يعرف من صنعت أو من هو الذي بناها^٤

من المعروف أن مراكب حواياكيل حشب حجب على عناصر عربية تم جلبها من بعيد مثلما هو الحال بالسنة للأغلبية العظمى سفن التي يتم تصنيعها في الهند العربية هناك الخيش والقطران اللذان كانا يستخدمان في صناعة هذه السفن، لكن يتم جلبها من المكسيك وكذا الجبال من شيلي حيث كان يزرع نوع من القصب ذو جودة عالية بالمقارنة بما هو موجود في شمال أوروبا، أما الحديد فمن بيثكيا^٥ ويتوجب لكن هذه العناصر القادمة من أماكن مختلفة كان السود يكادون يصلون في الأداء إلى أن يصنعوا صناعات السفن

^١ العمل شارابيه، الجزء الأول، الفصل الثاني، الصفحة ١٠٠ ص ٥٥

في هذه الترسانة . كانت الإمبراطورية الأسبانية تشهد في عقر دارها عمليات تبادل بين الشر والمنتجات القادمة من الأقاليم التابعة لها والشديدة التنوع

ليس من الضروري إطلاق العنان للخيال أو قطع مسافات طويلة حتى يدرك المرء كل هذا التنوع ، فمنذ اللحظة الأولى لانطلاق الطائرة من السهل النهري واحر في جواياكيل أخذ يظهر إقليم جبلي يبدو وكأنه على طرفي نقيض في درجات التنوع الجغرافي

تكاد تكون معظم المدن الأسبانوأمريكية ، ابتداء من سانتياغو دي شيلي وحتى المكسيك مقامة إلى جوار جبال ذات أصول بركانية وكأنها تحضن لمصير شديد الإيبيرية من حيث هذه الجغرافيا الشديدة الصعوبة ، إلا أن كيتو تفور بقصب السق ، فهنا هي سلسلة الجبال تضيق عند المرور بجمهورية الإكوادور حتى تصبح مجرد أجراء متقطعة وذلك على بعد خمسين كيلومترا وهي المسافة الفاصلة بين شاطئ الباسيفيكي ومصادر التي تلتقي بمياهها في نهر الأمازون . ومع هذا ففوق هذا الشريط الضيق الذي ينقسم إلى سلسلتين واحدة شرقية والأخرى غربية محد الأشكال المخروطية الركابية شديدة الانتشار بشكل عبر معهود في سلسلة جبال الأنديز نفسها ، وكأنها عندما تصل إلى سرير منطقة الحارة ، تريد أن تعبر عن قوتها ولو كان ذلك بشكل احتمالي

هناك قمة Chimboraz في السلسلة لعربية وهي أعلى قمة في البلاد تصل إلى ٦٣١٠ مترا ارتفاعا وبعدها قمة كوتوباكسي Cotopaxi في السلسلة الشرقية أو الملكية ، غير أن هذه وتلك ترأسان سلسلة من المرتفعات الجبلية لعملاقة بني تشكل الطريق الأعظم الذي يمكن تخيله في باب النقل البري أو الجوي ، هناك بعض المعابر الجغرافية التي تنقطع معها ولكنه تقاطع معتدل يسهم وجوده في ظهور مناطق مسعدة صالحة للسكنى في منطقة صغيرة . وفي واحدة من هذه المناطق ، جواياكوبا Guayabamba ، التي تكوّن نرتها من الركاب البركاني الآتي من بركان كوتوباكسي Cotopaxi ومن بركان إيلينا Iliniza وكايامبي Cayambe إضافة إلى براكين أخرى تتخلل الساقطة ، تقع مدينة كيتو إلى جوار بيتشينا Pichincha .

وها هي الطائرة التي عبرت بسرعة من الدلتا الأستوائية لجواياكيل تناديا للسلاسل الجبلية العالية ، تأخذ على الفور في النزول التدريجي في هذا المنخفض لتتهبط في مطار

العاصمة. بينما ترتفع القمم الجبلية البركانية الحليدية إلى عنان السماء أمام الرحالة المشدوه الذي لم يتمكن من إدراك التغيير المفاجئ للمشاهد. ورغم أن المعارف الأدبية والتصويرية المتعلقة بمدينة شهيرة مثل كيتو أسهمت في إثارة الدهشة الشديدة لدى الرحالة الذي ربما يعرف مدنا أخرى في إسبانيا وأمريكا تقع في مناطق مثيرة للدهشة، من الصعب عليه أن ينخيل الموقع المحدد لهذه الحاضرة التي يقترب منها وسط هذا المشهد الصخيم الذي يلف المكان، كما تزداد درجة استغرابه بعبوره خط الاستواء.

ومع هذا فسرعان ما تهدأ حدة هذا الاستغراب المصحوب بالشكوك والتساؤلات عندما ينظر الرحالة من نافذة الطائرة حيث نطالعه بإجابة مختلفة عما كان يتوقع، فبدلاً من أن ترى عيناه الغابات والصحراوات وأنواعاً أخرى عربية من الزراعات ترى وجه شبه لا يصدق بما يراه في وطنه. وبدلاً من استخدام امردات المعتادة يحذر استخدام الكلمات التي استخدمها الأسبان الذين أصابته الدهشة عندما اكتشفوا بيتهم في مناطق لا يتوقع أن يرى فيها ذلك كتب بدرونيث دي ليون^١ يقول "تقع مدينة كيتو تحت خط الاستواء الذي يعبر على بعد سبعة فراسخ منها إنها رص، تلك الواقعة صسر حدودها الإدارية، جرداء على ما يبدو، لكنها شديدة احصورة ذلك أنه يتم عليها تربية كافة أنواع قطعان الماشية بكثرة وكذلك يررع فيها ما ينتج احصر واحصر اواو والنواكه والطيور إنها أفضل أنواع الأرض وهي شديدة الشبه بالأرض لأسبانية في الساعات أو في الطغش ذلك أن الصيف يبدأ في شهري أبريل ومارس ثم سبتمبر حتى شهر نوفمبر ورغم المكان بارد إلا أن يتم عزق الأرض كما هو الحال في أسبانيا

لكن ما معنى أن يجد المرء مناطق بأسبانية لا ورسي من عصر النهضة وأن يجد إيقاع فصول السنة وأن يجد نباتات شبيهة بتلك التي اعاد عليها تناولها باحتصار أن يجد مقرة ومستقره على الأرض في قارة أخرى في منطقة تقع بين أدور محيط في الدنيا وبين الغابات البكر الأوسع في هذا العالم على ارتفاع ألفين وثمانمائة متر وفي وسط المنطقة الحارة التي لا يمكن المرور بها طبقاً للحكم الصادر عن السلطات العليا في الرسم القديم

(١). المصدر المذكور، الفصل الحادي عشر الطبعة المذكورة ص ٣٩١

يتجاوز الأمر فكرة امتداد ما اعتاد عليه ليصل إلى يوتوبيا كبيرة، وإلى شيء "مخرج
عن المألوف" في حقيقة الأمر وهذا ما يتضح إذا ما تذكرنا ما يوجد فوق خط الاعتدال
عندما يتم النزول من التواء الجبلي الذي تقوم عليه كيتو: يكاد يكون مثل مسار الأمازون
وبعد ذلك مسار الكونغو وبحيرة فيكتوريا وكينيا، ثم نجد جزر سومطرة وبروناي Borneo
يقطعها خط الاستواء؛ وفي نهاية المطاف هناك بعض الجزر البولونيزية. ومن بين كل هذه
المناطق نجد أن تلك الخاصة بكينيا تتوفر على طقس به شبه ما بما يتوفر في جمهورية
الأكوادور، لكن أين يمكن أن نجد شيئاً شبيهاً باليوتوبيا القريبة وشديدة الواقعية التي هي
كيتو؟

عادة ما نكون غير منصفين مع ما تعنيه لفظة يوتوبيا، وفي هذا المقام يكفي أن نلقي
إطلالة على الكتب التي ترجع إلى عصر النهضة من تلك التي نراها أكثر تعبيراً عن الفكر
اليوتوبي خلال العصر، لنجد أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتجربة الاكتشافات الجغرافية دون أن
يكون أي من هذه الكتب من تأليف كاتب برتغالي أو أسباني. هناك "اليوتوبيا" لتوماس
مور حيث يفتح هذا الكتاب ذلك الصنف من المؤلفات عام ١٥١٦م ويدور حول قصة بحار
برتغالي اسمه رفائيل إيتلوديو الذي رافق أمبركو بسبوتو A. Vesputio في آخر ثلاث
رحلات قام بها إلى العالم الجديد. وهناك كتاب "أطلانطا الجديدة" لفرانسيس بيكون وهو
كتاب ظهر بعد ذلك بمائة عام ويدور حول أرض بعيدة، لكنها تدخل في إطار التوسع
الأسباني، ومع هذا هي في عزلة مقصودة. ترحل المركب التي تكتشف أطلانطا الجديدة من
البيرو، وظلت على مدار عام متجهة صوب الصين واليابان وكان محارثها يتفاهمون باللغة
الأسبانية مع سكان الجزيرة.

لفت سيلبيوثابالا في كتاب المعنون "يوتوبيا توماس مور في أسبانيا الجديدة" الانبعاث
لأول مرة نحو التأثير الإنجليزي على المستشفيات التي أسسها السيد/ فاسكو دي كبروحا
أسقف ميتشواكان، وقد استخدم هذا الأسقف ومعه فراي/ خوان دي ثوماراجا، أول
أسقف للمكسيك، نسخة من كتاب "اليوتوبيا" ودوناً ملاحظات وهوامش أفلاطونية كما
أن هذا الكتاب لم يكن قد نفذ مثلما حدث بالنسبة لطبعات لاحقة. كان من الطبيعي أن
تجد اليوتوبية السياسية للمتخصصين من الأوروبيين في الدراسات الإنسانية لنفسها أول
محاولات لتطبيقها في العالم الجديد الذي كان بمثابة مصدر إلهام، أو كان - على الأقل -

ذريعة ومسرحة مناسبة للحديث عن المجتمع المثالي . لكن من الخطأ التفكير بأن اليوتوبية الإسبانية الأمريكية الحقيقية هي أن يصل المرء إلى هناك وقد انعكست صورته في مرآة الدارسين في أوروبا الشمالية .

يعتبر الفكر اليوتوبي مكونا أساسيا في اكتشاف أمريكا واستعمار العالم الجديد ابتداء من مراحل الإعداد لرحلة كريستوفر كولومبس وسرعان ما اتخذ شكله في صورة تجارب شديدة التحديد مثل تلك التي بدأت عام ١٥٢٠م على شواطئ "الأرض اليابسة" وكان ذلك من لدن يوتوبي لايكل وهو الأب بارتولوميه دي لاس كاساس . ورغم الفشل الذريع الذي مني به لم يتوقف لحظة واحدة طوال حياته المديدة من المطالبة القوية ببذل الجهد من قبل الأسبان في الهند الغربية وهنا كتب في بيرث دي نطيلة "في هذا يقول" لم يحدث أبدا أن طوب بالعمل الجماعي لأمة في إيتروما هو جماعي على ما هو أناني . حتى تتقدم خطوات أبناء آدم على الأرض مثلما حدث . ولم يحدث قط مثلما حدث في المطالبة بإقامة مدينة الله . لكن هل كان الأب لاس كاساس يعلم أن هناك شعبا قادرا على تحمل هذه التصحية؟ هذه لا تبدو مهمة عشوائية فائلة للتحقق من خلال إسان شديد الخبرة ودكي فتحت المطالب الصبيحة كحل في hortus conclusus ومن المصنعة المحظورة إلى التوجه الكسبي .

تتحلى هذه الصورة التي عنها hortus conclusus اليوتوبي الكسبي بشكل شبه دائم أمام العمل الاستعماري في الهند الغربية رغم أنه قدرا ما يتم نظمتها بكل حدايقها وهناك أسباب عديدة لذلك منها أنه ظهرت صيغ يوتوبية مرفقة فني الوقت الذي تمكر فيه الأب/ لاس كاساس من انضمامه لاندرف لاوي في الشير تحت إشرافه حصريا على أرض يابسة تمتد إلى ثلاثمائة فرسخ . كان فرديناند دي أوبيدو يقوم بعقد اتفاقيات أخرى وذلك حتى يتم منحه مائة راهب من سانباجو حيث يجب أن يرافقه في حكم سانامارثا . وإذا ما كان ذلك الراهب الشهير من مدينة الدومينيك بقصر على أنه عادة ما يكون من المفضل أن يكون هناك راهب واحد بدلا من منتي محارب . فإن ذلك المشر الأحر والمؤرخ كان يريد منع الدخول في hatus conclusus على القصدة والنواب والرهان "بيدولي في

(١) دراسة نقدية أولية * للأعمال المعنونة بـ "دي لاس كاساس B A مرسد ١٩٥١ ص ١١٧

حقيقة الأمر أن هذه الأرض إما أن بها ينابيع من الرهبان أو أنها غمطر رهبانا - كتب هذا وهو يرى مرافقي الأب/ لاس كاساس يسرون معه في شوارع سانتياجو بعد أن أصبح أسقف تشيابا، "وكانوا يسرون اثنين اثنين لدرجة وصل عددها إلى ثلاثين وهم يرتدون كل زيه من تنورة ووشاح وقلنسوة بدون عباءات، ووراءهم الأسقف. كان ذلك يبدو مشهدا دينيا هزليا، وها هم الآن يبدوونه..." (١).

هناك بوتوبيات أخرى إلى جوار هاتين وربما كانت ذات مصالح ولكنها ليست أقل فخامة، وهي مدعاة لبذل المزيد من الجهد مثل يوتوبيا نهر الدورادو El Dorado حيث لم يقتصر الإغواء فيها على حملات الاستكشاف التي كانت تهدف تحديدا إلى البحث عن اليوتوبيا بل أسهم بشكل عام في تحفيز وتثبيت دعائم الشركات الكبرى في الهند الغربية. كان الأمر كذلك بالنسبة لمدينة بوتوسي وباقي المدن التي تقوم باستغلال المناجم، حيث كان لكل مثاليته من الحياة الاجتماعية.

وكما هي العادة في كافة اليوتوبيات نجد أن تلك الخاصة بالهند الغربية كانت تريد أن تتحقق بكل نغائها وخاصة البعد الكنسي. وهناك نجد أن وصل الأمر ببعض الفرنسيين في أسبانيا الجديدة إلى المطالبة بالنفصل بين الأمتين الهندية والأسبانية وذلك بتكوين "جمهوريتين مستقلتين" لكل واحدة "حكومتها الرهائية"، أي حكومة السكان الأصليين الذين عندما يُعزلون عن الأسبان وعلى غير صلة بهم يتمكون من بلوع "شكل جديد من الذات المسيحية الذي يضم إلى المزايا ميزة أخرى حتى جعل النسل أمرا في متناول اليد، ألا وهي أن يبقى المرء على نفسه في حالة صحية طبيعية" (٢).

لكن المكسيك كانت مهمة للغاية حتى بمكر وضع كل هذه العايات محل التنفيذ، وما تم أن ذلك يمكن أن يكون أمرا واقعا في الأقاليم الكاثنة في أطراف "إمبراطورية الهند الغربية" حيث يمكن تحقيق hortus conclusus كنسي مثلما هو الحال في قرى اليسوعيين.

(١) التاريخ العام والطبيعي للهندس العربية 'الجزء الثالث والثلاثون'، الفصل ٤١٧، الطبعة اعشار، بها، الرابعة، ص ٢٦٤.

(٢) حوسيه أنطويو مارابال "اليوتوبيا السياسية الدينية للفرنسيين في أسبانيا الجديدة" - مجلة الدراسات الأمريكية - إشبيلية، ١٩٤٩م، ص ٢٠٦.

في الباراجواي . وحتى في هذه الحالة يجب وضع المصلحة السياسية للتاج في الحسبان حيث أطلق العنان للقدرة التنظيمية لجماعة دينية واحدة لتتولى في تلك الأقاليم الطرفية وضع حاجز ضد محاولات دخول البرتغاليين صوب بوتوسي .

تعتبر جمهورية جوارانسي R. de los Guaranis ، التي استمرت مائة وخمسين عاما واحدة من المحاولات اليوتوبية الناجحة في تاريخ الإنسانية ولهذا السبب نفسه يصبح الأمر درسا يحتذى فيما يتعلق بالثراء الذي يمكن أن تكون عليه المثاليات اليوتوبية في استعمار العالم الجديد . ومثل هذه المهمة الضخمة والصعبة لم تكن ممكنة التحقق دون أن تكون هناك جرعة كبيرة من اليوتوبيا . لكن قسوة المهمة التي كانت في حاجة إلى أن يخلق الخيال عاليا قطعت الطريق عليها وجذبتها إلى مستوى سطح الأرض من خلال التنسيق بين التوجهات المختلفة المخطط لها . كانت الإمبراطورية واللاهوت والفضة تشكل ، في إطار توجهاتها الحصرية والتنازع فيما بينها ، ثلاثيا موحدا .

كانت الملكية الكاثوليكية تسهم في أن يكون الأمر على هذا النحو ؛ فمن جانب هناك سميتها الكاثوليكي وتحديدًا هناك الإدارة التي تقوم بدورها في توزيع المناصب الكنسية بعد الثورة التي يحصل عليها الملك السيد فرناندو من المقر الرسولي . ومن جانب آخر هناك الحاجة الملحة للمال التي كانت تحررها على الاهتمام يوما بعد يوم بأعمال المناجم من خلال الموظفين المكلفين برعاية مصالحها الاقتصادية التي كانت تهدف في النهاية لخدمة قضية الدين .

هذه العقلية الهسبانية نفسها كانت تحو نلمواءمة ، شكل صادق رغم أنه نفعي ، بين الغايات المختلفة التي كان يتوخاها العزاة مد الأيام الأولى ، وهذا ما اعترف به ، وباسم الجميع ، برنال دياث دل كاستيو عندما كان يقول بأنه جاء إلى العالم الجديد لعبادة الله وجعل الناس أغنياء . هناك تنويه آخر فيه مسحة من السخرية تعبيرا عن الموضوع جاء من لدن كاتب الحوليات ، مؤرخ المجلس de cámara ، لوبت دي جومارا ، عندما وضع على لسان إيرنان كورتيس العبارة التالية : " السبب الرئيسي لمجيئنا إلى هنا هو إعلاء المسيحية والتبشير بديانة المسيح ، رغم أن تلك المهمة تسهم في إضفاء الفخار علينا وعموم الفائدة وهذا ما لا يستقيم إلا نادرا " .

كانت مدينة كيتو، انطلاقاً من القصور العامة العديدة وكذا الخاصة وكنائسها وأديرتها وما عليه الشكل المتميز للسكان الأصليين الذين يرتدون ملابسهم على طريقة القرن الثامن عشر، واحدة من المدن التي تدخل الكثير من التوجهات المتناقضة الموحدة فيها في إطار هارموني غير أن هذا لا يحول دون أن تتبدى المدينة أمام ناظري الرحالة وهي في صورة أكثر يوتوبية مقارنة بالآثار المتواضعة التي بقيت من القرى التبشيرية الموحدة خلال نظام تعاوني صارم وهادئ وروح يوتوبية محكمة.

XIV - كيتو و"مدينة الشمس"

هناك يوتوبيا عظيمة تحمل طبيعة عصر النهضة، وتحديدًا في نهايته؛ وهي يوتوبيا تستحق عناية خاصة إذا ما أردنا فهم التوجه اليوتوبي السائد في الهند الغربية الذي نراه مشفراً في عاصمة الإكوادرو ' إنها "مدينة الشمس" التي أعدها راهب طائفة الدومسيكان توماس كامبانيا والتي نشرت عام ١٦٢٣م. ورغم أن كامبانياً إيطالي لكنه كان فرداً من الرعية للملوك الذي كانوا يحكمون في الهند العربية، ولما كان من الجنوبيين الجيدين أمكه أن يفهم بشكل أفضل المتخصصين في الدراسات الإنسانية من شمال أوربا وطابعهم الجغرافي الخاص.

كان الراهب الإيطالي على مسافة ملانسة حتى يفهم الهند الغربية الأسبانية على النمط اليوتوبي. فلم يكن شديد القرب منها مثل الأسرار أو شديد البعد عنها مثل الأوربيين الشماليين، كما أن اهتمامه ومطوره لم يكن أبداً رعم أن ذلك كان حياً ليسمح بظهور نواب الملك في أمريكا بصفتهم عمداً أساسية في المفهوم الرسولي لهذه الملكية العائبة.

إذا ما تأملنا كتاب توماس مور الذي بدأ بأن يصف لنا الحدائق والمراعي في فلاندرس والمخترا، لوجدناه يواصل من خلال صمحاته وراء نوع من الصواب، الذي يسيطر على نهر التاييز وذلك عندما يصف لنا ملامح جغرافية في العالم الحديد وهي سمات لا توجد لها علاقة قوية تشبه تلك العلاقة القائمة بين جغرافيا الهند الغربية دي قشتالة حيث نجدها تنقسم إلى نصفين من خلال خط الاستواء، وكذا مع أغلب أجزاء أراضيها بما في ذلك كافة المدن المهمة الواقعة بين مدار السرطان ومدار الجدي. وبذلك نجد أن من الملائم للطابع الأسباني بشكل كبير هو أن يكون عنوان كتاب كامبانيا Campanilla "مدينة الشمس"

وأنها على مشكلة كينو، أي أنها شديدة الأهمية في إمبراطورية الشمس حاضرة لإلك
حيث تقع على نفس خط الاستواء

كانت هذه وجهة نظر مختلف عن تلك السائدة في العصر القديم والعصور الوسطى.
دلت أن أغلب القامات الإنسانية، ومن بينها كحد أفلاطون وأرسطو، كانت ترى أن اسطر
الحارة عبر قبلة للسكنى. ومع هذا لانعدم وجود بعض المؤلفين الذين لا يوافقون على هذا
الرأي مثل طولوميو (الظلمي) Ptolomee الذي عاش في أفريقيا. وفي هذا المقام أحد
كتاب حوليات في الهند الغربية يبحثون عن هذه الآراء لمؤاتبة بغية الخصور على العصر
الكلاسيكي الذي كان ضروريا للعبة في عصر النهضة حتى ولو كان الأمر يتعلق بلوقع
المرئي

بمخصص الأب/ باتولوميه دي لاس كاساس في كتابه تاريخ الهند العربية عدة
فصول عن الموضوع حيث أتى على الموسوعة المعروفة التي جاءت من لدن ألتونو دي
الذي أعلن أنه من أنصار إمكانية سكنى المناطق الحارة غير أن الأسباني يذهب إلى ما هو
أبعد من هذا ويرى احتمالية كبيرة بلاغرض من مثل أن المنطقة الاستوائية في الهند العربية
يوجد فيها الفردوس على الأرض. ومع كحد لاس كاساس سوق كافة الخجج وانصدر
الخاصة بالأوطان والشعرية والميتولوجية وبممكنية... بحث في عرص شيق للعبة،
كما يبرز من بينها سببا له علاقة حميمة بالفلسفة اليونانية... وأبيونويا التي أصبحت
حقيقة على أرض الواقع وهي كينو. يعرف من خلال... ولتدريس جيوربيه أنه كان
في أثيوبيا الواقعة بالقرب من خط الاعتدل الملكي... سلاسة يطلق عليها أريم
Arim (1) أو "مائدة الشمس" حيث كان هؤلاء، معتمدين وسددور بالطعام الخفيف
واللذيذ الذي هو طعام الحكمة وعلم الفلسفة

من الطبيعي أن تستند النظرية الفردوسية للأب لاس كاساس على حجج أكثر قوة
وشخصية، جاءت من واقع تجربته على الأرض الباسية رغم فشل مهمته أو أن هذا كان
بسبب هو تحديدًا. هناك الطبيعة العنية والعظيمة والنعمة تطل من كل جانب وكذلك
"الطهارة والحرية والبساطة والطيبة التي عليها الناس" وهذا يعني أن "في تلك الأماكن،

(1) "تاريخ الهند العربية" الجزء الأول، الفصل III (XII)، نسخة منقحة منها، لثمة ص ٣٨٢

وبالقرب منها كانت العناية الإلهية حاضرة وأن الفردوس الأرضي موجود " وأن " من ينكر هذا أو يشك فيه فليس له صفة إلا أنه أحمق وأنه غير جدير " (١).

يمكن العثور على اعتبارات مشابهة لهذه السابقة، رغم أنها ليست شديدة القطعية، عند مؤرخين آخرين للهند الغربية. ها هو الأب خوسيه دي أكوسنا وقد هب للدفاع عن المنطقة الحارة وخصص جزءا كاملا من إجمالي الأجزاء السبعة لكتابة " التاريخ الطبيعي والأخلاقي للهند الغربية ". وجاء هذا الكتاب مكونا من أربعة عشر فصلا شديدة الدقة؛ كما أنه يضمن بتأييد النظرية القائلة بأنه يمكن العثور في هذه المنطقة على الفردوس، ولكن جاء ذلك في صورة أكثر اعتدالا ونسبية بالمقارنة برؤية لاس كاساس هذا اليسوعي لا يشير " بخوف " إلى " الفردوس الحميل الذي تتحدث عنه الكتب المقدسة " بل " أقول ذلك فيما لو كان هناك فردوس على الأرض حيث يمكن العيش في ظل مناخ هادئ ورقيق " مثل ذلك الذي يوجد في بعض مناطق الهند الغربية ويصل في هذا إلى درجة يفترض فيها أن السعادة المثالية التي عليها حدائق الإليزيه " والتي عليها Tempe الشهير وكذا " ما يحكيه أفلاطون أو ينخيله، عن جزيرة اأستيدا Atlantida، وها من المؤكد أن الشر يمكن أن يعثروا في تلك الأراضي على الفردوس إذا ما كانوا حسني النوايا وأرادوا أن يكونوا سادة وليس عبيدا لأموالهم وحسبهم.

نجد في كتاب الأب أكوسنا أن أسطورة فردوس على الأرض في البلاد الأمريكية تحولت إلى إمكانية إقامة الجمهورية مستقلة عن هذه الأرض من خلال الإصلاحات الأخلاقية والاجتماعية المناسبة.

من المفترض أن يكون كامبينا على ساحل شبه الحارات التي نسسم بأنها قديمة للغاية وجديدة في آن معا حول افتراض وجود فردوس استوئي في العالم الجديد وعلى أية حال يحده يجعل مدينته البوتوية تنمو على حد لاعتدال الملكي وهي في الجهة المقابلة من الكرة الأرضية تقريبا. وبالنسبة لجزيرة نابروانا Toprobana التي رسا على شواطئها القائد البحري الذي اكتشف " مدينة الشمس " ووصفها، فقد كان ينظر إليها قديما على

(١) 'تاريخ الهند الغربية' الجزء الأول، الفصل CXIX، الصفحة ١٢٩، نسخة نشر لها، سنة ١٧٩٩.

(٢) 'التاريخ الطبيعي والأخلاقي للهند الغربية'، الجزء الثاني، الفصل XIV، الصفحة ١٢٩، نسخة نشر لها، سنة ١٧٩٩.

أنها الإقليم الذي يعيش فيه سكان الجانب الآخر . طبقاً لما يؤكد Solino كتابه Polyhistor (الفصل ٥٦) وهو الذي أشار إليه أيضاً الأب لاس كاساس - وأنه إذا ما كان على اتفاق مع أو وصف البطلمي لها عادة ما يرى مدينة سيلان . ومع هذا فهناك احتمال كبير في أن يكون كامبانيا فكر في جزيرة سومطرة الواقعة جنوب خط الاعتدال الملكي Sotto حيث بصفتها بأنها " hodie post gentiismo non retinendo" ^(١) navigationem Luistanorum est nulibi foelicius habitari

عد الحديث أيضاً عن جزر آسيوية كانت هناك مدن أسيانية هي بمثابة طبيعة للمدن الأمريكية حيث كانت تتمتع سمات مذهلة من درجة التسه التي تجمعها بتلك التي ابتدعها كامبانيا في كتابه . تتوفر مدينة الشمس على سمات عظيمة ، مثل مدينة كيتو ، في جوايا كير تساعد سكانها على إقامة علاقات قوية مع الهنود والصينيين والسياميين وغيرها من الشعوب الآسيوية . وهذا في حقيقة الأمر ملمح شديد الأسيانية لمدينة كامبانيا وليس الحديقة المسبجة hortusconclusus مثلما كان يراه في كتب البوتوبيات ، حيث نرى أن المدينة مفتوحة على النقل العالمي طبقاً لما كان يحدث بالنسبة لمدن الهند العربية التي هي جزء من الآلية الاقتصادية الضخمة وكذا الآلية الإدارية واستدامة للمملكة الكاثوليكية رغم صعوبة التضاريس التي تحيط بها

وعندما نتقل من فحص الظروف الجغرافية العامة لمدينة الشمس وموقعها وشأنها نكتشف أيضاً وحوه شبه مذهلة مع المدينة الاستوائية . وإذا ما صعد كامبانيا على سطح هضبة لوجد أن منازل كيتو تتربع على الهضبة وكأنها رقع سطرح تكاد تكون معلقة في الهواء أي فوق منطقة غير مسطحة وأن فوارق الارتعاعات في هذه الرقعة تصل إلى مائة متر في ثماني أو عشر نواح من المباني ، وبالتالي فإنها تقوم على قواس غير مرتبة تنكس على تلك المنكسرة . وبهذا توحد كحاضرة معمارية متشاككة ومتصرفة ، بمعنى أنها تنسم بالعظمة وهذا مثلما كان يحدث بالنسبة لحاضرة كامبانيا حيث نجد قصورها الكبيرة " شديدة الترابط فيما بينها " " للدرجة يمكن معها أن تقول أنها عبارة عن مبنى واحد " ، و " في منتصف ارتفاع

(١) Vid "مدينة الشمس" للأب مورينو بوبو ، توريسو ، ١٩٤١ م ص ٥٥ . هامش رقم ٦

تلك القصور - يضيف الكتاب^(١) - تبرز سلسلة من البوائك التي تمتد على طول الناحية، وفوقها هناك دهايز، كما أن هذه الأقواس تتكى على أعمدة جميلة ذات قواعد عريضة وكأننا نرى صالات الأعمدة أو أديرة الرهبان.

تسم المدينة اليوتوبية (الفاضلة) عند ابن طائفة الدومنيكان وابن بلدة كلابريا في إيطاليا - وهذا ما تم التعليق عليه مرات عديدة بأنها مدينة ديرية على شاكلة ما هو في جنوب إيطاليا. والشيء نفسه أيضاً بالنسبة لمدينة كيتو، ولكن بدرجة أكبر مما عليه المدن في البحر المتوسط، وكذا بالنسبة للغالبية العظمى للمدن الأسبانوأمريكية، حيث كانت مدن رهبان بالدرجة الأولى لكن ذلك من منظور ثقافي وسياسي الذي يميز اليوتوبية للدومنيكاني، الذي كان يتغنى بالمفاخر الكونية وبما وراء البحار في الملكية الكاتوليكية. كان دير الرهبان هو الملح المعماري الرئيسي في مدينة الشمس ومدينة كيتو وكونكو وأريكيبا Arequipa. وليما أو المدن المماثلة التي تقع في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، وهو غط معماري يتكرر في المقر الديري لكل واحدة من الجماعات الدينية التبشيرية الكبرى. وبالنسبة للرحالة الأوربي فإنه مهما بلغت درجة اعتياده على عمارة الأديرة في أسبانيا وإيطاليا نجده يشعر بأنه تائه وسط كل هذا الطوفان من الصروح Patio والأديرة والسلالم والمصليات وقاعات الصوم الح التي توحد في أديرة مثل دير سان فرانسيسكو أو دير لامرنيدي في كونكو. وسنتو درسحو في ليما أو دير المرسيسكان في كيتو، حيث يبدو أن كل دير منها قد تحول إلى ما شئت المدينة الحقيقية

وحتى محصر أنفسنا على كيتو نشير إلى أن دير سان فرانسيسكو كانت مساحته ثلاثين ألف متر مربع، وبه ثلاث كنائس وسبعة صروح وحديقة إضافة إلى القباب القوية التي كانت تحمل جزءا كبيرا من الدهليز والصحن الرئيسي كنوع من معاخة عدم وجود الأرضية على ارتفاع واحد ولا يوحد إلا التباين من الأديرة في أمريكا الجنوبية بمكر مقارنتها بهذا الدير رغم أنها يمكن أن تكون أكبر مساحة، ونكمن هذه المقارنة في الجوانب المعمارية والكنوز المتمثلة في المنحوتات والرسم وكافة أنواع الفنون الرخفية، إضافة إلى الوظيفة التي يقوم بها في التطوير الثقافي في أمريكا الجنوبية احتل الدير مكانا مميزا للغاية في

(١) Vid ترجمة 'يوتوبيات عصر النهضة' المكسيك، ١٩٤١، ص ١٣٨

المدينة التي أعطته اسمها، والسبب هو أن الرهبان الشمامسة كانوا من إقطاع الخامس
ساسانيان دي اس القصر ليعد اسم المدينة الحديثة الأساس، ساسانيان، القصر سان
فرانيسكو دي كيتو، وهو الاسم الذي لا زال في محاصر المحاصر الذي في المعلم، والمكان
وبلدية هذه المدينة الشديدة السل والوفاء

وفي هذا السباق بعد الترقية الدينية والمعمارية في كيتو ساسانيان من الشمامسة
بالمدرن الإسمائويكية حيث تنقسم بالوارث في نوربع رقعها رغم أن هناك أولوية للمدرن
سان فرانسيسكو وليس عربيا إذن أن يثبت إليها ما يثبت من نصيب حيش المشير
بالمقارنة بينها وبين جماعة سان أغسطين وسانو دومينجو ولاحه ثيود، وهي جماعات انقسمت
إليها في بداية القرن السابع عشر "جماعة يسوع"، ثم جماعة الخاشخوس (الرهبان
الكاثوليك) في منتصف القرن المذكور ولكن من بعض الأقاليم كان ثبير دير سان
فرانيسكو واضحا في كيتو، فهناك مناسبه التي استندت اليها من الجهد والموارد ليرجى أن
الجماعات الدينية الأخرى لم تبدأ في بناء كنائسها وأديرتها إلا بعد مرور سنوات من الربع
الأخير من القرن السادس عشر، ولم تتمكن من بناء الكنائس حتى بداية القرن التالي

وفي هذا المقام الحديد الذي تتم فيه مقارنة كيتو بجماعة الشمامسة نجد أنه إراء ما هو
مرسوم في "يوتوبيا" توماس مور، ليس هناك إلا دار واحدة للعبادة بها وقد شيدت بطريقة
تثير الإعجاب على قمة الجبل، يشير أيضا إلى الموقع المسماة لسان علمه الدير في كيتو ذلك أن
رهبانه كانوا يميزين عند قيام القيادات الكنسية Cabildo تسميهم قطعة أرض تدخل في دائرة
قصر للإنكي هوبنا كاباك Huaina Capac أيضا نجد أن الدير عمر منذ تأسيسه مما يدل على
دم ذلك الذي بدأ المهمة وهو فراي خاكوبو ريك دي مارسيلار، المولود في جانتشي Gante،
وهو، طبقا لما يقال، أحد أقرباء الإمبراطور كارلوس الخامس وتشير هذه الأقوال أيضا إلى
أن الإمبراطور ساعد بشكل جوهري على إقامة الدير الكبير، ودأت يوم وجدوه مستعرقا في
التنكير وهو في واحدة من شرفات قصره في طليطلة يتأمل أملا في أن يلمح أبراج دير
عمه، وهي أبراج لا بد أنها شديدة الارتفاع استنادا إلى ما أنفق عليها من مال.

ونفص النظر عما يقال، فمن الملاحظ وجود هذه السمة الملكية الإمبراطورية التي
عليها دير سان فرانسيسكو سواء من حيث التجليات المعمارية أو التنويعات الأسلوبية التي

تتلاقى فيه كان الرهبان الأوائل من الفرنسيين الذين وصلوا إلى كيتو من الملامك،
 مثلما هو الحال في المكسيك، إضافة إلى القشتالي بدرو دي ريدونياس وكان يرافقهم صانعون
 من شمال أوروبا - جاكوم الفلامنكي، خيرمان الألماني - الذين أسهموا بعملهم في بناء
 ورخرفة الكنيسة تعاونوا مع فنانين كثيرين آخرين من المدجنين الذين شاركوا بالعمل هناك،
 يعرف أيضاً أن من بين طوابير جيوش الغزاة كان هناك أكثر من مائتي مسلم اعتنقوا
 المسيحية، وهم من الذين كان يُشهد لهم كثيراً بمعارفهم في فن صهر المعادن وتصنيع
 الأسلحة النارية. تضمن هذا الجيش أيضاً عدداً جيداً من المشارقة Levantiscos أو
 اليونانيين، تحت إمرة بدرو دي كانديا تلك الشخصية البارزة، وهم من المتخصصين في
 صناعة المدافع، وكذا - بمساعدة الهنود - في صهر الخوذات والدروع الخفيفة من الفضة
 والنحاس المخلوط حيث كانت عاية في أخوة^١ ظل الكثير من هؤلاء الداس في كيتو
 حيث كانت من أبرز مدر أمريكا الجنوبية التي تقدم فرصاً متاحة أمامهم للقيام بمهاراتهم
 المهنية. وإلى هذه التنوعة الكبيرة من الصناعات الأوربيين انضم أبناء السكان الأصليين إذ
 سرعان ما بدأوا التعاون معهم. كما كان هناك آخرون قدموا من الشرق الأقصى ذلك أن
 الفرنسيين لم يقتصرُوا على استيراد النسخ النسخة من الجماعات التبشيرية التي كانت
 تعمل في آسيا بل هناك أيضاً الهند الشرقية حيث جاء هؤلاء للمساعدة في زخرفة الدبر
 الكبير في كيتو^٢

كان ناتج هذا التعاون الواسع أمراً ملحوظاً في منطقة الشدطع في كنيسة سار
 فرانيسكو حيث نجد العقود الرئيسية المدسة بنوع خاص في عدد من حرفة مكوات نظمية على
 أسلوب عصر النهضة وفي الملامك، وعلى الحدس هناك حوائط مكوات مصنوعة من
 الخشب المشغول والمطلبي باللون الذهبي حيث نلاحظ التمام الهندية القصية في الكرايش
 الخاصة بالخليات المعمارية المنموجة، كما أن المركز من حروف على شكل قصعة ثمانية
 الأصلاع وله إفريز عريض به ثمانية وأربعون صورة قصية وهذا المدخ النسي برداد قوة

(١) إنك حارثيلاسودي لايبغا 'عرو برو' من الجزء الذي من استعقت مكتبة بلات، محمد الثالث، الفصل

الثالث عشر، الطعة المشار إليها، الثالثة ص ١٩٦

(٢) جوسيه جابريل تابارو 'البحث في الأكوادور'، من تقرير السادس عشر حتى الثامن عشر، مدريد ١٩٢٩، ص ٢١-

أمام الزائر عندما يدخل الكنيسة حيث تلك الواجهة التي تتسم بأنها تحمل الأسلوب الفني الإيطالي المحض بأعمدتها في شكل مجموعات وواجهاتها التي ترتفع رويدا رويدا فوق السلم الكبير الذي تم تشييده طبقا للوحة المرسومة guabado التي أعدها سيرليو Serlio من nicchione في برامانتي Bramante. وإذا ما كانت هناك دار عبادة في العالم يمكن لها من خلال غطيتها الإيطالية ومسكونيتها أن توحى خيال كامبانيا فإنها كنيسة سان فرنيسكو في كيتو.

كما أن كامبانيا سوف يشعر بالرضا عندما يرى صحون الدبر، وهو عبارة عن حدائق نباتية حقيقية. حتى يمكن رعاية النباتات الأوربية، وكذا صحون الأديرة claustro المزخرفة بالرسوم من كل نوع. حيث تعلم في هذا المكان العديد من أجيال الفنانين من الهنود وعرفوا أسرار الإيمان والمفهوم الفعلي والتاريخي الذي عليه الغرب وكذا الفنون الأوربية. هناك أيضاً الخوائط السبع التي تحيط بدار العبادة الرئيسية في مدينة الشمس معطاة بمشاهد مرسومة رائعة تمثل، في سياق جدير بالإعجاب، العلوم والفنون الميكانيكية والمخترعين في العلوم والأسلحة والمشرعين... الخ أضف إلى ذلك، يقص عبنا القديس البحري في الكتاب^(١)، "رأيت في مكان مثير صور المسيح والحواريين والإثنى عشر، الذين يعتبرون جديرون بكل تبجيل وهم في مكانة أرفع من البشر. كما رأيت في اجرة الآخر الواقع أسفل البوath صورة قيصر، والإسكندر وبيرو وهاببال وأبطالا آخرين..."

تتسم هذه الخلطة الضخمة من العناصر الدينية والسياسية والعلمية والفنية بأنها سمة من سمات المدينة كامبانيا، وكذا تلك المدر الديرية في الهند الغربية، غير أن القبة نقبة منها يمكن مقارنتها بمدينة كيتو الفرنسيةكانية أدخل فراي/خادوكو البذور الأولى للفتح في أمريكا الجنوبية، وسيرا على نهج المدرسة التي أسسها في المكسيك ابن بلده بدرودي جانتى كرس جهده، وبحماس، لتربية السكان الأصليين، وواصل من جاءوا بعده المهمة التي بدأها حيث تم توسيع المدرسة الديرية في سان أندرس، حيث رجال الدين يقومون بتعليم الهنود ليس فقط القراءة والكتابة والعقيدة المسيحية بل كافة أنواع الحرف المعبدة والفنية.

(١) الطبعة المشار إليها ص ١٤٥

ومن الأمور التي تتسم بأنها تسترعى الانتباه وذات الدلالة هو أن أول هيئة يتم فيها تعليم الفنون في أمريكا الجنوبية كانت تقع على خط الاستواء كما أن تأثيرها كان طويل المدى. حيث وصل من الجهة الشمالية حتى تونجا Tunja القصية الواقعة شمال بوغوتا، ومن الجنوب وصلت إلى شاركاس Characas التي تقع وسط بوليفيا الحالية. غير أن من يتأمل مدينة كينو بعظمتها، آخذاً في الاعتبار الإسهام الكامل لكامبانيا، يذهب إلى ما هو أبعد من هذا بكثير. سلط بعض المعلقين الضوء على أن الصورة المحددة والتطبيقية لمدينة الشمس تتسم بأنها متنوعة وكذا ما يتعلق بالرؤية العامة لها سواء من الناحية المسكونية أو الكوزمية التي نراها في كثير من كتابات المفكر الإيطالي؛ غير أن وجهتي النظر هاتين تتلاقيان وتتكاملان، فالمدينة اليوتوبية (الفاضلة) ليست شيئاً منعزلاً ومحاطاً بأربعة جدران في معمل تجارب اجتماعية بل هي عبارة عن التحليل الميكروسكوبي لوحدة سياسية متكاملة في جلاكسيا كبيرة حيث تستطيع نظارة الدومنيكان أن تلمحها بكل ملاحظتها. وفيما يتعلق بالواقع التاريخي، نجد أن السيد/فرناندو، الرجل الذي أسس الوحدة الإنسانية وكذا إمبراطورية الهند الغربية حصل من خلال تنصيبه في المنصب الديني الرفيع Patronato على أداة رائعة للتوفيق بين الخلايا الكنسية، التي لا تعد، في إطار ملكية كانت تميل، بسبب كاثوليكيته لأن تتماهى مع القضية الرهبانية الرومانية، سيرا في هذا على أماني كامبانيا.

لا يوجد مُفَرِّغٌ تمكن من أن تكون الملكية الأسبانية قابلة للقياس حسب صوته وانتشار أسلوبه مثلما تمكن من ذلك ابن كالابريا Calabria كتب في مؤلفه Discorsi ai principi d'Italia يقول "منذ خلق العالم لم تكن هناك إمبراطورية بهذه الضخامة وإثارة الإعجاب مثل الإمبراطورية الأسبانية اليوم الإمبراطورية الأسبانية ضخمة للغاية لدرجة لا تكاد تصدق وبها الكثير من الأعاجيب لدرجة تبدو معها أسطورة في نظر من لا يفهم جغرافية الكون والقوة الطاغية في هذا الزمن. إذا ما نظرت حول أفريقيا، ابتداء من العرب وحتى الجنوب نجد أن بها أربعين مملكة مثل أسبانيا؛ أضف إلى ما سبق سيطرتها على معظم المحيط وهذا شيء لا يقدر بثمن... وبذلك لا يوجد مُلْك في العالم، ولم يوجد قبل ذلك أبداً، يمكن أن يمثل عشر الإمبراطورية الأسبانية، وليس هذا إلا معجزة إلهية"

ويستهي كامبانيا بقوله بأن الإمبراطورية الأسبانية التي تضم كافة الأمم والعالم هي نفسها ملكية المخلص. كانت العناية الإلهية وراء ما فعله كريستوفر كولومبوس "وكانها

حامة تحيط بها المياه ، وهي تحمل اسم المسيح بكل مقاطع الكلمة التي يتكون منها اسمه
تتقدم الأمة الأسبانية بحملاتها الاستكشافية المغامرة في المحيطات في مهمة الخلاص . وإدام
كان تعداد سكانها كبيرا فقد خلت منهم . ورغم أن الأفراد كانوا مدفوعين بحمى النحر
والثروات فإن عملهم أسهم في نشر الكتاب المقدس *adam divino instinctu*
.agitatur

وبعد التطواف بأمريكا الأسبانية يمكن فهم الفكر السياسي الكوني لكاسانيا ،
والعكس صحيح ، فإن ذلك الفكر هو واحد من أفضل المداخل لتفهم الإسهام الأسباني في
الهند الغربية

وعندما يسير المرء ، بعد الحديث في المجلس الموقر في "بيت الثقافة في كيتو" حذو
كبير الدير من خلال السلالم والصحن والدشيرة والمصليات والمنطعم الخ التي هي
مكونات دير سانتو دومينجو ، حيث هناك معهد لثقافة الإنسانية ، ليصل إلى قاعة
المحاضرات ، يشعر المرء بتجلى المسيح هناك سحادة وراء طهري ومسر على يسر
والمقاعد التي يجلس عليها أحمهور واحتسب لربع مشعوب يدي صقع منه حامل النوت
والجو العام للصيانة بما فيه من لوحات عديدة ويمدح صعد . كل ذلك يشعر لمحصر
بالخيرة حيث ينظر إلى نفسه شررا شكل مستر ، حتى مع مع حو المحيط ويتمى لو
وضعوا على كتفيه حلة الشماس

لكن لن تكون حلة الشماس من ملابس أكثر مبررة ، ولا واقعية ، لدرجة لا يكون
معها موجودا . كما أنه يكتشف نوع من البعد على دعوة عندما يبدؤ الكلام ، وكأن
الكلمات تخرج من فم شخص آخر غيره . يشعر بأحس من نفس لشيء من هذ الصوت
الذي يخرج منه وكأنه أخذه عارية من تحت *Hola* المشرى من مدسة الشمس ولبس
واعظا ، ولا يوجد فيه أدنى لجلجة بل حيرة واصطراب

يا له من تعقيد يتمثل في الوظائف الاستبدادية في يوتويا كامبانيا وكذلك في مدن
الديرية في أمريكا الأسبانية ! هناك العديد من المهام والأنشطة التي كانت تقع على عاتق
الربان والتي تصل ، من ثقلها ، إلى الانزلاق إلى طريق التدهور حتى وصلت إلى حالة محزنة
عبر عنها كل من خورخي خوان وأنطونيو دي أيوا في تقريرهما المعنون "الأخبار السرية

لأمريكا الذي تم تقديمه للبلاط . وتتسم الصفحات المخصصة للحديث عن عادات رهبان
كيتو بأنها فاضحة .

لكن لم يخف البعد اليوتوبي للمدينة في هذا التقرير لهذا السبب سواء كان بالنسبة
لها أو للإقليم التابع لها ، ويقتصر الأمر هنا إلى تحولها في هذا المقام إلى ما عليه عصر
التوير . لقد انضم كل من خورخي خوان وأنطونيو إلى الحملة التي نظمها " الأكاديمية
الملكية للعلوم " في باريس ، لقياس عقد مائدة خط الزوال de meridiano ، وكانا يملان
طبقا للموظيفة التي يقومان بها إلى اليوتوبية العلمية والمفيدة لعصر التوير ، وأصابتهما
الدهشة بالثروة التي كانت في البلاد والتي يمكن مقارنتها بما عليه أفضل المناطق في البيرو .
لكن الطبيعة في ذلك البلد لم تقتصر على وضع ثرواتها تحت الأرض منلما نجده في
مرتفعات البيرو بل حبتها الطبيعة " بوفرة من المواد الغذائية الطيبة للغاية وناس أشداء وعدد
وافر من الأنهار والجداول وبالتالي تصبح مريحة بالنسبة للآلات والطواحين المستخدمة في
استخراج المعادن . . . الخ " ^(١) . كانت الطبيعة شديدة السخاء في إقليم كيتو لدرجة أن هجر
مناجمها الغنية للغاية إنما يرجع إلى حالة الوفرة في البلاد الأمر الذي يؤدي إلى حدوث نوع من
الكسل عند السكان .

كانت كيتو تواصل بصورتها كمدينة فاصلة وسوف تظل كذلك لمن يتأمل المشهد العام
فيها . وفي الوقت ذاته سوف تظل مدينة حيمة وكانها مدينة من عالم آخر . هناك القليل من
الذكريات الناجمة عن الرحلة إلى القارة الحديدة التي أصبحت محفورة في الذاكرة ومنها الخاصة
بتلك الأمسية التي تحولت فيها ، بعد تناول طعام العشاء ، في طريق البراكين بناء على دعوة من
ملاك ذلك المطعم الذي تناولت فيها العشاء وكان مكونا من حصرة من إقليم أستورياس
الأسباني ، وهم أي الملاك من الذين يتسبون إلى الأسر الأكثر عراقا في المدينة .

كانت السيارة تهتز من جراء الحالة السيئة التي عليها الطريق وربما كان ذلك بسبب
طبيعة الأرض البركانية التي تسير فوقها ، وعلى الجهة اليسرى كان الهرم الضخم
Cotopaxi يقترب وهو يرتدي قبعته المكونة من الجليد الدائم . نزلنا من السيارة لتتأمل
الهرم بهدوء وملا العين بياضه ، لدرجة بدا معها أن الوادي كان مظلما عندما بدأنا السير فيه

(١) العمل المشار إليه ، الباب الثاني الفصل التاسع ، الطبعة المشار إليها ، ص ٤١٩

من جديد حتى رأينا مدينة لاناكوجا I atacunga بمساكنها الشديدة البياض والمتلافة
وكان البركان نفسه هو الذي شكلها بواحد من تجشواته وليس برماده بل من خلال اخيه
المزاعم عليه .

القراصنة ولعوادي الزمن، كما أن هناك 'برج التكريم' الذي يمتد على أطراف أواما Ozama. ينسب الباب إلى السور القديم المكون من حوائط عالية وغير عريضة ودارت طابع العصور الوسطى بشكل ملحوظ وهي التي بدأ بناؤها عام ١٥٤٣ م. كما أنها الجزء المتبقي من حصن كبير يمكن القول عنه، من خلال المخططات المحفوظة في أرشيف الهند الغربية، بأنه كان يشكل مقرا محصنا تانيا وله أسوار ذات شرفات وبرج على شاطئ ليهير وبوابة تحميها مكعبات سميكة تربط الحصن بالمدينة^(١)

ومن كان يصعد إلى ذلك المكان في منتصف القرن السادس عشر يخرج بالطابع منه أنه لم يغادر الأقاليم الأطلنطية للقارة العجوز مما عليه من سمات العصور الوسطى كان من المنطقي أن تحدث الأمور على هذا النحو، ذلك أنه إذا ما كان العصر الحديث بدأ بالاستكشاف واستغلال العلم الجديد فمن غير الحيل أن تحمل المدينة في باب الدخول إليها سمات العصر الحديث. كانت توجد في سانتو دومينغو بعض التحديدات التي تعبر عن روح جديدة، فالشوارع كانت مصممة على شكل خطوط مستقيمة مشكلة مربعات كما أن مسي كانت تقام بإيقاع محموم لدرجة يمكن وصفه بأنه 'بنيان أمريكي' إضافة إلى مفهوم جديد للمكان والزمان إذ وضع في الاعتبار ليس الأحداث لاية للسكان وإنما للمستقبل كذلك

كما أن العناصر الاقتصادية الكمية وراء نمو مدسة كانت جديدة بالطبع، وكان ميناؤها الميناء الأهم في العالم الجديد وظل على هذا النحو حتى النصف الثاني من القرن السادس عشر حيث كانت تتركز فيه عمليات النقل من الفارتين، ومن مواهب البحر الحملات التي قامت بعزو بويرتوريكو وكوبا وبعدها من الأقاليم الكائنة على الشواطئ القارية. وهناك جزء كبير من الأموال التي يتم حصصها من التمدية والعروات وما يقوم الموظفون بتحصيله جرى استخدامه في إقامة أسس. وقد قام الأب لاس كاساس، وفرناندث دي أوبيدو بوضع قائمة دقيقة للإنشاءات لأولى التي تمت، حيث كان هناك ميل لتشييد منازل قوية البنيان والتي بقي منها الكثير حتى أيامنا هذه مثل بعض المزار التي أمر الحاكم نيكولاس دي أوباندو ببنائها في شارع مورتاليتا

(١) ديجو أنخولو إنجيث، باونست أنطونيلي، 'التحصينات الأمريكية خلال القرن السادس عشر'، مدريد ١٩٤٣، ص ٢٩

أصبحت سانتو دومنغو، بفضل هذه الجهود، حاضرة ظاهرة نلفت الانتباه وكان ذلك في وقت قصير كتب فرناندث دي أوبيدو العارف الجيد بأفضل المدن الأوربية " هذه المدينة مشيدة تشييدا حسنا ولا تضارعها أي بلدة في أسبانيا حيث كانت حسنة البناء بشكل عام ومقارن وتفوقت في هذا على مدينة برشلونة الشهيرة^(١) يؤكد الأسقف أليخاندر حبر الدين، الأسقف الثاني في سانتو دومنغو، والناقد الجيد من حيث أنه إيطالي المولد وصديق "ليون العاشر"، بعد وصوله بوقت قصير إلى المكان، ١٥٢٠م "أنني أعجبت برؤية هذه المدينة الشهيرة التي تأسست منذ خمسة وعشرين عاما، ذلك أن مبانيها مرتفعة وحميلة مثل الباني الإيطالية، كما أن ميناءها يستقبل كافة السفن القادمة من أوروبا، وشوارعها مستقيمة وواسعة والتي يمكن لشوارع فلورنسا أن تكون غير قادرة على المنافسة في هذا".

لكن مثل هذه المدينة التي ازدهرت في غضون خمسة وعشرين عاما منذ أن تأسست تعاني التوقف شبه المفاجئ في نموها لنفس الأسباب الكمية وراء عظمتها وتحديدًا حد أن الأنشطة التي كانت تتم فيها هي التي فرغتها من حيويتها، وفي هذا لقاء كتب فرناندث دي أوبيدو يقول "إن من منطلق هذا المكان تم اكتشاف فصل مكر ونسكيه وترويده بأفضل ما في الهند العربية وكأنه عبارة عن رأس وأم ومرضعة لكافة أحرار هذه الإمبراطورية" وفي منتصف القرن وبعد غزو المكسيك وتحويل لاهافا إلى المباء الذي تخضع فيه العبيات والسفن الآتية والراحلة من العالم القديم إلى العالم الجديد، اكتملت مدينة سانتو دومنغو لتصبح مدينة نابوية ومن جهة أخرى أسهمت عمليات تهريب المدينة على يد قوات 1519 في اتساع من بدير لعام ١٥٨٦م في وضع اللبسة النهائية لاخطط المدينة وقد الإحصاء في هذه المدينة وفي حقصور ومن لا يتجاوز شهرا معمبة تدمر المدينة بشكل متهيج لإجبارها على دفع ثمن كبيرة بدميتها سكبتها الهاربون، وطبقا لما يقصه أحد الضباط المرافقين لـ Drake في كتاب "سيرة رائعة النساء وعالية كنف الكثير من الجهد هدمها وتدميرها"

لا تعتبر سانتو دومنغو المدينة الوحيدة ذات طابع العصور الوسطى والقوطية في أمريكا بل إذا ما أراد الزائر أن يوجه عنايته بخزء التقديم فيها التي أُنقذت شكل شبه كامل من عمليات الغرق الكثيرة لا يكاد يجد شيئا آخر إلا مدينة من مدن العصور الوسطى.

^١ التاريخ العام والطبيعي للهند العربية - الجزء الثالث - لفصل العاشر، العمل المنشورية - الصبعة الأولى - ص ٧٦

ولقد جاء الأسلوب البلاطيري إلى العاصمة عندما بدأت مرحلة الانحطاط وما يتركه
 الأسلوب صمته إلا في راحة المصليات الكاتدرائية وواجهت بعض المدن وكذا وجه
 الكاتدرائية نفسها. التي تعتبر. طبقاً لرأي أنجولو بيجيت . إلى حور كاتدرائية
 أغسطس في أكولمان Acolman (المكسيك) . نموذج لأفضل المعر عن الفن البلاطيري في
 أمريكا توقف التاريخ الفني لسانتو دومينغو في حصة حرة ودنت بصادقة بعض الأعمال
 على الطريقة الرومانية في المصليات الكاتدرائية. ذلك أن ركنين ومشتات مدنية بني
 أقيمت بعد ذلك وأعيد ساؤها خلال انقراض لثمن عشر لا يمكن مذارتها بنتت بني كات
 قائمة ولا بنلك التي أقيمت بشكل متزامن في مدن أخرى في الهند الغربية

وفي الوقت الذي تحدث فيه أن أغلب المدن في الهند القديمة لم تكن حديد حدث
 تتجدد في الوقت الذي ظهرت فيه الأساليب الجديدة . تحدث أن دور عاصمة في أمريكا قد
 توقفت عن ذلك وتوقفت في صورتها بقوضية. ويمكن أن نذهب في نقول أن الهند كانت
 صورة العصور الوسطى المتأخرة وهذا من أسوار سانتو دومينغو بني نه نصيبه صرح
 مبالغ فيه كانت تضم مساحات كبيرة دون . الأمر الذي يذكر ما كانت عليه مدن
 الرومانية مثل أوتون Aotun. التي اكتملت وصححت ردم بمعدنية صعبة وفقرت فوق
 الأسوار شبه المهتمة لتستعيد صورة نثر حث بني . من يستعيد قبل ذلك

وفي سانتو دومينغو كان الأمر عذرة عن من حيث أن كمال صعد
 الهجومية كانت مركرة أكثر مقدرة منطقة مدنية وأمر تملكه لست وممكنة
 الحيوان. وعلى هذا فأناء براء وقع عام ١٦٢٧ م . من الكاتدرائية أن هضوه
 هناك ذات مرة الماعز في تلك المدرسة إضافة إلى بعض وأخرى والأمر هو أن
 المعتاد أنها تسير في الشارع في صورة قطع تحت عن صعد نكسها عديم تدحل الكسنة
 الكاتدرائية فإن ذلك لشرب المياه الماركة من الأخوان ذلك في أهد العظمت ذلك
 أنها لا تقلق من يقوم بالعظة حيث يتم إغلاق أبواب الكيسة بكبرى نداء ذلك

- (١) 'تاريخ الفن الأسباني الأمريكي'، برنسون، ١٩٥٥ م، الطبعة الأولى، ص ١٠٣
- (٢) فري ثير يابودي أوتريبرا O M C 'جامعات سانتياغو دي لاكس وسانتو دومينغو الأسباني' وسمير بكتول
 مدينة سانتو دومينغو دلي لايسلا الأسبانية . سانتو دومينغو، ١٩٣٧ م، ص ١٣٧ مأخوذ عن الدراسة
 المشار إليه، الطبعة الأولى، ص ١٣٠

قصر سانتو دومينجو ليقوم في هدوء باجتياز وترتيب كل ما رآه ليقدّم له صورة منسقة عن
الأعاجيب في نصف الكرة الخديد وكأنه كتب حوليات "حلالة القبضرة"

لم يكن الأمر يتعلق بالعودة إلى العلم القديم رغم أنه كان موحودا دائما في ذكره
المؤرخ العظيم، فعلى مدار عمره المديد لم يتوقف عن تأليف كتب الفروسية ومارس
والحروب والأنساب والعظماء وفي سن التاسعة والسبعين أنخر في انترالدومبيكي من
بلغ سن الخمسين من المحاربين والمشاهير والأقل شهرة من الملوك والأمراء والدوقات
والماركيزات والكونتات والفرسان والأشخاص المعروفين في أسبانيا، وكان هذا العمل هو
آخر أعماله التي نوح بها حينه لثي مدتها في خدمة هؤلاء مشاهير

عندما بلغ الثانية عشرة من عمره دخل كعلاء في بيت اندوق لثي دتي
إيرموسا، ابن أخت الملك الكاثوليكي، ثم شغل بعد ذلك شغل خدمة له لأير
السيد خوان، بصفته وصيف عرفة وأحد بيشق مع سلالته حيث شهد بثنى فربادت دي
أوبيدو الأحداث الحسمة التي وقعت عام ١٤٩٢م كتب خلالها، ولثي صغير، أنه
حصار عرناطة وشهدت تأسيس مدنة لأتس مدني في بيت حشش، ثم رأيت بعد
ذلك دخول الملوك كاثوليك مدنة حربية حاربها مع سلالته وشهدت تطرد يهود
من قشتالة، وكنت في برشونة عندما خرج ملك كاثوليكي من هناك مع جيشه إلى
البحري/ كريستوفر كولومبس مستحويا بالأمير الذي كان معه في أول رحلته
للاكتشاف، وعلى هذا لا أنكم عن شيء سمعته في أول الأمر لأربعة من بعد
رأيتة^(١)

أخذ بطوف بعد ذلك، وهو لا يزال صغيرا، إلى بلاد سبوت، في مشاهد
الأكثر شهرة في أوروبا وبعد وفاة الأمير سبوت، أخذ بطوف سلاط آل
Gonzaga, Sforza وبورجيا وملوك سبوت، والبر في مشاهد من مهارة، لانفرد
في تقطيع أشكال مدن الورق باستخدام المنقص حيث كان ذلك نوعا من موضة في عالم الفن
الأمري الذي هيا له الدخول في علاقة مع شخصيات بارزة من شخصيات عصر النهضة
الإيطالي رغم أصوله المتواضعة وعصاميته في تربية نفسه وعدم استئصال مركب عدم

(١) الشرح العام والطبيعي لهذه المعرفة، محمد سي، فصل السابع، ص ١٠٠

ذلك فعله فرناندث دي أوبيدو، وهو الذي رآه أليخاندر فون همبولت هو ومع
اليسوعي/خوسيه دي أكوستا على أنه أب علم الجغرافيا الحديث. فإذا لم تكن هناك
حساسية عالية تتم العناية بها في أفضل المدارس الأوروبية، وإذا لم تكن هناك معارف مسبقة
بالثقافة القديمة وثقافة العصور الوسطى، وهي ثقافة يتم استيعابها بشكل جيد كلما كانت
نابعة من تربية الدات، فلا يمكن في حقيقة الأمر أن تكون هناك القدرة على إدراك الألوان
الفريدة لفراشة استوائية أو المكان الرائع الذي تنتقل فيه أو مشهد البراكين

عندما يصعد فرناندو دي أوبيدو إلى فوهة بركان ماسايا Masaya في نيكاراغوا فإنه
يتمتع بتجربة أوروبية مسبقة نابعة من صعوده إلى فوهة Vulcano بمعنى فوهة Vesubio
عندما ذهب إلى نابولي كحارس للملابس مليكته. وقد حالت هي دون أن يكون له رد فعل
شعوي وأن يتأمل المشهد الطبيعي بعيون فرحة كقرطاجني: "الميدان شديد الاستدارة"
ونحت "الكثير من الببغاوات الطائرة من ذات الأذيال الطويلة" ويفتح عمق البركان وهو
في حالة غليان هادئة وبطيئة، كما يتبدى المشهد وكأن الأمر عبارة عن مباراة أجزاء الحصان
'ciento a caballo' وهذا النوع من الربط بين الأشياء يدفع فرناندث دي أوبيدو أنه من
كثرة رؤية السلاحف وغيرها من الحيوانات "ذات السمات نفسها" "أمكن تعلم تلك
الأنماط التي بها يتم حماية الخيل في المعارك"

يتسم الوصف الدقيق الذي يقدمه فرناندث دي أوبيدو بأنه يعكس معارف عديدة
ومهارات فنية، فكانت الحوليات هذا قادر على رسم السمات غير المعروفة بعد وصفها،
ولهذا يمكن أن يكون لديه وعي أكثر عمقا من مجرد التعبير عن استغرابه للأشكال البائية
التي تتلو الكلمة وكذا ريشة الأوربي، مثلما هو الحال في تلك الشجرة "المتفردة عن باقي
الشجر، ويبدو لي أن ليس لها اسم آخر له صلة بـرَيتِها وأطرافها التي لم يسمع عنها ولم
تُرَ في أي مكان آخر، بل هي عملاق فريد من نوعه بين الأشجار"^(١١)، وبإحساس موسيقي
يسجل صوت الطائر perico-Jilguero، ومن خلال كف اعتادت على المداعبة يعرض
أمامنا حالة الـ "bivana" الذي يتخذ مسار شعره مسارا معاكسا لكافة الحيوانات
الأخرى التي شهدتها لأنه عندما أمسح على شعره ابتداء من الرأس وحتى الذيل يتراجع

(١١) التاريخ العام والطبيعي للهند العربية، الجزء العاشر، لفصل لأول. الطبعة المنشور إليها، لثبة ص ١٨

هناك القليل من الاعنسايف والكثير من الأصالة عندما يتحدث فرمانث دي أوبيدو عن الطيور. وخاصة الطيور البحرية. فحلال عمليات الانتقال الكثيرة عبر المحيط اسم ذلك المؤرخ وقته المتوفر والكثير في تأمل الطيور التي كانت تظهر حول الأشعة وتلك الأسماك التي كانت تنقل إلى حوار جسم المركب لم يبق فرمانث دي أوبيدو خسر الأيام أو عدد المراسع التي قطعها بحرا. ولكن كان يمكنه تحديد المسافة التي تفصله عن لعلم الحديد وذلك من خلال حاملي الرسائل الذين كان يرسلهم عبر الهواء في يدته لأمر كانت هناك الرلاحات Paines التي كانت تسير فوق الأنواع أو حلقها في مصادة لأسماك الضنرة وفي منتصف الطريق عبر المحيط كانت تظهر rabo de junco. وفي بعد سنتي فرسخ من البحر كانت تأتي طيور لبط الذي rabo de junco للرحب بها. وبعد سنت يأتي الدور على "العصافير اللهاء" التي كثيرا ما يتم اصطيدوها باليد. وفي نهاية مضاف تظهر الطيور المائية alcatrazes والسوارس

كان من الطبيعي أن يكون الأورسور الذين يذهبون للنحوال في لعالم يعور عبية حصة لكل ما يتعلق بعالم الحيوانات والطيور وأن يروا عجائب أسراب الطيور المهاجرة التي كانت تعبر منطقة الكاريبي بكثرة وستمرا للرحلة أن فرمانث دي أوبيدو فكر في هذه الطيور التي تعود هي نفسها وأنها تطوف العالم وتلف حوله. لكن مع لأوربيون نصا في أن يكتشفوا في الطيور في مصصه لأسير حديث وحيميتها مثلما هو الحال في طيور السنو التي هي أكبر مما هي عليها متيلاتها في أسانبا كما أن الدليل مشقوق كثر والنصوت أكثر قوة وأنها لا يتم "تربيتها على أنها صور دحة هنا، وربما يرجع ذلك إلى أن قد شيدت مدر من قصير منازل من الحجر

ومي لاشك فيه أنها كانت تتطير محيئة أس من الساتين من العالم القديم وذلك لاستكمال وجودها وسكن المكان إلى جوار الإنسان ومي لاشك فيه أنها كانت تنقل بين شرافات الحصص عندما مات قائده العجور وهو يقبض على مفاتيح الحصن طبقا قصة عيب أحد شهود العيان كان موتا رمزي فتلك المفاتيح التي كانت تستخدم في فتح أبواب نون قصر في الهند العربية لم يكن دورها هذا فقط بل امتد إلى فتح معاليق الأعاجيب التي لا تغطي وسرعان ما أدركها الإنسان الأوربي

XVI رتاء مؤلدة mulata في هايتي

رغم أن مراحله لا يتولد على صور أصله بخلاف ما كان عليه في
 كثير من حالاته. يكون على صلاح على صور. فبعضه من خلال بعض
 من، ولكن به عذبة به هذه الصورة. ولبس من خلال ذبح صور. حتى الذي به
 صور. وبعد لا يكتم الكثير من هذه. ولبس من الصورة. فبعضه من
 هذه. حو في كاريبي وسفاده وحده صورة. حتى يوضح به صور في خطوط
 بصفة من خطوط كنها كارتوخرية. وبذلك من سب مع صور محدودة. شكل صورة
 حرة حبة مخصوص بحري. الذي يوجد في جنوب. كحد كنية نذرة. ومن عرب من
 حلال مخرج ومنه حرر في أمريكا الوسطى. ومن خلال حرر لأتيل في شمال. ومن
 من خلال ذلك يعتقد من حرر صغير. حرة بصورة نسك في حنة صريتها.
 في ك. حرة صغرة. في ذلك حرة لأتيل كاري. كد. من حرة حرة
 . في وسرعان ما كن تحت الصخرة. و. من في لأتيل فوق حرة رقة متألدة لا
 خدش رقة أخرى

كن صخرة لا تقوم فقط بمرور في صريتها. على هذه الأحرار الجغرافية شريفة.
 من حيث أنها فريدة من احبة الإسيانية. هناك قصة قديمة ترجع إلى عدة قرون. ذات
 من حمة حركة ومعتقد أحدث تنكث من خلال هذا المشهد. احص الجغرافيا الحر
 المصحح مسرح شقات شديدة سوء. حيث عبيد فحاة. في شكل الاستغلال الاقتصادي
 هذه حصرية ولأرياء والمعتقدات الدينية. الحج. ونصم كل هذا بهذه النسبة
 حرة التي هي السكان السود. ومن خلال الظروف الخاصة بطقس أحد

الأوروبيون يعزفون عن الاتصال المباشر بأراضي الكاريبي ووضعوا وسيط في هذا يتمثل في السكان القادمين من أفريقيا. إنها منطقة تقاطع وتلاقح عرقي ونسبي! حيث تسهمت أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية فيها. وكذلك أفريقيا تنوعت سلالاتها، وفور من خلال الكثير من البلدان والثقافات القومية

في كوراثاو Curaçao هناك الهولنديون يقيمون في "الملاذ لوطينة" ولكن شكر مصغر، من خلال المنازل المشيدة من الصوب المحروق والتواجهات المتعرجة ولقنات على الأبواب ومعها المراكب الشراعية والطواحين وكانت أسماء إقنيم هولندي عشق الهواء والحركة وطار إلى هناك بفصل عاصفة قوية وحطت في قلب الكاريبي ولا يمكن تصيب أو حديد، أو بررا، في حقيقة الأمر، كل هذه الاحتمالات بحوارية، وسر لأوربية في الشمال هي أقل قدرة على الانتقال مقارنة بالسر الواقعة في حروب، ونهد نخل لاستغراب من وجود مدن اسكندنافية أقدمها المستعمرون من نيكوب في حور برجنس Virgenes التي يتخيلها المرء ويعيد تصورهما تم يصعب أن نأخذ في الحسبان في ذلك لعبد وشو بنوع بالألم لعدم القدرة على رؤيتها

وعلى لعكس من ذلك نجد في الطريق الذي يسير من سيميرة لعدة لعمر، نرعه مرور قرن ونصف على وجودها منذ استقلالها من إسبانيا وكسبت فيها ثمار حضرة تتمثل في المنازل الريفية ذات الطابع الذي يشبه تلك في إسبانيا، وكذلك المقاعد في الكنائس أو القبعات التي تضعها النساء السود

يتسم الوجود الأسباني في بحر الكاريبي من أوسع وأكثر أصالة وعمق، ليس موجوده هناك سياسيا من خلال مستعمراتها. لكنها هناك بشكل يضرب بحدوده من خلال شعوب مستقلة، ومن خلال وعيها التاريخي رغم أنها صالعة في مدن وعادات وعبارات وكافة أنماط الحياة الشديدة الارتباط بما هو إسباني، أي بأبيريبا النقية الطاهرة دون أية تشوهات تتعلق بما هو غريب في المحافظات الواقعة فيما وراء البحار

غير أن تواجد إنجلترا هو عكس ذلك، إذ هو غير مباشر، استعماري بدرجة كبيرة والأكثر من إنجلترا هناك الإمبراطورية التي تعتبر البطل الاستعماري بتنوع السكان بشدة في ذلك القادمين من الشرق، الأمر الذي يضمن الطبع الهندي والإسلامي على جزيرة

تري니다د Trinidad . ومن خلالها أيضاً سنتطرق على هذه الثلة المتنوعة من السلالات والقبائل التي هي الكاريبي .

سمح الترابط الجغرافي للإقليم للعديد من الشعوب الأوربية أن تجد لها مكاناً مربحاً في الأرض الجديدة ونقلوا إلى هناك ، في حدود ما تسمح به الظروف المناخية والعقلية لقومية . أنماط الحياة اليومية التي كانوا عليها . وفي الوقت ذاته كان كل واحد من الشعوب الأوربية يضع موضع التنفيذ الفكرة التي توفر عليها عن أمريكا وعن إمكانيات استغلالها سواء كان ذلك في باب الزراعة أو التجارة المشروعة بدرحة أو بأخرى واستغلال المباحم وإقامة المهاجرين .

وفي هذا المقام فإن منطقة الكاريبي عبارة عن حفل تجارب رائع بالنسبة لمؤرخ أو جغرافي يتولى من خلال حساسيته لما يرى وفصوله الذهني تحليل ألوار الطيف التي عليها العقليات القومية الأوربية المختلفة وما تركه عندما تفككت من خلال اسطور لاسنواثي

اقتضى تشكيل تلك الأطياف مرحلة تاريخية طويلة ، فالمشهد الخاص بحرب الأسس الذي رآه كولومبوس هو عبارة عن مشهد أحسست عليه المتالية على طريقة الأسلوب الغربي الجديد " الخاص بديكاميرو (1000) ، والنسبة حفل الأسبانية " فقد تحلى في عيون ابن جنوة العظيم على أنه " سيرة " من تحلى مسكره من شحرومده وسمة وزفرقة عصافير مشكلة بذلك صورة لخطوطه خلال عصر النهضة والتي استمرت تملأ صفحات كثيرة من مؤلفات الآلاف لاسنواثي وليس هناك من يعرف يقوم والنز بالم ^(١) بعقد مقارنة بين الوصف العاطفي للمشهد ، التي تقوم بتفنيدها لنا هذا الدومبيكي في " تاريخ الهند الغربية " ولكن ما فراحه التي عليها سورو جورولي Benozzo Gozzoli .

بضفي الجشع الذي لا يرحم ، من قبل الباحث عن المباحم ، والذي سرعان ما يستمر بين لسكان البيض في الجزيرة ، صورة تقليدية لا بسبب الاكتشاف في حقيقة الأمر ، رغم

^١ العمل المشار إليه - الطبعة الأولى ، ص ١٤

الجهد المأساوي لعمليات استغلال المناجم وإنما بسبب الوميصر الأسطوري لماء لذهب
الذي يصفي المزيد من الطابع القوطي الهضوي على اللوحة، ورغم أن فرناندو دي
أوبيدو، هو الرجل الذي ذهب إلى الهند الغربية في منصب رسمي هو ناظر أعمال الصهر،
فهو واحد من أكثر الناس الذين يلحون في ذلك الكتاب على هذا الوميصر الذي يجله في
الجزيرة "الأسبانية" وهذا "لن ينتهي ولن ينصب حتى نهاية العالم" (١). غير أنه رغم
الاختلاف في كثير من الأمور عن الأب/ لاس كاساس، جاءت أحكامه ذات طابع
شخصي حول "الأسبانية" وبالتالي لم تكن شديدة الاختلاف مع الأب الدمينكي عندما
يكتب، على عادته المتشددة، قائلا: "هذه الجزيرة حارة للغاية وشديدة الملحة وشديدة
اللطف" (٢).

يبيدي كلا المؤرخان إعجابهما بالطريقة التي تتوالد بها القطعان التي استوردت
لأسان، إذ بعد عدة سنوات من إدخال الأنواع الجديدة من هذه الحيوانات كان هناك من
سكان "الأسبانية" من يملكون، كل واحد منهم، ما بين خمسين ألف وستين ألف رأس من
البقر، "وكانت الأبقار ضخمة لدرجة أنها كانت مثل اجاموس". كانت جزيرة مليئة
بالخيل إنانا وذكورا وكذا الخنازير والقطط "الضالة" تم تتحول إلى حيوانات مفترسة بنفس
سحاء الطبيعة التي تحتصهم وإذا ما كب قطعان الماشية ازدهرت كثيرا فلماذا لم يزد
إنتاج السنابل وعناقيد العنب وباقي الساس لأوربية؟

تجلت المنطقة الاستوائية في الأسل أسام الأوربي الذي هبط إليها حديث على أنه
منطقة دافئة بشكل كبير، ولهذا نجد صفحات مؤلفات كل من الأب/ لاس كاساس
وفرناندث دي أوبيدو مقارنة "الأسبانية" بالجزر الشهيرة في العالم القديم وإنجلترا وصنبا
وكريت وذلك حتى تُنعت الجزيرة الأولى (الأسبانية) بأنها تتفوق على الأخريات وبأسا
لجزيرة كريت لا يعترف لاس كاساس بألها ميزة عن الأسبانية اللهم إلا ما يتعلق بإنتاج
النبيذ، غير أنه عندما يصبح المزارعون في الجزيرة أكثر مهارة سوف تُغن الكثير لدرجة أن

(١) فرناندث دي أوبيدو "الناريج العام والطبيعي للهند الغربية"، المجلد XLIX، الفصل ثلاث، الطعة نشر إليها
الخامسة، ص ٢٤٠.

(٢) "قصة إضرنة" في "الأعمال المخنارة لفرانسي مارنويوميه دي لاس كاساس" BAE الطعة الناشئة، مدريد
١٩٥٨م، ص ٦١.

سوف نسي كل من كريت وكنديا (Andria) وليس هذا فقط بل ستتوق على حواد الشمال
 (Guadalcanal) وسار مارين ونورو وريبادافيا وعلى تلك الأخرى الشهيرة في قنالة^{٢١}
 ونه يكن فرناندث دي أوبيدو أقل تفاؤلا لكنه كان أكثر دقة فيما يتعلق بالصانع الفنية
 على ما لديه من حمرة إيطالية والقوة التي عليها أنشجار العنبر البرية في "الحريرة
 لأسبانية" والتي لا يتم زرعها منما هو الحال في قنالة، وإما تمتد لتعاقب الشجر، يمكن
 نبطرة عليها واستخدامها بنفس الطريقة المستخدمة في ممكة نابولي، حيث الأسمدة
 ابوسية المستخرجة من العنبر ويمكن ربطها بالصنصاف وأنشجار أخرى^{٢٢}

كان من الطبيعي ألا يدرك الأسرار حول استنساخ التي عليها الطبيعة الحسية في
 أنبل فيما يتعلق بالزراعة. وقد دمج في هذا المثل إلى أعد من هذا عندما شعروا
 بأنهم لما هم عليه من أصحاب لأمر ووصل بهم الأمر إلى الاعتقاد بأنهم تعودوا على
 نفس باحصاء لإرادتهم واستند في العديد من الشواهد ضد فرناندث دي أوبيدو
 يصل إلى اقتناع مفاده أن السماح لحرر بتدريس كرسنل شكل تدريجي مدني قام
 مكتشفون باستزاع نباتاتهم فيها^{٢٣} وعلى هذا سادت عصبية إفاضة الإقليم على ما قدمه
 لأسر منما هو الحال بالنسبة لليهود وبنسب لأحرار وحيوانات وكافة ما على هذه
 لأرض^{٢٤}

لكن هذا التناول ذهب أدرج^{٢٥}، في رويدات لأورنة ثم كن بأقلم جيد
 على الذكر مقارنة بالحيوانات، كن بعض من هذا على مرار من الدين وصلو من شبه
 حريرة، كما أن هناك المعربات الأخرى هي من مدمر والإثراء السريع من وراء
 استغلال المباح في مرتفعات الشدة، ذلك على ما هو موجود في الوصل الأم
 ووفرة الأيدي العاملة والمدربة وهب من هذه حرر من بعض سكدها، وكنت البداية
 بالنسبة للسكان الأصليين، ثم جاء من بعدهم نفس وصحت مهياة لاستغلال العمال
 لأفارقة

^{٢١} التاريخ العام والطبيعي لهند الغربية، مجلد الثاني، الفصل ٢٤، عمل مشر به، الصفحة الأولى من ٢٦٢

^{٢٢} مصدر السابق، المجلد السادس، الفصل XLVI، العمل مشر به من ٢٠٦

لم تكن قليلة تلك المهمة الملقاة على عاتق علبة القوم في سانتو دومينغو نظر لهذه الحركة السكانية المأساوية ووصل الأمر بالأب لاس كاس أن كان صالعا في سياسة الرفيق لبعض الوقت لكن سوف تكون الصورة الحضرية للعاصمة وسيلة لتبرئة ذمهم. وهي المكان الذي شيدوه وظلوا فيه مقيمون إقامة دائمة. لم تبصر قصور كثيرة وكنايس ومستشفيات. ولم يكن هناك في الجوار من ملاك ووصيفات وأناس من ذوي الحسب والنسب غير هؤلاء الذين رافقوا نواب الملك وهم السيد ديجو كولومبوس والسيدة/ماريا دي طلبطة ابنة شقيق الملك الكاتوليكي. حيث كانوا جميعا في مدينة جرى إعدادها لتكون عاصمة مجتمع من العبيد. وعلى أية حال فإن الدول الأوربية التي وصلت إلى كمالها السلالي في مثل هذا الصنف من المجتمعات لم تبدأ على هذا النحو

لم تكن عاصمة "أسبانيا Espania" مجرد عذر لاحق بل كانت سببا محددا للعية يشير إلى أن الجزء الشرقي للجزيرة الذي ينتمي إلى جمهورية الدومينيكان ينقسم اليوم بشكل شديد الاختلاف سواء في التركيبة السكانية أو في نمط حياة لأوربية عن ذلك الجزء العربي منها الذي تشغله الآن جمهورية هايتي. وابتداء من عام ١٦٠٣ م وعلى مدار قرن ونصف من الزمان جرى إصدار وثيقة مرسوم ملكية إحلاء سكان من المدن الأخرى والقرى في الجزيرة بسبب القرصنة والعصابات، وهم السكان الذين استقروا للعيش بالقرب من العاصمة واستقروا في منازل حجرية تعرضت للأذى على يد الإيسار وعوادي الزمن، فظلت متواضعة لكنها كانت حياة سيلة بالقرب من السلف والكاثولانية والجامعة

ورغم الفقر والعوز الذي كانوا يعانون منه فإن هذا المجتمع لم يكن قادرا على العيش على ما تغله قطعان الماشية ومصانع السكر المستمرة في الحقول المهجورة بل كان يعيش على المعونة الاقتصادية التي كانت تقدمها له "أسبانيا الجديدة" بما لديها من فائض في إنتاج المناجم. وكان كل هذا يصل كل عام على متن سفينة حيث كان وصولها إلى ميناء سانتو دومينغو يشكل الحدث الأهم والأكثر بهجة في العام لكن كان يصل أيضاً إلى هذه العاصمة القديمة، بناء على حساب هذه الأموال. ومن حين لآخر، القضاة ورجال الدين والمدرسين ورجال الجماعات التبشيرية... الخ وقد جاءوا من العاصمة ومن بلدان أمريكية أخرى حيث كانوا يعيشون في مجتمع بطيء الإيقاع بدرجة شبيهة بما عليه الجزيرة، وإن كان ذلك بدرجة أكثر خفوتا مقارنة بمدن أخرى في الهند الغربية.

وفي الوقت ذاته نجد الطرف الغربي للجزيرة، يكاد يكون صحراء جرداء. بدأ يشهد منذ منتصف القرن السابع عشر نمطا آخر من المجتمع الاستعماري الذي أخذ يزدهر بإيقاع حيوي، ووصل من خلال الالتزام الديكارتى إلى قمة كماله في باب النظام الزراعي على يد العمالة المستعبدة. كان هناك عدد يتراوح بين نصف مليون وسبعمائة ألف أسود، وكان هذا العدد يزداد سنويا بمعدل خمسة وعشرين ألف فرد يتم اختيارهم، طبقا لمواصفات جسدية، على الشواطئ الأفريقية، وتحول هذا العدد بمساعدة شبكة واسعة من قنوات الري إلى أداة لتمويل الوادي الرئيسي لسانتو دومنجو Saint Domingue إلى جنة فيحاء. هناك ثلاثة أرباع البحرية الفرنسية، وهو ٧٥٠ مركبا أضيف إليها عشبة الثورة الفرنسية سبعمائة مركب أجنبي آخر، وهذه كلها كانت مخصصة للتجارة بين المستعمرة والموانئ الأوربية، وأصبحت بذلك العنصر الأساسي الكبير في هذا الازدهار الضخم الذي عاشته بورديو Burdees ونانت Nantes

كان النظام الاستعماري الفرنسي يعمل بكفاءة كاملة من خلال الزراعات المكثفة والمقننة، لدرجة أنه لم يكن من الضروري أن تضاف أراض جديدة إلى الأراضي المزروعة، مانراها من الأملاك التابعة لقوة أخرى في الجزيرة من القوى الصديقة، إضافة إلى فرنسا، خلال القرن الثامن عشر، حيث كانت ذات علاقات أسرية. وأسهمت هذه القوى أيضاً بما تنتج من لحوم وجلود في ازدهار المستعمرة الفرنسية حيث وُضِح تأثير ذلك في إعادة الروح للحياة مقارنة بما كان على زمن كارلوس الثالث، والتي كان إيقاعها فاعلا بشكل مواز في أقاليم أخرى من الهند الغربية، في سانتو دومنجو وفي أراضي أخرى تابعة لها إداريا.

كان هناك مهاجرون قادمون من أسبانيا وخاصة من جزر الكناري ذات المناخ الذي يجبر من هؤلاء الذين ولدوا فيها يتأقلمون بشكل جيد على المناخ السائد في جزر الأنثيل، وأسهم ذلك في إضافة حي جديد مدينة سان كارلوس دي تريفني - في العاصمة وكذا أحد هؤلاء المهاجرون ينتشرون في أودية ومرتفعات الجزيرة، وأسهموا بذلك في إعادة الحياة إلى المدن الاستعمارية المهجورة أو أسسوا قرى أخرى في مناطق الحدود مع المستعمرة لفرنسية. وعلى هذا تحقق الحلم الذي كان يتمثل في وجود سكان من البيض في الجزيرة "الأسبانية" والذي كان يتحدث عنه كل من الأب/ لاس كاساس وفرناندث دي أوبيدو

ولكن شكل جزئي، وكانت له نتائج حاسمة، من خلال عدد لا نهائي من الكوارث التي
حطت على الجزيرة بكاملها، على مستقبل جمهورية الدومنيكان

وفي نهاية القرن الثامن عشر كان تعداد سكان سانتو دوسحو خمسة وعشرين ألف
سمة، وبلغ تعداد المستعمرة الأسبانية بكاملها مائة ألف، ثلثهم من العبيد، وثلث آخر،
تقريبا، من البيض كان الرقم نفسه ثلاثون ألفا الذي كان يوحد في Saint Domingue
مقارنة بسكان من العبيد يصل عددهم إلى عشرين ستمائة

وفي بلد تحكمه معايير شديدة الوطنية في باب الأداء الاقتصادي، كما أنه منقسم من
حلال تمييز اجتماعي، كان للأفكار الثورية الفرنسية القادمة في نهاية القرن الثامن عشر تأثير
ضخم عليه حيث وقعت توترات شديدة، هناك البيض والمولدون والعقلاء والعبيد
يتصارعون فيما بينهم مشكلين فيما بينهم تجمعات مختلفة وشاركت معهم جماعات أوربية
طبقا لمصلحة كل منهم الخاصة في هذا النزاع المديني

كان تاريخ هايتي خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر
تاريخ أنظمة شديدة الغرابة فهناك الملكيون والإمبراطوريون والجمهوريون وأنصار
الانفصال والغزوات والتوحيد والانقسامات في الحرية وتدخلات أحسية الخ كنت
صحيفة ليبرالي من باريس، عام ١٨٢٦م تقول "إن ثورة Saint Domingue أدت إلى
حدوث وقائع شديدة الشبه بما حدث بفرنسا وفتح عليها النسيء نفسه الناتج عن الثورة
الفرنسية. وكانت هذه الدروس المستفادة أفضل، أو بها تعبيراً عن حاجة إلى
الحديث بصوت عال، أمريكا هي العالم الجديد حقاً ولم تعبر الثورة المضادة مياه المحيط
وكانت هناك أسباب لذلك من بينها القضاء على كافة البيض في هذه المستعمرة القديمة

وقعت في هايتي أول ثورة موجهة لا ضد نظام سياسي بل ضد الإنسان الأوربي،
رغم أنها استخدمت أفكاره تقريبا، مثلما يحدث كثيراً؛ وكان الأمر في هذه الحالة عبارة عن
سكان لا يدافعون عن أرضهم بل كان وطناً فرص البيض وجوده. وربما لهذا من المثير أن
يدرس في هايتي ذلك الذي بقي من موروث ثقافي جرت محاولة استئصاله بشكل حاسم
وهو موروث لم يكذب يحظى بدعم المراكز الحضرية ذات الأهمية إذ كانت تميل إلى الحفاظ
على أنماط الحياة الأوربية.

يرجع بقاء هذا الموروث ليس فقط حيوية الدور التي قام ملاك المكار والموظفون
وخدمات استيربة موضعها وإنما سمعة نظمية التي كانت لأتماط انتقاة واحيدة الفرنسية
في أمريكا منذ فترة قصيرة من المؤكد أيضاً أن النضوة في هيتي بما يجري في عروقها من
من نضون بضاء رأت نفسها في عداوات عديدة لها أرقى ليس فقط من اسكار السود
و بل من أرقى أيضاً من البيض و مولدين في الكريسي من الذين لم يكونوا يتحدثون
فرنسية. أي هؤلاء الذين لا ينسبون إلى عالم ديكرت و رسي و نه نكل لهم مثل أغيل
مدينة بورتو أو بريس Port-au-Prince، مبور طبيعية لمقوضة نرسية

لم يكن الأمر مجرد مفاهيم جنسية نصتت بعداً بدءاً برؤساء جمهوريات الذين
به بنسكوا من سكنى قصر بيعة ميت. و حدود بنيدور لأنفسهم قصر على أسس
بيحي Vichy هات نصاً لأسر التي تنسب إلى ربحورية الصغيرة في هيتي حيث
قامت ساء فادق جنسية صغيرة حرج ممددة. كسند ميت ميت سبي تي حري
نبيده في نهاية القرن الماضي في أي عاصمة من عواصم محارقات في فرنسا و نرسية
مرحور الذين الذين حاولوا لتقنين من لائر سسمة تي كانت عبيد بكتدرانية انقضية
منسدة من احشيت بخدمهم بؤسور كنندرية أخرى كرس حجارة ولها شكل وسط بين
نسور كنندرية Chartres و نسور كنندرية ميت ميت و نرسية بظن إلى اميل
نعمي و حده بعيش في مرس سسمة من بدمج محاربات من لأسوق و دو طاع
نرسية. حيث يتكرر عدد كبير من بدمج سسمة سسمة و النوردة للور
و هي قدمت نسبر على بدمج المصنعة لاسورية سسمة سسمة سسمة مع حمر صبحت
موضة الفرنسية. في المحلات. في مدينة نرس

لأمر المصنعة للانتاء هو وجود نسريات سسمة سسمة سسمة و نرسية من لندقة
نرسية في وسط شديد البعد عن نرسية سسمة سسمة سسمة و نرسية جنسية و حنونة
و نرسية عن المصنعة الأكثر اكتمالاً التي نتو حدها سسمة لاسورية في حمر لاس و لندقة
ملاحظة نسسم بأنها أكثر صعوبة و جاذبية. كما أن مسسمة سسمة سسمة ملاحظة عبر مؤكد.
سأرا خط العام لتمرد الخماهير في هيتي بحد في هذا حنلا حصص نسسمة

قدمت لنا الصدفة فرصة ملاحظة خطوط الصخرة عن قرب. وكانت عبارة عن
الانتاح الرسمي لـ Saison في واحد من الفدادق الرئيسية في بورت بريس، وإليه

حضرت الصفوة المدنية من العاصمة الهايتية وهي على وعي بتوجهها الفرنسي من خلال التجاوب مع دورها الاجتماعي الذي تفرسه الطبقة يشعر المرء بالمفاجأة لوجود ساء لسر بقليلات العدد. بتصرفاتهن العذبة والرشيقة في الحركة حيث يلاحظ أن الطُرف الخاص بالسلالة قد ارتقى من خلال التربية في مدرسة تنع على شاطئ نهر السين أو لالور Loire. وبالنسبة لطريقتهن في النطق وإيقاع أصواتهن فهو باريسي بدرجة مبالغ فيها والبشرة بيضاء وهذه مفاجأة لكن هناك مسحة من لون، وربما يلاحظ هذا عند يكر قريبات من ضوء قوي، وهذا يبدو كما لو كان سمة شخصية أكثر منه ملمحاً من ملامح سلالة. كانت العيون السرد - الوسعة تسهم في المفسة مع البياض الظاهري للبشرة التي يلقي عليها حمام الساحة بصوته جافة إلى الضوء الصادر عن الموند. معدة للاحتفالية الأمر الذي يضفي على الاحتفالية أصداً باهتة وعاصفة

تتحلى في المشهد الاحتفالي متسيرة مادة كبيرة في مكان مرتفع بالقرب من مسرح المخصص "للشو". وحليها هناك وحيرة بكسوة السعادة في حالة حوار متبادل دون أدنى لبس سلالي من تلك التينة التي سببت إلى كبار المسئولين في البلاد ووسطهم رئيس الجمهورية وعلى حلبة الرقص هناك عناصر ذكورية تنقل بحرية ولا تترك مسحة من الشك فيما يتعلق ببقاء العرق الذي نسب إليهم وهذا يدخل في تناقص مع الرؤوس الصغيرة والغامضة التي عليها مولود. ما هو لتحديد الاجتماعي يحدث معه على شاكلة ما يحدث عادة من خلال مذكور سورس ومساعدة من الدولة. أم الساء فكما هي العادة أيضاً من الأكثر حساسية ولا تدبر مخفية

وإلى حوار المائدة التي جلس عليها كان هناك شاعر من مولدين من ذوي البشرة الشاحبة يتبادلان أطراف الحديث. كان وفن حتى يرب شكن أفضل معنية من بنما سعة الجمهور والليلة يحسدها الممتلى ورقصته تفتح. ثم يكن من الممكن فهم ما يقوله هدار الشانان لكن يمكن استراق همهمتهم من خلال أصواتهم وكأنهما يلتقيان أبيتاً من شعر راسين وفي الحلف هناك حمام الساحة ميمية نصافية التي يرى خلالها الربيع الأبيض للحماران وقاع الحمام الذي يلعب من خلال الأصواء الحسية ووسط البياض الهش للمب والعلامة الدامسة لليل، وهذا يمكن لقول أن هناك صرع صدمت وغير متكافئ في صورة شارع على مقربة هذه المحلوقات المنعقة

XVII - قرطاجنة والدفاع عن الهند الغربية

نبدو قرطاجنة الهند الغربية صورة استوائية طبق الأصل من مدينة قادش بمنارلها ذات الطابع المرح وأسوارها التي تصر بها الأمواج . وحقيقة الأمر أن بشرة الكثير من المارة نيل للسمة ، وبهم بعض الإعوجاج يتزهون في الشوارع المستقيمة والمدهونة باللون الأبيض . إلا أن اللون هو عنصر أقل أهمية خاصة عندما أدت أنماط الحياة إلى كسر الحواجر بين السلالات ، وبقي ظل القديس بدرو كلاير انطلاقاً من كنيسة اليسوعية على حاله يومياً فك عتق السود ، بشكل إعجازي ، الذين ينسلون بالرقص ويتناولون جيلاتني من الماركة الكلاسيكية " ورق من أمبروسيا Papeleta del و يركبون عربات حنطور أيام الأجازات أو أن يعنوا عناية فائقة بمسح أحذيتهم على شكله رفاقهم في قادش البعيدة .

لا يفهم المرء كيف أن القائد رودريجو دي ناسنيدا الذي اكتشف خليج قرطاجنة أمكن له أن يطلق عليه هذا الاسم وليس اسم قادش حيث حرق من مينائها عام ١٥٠٢م على رأس حملة مكونة من مركبين شرعيين على حسابه وعلى حساب خوان دي ليدسما وأصدقاء آخرين ، " تتموج الهضاب حول الخليج ، ذات هواء عليل مثلما هو الحال في روتا Rota وفي ميناء سانتاماريا . ولكن دون الهمة والحماس الذي عليه الربى السماء والقاحلة في قرطاجنة . كما أن المدينة ليست بمنجى من مكائد البحر في خليج بحري محمي على شاكلة المدينة الأخرى رفيقتها في أسبانيا ، بل تقوم أسوارها خاضعة لفكرة دفاعية وأخرى تأملية على الشاطئ نفسه . كتب خورخي خوان وأنطونيو دي أبوا عن خليج قرطاجنة " أن الخليج عميق ومراسى جيدة وهدوء كبير ويصل الأمر في هذا المقام أنه عندما

تهب النسمات خلال فصل الشتاء لا يؤثر ذلك على حركة المياه في الخليج مثلما يحدث بالنسبة لنهر هادي^(١).

ربما أدت حالة المقاومة التي أبدتها السكان الأصليون لحطة محيى المكتشفين إلى أن يستحضر هؤلاء في أذهانهم الشكل الجغرافي الصلد الذي عليه المياه المتوسطي، ولأمرهم أن باستيدا Bastida وجد أثناء حملته في تلك الأصقاع "أكثر الناس عدونية على اليابسة"، وهم هنود من حاملي السهام، كانوا يطلقونها مصحوة سنان سامة لا علاج لها، وإذا ما كان هناك علاج فالمسيحيون لا يعرفونه^(٢)، في قرطاجنة قتل الكاريبيون الذين أطلق اسمهم على البحر نفسه - بسهامهم خوار دي لاكوسا وهرموا القائد الونسي دي أفيدا. وغير بعيد عن قرطاجنة، أي على نهر إسينادا Isenada قام اليهود من حملة السهام بشن هجوم مفاجئ وأجهروا فيه على السفينة لتراعية التي قام بإرسالها حوثالو فرناندث دي أوبيرو ومعه آخرون أيضاً عبر قبيل هؤلاء مسرور الدين دفعوا حينهم لذهاب مهمتهم السمية في التبشير.

كان هؤلاء السكان الأصليون من أحضر الناس من حيثهم الأسان في العالم الحديد حتى ذلك الحين، وكان الأرض التي هم فيها من محار من الدين أحدثت تظهر حصونهم في نهاية القرن السادس عشر حول الخليج، من مدينة نفسها أحيطت بأسوار وأبراج واستحكامات ومصعدات لأموح، مشككة من دوعبا يتكون من ثمانية وثلاثين تحصينا ليصبح نظاما غير عادي ليس بعدد من معالمة الحديد ولكن في توزيع التحصينات كاملا.

ومن فوق دير بوبا Popa لدي كان تمتد دكان من المدينة تكس أن يرى لسورم الكامل للخليج مع ما به من حواجر طبيعية عبارة عن أسنة من الأرض تتواتر نحو الداخل وكأنها مجموعة من الصناديق يوضع الواحد منها داخل الآخر، وفي الصدوق الأخير هناك الكنز محفوظا. وفي حالة قرطاجنة، كانت الصورة هي الواقع نفسه ذلك أن محارن مدينة

(١) العمل المشار إليه، لب أول، الفصل الأول، الصفحة المذكورة، ص ١٤.

(٢) جوثالو فرناندث دي أوبيرو 'التاريخ العام والطبيعي لمهند عبرية' محمد بنت، فصل من، الصفحة ٧٢، إليها، الأولى، ص ٧٢.

كانت تصمم الكوز القادمة من ساحل المملكة الحديدة وفي مياه الخليج كان من الضروري على السفن المتوجهة للبرزخ أو تلك التي تنطلق منه متوجهة إلى شبه جزيرة أيبيريا محملة بمساعد الثمينة الآتية من البيرو.

وفوق المدينة، على ربوة هناك، نجد حصن سان فيليبي دي باراحاس وهو حصن لا يكاد يكون له مثيل في العمارة الحربية الأسبانية "ونحو أسواره المنيع، على شكل مانل، تقرب دفاعات حي خيستماني بحثاً عن المساعدة وهو حي ملاصق للمدينة لكنه يكاد يكون معزلاً بسبب مياه المستنقعات ومن خلال الجسر المحصن شامباكو Chambacú يتم الوصول إلى حصن سان فيليبي الذي يعتبر النواة الأساسية لمكونات النظام الدفاعي

في بحر العرب يمكن أن يلمح بوضوح تحصيناً يسمى Postelillo (الاستيل لصغير) وهو جند البناء وكأنه مهيباً لأحد مهندسي عصر التنوير، وهو يحتمي المدخل إلى مرصد ويبعدا عن هذا نجد تحصينات سان خوسيه مانتيا وسانتا كروت أو الحصن الكبير حيث تسيطر على القناة التي تربط بين خليج حارحي ولداحلي ومن بعيد يمكن أن يرى ونجيب، طبناً للمخططات، كل من حصن سان خوسيه وسانتا فرانثيسكو في "بوك-تسيكا الفتحة الصغيرة" حيث تقوم حامية المدخل من الخليج من البحر وفي النهاية هناك حائط قوي غير مرئي يوحد تحت المياه حول ديار المدخل "المنحة الكبيرة" كما أنه من الصعب الدفاع عنه

لا تعتبر قرطاجنة مياه حاصراً للمدخل، بل محطاً أو ملجأ للمهريين أو ملأدا للقرصنة بل هي كما يشير اسمها، سان خوسيه، منارة صالحة، تتسم بالعمق وشدة الخدار الشواطئ، وتتطلب مدافع حديدية من أجل استئجار ثرواتها والانتفاع بها. وهنا نطفو إلى الدهن صور المدن المنحصنة في استئجار المعادن والتي تحولت إلى رمز في صورة "المدينة الإمبراطورية" بونوسي يلاحظ أيضاً أن التناقضات سببها القوة فهناك الارتفاعات والرد واختلاف والهدوء من جانب، وهناك المستنقعات وشاح الاستوائي والغابات والسود من جانب آخر غير أن هذا التناقض يتضح بقوة أكبر من لمطور الحربي، فأمام كل تمرکز للتحصينات حول قرطاجنة، نجد القارة الشاسعة التي

مرو حويو دوس ديس "قرطاجنة الهند لعربية تحت الحصن المين" - ١٩٤٨، ص ١٩

تمتد إلى الخلف عزلاء، وكأنها أرض مفتوحة ليست لها أية مقار للتحصينات أو أبراج
طلائع أو حصون أو أية دفاعات أخرى مهما كانت درجة تواضعها لحماية أوائل المبشرين
من القبائل المحاربة في أماكن يصعب على الرحالة ولوجها.

لا يوجد هناك مشهد أكثر سلمية في الكون يماثل ما عليه الهند الغربية حيث حل
سلام إسباني، كما يتجلى هذا البعد السلمي للإمبراطورية الإسبانية عندما تتم مقارنته
بالطابع الحربي الذي كان عليه أهل ما قبل العصر الاستعماري، حيث حل محلهم فقد
جعل الأثتيك Aztecas من الحرب مهمة دائمة وذلك لتقديم أضحيات بشرية قرباناً
لآلهتهم أما بالنسبة للإنك Incas، فهناك القليل من التحصينات في كافة أنحاء الأرض
يمكن مقارنتها بما هو موجود من حيث كبر المساحة ومثانة التحصينات التي تحيط بالكونكو
Cuzco. غير أن هذه التجهيزات الحربية انتهى أمرها أمام قوة لعدة مئات من المفارين،
وسرعان ما حل محلهم موظفو المملكة حيث استطاعت الحماط على سلام لا يكاد يعكر
صفوه شيء طوال ثلاثة قرون اللهم إلا القليل من حركات التمرد التي قام بها السكان
الأصليون

أحياناً ما يكون شكل الكنائس والأديرة ذا طابع حربي مثل وجود الشرفات
والأسوار الدفاعية لكن ذلك كان استثناءً وسرعان ما أدرك الحكام أنه من خلال قوتهم
الأخلاقية وتأثيرهما على الناس جعلوا من الأديرة الحصن الأخلاقي، ومن خلال هؤلاء
طبقاً لما كان يقوله السيد أنطونيو دي مندوتا أول نائب للملك في أسبانيا الجديدة كانت
كافة الأراضي تحظى بالدفاع عنها، فمن خلال القدوة التي قدموها من خلال اعتناق
المسيحية والعظات استطاعوا هزيمة الدوافع التي عليها اليهود ولم يقلق أحد أو يثر شغباً
وأن من الأولى أن تكون هناك أديرة يقيم فيها رجال الدين بدلاً من حصون يقيم فيها جنود
في البلدات^(١). لكن مشاعر وميول المسيحيين القدامى من الأوربيين الذين كانوا يمارسون
القرصنة في الكاريبي كانت أكثر شدة من هؤلاء الذين اعتنقوا المسيحية حديثاً في الهند، فلم
يتركوا أنفسهم تقتنع بالحوارات المقدسة والتحذيرات الموجهة من قبل الرهبان. ولم يكن
هناك مخرج آخر إزاء هؤلاء إلا إقامة الحصون

(١) نوركيمادا 'المملكة الهندية' الجزء الأول ص ٦٦٢، عن ح أ ماربال، العمل المذكور، ص ٢٢٣

وفي منتصف القرن السادس عشر جرت إقامة تحصينات في سانتو دومينغو وسان
خوآن في بويرتوريكو ولاهافانا والبرخ وفي قرطاجنة نفسها رغم أن هذا لم يكن فيه أي
نوع من الزايط أو أنه كان كافيا. وعندما رادت في نهاية القرن المذكور هجمات كل من
فرنسيين والإنجليز والهولنديين من بعد أولئك وأصبحت الهجمات أكثر خطورة لم يكن
هناك من حل إلا وضع نظام تحصينات تدافع عن النشاط الصعيبة في القارة الجديدة.
وكرر ذلك أثناء من مضيق ماجلان وحتى شبه جزيرة فلوريدا مرورا بالشواطئ البرازيلية
وحرر والشواطئ الخاصة بالكاربي ناحية القارة وكذا خليج المكسيك كان ذلك واحد
من مشروعات الطموحة التي جرى تنفيذها وبالفعل تم تنفيذ أغلب مكوماته في عصر
الإمبراطور فيليبي الثاني. وكان ذلك تحت الإشراف النسي لدونستا أنطوبيلي، الذي ينسب
إلى أسرة من المهندسين الإيطاليين كانت في خدمة الأسرة المساوية الحاكمة في حروب على
مدى عدة أجيال

قام دونستا بعدة أنشطة تتعلق بتمهيد كسهندس في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي
نمير أفريقيا كما قام بالسفر إلى أمريكا أربع مرات. حيث طاف شواطئها من أولها إلى
حرف وقام بوضع المخططات الخاصة بدفاعها وأدار في كثير من الأحيان الأعمال
الإنشائية للتحصينات مثلما حدث في سان خوان في بويرتوريكو ولاهافانا وسان خوان دي
بوا، وبورتوبيلو، وخليج فونسيكا وميناء كابوس في ساسا. التحق أتي إلى قرطاجنة
برين وأخذ بصنع الدفاعات العاحلة بعد محو ذلك في الموقع، إضافة إلى تلك
تحصينات الأخرى الأكثر أهمية والتي كانت تغطي الميناء من الوقت في التنبيد ولكن
عند التزم دائم بتعليمات المهندس الإيطالي

كان هناك بعدان لتحصينات قرطاجنة مخطوطها لأفنية، فمن ناحية كانت ترتبط
بشيء أخريه الأخرى في الكاريبي، أي التحصينات ذات طابع العصور الوسطى في سانتو
دومينغو حيث اقترح المهندس الإيطالي أنطوبيلي إضافة تحصينات أخرى ذات طابع
حدث. وهناك الحصن المنيع لمقدمة Morro سان خوان في بويرتوريكو الذي تعلو أسواره
محجرة ذات اللون البني على المياه الشديدة الرقة وهي أسوار تم تدشينها قبل الانتهاء من

سجل أنطوبيلي بحث 'دونستا أنطوبيلي. التحصينات الأمريكية خلال القرن السادس عشر. مدريد، ١٩٤٢م

سنة ذك منها مدفعيتها التي بلغ عددها ثلثين وثلاثين مدفع من حلال صدهم موزعة
وحدوكر سدي مات أثناء المعركة، وهناك حصص "الملوك الثلاثة" في حوزة الطرف حيث
يتوزع وهو في الطرف الآخر أمام لاهورما للدفاع عن الخليج وعن مدخله

كان قبل ذلك حري بناء حصص "القوة" الذي اصناف سه نصوبيه حصص
"لايت" واستخدام السلاسل في إعلاق المباد، الأمر الذي جعل ذلك يستحق لقر
"منتاح العالم الحديد ومقدمة حصون الهند للعربية" فتي سه ذلك مكان كان من مقدر
يرى في منتصف القرن السادس عشر عدد من مركب بتر ورج من عشرين وثلاثين، سبي
كانت لأساطيل ولقوة لحرية لأسباب الحديد والأرضي البنية تم فيها من معد
ثمة وذلك قبل عبور الأصبطي من حلال صربى بمرمودة، Buhaid وحرر لأور ولى
وحدود ترسانت لأكثر ثمانية في صعدة لست في سبب العروسة ورسادة بنية حرم
مذبذبة لاهور، لأن سمو مصر في تعدد سكان في سبب لصانع احربي سبي
كانت عليه، كما كان ذلك عند تعدد سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
تم رده قوة لانتصار سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
الأهمية لحرية المباد، وصحت في سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
على صانع احربي سبي رذمع موزع

كان شرف حنة معدن الذهب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
وثانيهم هو المعدن الأرضي والمعادن سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
ليموت في أحد سلاسل حلالها حري معدن سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
واقتصاديا على نظام استعمال المباد و سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
الحفاظ على أمنها والأمر هو أن فرق حنة و سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
نفسها ولم يكن هناك منطق أن يوحد سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
الاستيلاء عليه لكن من قاموا بذلك لم يتحروا من سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
من البقاء في الميناء هو أن تبحر العلبونات محملة بالمعادن سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
الانتظار بعض الوقت واستقبالها كمقابل ربحي معاملات حرية

هنا نجد سر البقاء الطويل الأمد للإمبراطورية الأسبانية وفي نظرت يبدو عرب أن
تظل واقفة على قدميها زهاء ما يريد على ثلاثة قرون رغم أنها مترامية الأطراف ورغم
الهجمات المتكررة التي تعرضت لها على يد الكثير من الأعداء. لكن هذه الهجمات كانت
سطحية في حقيقة الأمر. إضافة إلى أن منتذبيها كانوا حريصين ألا تكون هذه الهجمات
قائمة 'رغم أن إصرار دارك وعقليته كما تشير إلى سلتادور دي مادارياجا' هيأ لهم
الأمر ليفوزوا بأطواق النصر والثروات على حساب التحارة الأسبانية ورغم معارضة
الرأفة لم يعد أن يكون إلا فردا لثيم بحري فوق ظهر فيل. ولرأي نفسه ينطق على من
هم على شاكلته.

وحقيقة الأمر هو أن هذه الفضليات التي في كاريبي. مدفوعة أحيانا بمصالح محددة
وأحيانا رغبة في القيام بدور بطوسي أو ستر على الحدود التي جددت الصراع. كانت تسمى
وكانها تثير ضيق القبل الهندي شدة. لكن حجم الأفراد الذين يكسبون هذه الفضليات
يمكن التخلص منه بصرية متاحة. وشغلهم بعدة قبل بحرية في أعمال الحرب في
الكاريبي كانت تعني بالسنة لما في الأوربيين من جهة. كثير من فضليات ذلك قبل الرحل
واسفن والعناد من القارة العجور وهو جهد على جند من الجهد الذي سلكه سببا
للدفاع عن نفسها أو القيام بهجوم مقصد ذلك ما سلك على مدار من الزمان وبوسائل
الاقتصادية في المدن الأمريكية. وكان هذا من وسائل الدفاع عن مواقع
أهم في الدرجة أنه يتم استعادة الموقع ليس في ذلك. على بعد عدة قسيرة

في عام ١٦٢٤م فرض الأسطول الذي يتولى سبب. فدركي دي لاسكسنة السلام في
حرر الأنبل وطرد المحتلين من جزيرة سان بارتولومي. وحرره سان كرسوثن. وبعد ذلك
قليل قام بمطاردة القراصنة وغيرهم من هم على سبيل لشركة حيث حادوا إلى جزيرة
'السلحفاة' Tortuga ثم استسلموا عام ١٦٣٥م وسلموا حصن الذي أفسوه لقوات
لوسينايور. ولم يتأخر ديث بيمبستا في إلقاء 'أرض لعابة' وستا كلسا ورغم أن
جرى من جديد إعادة بناء الحصن في جزيرة السحنة عام ١٦٤٠م وحده المدافعون عنه
أنفسهم مجبرين على الاستسلام من جديد لخوذة الحوض Cuencu عام ١٦٥٤م

وحتى ذلك التاريخ وخلال ثلاثة أرباع قرن من العدوان المستمر اقتصر الأعداء ثلاث
الكبار المستعمرين لأسبانيا على احتلال مؤقت حرر ليست لها أهمية ولم يكن ذلك سببا
محربا أو عسكريا تحت أي ظرف من الظروف. كتب لم يتمكنوا من وضع أيديهم
الأعمال الأساسية في القارة رغم ما بها من شواطئ ممتدة مثل شواطئ فيروبيلا التي لم يكن
بها أية تحصينات

ورغم أن الأمر لا يتعلق باستقلال من شأن النظام الدولي المتغير في ذلك
الاستعمارات التي جعلتها نفوسا. ولا يتعلق بالقوة البحرية الأسبانية حتى منتصف القرن
تسعة عشر والتي قامت أسيرة النوربور بادخلت إصلاحات عليها بعد ذلك يمكن لقور
بقوة من مساحته شاسعة وما بها من تنظيم عسكري كانت حيزا تحضيرا. وقد
حدثت عن إدارة امبراطورية الهند الغربية. التي درسها جورج دي سوربون في برجن
Solo orzato خلال السنوات التي تلتها. أخذت منها كانت نصف بياني منذ وأحد
عشر منطقة فلسفيا، وعلمية، وبعد أكثر من مائة سنة في اسبانيا والعديد من بقايا
عمامة والمحفوظات والمخطوطات. في روائع حادثة وبروقرافيات قصص شديدة
العميد. أم في ما يتعلق في سور وحي. عمار بطريكية وسنة مظهر بياني وثلاثين سنة
ومعني صاحب مقدم la ciudad. وعدد لا يحصى من الكائنات الصغيرة والأدوية التي
في مساحة تصل إلى ٤٩٠٠ فرسخ وأكثر

هذا التنظيم لصحبه لا يمكن أن يستمر إلا إذا كانت هناك رحلات بحرية مكثفة حيث
وصلت إلى درونتها عام ١٦١٠م ثم أخذت العمل يهبط تدريجيا ابتداء من عام ١٦٢٢م كتب
كل من هوحت H. de rette وسيركو P. chauna يقولان إن مقارنة حركات الملاحة
تكرري في تلك الأمانة. نوضح أن حركة الملاحة من أسبانيا إلى أمريكا كانت لأكثر
كثافة. ونم تكن المراسلات الورقية الإدارية أقل من ذلك وهذا ما يؤكد وجود مستندات
مختومة في "أرشيف الهند الغربية". ورغم عدم وجود المستندات بالكامل فإن الأحاديث

سنة ١٦١٠م. ٢١. ٢٢. ٢٣. ٢٤. ٢٥. ٢٦. ٢٧. ٢٨. ٢٩. ٣٠. ٣١. ٣٢. ٣٣. ٣٤. ٣٥. ٣٦. ٣٧. ٣٨. ٣٩. ٤٠. ٤١. ٤٢. ٤٣. ٤٤. ٤٥. ٤٦. ٤٧. ٤٨. ٤٩. ٥٠. ٥١. ٥٢. ٥٣. ٥٤. ٥٥. ٥٦. ٥٧. ٥٨. ٥٩. ٦٠. ٦١. ٦٢. ٦٣. ٦٤. ٦٥. ٦٦. ٦٧. ٦٨. ٦٩. ٧٠. ٧١. ٧٢. ٧٣. ٧٤. ٧٥. ٧٦. ٧٧. ٧٨. ٧٩. ٨٠. ٨١. ٨٢. ٨٣. ٨٤. ٨٥. ٨٦. ٨٧. ٨٨. ٨٩. ٩٠. ٩١. ٩٢. ٩٣. ٩٤. ٩٥. ٩٦. ٩٧. ٩٨. ٩٩. ١٠٠. ١٠١. ١٠٢. ١٠٣. ١٠٤. ١٠٥. ١٠٦. ١٠٧. ١٠٨. ١٠٩. ١١٠. ١١١. ١١٢. ١١٣. ١١٤. ١١٥. ١١٦. ١١٧. ١١٨. ١١٩. ١٢٠. ١٢١. ١٢٢. ١٢٣. ١٢٤. ١٢٥. ١٢٦. ١٢٧. ١٢٨. ١٢٩. ١٣٠. ١٣١. ١٣٢. ١٣٣. ١٣٤. ١٣٥. ١٣٦. ١٣٧. ١٣٨. ١٣٩. ١٤٠. ١٤١. ١٤٢. ١٤٣. ١٤٤. ١٤٥. ١٤٦. ١٤٧. ١٤٨. ١٤٩. ١٥٠. ١٥١. ١٥٢. ١٥٣. ١٥٤. ١٥٥. ١٥٦. ١٥٧. ١٥٨. ١٥٩. ١٦٠. ١٦١. ١٦٢. ١٦٣. ١٦٤. ١٦٥. ١٦٦. ١٦٧. ١٦٨. ١٦٩. ١٧٠. ١٧١. ١٧٢. ١٧٣. ١٧٤. ١٧٥. ١٧٦. ١٧٧. ١٧٨. ١٧٩. ١٨٠. ١٨١. ١٨٢. ١٨٣. ١٨٤. ١٨٥. ١٨٦. ١٨٧. ١٨٨. ١٨٩. ١٩٠. ١٩١. ١٩٢. ١٩٣. ١٩٤. ١٩٥. ١٩٦. ١٩٧. ١٩٨. ١٩٩. ٢٠٠. ٢٠١. ٢٠٢. ٢٠٣. ٢٠٤. ٢٠٥. ٢٠٦. ٢٠٧. ٢٠٨. ٢٠٩. ٢١٠. ٢١١. ٢١٢. ٢١٣. ٢١٤. ٢١٥. ٢١٦. ٢١٧. ٢١٨. ٢١٩. ٢٢٠. ٢٢١. ٢٢٢. ٢٢٣. ٢٢٤. ٢٢٥. ٢٢٦. ٢٢٧. ٢٢٨. ٢٢٩. ٢٣٠. ٢٣١. ٢٣٢. ٢٣٣. ٢٣٤. ٢٣٥. ٢٣٦. ٢٣٧. ٢٣٨. ٢٣٩. ٢٤٠. ٢٤١. ٢٤٢. ٢٤٣. ٢٤٤. ٢٤٥. ٢٤٦. ٢٤٧. ٢٤٨. ٢٤٩. ٢٥٠. ٢٥١. ٢٥٢. ٢٥٣. ٢٥٤. ٢٥٥. ٢٥٦. ٢٥٧. ٢٥٨. ٢٥٩. ٢٦٠. ٢٦١. ٢٦٢. ٢٦٣. ٢٦٤. ٢٦٥. ٢٦٦. ٢٦٧. ٢٦٨. ٢٦٩. ٢٧٠. ٢٧١. ٢٧٢. ٢٧٣. ٢٧٤. ٢٧٥. ٢٧٦. ٢٧٧. ٢٧٨. ٢٧٩. ٢٨٠. ٢٨١. ٢٨٢. ٢٨٣. ٢٨٤. ٢٨٥. ٢٨٦. ٢٨٧. ٢٨٨. ٢٨٩. ٢٩٠. ٢٩١. ٢٩٢. ٢٩٣. ٢٩٤. ٢٩٥. ٢٩٦. ٢٩٧. ٢٩٨. ٢٩٩. ٣٠٠. ٣٠١. ٣٠٢. ٣٠٣. ٣٠٤. ٣٠٥. ٣٠٦. ٣٠٧. ٣٠٨. ٣٠٩. ٣١٠. ٣١١. ٣١٢. ٣١٣. ٣١٤. ٣١٥. ٣١٦. ٣١٧. ٣١٨. ٣١٩. ٣٢٠. ٣٢١. ٣٢٢. ٣٢٣. ٣٢٤. ٣٢٥. ٣٢٦. ٣٢٧. ٣٢٨. ٣٢٩. ٣٣٠. ٣٣١. ٣٣٢. ٣٣٣. ٣٣٤. ٣٣٥. ٣٣٦. ٣٣٧. ٣٣٨. ٣٣٩. ٣٤٠. ٣٤١. ٣٤٢. ٣٤٣. ٣٤٤. ٣٤٥. ٣٤٦. ٣٤٧. ٣٤٨. ٣٤٩. ٣٥٠. ٣٥١. ٣٥٢. ٣٥٣. ٣٥٤. ٣٥٥. ٣٥٦. ٣٥٧. ٣٥٨. ٣٥٩. ٣٦٠. ٣٦١. ٣٦٢. ٣٦٣. ٣٦٤. ٣٦٥. ٣٦٦. ٣٦٧. ٣٦٨. ٣٦٩. ٣٧٠. ٣٧١. ٣٧٢. ٣٧٣. ٣٧٤. ٣٧٥. ٣٧٦. ٣٧٧. ٣٧٨. ٣٧٩. ٣٨٠. ٣٨١. ٣٨٢. ٣٨٣. ٣٨٤. ٣٨٥. ٣٨٦. ٣٨٧. ٣٨٨. ٣٨٩. ٣٩٠. ٣٩١. ٣٩٢. ٣٩٣. ٣٩٤. ٣٩٥. ٣٩٦. ٣٩٧. ٣٩٨. ٣٩٩. ٤٠٠. ٤٠١. ٤٠٢. ٤٠٣. ٤٠٤. ٤٠٥. ٤٠٦. ٤٠٧. ٤٠٨. ٤٠٩. ٤١٠. ٤١١. ٤١٢. ٤١٣. ٤١٤. ٤١٥. ٤١٦. ٤١٧. ٤١٨. ٤١٩. ٤٢٠. ٤٢١. ٤٢٢. ٤٢٣. ٤٢٤. ٤٢٥. ٤٢٦. ٤٢٧. ٤٢٨. ٤٢٩. ٤٣٠. ٤٣١. ٤٣٢. ٤٣٣. ٤٣٤. ٤٣٥. ٤٣٦. ٤٣٧. ٤٣٨. ٤٣٩. ٤٤٠. ٤٤١. ٤٤٢. ٤٤٣. ٤٤٤. ٤٤٥. ٤٤٦. ٤٤٧. ٤٤٨. ٤٤٩. ٤٥٠. ٤٥١. ٤٥٢. ٤٥٣. ٤٥٤. ٤٥٥. ٤٥٦. ٤٥٧. ٤٥٨. ٤٥٩. ٤٦٠. ٤٦١. ٤٦٢. ٤٦٣. ٤٦٤. ٤٦٥. ٤٦٦. ٤٦٧. ٤٦٨. ٤٦٩. ٤٧٠. ٤٧١. ٤٧٢. ٤٧٣. ٤٧٤. ٤٧٥. ٤٧٦. ٤٧٧. ٤٧٨. ٤٧٩. ٤٨٠. ٤٨١. ٤٨٢. ٤٨٣. ٤٨٤. ٤٨٥. ٤٨٦. ٤٨٧. ٤٨٨. ٤٨٩. ٤٩٠. ٤٩١. ٤٩٢. ٤٩٣. ٤٩٤. ٤٩٥. ٤٩٦. ٤٩٧. ٤٩٨. ٤٩٩. ٥٠٠. ٥٠١. ٥٠٢. ٥٠٣. ٥٠٤. ٥٠٥. ٥٠٦. ٥٠٧. ٥٠٨. ٥٠٩. ٥١٠. ٥١١. ٥١٢. ٥١٣. ٥١٤. ٥١٥. ٥١٦. ٥١٧. ٥١٨. ٥١٩. ٥٢٠. ٥٢١. ٥٢٢. ٥٢٣. ٥٢٤. ٥٢٥. ٥٢٦. ٥٢٧. ٥٢٨. ٥٢٩. ٥٣٠. ٥٣١. ٥٣٢. ٥٣٣. ٥٣٤. ٥٣٥. ٥٣٦. ٥٣٧. ٥٣٨. ٥٣٩. ٥٤٠. ٥٤١. ٥٤٢. ٥٤٣. ٥٤٤. ٥٤٥. ٥٤٦. ٥٤٧. ٥٤٨. ٥٤٩. ٥٥٠. ٥٥١. ٥٥٢. ٥٥٣. ٥٥٤. ٥٥٥. ٥٥٦. ٥٥٧. ٥٥٨. ٥٥٩. ٥٦٠. ٥٦١. ٥٦٢. ٥٦٣. ٥٦٤. ٥٦٥. ٥٦٦. ٥٦٧. ٥٦٨. ٥٦٩. ٥٧٠. ٥٧١. ٥٧٢. ٥٧٣. ٥٧٤. ٥٧٥. ٥٧٦. ٥٧٧. ٥٧٨. ٥٧٩. ٥٨٠. ٥٨١. ٥٨٢. ٥٨٣. ٥٨٤. ٥٨٥. ٥٨٦. ٥٨٧. ٥٨٨. ٥٨٩. ٥٩٠. ٥٩١. ٥٩٢. ٥٩٣. ٥٩٤. ٥٩٥. ٥٩٦. ٥٩٧. ٥٩٨. ٥٩٩. ٦٠٠. ٦٠١. ٦٠٢. ٦٠٣. ٦٠٤. ٦٠٥. ٦٠٦. ٦٠٧. ٦٠٨. ٦٠٩. ٦١٠. ٦١١. ٦١٢. ٦١٣. ٦١٤. ٦١٥. ٦١٦. ٦١٧. ٦١٨. ٦١٩. ٦٢٠. ٦٢١. ٦٢٢. ٦٢٣. ٦٢٤. ٦٢٥. ٦٢٦. ٦٢٧. ٦٢٨. ٦٢٩. ٦٣٠. ٦٣١. ٦٣٢. ٦٣٣. ٦٣٤. ٦٣٥. ٦٣٦. ٦٣٧. ٦٣٨. ٦٣٩. ٦٤٠. ٦٤١. ٦٤٢. ٦٤٣. ٦٤٤. ٦٤٥. ٦٤٦. ٦٤٧. ٦٤٨. ٦٤٩. ٦٥٠. ٦٥١. ٦٥٢. ٦٥٣. ٦٥٤. ٦٥٥. ٦٥٦. ٦٥٧. ٦٥٨. ٦٥٩. ٦٦٠. ٦٦١. ٦٦٢. ٦٦٣. ٦٦٤. ٦٦٥. ٦٦٦. ٦٦٧. ٦٦٨. ٦٦٩. ٦٧٠. ٦٧١. ٦٧٢. ٦٧٣. ٦٧٤. ٦٧٥. ٦٧٦. ٦٧٧. ٦٧٨. ٦٧٩. ٦٨٠. ٦٨١. ٦٨٢. ٦٨٣. ٦٨٤. ٦٨٥. ٦٨٦. ٦٨٧. ٦٨٨. ٦٨٩. ٦٩٠. ٦٩١. ٦٩٢. ٦٩٣. ٦٩٤. ٦٩٥. ٦٩٦. ٦٩٧. ٦٩٨. ٦٩٩. ٧٠٠. ٧٠١. ٧٠٢. ٧٠٣. ٧٠٤. ٧٠٥. ٧٠٦. ٧٠٧. ٧٠٨. ٧٠٩. ٧١٠. ٧١١. ٧١٢. ٧١٣. ٧١٤. ٧١٥. ٧١٦. ٧١٧. ٧١٨. ٧١٩. ٧٢٠. ٧٢١. ٧٢٢. ٧٢٣. ٧٢٤. ٧٢٥. ٧٢٦. ٧٢٧. ٧٢٨. ٧٢٩. ٧٣٠. ٧٣١. ٧٣٢. ٧٣٣. ٧٣٤. ٧٣٥. ٧٣٦. ٧٣٧. ٧٣٨. ٧٣٩. ٧٤٠. ٧٤١. ٧٤٢. ٧٤٣. ٧٤٤. ٧٤٥. ٧٤٦. ٧٤٧. ٧٤٨. ٧٤٩. ٧٥٠. ٧٥١. ٧٥٢. ٧٥٣. ٧٥٤. ٧٥٥. ٧٥٦. ٧٥٧. ٧٥٨. ٧٥٩. ٧٦٠. ٧٦١. ٧٦٢. ٧٦٣. ٧٦٤. ٧٦٥. ٧٦٦. ٧٦٧. ٧٦٨. ٧٦٩. ٧٧٠. ٧٧١. ٧٧٢. ٧٧٣. ٧٧٤. ٧٧٥. ٧٧٦. ٧٧٧. ٧٧٨. ٧٧٩. ٧٨٠. ٧٨١. ٧٨٢. ٧٨٣. ٧٨٤. ٧٨٥. ٧٨٦. ٧٨٧. ٧٨٨. ٧٨٩. ٧٩٠. ٧٩١. ٧٩٢. ٧٩٣. ٧٩٤. ٧٩٥. ٧٩٦. ٧٩٧. ٧٩٨. ٧٩٩. ٨٠٠. ٨٠١. ٨٠٢. ٨٠٣. ٨٠٤. ٨٠٥. ٨٠٦. ٨٠٧. ٨٠٨. ٨٠٩. ٨١٠. ٨١١. ٨١٢. ٨١٣. ٨١٤. ٨١٥. ٨١٦. ٨١٧. ٨١٨. ٨١٩. ٨٢٠. ٨٢١. ٨٢٢. ٨٢٣. ٨٢٤. ٨٢٥. ٨٢٦. ٨٢٧. ٨٢٨. ٨٢٩. ٨٣٠. ٨٣١. ٨٣٢. ٨٣٣. ٨٣٤. ٨٣٥. ٨٣٦. ٨٣٧. ٨٣٨. ٨٣٩. ٨٤٠. ٨٤١. ٨٤٢. ٨٤٣. ٨٤٤. ٨٤٥. ٨٤٦. ٨٤٧. ٨٤٨. ٨٤٩. ٨٥٠. ٨٥١. ٨٥٢. ٨٥٣. ٨٥٤. ٨٥٥. ٨٥٦. ٨٥٧. ٨٥٨. ٨٥٩. ٨٦٠. ٨٦١. ٨٦٢. ٨٦٣. ٨٦٤. ٨٦٥. ٨٦٦. ٨٦٧. ٨٦٨. ٨٦٩. ٨٧٠. ٨٧١. ٨٧٢. ٨٧٣. ٨٧٤. ٨٧٥. ٨٧٦. ٨٧٧. ٨٧٨. ٨٧٩. ٨٨٠. ٨٨١. ٨٨٢. ٨٨٣. ٨٨٤. ٨٨٥. ٨٨٦. ٨٨٧. ٨٨٨. ٨٨٩. ٨٩٠. ٨٩١. ٨٩٢. ٨٩٣. ٨٩٤. ٨٩٥. ٨٩٦. ٨٩٧. ٨٩٨. ٨٩٩. ٩٠٠. ٩٠١. ٩٠٢. ٩٠٣. ٩٠٤. ٩٠٥. ٩٠٦. ٩٠٧. ٩٠٨. ٩٠٩. ٩١٠. ٩١١. ٩١٢. ٩١٣. ٩١٤. ٩١٥. ٩١٦. ٩١٧. ٩١٨. ٩١٩. ٩٢٠. ٩٢١. ٩٢٢. ٩٢٣. ٩٢٤. ٩٢٥. ٩٢٦. ٩٢٧. ٩٢٨. ٩٢٩. ٩٣٠. ٩٣١. ٩٣٢. ٩٣٣. ٩٣٤. ٩٣٥. ٩٣٦. ٩٣٧. ٩٣٨. ٩٣٩. ٩٤٠. ٩٤١. ٩٤٢. ٩٤٣. ٩٤٤. ٩٤٥. ٩٤٦. ٩٤٧. ٩٤٨. ٩٤٩. ٩٥٠. ٩٥١. ٩٥٢. ٩٥٣. ٩٥٤. ٩٥٥. ٩٥٦. ٩٥٧. ٩٥٨. ٩٥٩. ٩٦٠. ٩٦١. ٩٦٢. ٩٦٣. ٩٦٤. ٩٦٥. ٩٦٦. ٩٦٧. ٩٦٨. ٩٦٩. ٩٧٠. ٩٧١. ٩٧٢. ٩٧٣. ٩٧٤. ٩٧٥. ٩٧٦. ٩٧٧. ٩٧٨. ٩٧٩. ٩٨٠. ٩٨١. ٩٨٢. ٩٨٣. ٩٨٤. ٩٨٥. ٩٨٦. ٩٨٧. ٩٨٨. ٩٨٩. ٩٩٠. ٩٩١. ٩٩٢. ٩٩٣. ٩٩٤. ٩٩٥. ٩٩٦. ٩٩٧. ٩٩٨. ٩٩٩. ١٠٠٠. ١٠٠١. ١٠٠٢. ١٠٠٣. ١٠٠٤. ١٠٠٥. ١٠٠٦. ١٠٠٧. ١٠٠٨. ١٠٠٩. ١٠١٠. ١٠١١. ١٠١٢. ١٠١٣. ١٠١٤. ١٠١٥. ١٠١٦. ١٠١٧. ١٠١٨. ١٠١٩. ١٠٢٠. ١٠٢١. ١٠٢٢. ١٠٢٣. ١٠٢٤. ١٠٢٥. ١٠٢٦. ١٠٢٧. ١٠٢٨. ١٠٢٩. ١٠٣٠. ١٠٣١. ١٠٣٢. ١٠٣٣. ١٠٣٤. ١٠٣٥. ١٠٣٦. ١٠٣٧. ١٠٣٨. ١٠٣٩. ١٠٤٠. ١٠٤١. ١٠٤٢. ١٠٤٣. ١٠٤٤. ١٠٤٥. ١٠٤٦. ١٠٤٧. ١٠٤٨. ١٠٤٩. ١٠٥٠. ١٠٥١. ١٠٥٢. ١٠٥٣. ١٠٥٤. ١٠٥٥. ١٠٥٦. ١٠٥٧. ١٠٥٨. ١٠٥٩. ١٠٦٠. ١٠٦١. ١٠٦٢. ١٠٦٣. ١٠٦٤. ١٠٦٥. ١٠٦٦. ١٠٦٧. ١٠٦٨. ١٠٦٩. ١٠٧٠. ١٠٧١. ١٠٧٢. ١٠٧٣. ١٠٧٤. ١٠٧٥. ١٠٧٦. ١٠٧٧. ١٠٧٨. ١٠٧٩. ١٠٨٠. ١٠٨١. ١٠٨٢. ١٠٨٣. ١٠٨٤. ١٠٨٥. ١٠٨٦. ١٠٨٧. ١٠٨٨. ١٠٨٩. ١٠٩٠. ١٠٩١. ١٠٩٢. ١٠٩٣. ١٠٩٤. ١٠٩٥. ١٠٩٦. ١٠٩٧. ١٠٩٨. ١٠٩٩. ١١٠٠. ١١٠١. ١١٠٢. ١١٠٣. ١١٠٤. ١١٠٥. ١١٠٦. ١١٠٧. ١١٠٨. ١١٠٩. ١١١٠. ١١١١. ١١١٢. ١١١٣. ١١١٤. ١١١٥. ١١١٦. ١١١٧. ١١١٨. ١١١٩. ١١٢٠. ١١٢١. ١١٢٢. ١١٢٣. ١١٢٤. ١١٢٥. ١١٢٦. ١١٢٧. ١١٢٨. ١١٢٩. ١١٣٠. ١١٣١. ١١٣٢. ١١٣٣. ١١٣٤. ١١٣٥. ١١٣٦. ١١٣٧. ١١٣٨. ١١٣٩. ١١٤٠. ١١٤١. ١١٤٢. ١١٤٣. ١١٤٤. ١١٤٥. ١١٤٦. ١١٤٧. ١١٤٨. ١١٤٩. ١١٥٠. ١١٥١. ١١٥٢. ١١٥٣. ١١٥٤. ١١٥٥. ١١٥٦. ١١٥٧. ١١٥٨. ١١٥٩. ١١٦٠. ١١٦١. ١١٦٢. ١١٦٣. ١١٦٤. ١١٦٥. ١١٦٦. ١١٦٧. ١١٦٨. ١١٦٩. ١١٧٠. ١١٧١. ١١٧٢. ١١٧٣. ١١٧٤. ١١٧٥. ١١٧٦. ١١٧٧. ١١٧٨. ١١٧٩. ١١٨٠. ١١٨١. ١١٨٢. ١١٨٣. ١١٨٤. ١١٨٥. ١١٨٦. ١١٨٧. ١١٨٨. ١١٨٩. ١١٩٠. ١١٩١. ١١٩٢. ١١٩٣. ١١٩٤. ١١٩٥. ١١٩٦. ١١٩٧. ١١٩٨. ١١٩٩. ١٢٠٠. ١٢٠١. ١٢٠٢. ١٢٠٣. ١٢٠٤. ١٢٠٥. ١٢٠٦. ١٢٠٧. ١٢٠٨. ١٢٠٩. ١٢١٠. ١٢١١. ١٢١٢. ١٢١٣. ١٢١٤. ١٢١٥. ١٢١٦. ١٢١٧. ١٢١٨. ١٢١٩. ١٢٢٠. ١٢٢١. ١٢٢٢. ١٢٢٣. ١٢٢٤. ١٢٢٥. ١٢٢٦. ١٢٢٧. ١٢٢٨. ١٢٢٩. ١٢٣٠. ١٢٣١. ١٢٣٢. ١٢٣٣. ١٢٣٤. ١٢٣٥. ١٢٣٦. ١٢٣٧. ١٢٣٨. ١٢٣٩. ١٢٤٠. ١٢٤١. ١٢٤٢. ١٢٤٣. ١٢٤٤. ١٢٤٥. ١٢٤٦. ١٢٤٧. ١٢٤٨. ١٢٤٩. ١٢٥٠. ١٢٥١. ١٢٥٢. ١٢٥٣. ١٢٥٤. ١٢٥٥. ١٢٥٦. ١٢٥٧. ١٢٥٨. ١٢٥٩. ١٢٦٠. ١٢٦١. ١٢٦٢. ١٢٦٣. ١٢٦٤. ١٢٦٥. ١٢٦٦. ١٢٦٧. ١٢٦٨. ١٢٦٩. ١٢٧٠. ١٢٧١. ١٢٧٢. ١٢٧٣. ١٢٧٤. ١٢٧٥. ١٢٧٦. ١٢٧٧. ١٢٧٨. ١٢٧٩. ١٢٨٠. ١٢٨١. ١٢٨٢. ١٢٨٣. ١٢٨٤. ١٢٨٥. ١٢٨٦. ١٢٨٧. ١٢٨٨. ١٢٨٩. ١٢٩٠. ١٢٩١. ١٢٩٢. ١٢٩٣. ١٢٩٤. ١٢٩٥. ١٢٩٦. ١٢٩٧. ١٢٩٨. ١٢٩٩. ١٣٠٠. ١٣٠١. ١٣٠٢. ١٣٠٣. ١٣٠٤. ١٣٠٥. ١٣٠٦. ١٣٠٧. ١٣٠٨. ١٣٠٩. ١٣١٠. ١٣١١. ١٣١٢. ١٣١٣. ١٣١٤. ١٣١٥. ١٣١٦. ١٣١٧. ١٣١٨. ١٣١٩. ١٣٢٠. ١٣٢١. ١٣٢٢. ١٣٢٣. ١٣٢٤. ١٣٢٥. ١٣٢٦. ١٣٢٧. ١٣٢٨. ١٣٢٩. ١٣٣٠. ١٣٣١. ١٣٣٢. ١٣٣٣. ١٣٣٤. ١٣٣٥. ١٣٣٦. ١٣٣٧. ١٣٣٨. ١٣٣٩. ١٣٤٠. ١٣٤١. ١٣٤٢. ١٣٤٣. ١٣٤٤. ١٣٤٥. ١٣٤٦. ١٣٤٧. ١٣٤٨. ١٣٤٩. ١٣٥٠. ١٣٥١. ١٣٥٢. ١٣٥٣. ١٣٥٤. ١٣٥٥. ١٣٥٦. ١٣٥٧. ١٣٥٨. ١٣٥٩. ١٣٦٠. ١٣٦١. ١٣٦٢. ١٣٦٣. ١٣٦٤. ١٣٦٥. ١٣٦٦. ١٣٦٧. ١٣٦٨. ١٣٦٩. ١٣٧٠. ١٣٧١. ١٣٧٢. ١٣٧٣. ١٣٧٤. ١٣٧٥. ١٣٧٦. ١٣٧٧. ١٣٧٨. ١٣٧٩. ١٣٨٠. ١٣٨١. ١٣٨٢. ١٣٨٣. ١٣٨٤. ١٣٨٥. ١٣٨٦. ١٣٨٧. ١٣٨٨. ١٣٨٩. ١٣٩٠. ١٣٩١. ١٣٩٢. ١٣٩٣. ١٣٩٤. ١٣٩٥. ١٣٩٦. ١٣٩٧. ١٣٩٨. ١٣٩٩. ١٤٠٠. ١٤٠١. ١٤٠٢. ١٤٠٣. ١٤٠٤

تنقلها إلينا هي طبقا لهذين المؤرخين^(١) : بالمقارنة بكثافة الإبحار في ذلك الوقت فإن النقل البحري الأسباني الأمريكي يتسم بأنه غاية في الضخامة ، وليس أقل من ذلك ضخمة مراسلات الجهاز الإداري الموجود نسخ منها في أرشيف الهند^(٢) إذ أنه أكثر تراء ودلالة بالمقارنة بمستندات موجودة حتى الآن عن النقل البحري خلال النصف الأول من العصر الحديث .

لم يكن أمرا مثيرا للعب السيطرة على كل هذه المساحة الجغرافية والإدارية الهائلة التي هي عبارة عن الهند الغربية التابعة لقشتالة أو حتى وضع العراقييل حقيقة أمام الأداء الجيد لهذه الماكينة . " ألا تعرفون أنتم يقول أحد الفرنسيين في كتاب " الناقد اللادعي " لبليسا جراثيان^(٣) - أن حدث ذات مرة أن الأسطول لم يأت في أحد الأعوام بسبب حادثة ما ولم يتمكن أي من أعداء الملك من محاربته " والآن مؤخرا عندما تعبر وصع الفضة بعصر الشيء في البيرو ، ألم يشعر بالقلق كافة أمراء أوروبا وكافة الممالك الأخرى هناك " .

وإذا ما تهدمت الإمبراطورية الأسبانية الصحمة كالنيل ، لكان على الأعداء الظاهريين أن يساعدوا في أن تهض إد أفادوا منها كثيرا مقابل ثمن رهيد ، ومن تنظيمها الضخم الذي لم يكن هناك إسمار حصيف لبحرؤ على القيام بذئ كنب موشسكيو^(٤) لقد جرأت على القول في مكان ما بأنه تم ترك الأسر يعرور الى الهند وكان يحث مراجعة إعادة اليهود وإقصاء الإسبان إذ كان لابد أن يعيد إلى سبب المملكة كل هذه الشعوب المبعثرة ولو كانت نصف تلك المستعمرات فقط قد تم لاحق مذهب لكاست أسبابا القوة الأكثر مهارة في أوروبا .

كان الإنجليز والفرنسيون يدركون جيدا من خلال تحريضهم في كل من حامايبكا ، وجزر سانتا دومنجو حجم الفوائد التي تدرها عليهم مهام الاستعمارية المكثفة والمقسمة وعندئذ لم يتنه المرء في سلاسل الجمال والعبات في الثروة إذا كان عائدا هذا الاستغلال

(١) هوجت وبيركو ' أشبيليه والأطلنطي ' (١٥٠٤ - ١٦٥٠ م . حصصت . آخره لأور ص ١٢ . آخره الدراسي .

المجلد الثامن ، ١٠٢ ص ١٠ ، باريس ١٨٩٥٥

(٢) آخره الثاني ، كريسي . الثالثة

(٣) الرسائل الشخصية CXVI .

المتعب غير مجزء" وحقيقة الأمر هو أن الاحتكار التجاري الذي كان لدى أسبانيا كان يعطي نوعاً من المتاعب بالنسبة لباقي الدول الأوروبية الأخرى، لكنه كان يضمن احتكاراً هاماً من الناحية العملية؛ ففي عام ١٦٠٨م أبلغ "مجلس الهند الغربية" الملك الأسباني أن مصالح الأجنبية في حركات السفن ازدادت إلى ثلثي الإنتاج الأمريكي من الذهب والفضة، وفي عام ١٧٤٠م، طبقاً لتقديرات موجزة بعض الشيء^(١)، وصل الإسهام الأسباني في السيطرة على تسعة أعشار إجمالي تجارة الهند الغربية الأسبانية.

لم يكن الوضع الفعلي الذي عليه الهند الغربية يبرر استخدام لقوة شكل كبير حتى يحل محل القوة الأوروبية، ويتم وضع اليد على الإمبراطورية ورما لم يحدث مثل هذا الاستخدام للقوة إلا مرة واحدة في عام ١٧٤١م عندما قام الأسطول الصالح الذي يقوده فيرون Vernon وكان قوامه مائة وعشرين سفينة وثلاثين ألف محارب بالهجوم على قرطاجنة.

كتب أرنولد تويني يقول "إن سقوط قرطاجنة كان سبباً نشأة أول خطوة في مشوار تحول من خلاله الإمبراطورية الأسبانية إلى إمبراطورية بريطانية. فمن قبل قرطاجنة كانت هناك قناة صناعية تم شقها لنقل من ميناء مدريد، وهد الهرب من الأبواب نحو الداخل... ومن خلال بحري لنهر من ميناء مدريد، تقرب إلى شواطئ المحيط الباسفيكي، ومعنى هذا أن لو كان فيرون صحيح في ما ذهب إليه لأصبحت كافة الأملاك الأسبانية ابتداء من شاطئ الكاريبي وحتى وادي نهر ريو غراندي نهر لابلاند تحت إمرة البريطانيين حيث كان من الممكن لهم احتلال كل ذلك بسهولة.

كانت نظرة المؤرخ الإنجليزي متعاطفة بوضوح مع ذلك، بمعنى أن الإخلاء لهم صفة الانتشار وهذا ما لم يكن قد ظهر بعد في الأقاليم التي كانت نهاية العالم الجديد. ثم شعروا بأي إثارة للفضول حتى ذلك الحين، أي هؤلاء الذين قدس الدين استقروا في أمريكا الشمالية، ليقوموا باستكشاف تلك الأراضي الشاسعة المستعدة على الجانب الآخر من "جبال بالاتشيس" Montes Apalaches والتي تسمى بأنها أكثر سهلية وراحة مقرة.

(١) حوسبه دل كمينو أي كوسبو، النظام لاقتصادي حديد الهند الغربية. مدريد ١٧١٩م عن كلاركس إنش. ١٧٦
"الإمبراطورية الأسبانية في أمريكا"، نيويورك، ١٩٤٧م، ص ٣١٥

بأخبال في أمريكا الجنوبية . حيث لم يمر بها إلا استكشفيون أوربيون - فرنسيون وألمان .
وعلى أية حال فإن التحصينات القائمة في قرطاجنة الهند إضافة إلى إقدام وشجاعة المدافعين
رغم قتلهم العديدة التي تصل إلى واحد إلى سبعة في مواجهة المهاجمين وأن من يقودهم هو
ذلك الرجل المجدوع أي المقطوع الذراع والأعرج الذي هو بلاس دي ليشو ،
استطاعوا أن يكسروا inovo تلك الحملة الصخمة

سوف يكون أمرا غير محدد أن تقوم في العصر الذي يعيش فيه بإعادة استخدام تعبير
الانتصارات القومية في مواجهة شعب أوربي . فنتصور قرطاجنة الهند العربية كانت له آثار
تاريخية ذات أمد بعيد : فهذا الانتصار يبرز الحوهر الذي عليه الإمبراطورية الأسبانية
وانعقيدات والتبارات المرتبطة به وكذا تلك العقلانية التي كانت تحركها حتى ذلك الحين ،
أي في منتصف القرن الثامن عشر . وإذا ما تمكن الحصن المركزي لسان فيليث دي بارحاس
من مقاومة الهجمات المتكررة التي قام بها لإخسري مما كان ذلك إلا لأن قواتهم أصيبت
بالهيك من جراء الهجوم على تلك المعقل المستند على ذلك الحصن والتي كانت شديدة
التحصين من خلال ملها من مدافع وسياج من سمن منتشرة في الحليج . كما أن النظام
مدعوم بالكامل كان ثمة خفيضة فصل مهمين معسكرين في ذلك العصر لم يكونوا
نسابين في حقيقة الأمر ولكن كانوا من سمن جميع : حربية حكم مموث لهند العربية
نفسهم . أضف إلى ما سبق أن السوار شهد - - - - - كانت من كس حربية مقطوعة
شكل منشار وملتصقة بمعسكر - - - - - لأسست - - - - - سمن حسد المهندسين المحدثين
ويشكدهم الأمل حيث حاولوا ، ولكن بلا جدوى ، أن يدمروا سمن - - - - - وهذا ما قاله
نوبسي المؤرخ البريطاني نفسه

يلاحظ أن الأسس الأولية للتحصينات ذات مدافع سمن مستند وقع على عائق
مجموعة من العاملين البيض أو الملويين الذين كانوا يقيمون في العدة اشقي الأكثر تقدما في
العرب . وكان هناك تلاحم فيما بينهم بدرجة ترتفع لدواعي مشتركة للتحصين دور تمثيل
بيهم من الناحية السلالية . أي هناك نقية مذهلة وكذا الإقدام والشجاعة والخس الجماعي
وكذلك بالنسبة للوباء ولكن ليس بالدرجة التي يتوهم لبعض منها . وبالتالي تصافر هذا
مع القصة الذي سبق الحملة والفشل الذي مبيت به ليكون رأب شديد النضرة لصالح

السيطرة الأسبانية في الهند الغربية، حيث تمكنت بلدانها بعد مرور ثلاثة أرباع قرن على
هذه الواقعة من الحصول على استقلالها دون أن تستقل إلى يد قوة أوروبية أخرى

غير أن الأطراف الحقيقية المتصارعة في قرطاجنة لم تكن القوى الأوروبية من
كانت أمريكا الأنجلو ساكسونية وأمريكا الأسبانية ولم يكن مجرد صدفة على الإطلاق أن
يحظى الجيش العازي بقطاع مهم من القوات التي تم تحييده في أمريكا الشمالية. كما أنه
يكن محض صدفة أيضاً أن يكون لورنس، الشقيق الأكبر جورج واستطاع أحد أفراد هذه
القوات، الذي كان أكثر ولاء للقائد Almirante مقارنة بتبعيه لأورسين. ودلتلي
فتخلبدا لذكره أطلق عليه اسم Mount Vernon، أي نمت لعمرة لشهيرة التي كانت
تسيطر على المشهد في بوتوماك Potomac هاهي قرطاجنة بعد تراءى في الأثر الأسري
لمؤسس الولايات المتحدة، وحددت بدلت خطأ فاصلا بين تعيين اثنين هما جماع القارة

XVIII - أمريكا وإقليم الأندلس

حتى نفهم جيدا كلا الإقليمين من الضروري أن ننظر إلى أمريكا انطلاقا من إقليم
أندلس وإلى هذا الأخير انطلاقا من أمريكا

ليست هذه بنظرية جديدة فيما يتعلق بظرفيتها، رغم أن هناك منذ عدة سنوات بدهية
ويقتبس بصورة التي تبدو أن عليها بصنة عامة من الطائفة أشرنا في صفحات سابقة أن
مسافر بالطائرة يقوم وهو يعبر تلك المساحة الشاسعة للقفار تقطع دوائر ورقع حضورية
تستكن في الذاكرة والتي يمكن له أن يسترجعها بسهولة وتثار فيما بينها حسن. خدوا
عددا من هذه الدوائر أو الاسطوانات وصعوبها تحت إبرة اهتمامكم وسوف نشعرون
بندحاة من درجة الشبه في الإيقاع والعمق التي تحس بكرة اندلسية واضحة يتم اكتشافها
من خلال عدة تنويعات

وقبل ذلك، أي منذ عدة سنوات، لم يكن هناك إحصاء الباكيد من ذلك شكل
قطع في مجال الموسيقى والملبس والعمارة والشعر والسيرك والأندية والمناشي واللهو
والدعة والأبراج الخ وفي كلمة واحدة، رؤيتهم في تلك الحياة والثقافة لإقليم أورسي
وقد انعكست في تنوع شديد في مختلف أحرار، المارة الشاسعة في نصف الكرة الغربي رغم
الحدود على الولاء للسمات الجوهرية رغم اختلاف الظروف مساحة في الكاريبي أو جبال
أنديز أو إقليم بلاتا، وكذلك التنوع الشديد في أحاسيس السلافي المكون من اليهود والسود
والبروليتريا البيضاء. ومن الطبيعي أن تكون هناك إقليم مثل الكاريبي وليما وحنوب
المكسيك - حيث يلاحظ فيها التأثير الأندلسي بوضوح أكثر، وبأدرا ما يمكن أن نجد إقليما
في أسانو أمريكا وقد نجا من هذا التأثير.

وعند الانتقال من مدينة إلى أخرى كان من الضروري ستمينات أو آلاف
الكيلومترات سواء بحرا أو برا لا تحدد مدينة إلا وتعرضت لأبواب الطبيعة حادة ستي عبيها
الأراضي الأمريكية. وما كنت تتمتع به كل بلدة من سمات خصوصية تحدثا ندوب في
إطار ما هو قاسم مشترك وعام وذلك تتحول السمات لأندلسية للحياة إلى ظهور تسمية
في الحصار الحصرية ولكن مع بعض لتمحيص، غير أن الطائرة أرسست مساوت ستي
كانت تصفي العنمة على ذلك الحو الأسري للمدن الأساسو امريكة، وضحت كنه حنية
أمام باطري الرحالة في إطار تجربة حيوية واحدة وكأنها معلنة على حائط حد معاصر
الصور ربما فقد الرؤية العمق، والأبعاد الجغرافية المحددة وكذا الإنسانية لكن يثبت بتعلق
بوجهة النظر محل حديثنا فإن المكاسب هي أمر مدحوظ

وفي الوقت الحالي وعلى مدار عدة أشهر يمكن أن تكون هناك في الكرة احيية صور
الشرفات الحشية في ليما ويمكن مقارنتها تميلاتها في فرت حنة نفسها، وكذا مقارنتها الأسبوعية
في بونوسي بنيت التي في كويرن (Cuzco) ر مدينة استشف دي انشاء
الخرافية المدحنة في سوكري بأمنه في كيتو، وكذلك نفس الشيء على النظرية الشبيهة مع
الظاهرة نفسها في بويرتوريكو الجح وليس لأمر مدحوظ عن مدحوظات سرده تقوم على
صور فوتوغرافية حيث المضادة بين عمود مربع وعمود مربع، وحط لحط مع مكوبات
اثنين من المباني لأثرية يمكن أن يكون ذلك ممكنة عند النظر إلى نسبة أكثر تحريم
عن تلك التي عليها كل من إقليم الأندلس وأما ذلك، فإن مقارنتها شاهی بين
كبانين حين سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية، فإن المقارنة في نسكية عبر
التي التقطتهما من وسطهما الحي واحتفظت بهما بعدة مقارنتها إلى حوار كبسات
أخرى توائم في مدن شقيقة رغم بعد المسافة التي قد تبعد آلاف الكيلومترات

ومن الجانب الفني والثقافي فإن هذه الكيلومترات ليست مسئلة في العالم القديم
والعالم الجديد، فاجتياز مائة كيلومتر في إقليم الأندلس أو إيطاليا يساوي آلاف
الكيلومترات في أمريكا حيث من المهم تعويض المسافة القصيرة من خلال السرعة التي عبيها
وسائل المواصلات فقبل ذلك، أي عندما كانت وسائل المواصلات شديدة لطف في العالم
الجديد مقارنة بالقديم، لم تكن هناك إمكانية للحصول على صورة منسقة إجمالية أو
للأقاليم الأكثر أهمية مثل تلك التي كان يمكن الوصول إليها في مورخونبادي لا أمريكا

أولاً أو إقليم الأندلس الإسلامي ...
 ريت اعراف والأحزاب والاراضي ...
 مسمع من ...
 ضرورية ...
 سبوت

تتبع في هذا المقام الخار ...
 حتى يصفوا ...
 في إحدى هذه ...
 لأرضه مع ما ...
 غيره من ...
 مدبرة من ...
 واحد من ...
 بعد هذا ...
 بقائه ...
 لسه واحد من

بكن حقيقة الأمر ...
 نفلوبيا، أو نوسكا أو ...
 ساحرا ...
 لأقليم الأوربية طوال قرون العصور ...
 شخصية سلبية أكثر منها ...
 الأساليب ...
 فيها ملامح مستوردة وأحيانا ما يريد هذا حيث ...

Vid. de ... حول إقليم الأندلس في ...
 ١٨٦١

هبط القشتاليون إلى الأندلس وهم يحملون معهم أساليبهم الفنية وتنظيماتهم
القضائية وبوابهم في السيطرة الاقتصادية ولعنتهم التي كادت تكتسح وملأوا ما يسمى بـ
"أحوال" الحمراء بالأنماط الواقعة في أقصى أراضي العرب بأنماط حياة مستوردة لم تكن
أنماط حياة قشتالية. فمن خلال الغزاة الذين قدموا من النهضة الوسطى كان يتبدى لإسداء
المشترك للغرب كاملاً، وعلى هذه الأرض التي حرق صممها مؤخرًا قام باصلاق الكثير من
أنماط حياته بإغداق وخاصة الجوانب الفنية الحاضرة للعبارة ودت الدلالة

وخلال عشرات من السنين ومحاسن بالغ أقيمت على الأرض الأندلسية آثار ثمن
التنوعات التي عليها الأساليب الفنية خلال العصور الوسطى والعصر الحديث وكان كاست
هناك رغبة ملححة في تعويض الزمن الذي صاع والبأس المكسبات الأرضية الجديدة بكافة
سمات التواجد الفني للعرب إقليم الأندلس هو أكثر من مجرد إقليم في هذا المقام إذ يجنوي
على ما أنتحت ثقافات أخرى وهو ذلك الإقليم سافر من مقدمة المركب الأوربي وأحد
يتبدى وهو يرتدي قناعاً يلخص فيه العرب ملامحه نفس الآخر في مبداء اسحر الراسعة في
كوكب الأرض.

لكن لم تكن فقط ملامح العرب من كانت تترك بصمتها في الأندلس بل
تقتصر على كونها أرضاً مفتوحة على سرحان من الشرق إلى الغرب من الشمال إلى
على تلك القادمة من الجنوب ومن الشرق من الغرب من الغرب من الغرب من الغرب من
كنت أيضاً آخر أراضي الشرق العربي ولشمالها من الغرب من الغرب من الغرب من الغرب من
بها فيما يتعلق بالتيارات القادمة من العالم المسيحي. فبالرغم من هذه قرون أسهمت بدورها
في الإطار المتعلق بالتأثيرات القادمة من الشرق والجنوب من الدور الذي يتمثل في التلقيح
الشامل الذي قام به إقليم الأندلس ليس أمراً فيه عموم بل كان يقوم على عدة طبقات
تنجلي بوضوح في أي مدينة أندلسية، بمسئولية المحنة محددة الأساليب الفنية والماح
التي أتت منها ابتداء من الكاتدرائية التي تنسب إلى شمال أوروبا وحتى مقر الإقامة
المورسكي مروراً بالقصر الإبطالي والمعبد الباروك أو الر كوكو أو المنزل ذي الطابع
الفينيقي، ومن يدري فيما إذا كان من تارتسيا.

هذا الطابع الذي عليه إقليم الأندلس، من حيث أنه ملتقى، وتبيان لتيارات، هو أنه تلك الوردية المفتحة على كافة أنواع الرياح، أصبح، من المنظور الفني ومن جواب أخرى تتعلق بأية مدينة في باطقة، مصدر عناية واهتمام من أجل فهم المهمة التي قام بها إقليم الأندلس في العالم الجديد. كانت مهمة اكتشاف هذا العالم واستعمار غربية وأوربية في المقام الأول ولكن دون هذا التزمت الذي يفخر به الأوروبيون من أهل الشمال، فالبعد الشرقي لا يمكن أن يكون غائبا في مهمة كان لها مدلول كامل في الكرة الأرضية، فعندما يتمشى الزائر في "لاباث" أو في كيتو ويتأمل قبة ترجع إلى عصر الهضة أو قبة ذات تقاطعات أو سقف مزين بالقصاع على الطريقة المدجنة بما له من ألوان غير واضحة في جو كأنه كهف فإنه لا يشعر بالانتقال وكأنه عيبة نظام أو أنه نوع سطحي من الجمع بين الأشتات بل هو تعبير عن رغبة بناء مرنة تعرف الاستفادة مما هو وطني وعلمي وفي الوقت ذاته مما هو صوفي حيث يوجد في آن معا في شغف مدجن

وإذا ما تسلم من يقوم بتشيد مسي في الكاريبي أو الأنديز أو الهضبة المكسيكية، بأحلول المختلفة والمتنوعة للعبة التي كان يقدمها المتحلف الأندلسي الواسع، لأمكنه مواجهة المشاكل المتعددة التي تعترض طريقه. وبإلها من قيود تكبل الأيدي- وكانت على هذا النحو، أي أيدي المعمارين الممرسين الذين يسرون على القوانين الفنية مثل لفرنسية أو الإنجليزية لكن المماري الاساسي. أي الأندلسي أو القشتالي وابن إقليم إكسريمادورا، الذي كان يحرر من إسلبه وقد تدرج جيدا من خلال السياق الذي عاش كان على التقيص من هؤلاء- إذ كان يتمنع بحرية كبيرة ليشتد مدنا صغيرة أو كبيرة على شاكلة قادش على شاطئ البحر، أو يشيد مدنا مثل ودة Ubeda عندما يكون المسطح في منطقة مرتفعة أو يشيد مدنا أكثر تواضعا نسبته بمدينة سيدونه Sidona أو شريش Jerez دي لوس كابابيروس. كان يمكن أن يختار أيضا، قبل إقامة كاتدرائية، بين الأشكال المتعلقة بعصر النهضة التي ترى في كاتدرائية عرابطة التي تحمل بصمات ترجع إلى العصر القديم مثلما نجد ذلك في كاتدرائية المكسيك ونوبلا، أو الأشكال الأكثر تواضعا والقوطية الأسلوب مثل كاتدرائية بايثا Baeza أو كيسة بالوس Palos، إضافة إلى السمات الشرقية التي عليها المسجد الجامع بقرطبة طبقا لما يرى في المصلى الملكي الملحق بدير انفرنسيسكان دي شولولا Cholula الذي يقع بالقرب من المكسيك.

كان من السهل تنفيذ تلك الاختيارات ذلك أن إقليم الأندلس لا يقدم فقط هذا التنوع الشديد في الأساليب والأشكال الفنية- أو في الجوانب الأخرى للحياة بل هناك ترابط داخلي بينها الأمر الذي يجعل الانتقال من توجه إلى آخر ممكنا وكذلك الجمع بينها وخلقها. يتسم التنوع غير العادي في الأشكال الفنية بالتوازن في إقليم الأندلس وذلك بفضل تجذره في الحياة وبسبب الموقف الذي ينظر إلى الأمور بشكل مسبي وخاصة المتعلقة بالمضمون الموضوعي للثقافة ابتداء من مركز حيوي له كيان حقيقي ولم يحدث في أي مكان مثل هذا أن رأينا أنماط الثقافة يتولد عنها الكثير من أنماط الحياة الأصيلة يفتقر الفن الأندلسي لغايات فنية كبرى وكثيرا ما تظهر عليه بوادر الضعف من منظور المطلق الفني. ولكن ما يفتقده في الالتزام الصارم بالقواعد يكسبه في المرونة والتنمُّل وكذلك في القلبية لنقل.

ونظرا لأن الفن الأندلسي شديد الارتباط بالحياة وتعدد التأقلم على الترد والذي تحول إلى ملبس شخصي فإنه من السهل نقله. فأى من المستعمرين يمكن أن يحمله معه في قاربه إلى أمريكا دون الحاجة إلى أمتعة كثيرة وإلى كتب تتعلق بالعمارة. ثم بعد ذلك، عند وصوله إلى هناك، يمكن أن يفرد على طريقته ومواءمته طمنا لمصبات الحو المحيط وطقسا للسكان الأصليين ويقدم بذلك الفرصة لإيجاد تكوينات جديدة وبما أخرى من التأقلم الحيوي. الفن الأندلسي إذن لا يقدم فقط أشكالاً متنوعة وسلسلة من التكوينات بين هذه الأشكال في عملية التوسع في أمريكا بل ربما يقدم ما هو أكثر أهمية ألا وهو موقف مسبق، أو ميل إلى الجمع بين عناصر مختلفة يمكن أن تكون جديدة وغير معروفة للمرة مثل تلك التي ترجع إلى الثقافات السابقة على العصر الاستعماري أو تلك القادمة من الشرق الأقصى من خلال المحيط الباسفيكي. إلا أنها سرعان ما تندمج مع باقي العناصر ذلك إذا تم النظر إليها من منظور مسبق وهو القدرة على التزاوج الفني الذي يستلزم في وعي مداني وحيوي بالفن.

وبناء على كل ما سبق نجد أن التأكيد على أن إقليم الأندلس وضع بصمته الخاصة في طول العالم الجديد وعرضه لكن هذا لا يستلزم أن يكون أهله هم الذين استعمروا هذا العالم بشكل أساسي. إذ أن عملية إضفاء الطابع الغربي على أمريكا وقعت على عاتق كافة الأطياف السكانية الأيبيرية بدرجة كبرت أم صغرت. وكان ذلك بدءاً من الأيام

الأولى، فرعم صم الهند الغربية للنجاح الغنصالي اكتسب أهل أرعم والدبين اغنصو المسحة
مكة مهنة صمن الموظفين في بلاط فرمادو الكانوليني

وبعد عشرات قليلة من السنين على الاكتشاف تجد جوشالو فرمادو دي أوبيدو
يكتب 'رعم أن الدس كانوا يأتون هم من حاشية الملوك الأسبان فمن من الناس يمكنه أن
يؤثر من الناسكي والقطلائي إدهما من إقليمن حد مختلفين، كيف سيتوافق الأندلسي مع
بسي وبن برينجان Papiamentu مع الترتيبي والأرمني مع ابن حنكوا وحنيني مع
مستلي (حيث هناك شت في انه برعالي، وأيس الإقليم الحلي في أسور) مع من
ميرة "الع" "ك" كانت مشكله يصعب حلها، ذلك أنه إذا ما كانت المناصب بين عدة
دس في شبه جزيرة أيبيريا أخرى السيطرة عليها من خلال الغرب اجعراي بين أهله
موضع في العالم الحديد هو أنهم كانوا يعمسون في إطار حملة واحدة ومدينة واحدة
ويومون مهنة واحدة وهم مدفوعون دس بالقسرا دت الداخلية بين مختلف الأنس
لأيبيرية

ومع هذا فرعم الأهمية التي كانوا حلتها في سب الإبحار والملاحم، وحاصه أهل
سك وأناس آخرين من شمال شبه جزيرة أيبيريا، فهي من خلال ساء انكس
وتصور، ومن أنماط الحياة الموروثة حيلاهم، وصلت إليها شت السمة لأندلسية
بر صفة أو سمة أحد أقربائه من أساء اكس ما دورا لكن لا يعني هذا أن أهل منطقة
كانو أكثر ذكاء حتى ينزكوا بصمتهم على ذلك الموروث الذي حلفته شبه جزيرة أيبيريا في
مكة، من يرجع السب إلى الأصول لأندلسية، لبارحة لأندلس ذلك أن من هذه المنطقة
موضح كافة السمات الفردية الإقليمية في شبه جزيرة أيبيريا والانعكاسات السياسية
مستفهدا والمنتملة في العديد من الممالك في شبه الجزيرة الأمر الذي أدى في النهاية إلى
وجود فيه بصم "الأقاليم كلها"

نحضر عن عملية إعادة العزو في آخر مراحلها حدوث تماسك متسارع على
سبيل لاجتماعي والثقافي الأمر الذي أسهم في تقليل التناقضات بين مختلف الأقاليم في

شبه الجزيرة. وفي هذا المقام اشار خوسيه ماري سالباتيرا^(١) إلى "أن كل شيء يضمه إقليم الأندلس وهو لهذا خلاصة أسبانيا أو جوهرها، وبالنسبة للأجزاء الأخرى من الأمة فإنها لا تضم كافة السمات الأسبانية ولا تعبر عنها جميعا، وهي كانتابريا وجليقية وأرغون وقطالونيا والشاطئ الشرقي Levante وقشتالة نفسها، إذ أن هذه كلها هي أجزاء أساسية ولكن في الأندلس يجد جماع كل ذلك". تلقت أمريكا الدات الأساسية من خلال إقليم الأندلس على أساس أن هذا الإقليم يمثل المضمون الأكثر نقاء لما هو أسباني وما هو أصيل وبالتالي فهو المضمون الشامل". وبالنسبة للسمات الأثرى في الحياة في أسبانو أمريكا وهي التباهي والطلعة وسمة "البهوية" والنور من البحر والسحاء وحسن استقرار الصيف والشعور بعظمة السب ومتعة الحياة؛ هذه كلها، طمنا للكاتب الباسكي، دات أصول اندلسية: "يمكن العثور على هذه السمات معترة هنا وهناك في أقاليم أساسية أخرى، لكن عندما نبحث عنها كلها في حرمة واحدة لا يمكن أن نحدها إلا في إقليم الأندلس".

اكتشف خوسيه ماري سالباتيرا، ذلك الكاتب الذي كان يعرف العالم احديد كم لم يعرفه أحد من أبناء جيله، الطابع الأندلسي العميق لأسبانو أمريكا، ولا بد أنه قد وجد ما يؤكد صحة نظريته إذا ما كان قام بالمزيد من الرحلات، إضافة إلى التي قام بها، تلك الرحلات التي أصبحت سهلة إلى الأماكن البعيدة في الأندير يفصل السفر جوا وربما يحدث الشيء نفسه بالنسبة لأهل جيله أو الجيل اللاحق له من الذين كسوا صفحات مهمة تتعلق بتجربتهم الأمريكية بعد أن قلصوها على بلادهم متما هو الحال عند رامون دل باني إنكلان وخوسيه أورتيغا إي جاسيت

يحكى لنا الفونسو ريس كيف أن السيد/ رامون دل باني إنكلان قرر في واحدة من سطحاته المعهودة السفر إلى المكسيك، حسب قوله، لأن المكسيك نقطة فيها حرف X، ثم يعلق الكاتب الأمريكي في هذا^(٢) المقام ردا على أونامونو الذي كان يرى هذا الرأي: "آه أيها الحرف X، يا حرفي، الصغير في حد ذاتك لكنك الكبير إذ تنظر إلى الجهات الأربع، كنت

(١) المرأة الأصل الطولي لأمريكا، مدريد، ١٩١٨م، ص ٢٣ وما بعدها.

(٢) "بول واحتلالات"، المكسيك ١٩٤٥م، الطبعة الثانية، ص ٥٨.

ملتقى الانتحاهات ' وفيما بعد . فمن خلال كافة أعمال باي إكلان اعتقد أنني أرى حرف
١ من Méjico ينتشر هنا وهناك وكأنه تذكير ملحاح ! . وهذا ما حدث بالفعل إذ تندلع
مكسيك من خلال هذا الطرف الموجود في وسط الكلمة ولا يقتصر ذلك على وجودها في
أعمال السيد رامون دل باي إكلان بل فيها نفسها وفي حياتها وفي أكثر سماتها الحميمة فنيا
وروحيا ذلك أن هذا البلد يعتبر من إقليم الأندلس ولكن بطريقة معينة خاصة خلال القرن
لثامن عشر . وهذا الإقليم هو " ملتقى الانتحاهات " الذي اندلع في العالم القديم وذلك
من خلال طول أذرعه والقوة الحيوية التي تضمها بيته

من يسافر إلى إقليم الأندلس يجد نفسه حائرا بين الكثير من الأمور المثيرة للإعجاب
ببها يعجب أكثر . هل يعجب بكثرة الأصدااء التي يجدها هناك أو بشوع الروافد التي
يتلقاها والقادمة من أماكن بعيدة ومتنوعة من مختلف أرجاء الكرة الأرضية . أو بالجراح في
أجمع بينها وتمثلها . هناك في إقليم الأندلس . وحصة في الفن . مركز ثابت رسا على
الأرض وعلى مرفأ الحياة . لكن هناك أيضا شوق وحير ووعد بالبعد . وطموح للأحوة
والأنوة وهنا ينسأل المرء عن السبب الكامن وراء هذه الرعة في التوسع في الوقت الذي
تنتهي فيه الأرض في الغرب Occidente

لا نقدم الأراضي القريبة في أوروبا . على هذا ذلك أن مضيق جبل طارق
خلافا لما جرى عليه القوم . يتصل من عدد من حواص كثيرة إدها أرض
بتلاني فيها ما هو شرقي وأرض أخرى يتركز فيها ما هو غربي . حسب قوة اما الإحاة
على هذه القضية فهي بعيدة . إذ تحدها على التماسي لآخر من الأطلى في أمريكا ابنة
الأندلس .

XIX المكسيك والتشعور بأنها أسبانيا الجديدة

كنت أساء البلدان أنني قم لعماء توسعها للأراضي الأمريكية الجديدة عبارة عن
سبعة مائة جديدة القدم من الشعوب المستعمرة انفلافا من تطبيق مفاهيم رنقة ذهبية في
عمل بشري لكن ليس هناك من من الأسماء الحرة من شبه تحرير أيريا التي أضحت
عن أراضي العالم الجديد، انداء من مسمى تحرير الأسبانية، أو الأسبانية . اسم
وافق مع الإيقاع الحيوي وصدق المشاعر إلا اسم أسبانيا احديده " الذي أطلق على
مكسيك

به الأمر مهم ومثير للشحن أن سمى بواحد هذه الأحاسيس الشعبية من خلال
مصادرات الحنة الأسلوب التي سطرها احدى كتاب الحوليات برن ديات من
كسيو، والتي تعتبر شهادة صادقة على لتحرير، اسي عمتها العراة كان هناك رد فعل
بشني، لا مناص منه، عندما شاهدت الأعين الأوربية لأول مرة سلسلة جبال بينادا
ومرر وحقول ومدينة وبالتالي فهذه حجر من تسدعي إلى الدهن جعراثة تشبه بها في
شبه تحرير أيريا، ثم يأخذ اسمها آفا حده ريسر على لسال الدحلاء لاستيعاب
مقدرة جديدة التي سرعان ما اعتادوا عليها من حراء رنقة أوجه الشبه

الأمر لم يكن قد أتى إذن بناء على وجود شبه خارجية وبعما نفع في الأساس من
حرب جبوية محددة وعميقة يتم التعبير عنها من خلال حدس موحر، ويتم تسجيلها من
جلا منحات لوبية حية عندما دخل حدود إيربان كورنيس بلدة تيموال Cempoal
محب لأنهم لم يروا أكبر من هذا " ولما كانت البلدة بها الكثير من المساحات احصراء
بشوية برجال والنساء، والشوارع مردحة كما هي عادتنا في مشاهدتها تقدمنا بآيات

الشكر لله^١ ' ثم يواصل برنال ديث قائلا ' جعلونا نقيم في مساكن جيدة جدا و... حيث انتفعت لنا جميعا. وقدموا لنا الطعام ووضعوا أساما سلالا من الذهب، إذ كان موسمهم. وحررا مصوغا من الدرة. ولما كنا جوعى ولم ير مثيلا لهذا حتى ذلك الحين أطلقنا على تلك البلدة اسم Villavictoria. سيما أطلقوا آخرون مسمى 'إشبيلية' كان سمين يكادان يكونان متماثلين ذلك أن ليست هناك مدينة أخرى تطلق على إشبيلية من حيث حملها و'دعنها' Victoria

وبعد ذلك عندما اتجه الحدود صوب المناطق الحقلية الباردة والوعرة صوب المكسيك ظهر إلى أذهانهم نوع من الصناديق المعنقة بالقرى والأراضي في شبه جزيرة أيبيريا ' عندما رُبنا اللون الأبيض يكسو الكثير من الأسطح وسائر النماذج وكذا لمعدن المكسيكية ١٨٤٨ واصلت adoratorios في المناطق الحقلية الشديدة الارتفاع بدا كل ذلك شديدا تشبه بعض النماذج في أسبانيا بلده فأطلقنا عليها اسم "قشتالة البيضاء" ذلك أن بعض الحدود البرتغاليين قالوا إنها تشبه القلعة البيضاء في البرتغال. وعلى هذا أطلق عليها هذا الاسم^٢ ما ورد في ذاكرة برنال ديث الرائعة كان حسانا عندما أحد يسطر في حوثيلا قصته بعد ما يقرب من نصف قرن على معاشته لأحداث^٣ أولاد، وفي ما أكتشف، بنحس تامي بانكامل وكأنه حدث بالأمس^٤ كما تبدو ذلك حاضرة أمام بواظر القراء إذ يجري نبض الحوائط ناخيز في تلك القرى المكسيكية

هناك أيضا صورة أكثر تحديدا وذات طابع شخصي نقلها لنا مكتشف Cholula نفسه. ' لا ومني روما المكسيكية، التي كانت تحتوي على ثلاثمائة وستين teocalls أو دارا لعدد من تماثيل كان يمكن أن يكون بها العدد نفسه من الكائنات بعد ذلك ترك الجيش الصغير العدد التابع لكورتيس أحوال وراءه واتجه صوب الهضبة متحدا طريق تلاكسكالا Tlaxcala إلى المكسيك. وهناك تم اكتشاف بلدة Cholula تشولولوا التي كانت "بلدة كبيرة ومحكمة تخصبها جيدا للعناية وبها معابد مكسيكية كبيرة ومرتفعة في الوادي وكانت تبدو من بعيد تشبه في هذا المقام ببلد الوليد في قشتالة القديمة". وهنا ليس هناك أهل من

^١ العمل نشره، الفصل ١٨، الصفحة المشار لها، من ٥٣

^٢ العمل نشره، الفصل ١٨٨٨٨٨، الصفحة المشار بها، من ١٤

هذه العبارات في المقارنة عندما يتم الإطراء على المدينة القشتالية التي يعرفها برنال ديث
حيث أنه من مواليده "مدينة دل كامبو" m. del Campo.

هناك الكثير من الإشارات إلى أقاليم أو مدن في شبه جزيرة أيبيريا ويمكن ذكرها في
هذه المقام في الصفحات التي كتبها ابن مدينة دل كامبو العظيم وكذلك من كتاب الحوليات
الخاصة بغزو المكسيك هناك مقارنات شبيهة أيضاً في الحوليات الخاصة بأراض أخرى في
أمريكا، حيث جرى تسميتها بإطلاق أسماء من شبه جزيرة أيبيريا عليها قشتالة الذهب،
والأندلس الجديدة، وغرناطة الجديدة وقشتالة الجديدة وطليلة الجديدة وإكستريمادورا
وريوخا وجليقية الجديدة... الخ لكنها لم تكن إشارات تتسم بهذه الكثرة والثراء مقارنة
بالحالة المكسيكية، وكان هذا منذ تلك الأيام التي قام فيها حود حمة جريخالبا Grijalva
بالبحار على متن مراكبهم على شواطئ بوقطان Yucatan ورأوا هناك شيئاً مرتفعاً وكأنه
سرب "بلدة كبيرة مثل مدينة أسبينية، لم تبد شيئاً أكثر أو أفضل، وكان يرى برج كبير
بها" ولا شك أن هذه صورة أمريكية طق الأصل من البحر الدا

لا يتعلق الأمر بوحود شبه وربط اسماى رابع من الصدفة المحضة، ففي إطار
الشعور بأسبانيا الجديدة نجد أن قوانين لربط من لأسبانيا تلعب دورها في ذهن الإنسان
شكل مكثف ومضطرد حيث تقوم بربط وحود شبه المختلفة حتى تتمكن من رسم ملامح
صورة متسقة تجعل من هذا البلد الجديد المكتسب سمى إلى نفس الدين وصلوا إليه حديثاً
ونصوره في القلب والشعور بأنه وطن جديد وصورة طبق الأصل من القديم وفي هذا المقام
جد إيرنان كورتيس نفسه يشير إلى هذه اسماى التسمية والعامة في كتاباته وبيشها بين
مواطنيه ويكتب للإمبراطور في "أخضر السى" من يتعق تد رأيت وأدركته من وجوه
لشبه الكثيرة التي تربط هذه الأرض بأسبانيا وأسبانيا كثيرة فيها بدا لي أن الاسم الأكثر
ملاءمة الذي يمكن إطلاقه على هذه الأرض هو أسبانيا الجديدة على البحر المحيط وعلى
هذا فاسم جلالكم تم إطلاق هذا الاسم. وأنصرع جلالكم التكرم بالموافقة على أن
يكون الاسم على هذا النحو.

صدر أمر، يطبق أيضاً على الأسباني الذي يأتي إلى المكسيك Méjico، بعد قرن
لشفت على تطبيق هذه التسمية، بأن يلغى إطلاقها بعد أن جرى استخدام هذه التسمية،

منشك ذاته في اللغة الرسمية والدغة الخاصة، من قبل أهلها ومن قبل العرماء، على مدار ثلاثة عام ليس أمرا فيه صلف أو شديد النعرة الوطنية بل هو أمر حميم ورقيق ويكاد يكون فسيولوجيا. أخذت أمعاء الرحالة تتلوى ابتداء من اللحظة التي تدخل فيها الطائرة في الأراضي المكسيكية محلفة وراءها الشاطئ بالقرب من بيريرا كروت Vera Cruz. ومنذ رُفِعت الطائرة من هافانا لم يحدث أي شيء يذكر في هذا المقام أثناء طيرانها فوق البحر وفوق الأراضي الوطنية في يوقطان، غير أنها عندما بدأت الصعود نحو القصر الحلي الذي تقوم عليها العاصمة القديمة Anahuac، باعتت الاحتشاء حركة شديدة وبما لاشك فيه رُ هذه الجبال العالية التي كانت تمر فوقها الطائرة ربما ترر دنك، لكن مرتفعات الأنديز كانت لأقوى في أمريكا الجنوبية، كما أن الرحلة طر فوقها مرات عديدة على منظر طائر كبير وصغيرة دون أن ينعكس ذلك على مشاعره

ومعنى لنظر عن الأسباب العنمية التي يبعثها غمضاء البحر في وعلماء لغت يبدو من البديهي أن بعض البلدان تصدر عنها موجات عدمية تؤثر على بعض الناس من ذوي لبية حسدية احساسية وتعتبر أسبانيا واحدة من الدول سريرة في مثل هذا الأمر، فوديتها بني أضافها النحر وجمالها السماء hirustas ترتفع إلى عتاء السماء وتوتر على طبقات الغلاف الجوي بالارتفاعات أو الانخفاضات ويصعد لأدنى عمل المرء يشعر بالأرض قبل أن تطأها قدمه ولا يتعلق الأمر فقط بسطح الأرض بل وسر عمقا وهمية، وهو شيء يمكن أن يرتبط بالجيوبوليتيك وبفلسفة التاريخ أكثر من ارتباطه بالبحر في ما معنى احرفي لنكمة هيك حمارك غامضة في المرتفعات حيث تحذر الناس من صعود في قراءته وفي أحلامه حيث انتهى للتو من عبور حدود البلاد الأكثر انارة سحر في العرب لأوروبي، ونجمه يشارك في هذه الهزة التي تصدر على مدار الاف اسبوع سريرة على طسعة أو التريخ

يحدث شيء شبيه لمن يعبر حدود المكسيك، والأمر هو أن طبقات الهواء غير المستقرة وكذلك الموجات الأرضية التي تصدر تجمعها يستحق الدحول في هذا البلد الذي أطلق عليه أسبانيا الجديدة، ورغم تحاوز سلاسل الجبال مرتفعة ولطيران فوق الهضبة المكسيكية لا يتوقف هذا المشهد الخاص بالمرتفعات أو انعكاسه على الطائرة. ولا يتعلق الأمر بسلاسل مستمرة بل بجبال منعزلة عن بعضها مقطوعة بشكل هندسي تحت عباءتها

معتادين على البرد". شعرت بالبرد أيضاً الخيل التي كنا نمتطي صهواتها^(١) - ذلك أن جوادين أصيبا بنزلة معوية وكانا يرتعدان، مما سبب لنا الشعور بالحزن الشديد خوفاً من أن يموتا. وعندئذ أمر كورتيس أن يعود الخيالة بهذين الجوادين إلى المحيم من أجل علاجهما.

كانت الحيوانات الخمسة عشر، بينهم أحصنة ومُهرات، التي كنت تضمّنها حملة كورتيس أكثر جرأة من الجنود، ولذلك كانت تحظى بعناية بالغة. أضف إلى ذلك أن الخيل أخذت تتأقلم على الأجواء الحارة في الأنثيل بشكل أفضل من الرجال، فرغم أنها كانت تتألم من المعاناة الناجمة عن البرد الذي عانت منه في الجبال المكسيكية، أخذت أجسامها تتأقلم عليه وتعود إلى المناخ الذي تربت فيه. كان الجنود مدفوعين بغريزة بيولوجية عمياء، حيث اتجهوا إلى أعلى الجبل في طريق متعرج نحو مرتفعات أناهواك Anahuac، وهي منطقة كانت تقدم لهم مناخاً شبيهاً بمناخ الوطن وليس بسبب درحات الحرارة بل بسبب الارتفاع.

فضل الأسبان، بسبب نزوعهم إلى العادات القديمة إضافة إلى ملاءمة درجات الحرارة والبعد الاجتماعي، العيش في مناطق الهضاب الأمريكية وخاصة تلك التي توجد في المكسيك حيث كانت هي الأقرب في الشبه بالهضبة الوسطى في شبه جزيرة أيبيريا، وفي هذا السياق لا يتعدى ارتفاعها ٢٢٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر، بينما يبلغ ارتفاع المنطقة الجبلية في كوثكو حوالي كيلومتر إضافي فوق مستوى سطح البحر، ثم بوتوسي بزيادة كيلومترين. هناك مدن في أمريكا تقع في مناطق أقل ارتفاعاً في أمريكا الجنوبية، مثل كيتو وسانثا في دي بوغوتا تتجاوز المناطق الهضبية في المكسيك بزيادة قدرها ٦٠٠ و ٢٠٠ متراً على التوالي. هناك خط العرض فهو بدوره سبب آخر يزيد من وجه الشبه بين الهضبة المكسيكية والهضبة القشتالية، ذلك أن مدار السرطان يقسمه إلى نصفين، بينما نجد أن المرتفعات في كل من البيرو وبوليفيا تقعان بالكامل في المنطقة الحارة. وفي نهاية المطاف تجدر الإشارة إلى وجه آخر من وجوه الشبه يرتبط بسعة الأفق، أي "عظمة" الأرض طبقاً للعبارات التي استخدمها إيرنان كورتيس.

(١) المصدر نفسه، الفصل LXVIII، الطبعة المشار إليها ص ٦٠.

لا يتفق الجغرافيون المحدثون مع الرؤية التي تحدث عنها ألكسندر فون همبولت عن
لهضة المكسيكية وأنها متسقة بشكل يزيد عن الحد؛ فهم يرون أنها تظم عدة أقاليم مختلفة
بوضوح فيما بينها على أساس التضاريس الجغرافية. إلا أن الرحالة الذي سار إثر خطوات
أحفار في الألماني الكبير في القارة الجديدة يتوصل إلى النتائج نفسها التي توصل إليها سابقه
حيث تقوم هذه الأخيرة أيضاً على تجربة رحالة. وإذا ما تم استثناء المرتفعات البولية في
أمريكا الجنوبية التي لم يتم همبولت بزيارتها والتي لم تدخل في دائرة وصفه لوحدها أن
المرتفعات الأكبر مساحة في هذه المنطقة عمارة عن وديان مستعرضة يصل عمقها أحيانا إلى
١٤٠٠ مترا وكانت بذلك تعوق سفر السكان اللهم إلا إذا كان ذلك على صهوة جواد أو
سيرا أو أنهم محمولون على أكتاف الهنود الذين يسمون بالحمالين. "في المكسيك، كان
الأمر عكس ذلك، إذ كان ظهر أحبل هو الذي يشكل الهضبة، ومعنى هذا أن مسار المنطقة
المرتفعة هو الذي تحدده السلسلة الخلية". وبذلك لم تكن هناك عقبات مهمة تحول دون
سبر العربات من العاصمة حتى 'سات في' في محفظة امكسيث الحديد والواقعة على
مسافة ٢٢٠٠ كم.

وانطلاقا من منظور احفاريا الشجرة يصنف همبولت هذه الاستمرارية التي عليها
المرتفعات في بوجونا أو كينوا أو كحمارك (Cuzco, Arequipa, Puno). حيث لا يتحاور أي من هذه
المرتفعات مساحة ٤٠ فرسح مربعا وهي عمدة عن حرر وسط المحيط احوي " لا
ستعرب إذن أنه كان يجب على هذه المساحة أن تنشر شيوخ النمل احوي للخروج من
عزلتها الإجبارية. كما أن الرحلة لا يشعر بفساد سواح من الانراحة عند وصوله إلى
المكسيث وتمكنه من ترك وسيلة مواصلات احسرة بعده من أحل للنمل في أسوأ أمريكا
يسلم نفسه لمتعة التحوال في الحثول المكسيكية بواسطة على الأرض السهلية

يبدو أن الأرض المكسيكية أكثر احسرة عما يبدو عليه في الواقع، إذ يبدو أن جبالها
المرتفعة التي يكسوها الثلج الدائم تطل من سهل يقع في المنطقة الدافئة، ومن خلال خلل في
منظور رؤية عين الرحالة يرتفع هذا 'بسبب تأثير حمال المنظر'. وهذا ما تذكره همبولت

مقال سياسي حول مملكة أسابا الحديدية، الطبعة السادسة، لقصيدة، امكسيث ١٦٤١ آخره الأول ص ٣٤٨

'كورموس' ترانس، لندن، آخره خامس ١٨٥١ ص ٤٠٥

نصير السابق، ص ٣٥٠

بافتن غنی تصحیحات کده کورموس. بعد از این عمل غنی صورتی دراز
 از سطح جهت خارج و شو. سطح بعد از این عمل غنی دراز و مسطح
 مطابق مرتفعه در حالت جدید. در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 برور در لایق و شرفی. و در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 بستر در شرفی. در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 Marchall و موندی در حالتی در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 بافتن غنی در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 در این حالت غنی دراز و مسطح و در

کده در صورتی که در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 و السهول در روزه و در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 در این حالت غنی دراز و مسطح و در
 در این حالت غنی دراز و مسطح و در

ثابت است
 و است که در این حالت
 کثیر در صورتی که
 بدخل در این حالت
 و عمیق سطح در این حالت
 حشمت غنی
 رعم در این حالت
 اه که در این حالت
 اه که در این حالت
 هذا الصهریح الشمسی

(۱) کورموس، الطبعة صدر بها خمسة عشر

يبدو ضوء الشمس في المكسيك سواء في الصباح أو في منتصف النهار أو عند المساء - في نظر الأسباني الذي يعيش في قشتالة، وكأنه عصره الخاص به، رغم أنها أقوى درجة، وأحياناً أخرى، يواتيه الإحساس بأنه ينظر إلى الضوء عندما يكون الارتفاع أقل ويعكس الضوء على حوائط المدن الناصعة البياض، وكأنه واحد من هذه الأسماك القادرة على العيش في الأنهار والبحار، وأنه انتقل ليعيش في وسط أكثر كثافة وملوحة غير أنه عندئذ، أي عندما تصبح أشعة الشمس صافية في ميادين بويلا وتعكس على الواجهات لدروك الرخامية أو ينعكس الشعاع على الرليخ ذي الأصول القادمة من بلدة طليخيرة منازلها، فإن الشبه الطبيعي بما هو في شبه جزيرة أيبيريا يبلغ مستوى الشبه الروحي.

في المكسيك نجد أن بلدة بويلا دي لوس أنخلس هي مدينة الأبراج والقباب حيث أسطحها مغطاة بالزليج الذي يتلأأ تحت ضوء الشمس مشكلاً نوعاً من المعروفة اللوية حول الكتل المستديرة المتقشقة المتراكبة التي تشكل جسم الأبراج العالية على الطراز الهندسي لإيريرا Herrera - للكاتدرائية المشيدة من كتل حجرية " ذات لون يميل إلى رقة الأسكوربال " طبقاً لمقولة أحد المطارنة وفي كل حين يجري اكتشاف وحود حو مألوف عبارة عن ملامح فنية أو مشعولات يدوية مثل التي توجد في إسبانيا ولا يفتقر الأمر على الكاتدرائية بل في كل واحدة من النماذج كبسات ذات الحجم الكبير التي توجد في المدينة، وفي الصحن المغطاة بالزليج في المستشفيات وفي الأسقف الحسية المحوطة والمدهونة في المصلبات وفي الواجهات الباروكية التي تجمع بين الضوء والظل وفي الموائك الطويلة التي تنوح منها رائحة القنب.

الأمر تحديداً هو هواء الحميمية والأسرة الكبرى لكنها أسرية لا يترتب عليها تبعية أو تدهور في المدرسة الكولونيالية أو عاصمة إقليم، فلقد أصبح حدع الشجرة الأسرية أكثر نبلاً من خلال الثمار الواردة من أعالي البحار، ذلك أن الموضوعات الكبرى

^١ لئوسورسن الأعمال الشعرية المكسيك ١٩٥٢ م. ص ١٢١

والأساليب ذات الأصول المتعددة التي تلنقي عند ذلك الجذع تتجلى في المكسيك وهي خمس
حرية جديدة لكنها تختلط بنمطية إسبانية لا تمحى . رغم أنها لا تحمل أي طابع دي ثمة
قومية منفردة

وهنا ليس بمستغرب أن يتولد لدى رائر تلك الأصقاع الطبيعة وحصريّة الانتعاش
الحقيقي بأنه يجد نفسه في " أسبانيا جديدة "

XX- من الاسترداد Reconquista إلى الغزو

ينسب الإحساس "بأسبانيا الجديدة في البحر المحيط" بسمات أساسية مختلفة عن ذلك الذي كانت عليه دول أوربية أخرى عندما بدأت بعد وقت طويل بعد مجيئ الأيبيرين في إطلاق مسميات على أقاليم موجودة في أمريكا الشمالية مثل "فرنسا الجديدة" أو "هولندا الجديدة" أو "إنجلترا الجديدة" فالأمر في هذه الحالة عبارة عن أراض تقع على الشاطئ وعلى نفس خط العرض تقريباً لدى عبه القارة العحوز حيث أنها أقرب إلى موبها ودات ماخ شديد الشبه بما هي عليه كما أنها غير مأهولة بالكثير من السكان. حيث بدت في هذه الحالة وكأنها تنتظر الإسكان الأوربي لتعكس عليه ملامحها وكأن صورتها تنعكس في المرآة

لكن شعوب شمال القارة العحوز لم يتقدمو بسرعة تنصل وحوهم في امرأة احمرافية وم يتبعوا مثلما فعل الأسبان في أسبانيا الجديدة تدبت امرأة من ثقافت وحتى عام ١٦١٤م لم يكن قد أطلق على الإقليم اسم جديد جديد. الذي دثشه انكاش حور سميت، ثناء قيامه برحلة استطلاعية فيه مصاص من ثم نحر فبرحبيا Mercaderes (de Virginia وفي عام ١٦٢٠م، أي بعد قرن من الزمن حتى وصول كورنيس إلى المكسيك، قدم من أثوا "Mayilwa" بتأسيس أول مستعمرة دسمة في سلاو وبعد ذلك بأربع سنوات ١٦٢٤م - بدأت المستعمرة الهولندية الأقدم أولى حصونها في هولندا الجديدة، لكن عندما شقت إلى يد الإنجليز المدينة الأكثر أهمية، وهي نيويورك الحالية، لم يكن تعداد سكانها يتجاوز الألف وخمسمائة نسمة بعد أربعين عاماً على وجودها

وقبل ذلك التاريخ بعشرين عاماً كانت الإقامة الدائمة لفرنسا في كندا، في "نورت رويال" عام ١٦٠٤م، ثم تأسست كيبك بعد ذلك بأربع سنوات غير أنه في عام ١٦٦٠م،

أي بعد ثلاثين عاما على بداية المستعمرين التابعين "لشركة فرنسا الجديدة" لم يكن في كس
بأكملها أكثر من ألفين من الفرنسيين، وهذا رقم أقل من الأرقام التي سجلها عدد أفراد
بعض الحملات التي خرجت من ميناء نهر الوادي الكبير في بداية القرن السادس عشر

كان من الممكن لموحدات المهاجرين المكتفة التي كانت تخرج باستمرار من مذهب الهنود
الباطني (نهر الوادي الكبير) خلال لصف لأول من القرن السادس عشر أن تنوحه نحو
الشواطئ الشمالية في العالم الجديد بعية تأسيس أسس جديدة هناك على طريقة أسس
تأسيس إنجلترا الجديدة أو فرنسا الجديدة مثل تلك التي سوف تظهر بعد ذلك شرق من
الزمان، ذلك أن هذه الأرض كانت معروفة بوصفها لدى البحارة الأيسريين منذ وقت
مكبر؛ ففي عام ١٥٢٦م قام لوكاس بانكيت دي أبلور بتأسيس مدينة تسمى سان ميغيل في
الموقع الحالي الذي نوجد فيه حبيس دون Jamestown في إقليم فيرجينيا، حيث كانت
المكان الأول للإنجليز على الشاطئ الأمريكي، وفي وقت مبكر من تمكن سحر برنغلي
استبان جومث الذي كان في خدمة النج انتشالي من كسبات مصبات أنهار كوكيتيكوت
connecticut وهاويسون وديلاوير Delaware

فشلت الحملة الأولى بموت قائد المستعمرة، وبعد سنة واحدة عدد القائل منها
بعد عشرة شهور من سفره دون أن يترك هناك مفر من جماعته على أرض
خصبة طبقا لخطوط الطول والعرض التي نزل عليها، وفي سنة ١٦٠٧م مارتن دي
أجليريا^(١)، كانت أرضا سهلة للعبارة، وكان فيها سحر، سحر، وأكثر من أشجار
السندبان من تلك التي تسمى agallas والسندبان من أشجار السحر التي
والقسطل والفواكه الصغيرة والصنصناف واليوس من أشجار في أرض الأسبانية وأحور
والتوت والتوت الأسود و /erbos وسات العار ولدت في سباق Zamaque وسات
المروحة palmito مما هو في أسبانيا كما أنه من نوع حب، كما نواف رحل الحملة
التابعة لإيرناندو دي سوتو بأقاليم كثيرة توجد في الجنوب الشرقي لأمريكا الشمالية الحالية
وكذا حوض نهر المسيسيبي، حيث وجدوا نباتات تسمية غير أنه نظر للعثور على
منتجات طبيعية من تلك المألوفة لديهم قلل من أهمية هذه الاكتشافات والسبب، طف

(١) 'عن الألف orbe الجديد' Dec، ثامن، الفصل عشر

سرو مارنر، هو "ما هي حاجة لأسبان لأشياء تعتبر شائعة بين الأوروبيين" وكان
على المستكشفين أن يرحلوا صوب الجنوب وسحبوا عن الثروات الموحدة في منطقة
لاغندل لتعكس وبعبارة عن البرد الموجود في الشمال

لم يكن من الممكن أن يحور اهتمامهم حيازة الأراضي التي تحتاج الكثير من الجهد بل
لأرض مروعة حيدا والمأهولة بالسكان في المكسيك والبيرو، فهي في الوقت الذي تقدم
به الكثير من العناصر لإقامة البقش سرعان ما يتحول كل شيء فيها إلى حقيقة، من خلال
موقعها الجغرافي المتميز وترواتها، طبق خيال كتب القروسية كان ذلك هو الانطباع الذي
كان عليه جنود كورتيس، طبقا لما كتبه برنال دياث دل كاستيو، عندما اقتربوا من عاصمة
"هواك Anahuac" "ومنذ أن رأينا الكثير من المدن والبلدات المشيدة في المياه وعلى
تربة، هناك الكثير من البلدات وكذا ذلك الطريق المستقيم المعبّد مثل ذلك المؤدي إلى
المكسيك شعربا لإعجاب وكما يقول إنها تنسج تلك الأشياء احتميلة التي كان يتحدث عنها
كتب القروسية "أماديس دي حولان" مثل لأبراج العالية ودور العمادة الهندية ومار
حري مقامة داخل المياه وكلها مدهشة بحر وسيدة بالحجارة وكان بعض جنودنا يقول
من ذلك الذي يراه كان حلما

الأحلام التي تتحول إلى حقيقة هي تلك الأسوار التي تمثّلها يستطيع الرحالة
لأسبان أن يستقروا، وطالما لم يحدث ذلك رسم إلى خلوا من السحوا في الأرض وكثيرا ما
يحدثون وراءهم الدمار وحبّة الأمن، حيث كانت بالنسبة لرحال أحملة التي يشودها
إيراندو دي سوتو، حيث لم يبق شيء من ما كانوا ينادون أي مكان وأن هذا طبقا لما
كتبه فراندو دي أوبيدو الذي لا يشعر بالأسف من الرحلة بل يصفها التي يعاني منها اليهود
لم يكن عملية توطين أو استعمار وان كانت الحروب على الأرض واسراع حربة
السكان الأصليين وليس تحويل أي هندي إلى مسيحي أو صديق "كانوا يسببون بلا توقف
حتى يعثروا على مقام يروق لهم"، أي تجمع منهم من السكان الأصليين من أجل
الإنتاج وله ترواته التي كدّسها أو كنوره التي توجد في باطن الأرض حيث يتم استخدام

العمل المشار إليه، الفصل LXXXVII، الطبعة ساراييه ص ١٢

"حوالو فراندو دي أوبيدو" "ساريح معاه والنصفي يهده بعربة"، المجلد السابع عشر، الفصل السادس عشر،
الطبعة ساراييه، الثاني ص ١٧٢

العمال المدربين من السكان الأصليين. كان ذلك هو الهدف القائم أمام نواظر كافة الأسبان من وراء مغامراتهم ونجوالهم في العالم الحديد، ثم استخدام الإجراء الأكثر سرعة في مابضام هؤلاء إلى الثقافة الغربية وتحولهم بذلك إلى عنصر فاعل في تطور تلك الثقافة.

لكن لا يعني هذا أن السيطرة على تلك الأقاليم لم يكلف الكثير من الجهد مثلما حدث من جهد في استعمار المناطق الباردة وغير المأهولة في أمريكا الشمالية. وفي هذا المقام أشار كارلوس بيريرا^(١) إلى أن "نصف الجهد، أو ربما ربعه، الذي كان يبذل في أراضي جنوب أمريكا كان كافيا لاحتلال تلك الأراضي التي تحولت بعد ذلك بقرون إلى مستعمرات إنجليزية. وطبقا لاختيار الأسبان انضح ما يريدون أن يعمروه، لكن الإمبراطورية كانت قوية الأركان وربما كان من المستحيل تغيير أي شيء كانت عمليات الاستكشاف في الشمال وكأنها بقايا موجات آتية من الجنوب

كان ذلك تيارا متأصلا في التاريخ الأسباني، تمثل الأمر خلال العصور الوسطى الأيبيرية بكاملها في عملية انتقال نحو الجنوب بضم أراضي جديدة وفوقها كان يتم إقامة مدن تربة بالمقارنة بما كان في قشتالة الفقيرة. هناك مشاعر وأحاسيس شبيهة بتلك التي كان عليها جنود إيرنان كورتيس ألا وهي التي كان عليها جنود كونت قشتالة سانشو جارتب، عندما قاموا بعد سنوات قصيرة على مرور الحملة المدمرة التي قام بها المنصور بن أبي عامر، من تحقيق الانتصار برفقة حلفائهم من البربر ودخلوا سوارع عاصمة الخلافة أفضل مدينة في الغرب في ذلك الحين.

لم يكن الأمر مقتصرًا على اكتشاف مدن جديدة وأسطورية بل شمل ذلك الأرض التي كانوا يقيمون عليها. وبالنسبة لآخر الأراضي التي تم استردادها في شبه جزيرة أيبيريا، وتحديدًا عام اكتشاف أمريكا، نجد أنها كانت تشمل المقاطعات التي كانت تبدو متسببة لقارة أخرى. فرغم أن مملكة غرناطة كانت صغيرة الحجم إلا أنها كانت تضم أرضا ومناخا جد مختلفين عما هو معتاد في أوروبا فيما وراء جبال البرانس: هناك الوديان الثرية بجوار المرتفعات الشاهقة في شبه جزيرة أيبيريا وهناك الصحراء الجرداء إلى جوار الشريط الساحلي التي كانت تعتبر بداية للمناطق الحارة بما عليها من طقس وما فيها من نباتات. كما أن أمر

^(١) "سهم أسباني أمريكا"، سانتياجو دي شيلي، ١٩٢٢، ص ٧٢

البشر Alpujarras يمكن أن نكتشف فيهم وجود إرهابيات لمشاكل ذات طابع ديني
وقتصادي واجتماعي... الخ وهي المشاكل التي كان سيواجهها الأسبان في الهند العربية

كانت طويلة للغاية عملية القفز من مملكة غرناطة إلى مملكة غرناطة الجديدة -
والمعروفة أيضاً بالاسم الغرناطي وهو أرض القصور إلى أمريكا الجنوبية وهي قفزة
جغرافية، غير أنها من منظور الدينامية التاريخية لم تكن لتشكل إلا خطوة أخرى في
الطريق نعم كان هناك المحيط كحاجز لكن عملية الاسترداد لم تقتصر على كونها حركة
على الأرض صوب الجنوب، بل حركة في البحر. فالصراع مع الإسلام الذي كان يسيطر
على البحر أجبر الممالك الأيبيرية منذ وقت مبكر على العناية بأمر الإبحار "تطلعت مواصلة
عمية لاسترداد - طبقاً لريتشارد كوتزكي R. Konetzke⁽¹⁾ - التطوير المستمر للقوات
الحربية في الدول المسيحية وذلك لغايات هي حماية أجنحة الحيوش في مسارها نحو الجنوب
وكذلك من أجل فك حصار المدن الساطنية، ومن هنا كان من المهم وجود قوات بحرية ذات
الهمة'

لا ينبغي أن نشعر بالدهشة من هذا التوجه فعلى مدار قرنين تقريباً، خلال العصور
الوسطى كانت هناك قوات بحرية أيبيرية على رأس القوات الأوربية سواء في المحيط
الأصطي أو في حوض البحر الأبيض المتوسط، كما أن السعس القشتالية كانت تشق عباب
مياه الأطلنطي باقتدار قبل رحلة كولومبوس بوقت صيريل، انداء من فلانديس وحتى حزر
الكري وغينيا وذلك في إطار رغبة عارمة في جلب ذهب إلى القارة العجور وذلك حتى
نزوي من العطش للمعادن الثمينة، وكان هذا سائناً على الرحلات التي ستبدأ في أمريكا.
كثت هناك رغبة قديمة عند الأسبان لا تتوقف ليستقوا عباب الماء أو السير في الأرض
منحبر صوب الجنوب. وعلى هذا فإن "الركن الصعير" الذي كانت توحد فيه مقاطعة
نشتة تحول إلى مملكة قشتالة القديمة وأثر هذا عن وجود قشتالة الحديدية وغرناطة قشتالة
عديدة للعبة - وأخذ يتوسع إلى ما وراء الأطلنطي

نورد في النشرة البابوية Inter Coetera divinae لأليخاندرو السادس، عنواننا
رسب للفرو الأمريكي، حيث يلاحظ بقوة وجود العلاقة بين عملية العزو وعملية الاسترداد

ريتشارد كونزكي، "الامراطورية الاسبانية" ترجمة، مدريد ١٩٤٦، ص ٢٣

في شبه جزيرة أيبيريا التي انتهت للتو كانت الهند العربية التي مسحها الناس تبدو في نظر
اشعراء والنقاة ولكتب بعمامة والرأي العام للناس بمثابة احائرة التي حصلت عليها أسباب
كمقابل ثنية قرون من لكفاح ضد المسلمين. كما أنها أكبر من كونها تعويض عن الهزيمة
التي مبيت بها خلال العصور الوسطى حيث كان يضرب الاستيلاء على الهند العربية على
نه وسام النصر ولم تكن الشرة أو لراءة البابوية مجرد حائرة بل كانت عبارة عن الدعوة
لمواصلة المسيرة على الجانب الآخر من المحيط والكفاح ضد غير المؤمنين وهذا ما كانت
أساسية مؤهلة له بفصل قرون الاسترداد التي مرت

لم يكن الأمر مجرد اعنارات نظرية وتحيلية صادرة عن صنوفة من الأقلية بل إن
جنود كورتيس لم يفعلوا شيئا إلا أن يكتشفوا ويحتوا في كل ركن من الاراضي الجديدة
عن منازل موريسكية وعمارات ومساحد وفتية وعندما اقترب رحل كورتيس من
"سولولا" خرج لاستقبالهم أدس من مدينة وهم يصرون انصرون والدفوف وكذلك
الكثير من الناس الذين رؤهم أنهم بمثابة رحل الذين في مساحدهم وهم يرتدون ملابس
التي يستخدمونها ويترغنون على طريقتهم كما كان الأمر في بيت مساحد وانتداء من
اللقاء الأول مع يوقطان Ydallan تويدي لاسي صحتهم عيب برمال ديت در
كاستيو - بأنهم دحنوا على أفريقيا الاسلامي سبيل رحل في سمن بلدة كرى التي
كانت تبدو من الشاطئ على مساحة برسح ورائها سمن كرى أما لما لم يري
جزيرة كوبا بلدة زده الصحنمة وضعها سمن سمن

كان السبب في إطلاق ذلك الاسم وتسميته لم يكن سمن بل سمن بلدة
لغير المؤمنين. وغير المؤمنين هم المور والدمرد سمن سمن مورو. ولهذا فإن تلك
البلدة الكبرى والغربية القائمة في يوقطان هي فمردة سمن سمن وحققة الأمر هي
أن الاستعراب كان نسبيا. ذلك أنه عشر الأسس في يوقطان سمن على بلدة كرى أطلقوا
عليها اسم إشبيلية. ولم تكن هناك فروق كرى بين إشبيلية أو القاهرة أو غرطاة من
المظور الحضري بالنسبة لجندي بسيط من امشاركين في معرو. أي أن الاتصال طويل الأمد

(١) Vid تطويو حربي 'لصرع على تعلم حده مكسيت. ٩٠٠ ص ٩٩

(٢) العمل المنزلية، الفصل لسي، النصف المذكورة، ص ٢

تأسس بلدة "سبحورا دي لافرونتيرا" في مكان إستراتيجي يسيطر على طرق الاتصال بين
الشاطئ وعاصمة البلاد ووضع لها هذا الاسم المماثل لاسم كثير من المدن والبلدان التي
قامت بالسيطرة على حراسة حدود البلاد ضد المسلمين وكان لها استقلال مدني وحربي
وهذه الدلالة تزداد قوة إذا ما أخذنا في الحسبان أن تلك البلدة ولدت كعاصمة لأسبانيا
الخديدة في البحر المحيط طفقاً لما شرحه كورتيس في رسالته إلى الإمبراطور

كما لا يستغرب أيضاً أن تكون هناك هيئات كانت من سمات العصور الوسطى نه
حالياً بورها في شبه جزيرة أيبيريا بانتهاء حرب الاسترداد مثل "المتقدم" Alantado
والقائد Almirante، لكنها أحدث تستعيد حياتها في لعالم الجديد، كما لا يستغرب أن
يحمل كورتيس لقب ماركيز وادي أوكساكا (Oaxaca)، ويقسح على رأس الحملة الكبرى
ضد الخرائر التي تولى أمرها الملك كارلوس الخامس نفسه لم يتبع الرجل الكثير ولم
يكن بمقدوره أن يفعل في هذه المناسبة وهو القائد الذي كان على رأس عدة مئات من
المعمرين واستطاع بهم غزو المكسيك، لكنه الآن يحاط بالتيارات ذات القسب في أوروبا، لا
أن وجوده في هذه الحملة ذات النتائج الكارثية كان له بعد رمزي كان شاهد عيان على أن
القارة الأفريقية تغلق أبوابها أمام التوسع الأوربي وسوف يقوم هذا الحائط الخرابي
لمسلمين بصد أعنى الحملات الخربية التي خطط لها لغرب يسما كان الباب مفتوحاً
بسهولة في العالم الجديد.

ليس حقيقة أن تبدأ أفريقيا عند جبال البرانس رغم أنه من حقائق الأمور أن ذلك
الذي يعبر جبال البرانس يتولد لديه الانطباع بأن أوروبا تنتهي بعبور هذه السلسلة وبدأ
ظهور قارة جديدة لكن هذه القارة التي تبدأ، ليس عند حد البرانس بل عند سمع بل
كوربو Pancorbo ليست أفريقيا بل هي أمريكا، أمريكا الهند العربية.

ويمكن أن نقول ذلك من المنظور التاريخي وليس الحفر في رغم وجود وجه شبه
غامض من الناحية الأرضية: أن القوس الفولاذي المشحون بالضغط الإسلامي أو السوربي
طبقاً لعمارة نوبسي لا ينطلق ضد القارة المجاورة وهي أفريقيا بل ضد أمريكا، ومع هذا
فحلل عملية الغزو والاستعمار برزت السمات الجوهرية لحرب الاسترداد بظاهرها
الإسلامي واستمرت بشكل بدهي.

هناك أفاريز وأشرطة رفيعة ذات أصول موحدة في المنازل وهناك أعمدة مئمة وأسقف في الكنائس وهناك تشبيكات موريسكية في الواجهات وهناك كراسي للكورس ذات صنعة مدججة وسجاجيد وزليج وعادات منزلية ذات أصول شرقية. هذه كلها ترافق الساكنين الجدد لأسبانيا الجديدة. لم يقتصر الأمر على عملية توفيرهم على صيغ سلوكية معينة بل كانوا يقومون بتطبيقها على المشاكل الجديدة التي بطرحها واقع غير معروف. فإذا ما كانت المكسيك تتوفر على الكثير من الأخشاب الحيدة وكان السحارون المحليون يتوفرون على مهارات فنية لماذا إذن لا يقومون بتعليمهم بوضع سقوف الكنائس، من تلك ذات العقد وهي تقنية معمارية أقل تعقيدا من تقنية القباب؟ وإذا ما كان على العمارة الدينية أن نواجه المشاكل الجديدة الناجمة عن اعتناق المسيحية من جانب أعداد كبيرة من السكان الأصليين، فلماذا لم تظهر مرة أخرى في العالم الحديد الحلول التي توصل إليها المسلمون أمام مثل هذه المواقف عند زيادة عدد من اعتنقوا الإسلام وهي حلول لا تزال باقية في لعمارة الأسبانية الموريسكية؟

لم يكن الأمر مجرد استمرار سلبي لقوالب تقليدية بل كان استنادا من الإمكانيات التي تتوفر عليها من أجل التطبيقات الجديدة في ظل ظروف شديدة الاختلاف والتي وضع ثمرها في الظهور المتأخر على الأراضي المكسيكية لقوالب ذات أثر مدحن لا مرأى فيه، فعلى سبيل المثال هناك زخرفة التشبيكات الموريسكية المستخدمة في الأسقف المقببة وتجلى هذا بحوبة في الشكل الخارجي الذي عليه الكنائس والقصور التي حُرِي إقامتها في المكسيك خلال القرن الثامن عشر. هناك عناصر فنية مدحجة أحدثت تعود من جديد وهي تحمل صمة شديدة الباروكية، كما ظهرت أيضاً، متأخرة بعض الشيء، عقود ذات فصوص منقصة ذات أصول شرقية وقباب حلالية (عصر الخلافة) أو قباب التقاطع والعقود متعددة الخطوط ذات الطابع القوطي... الخ

كان الفن الأسباني على شاطئ الأطلطي أقل ارتباطا بالتطبيق الحرفي للأساليب الفنية، مقارنة بفنون أخرى أوروبية، ولهذا نجح في كثير من المناسبات في الإفادة من الإمكانيات التي تقدم أساليب من الماضي رغم أنه لم يكن هناك استلهم مباشر وواع لذلك

من يدخل الصحن الكبير المسور في دير شولولا الفرنسي سكانى ويرى في العمق البنية المستطيلة والممتدة للمصلى الملكي التي تعتبر القطعة الأكثر اكتمالا وحفظا بين مصليات الهنود. ليس بوسعه إلا أن يتذكر مسجد قرطبة. فالفراغات الموجودة في المصلى والتي تفتح على الصحن جرى سدها مثلما حدث أيضاً في حالة مسجد قرطبة. رغم أن من يقوم بالتجوال في كلا الأثرين ليس عليه أن يبذل الكثير من الجهد الذهني ليتخيل أهم مفتوحان وتبجلى أمام أنظار الجمهور الأعمدة الموجودة في بلاطاتها العديدة في إطار مخطط مربع مع وحود الصدر في العمق testero الذي تكاد تحجبه غمة من العناصر المعمارية.

هذا لم يستلزم وجود وجوه شبه مثيرة كان على المعماري الذي شيد " المصلى الملكي في شولولا " أن يقوم بتقليدها بشكل مباشر طبقا لما هو موجود في مسجد قرطبة. وري وضع في اعتباره - بغض النظر عن العناصر المحددة في المجال التأسيسي - النماذج التي عليها أماكن العبادة المعتادة في البلد الذي جرى غزوه. ولأمر أن دور العبادة للأتنيك كنت نصم الناس الذين يحضرون في صحن كبير مسور حيث يحضرون عميات التضحية التي تتم في مصلى تيوكالس teocallis. غير أنه بغض النظر عن المصادر التي تم استنهاها يبدو أن من تولوا أمر بناء المصلى الملكي في شولولا، وهم مجموعة من مبشرين والمهندسين المعماريين الفرنسيين، قاموا بالتغطية على أهدافهم من خلال إحلال أنماط مسيحية محل أنماط دينية وثقافية وثنية، وبذلك خاضوا ضدهم المعركة على أرضهم وهي معارك كان من الممكن التقليل من آثارها لو لم يكونوا قد توفروا في بلادهم على تجربة تحويل المساجد إلى كنائس أو على عادة الجمع بين الصيغ الفنية والثقافية وكذا الدينية ذات الطابع الشرقي والغربي المتأصل لدى الأسباب استنادا إلى تاريخهم خلال العصور الوسطى المهم هو أنه عند الانطلاق من عقلية التسامح المعهودة والجامعة للأشكال الفنية والثقافية القادمة من المشرق يمكن قبول عملية الجمع بين الأشكال الفنية والثقافية في العرب الأقصى الأمريكي

وبالفعل نجد أن المصليات الخاصة بالهنود لم تكن مقتصرة بشكل حصري على السكان الأصليين بل استخدمت في كثير من المناسبات كمكان للاحتتماع والاحتفال لكافة مجتمع عصر نيابة الملك. ومن أبرز ذلك الجنازة المهيبة التي نظمتها العاصمة بمناسبة وفاة كارلوس الخامس حيث أقيمت في مصلى للهنود وهو مصلى " سان خوسيه دي لوس ناتورالس "، لكن هذا المصلى زال من الوجود منذ زمن

كان المصلى يتكون من سبع بلاطات كبيرة على مساحة مربعة ومفتوحة على
الصخر أما السقف فهو من الخشب المشعول وكانت من دور العبادة الأكبر في المدينة كان
بصايرح أحراسها أكثر ارتفاعا ومميزا بمعنى وجود صليب كبير من الخشب قائم في وسط
الصخر وسط أشجار ضخمة، إلا أن هذا الصليب هو طبقا لرأي بعض كتاب
حوليات . كان يرى قبل الدخول إلى المدينة بعض الطير عن اتجاه الدخول، وكان يولد
بحساس بالراحة عند السائرين الذين يرونه عاليا ومرفوعا

كانت هذه هي الكنيسة التي احترقها السلطان لجماعة الإمبراطور العظيم وحقيقة
الأمر هو أن المشهد لا بد أنه كان غريبا رعم أن نطل الاحتفالية لم يكن يرفض ذلك وهو الذي
ينسب بالدقة في باب الخنازات كما أنه كان شديد العشق لمسجد قرطبة ولتقصير الحمراء

كانت أشعة الشمس القوية تسقط على المكان لكن كانت أوراق الأشجار الضخمة
تخفف من حدتها، ثم بعد الشعاع إلى تحت المسجد الأمريكي تم يعكس على ماء
بهدم الهندي الذي كان الطنقة اللامعة، التي تعطي المصحة التناوبية الرائعة التي صممها
كلاوديو دي أرنيشجا، حيث كانت من طينتين ومنه الكثير من الأعمدة الدورية الحادة في
أجزاء السفلي، إضافة إلى نسر ذي رأسين في الجزء العلوي بمسك تحالبه كلا كرنى العالم
كما هو الأمر بالنسبة للإمبراطور روماني حرمسي تحول إلى سيد جزء آخر من الكرة
لأرضية

وتدخل مع أشعة الشمس، تحت السقف، تلك الطرقات المشدودة للهند وقد
حنضت مشاعرهم وهم يتجهون صوب المصحة التناوبية عبر سحب من دحر الخور التي
كنت نخرج لتستمتع بالحرية وسط زرقة السماء ونشر أرجحها العربي الشديد الاختلاف عن
نبت الذي كانوا معتادين على تلقيه عند قيامهم بأداء الطقوس الخاصة بهم المسماة
ساحوميريوس Sahumerios . أي هؤلاء السكان الأصليون الذين تحولوا جماعة، بناء
من جهد عدة مئات من السلتي الأيبيريين، إلى إتباع للأمير الأشقر جانتني Gante والذي
حنضت وفاته احتفالا مهيبا منذ سنوات طويلة

XXI بين روما والصين

سمر في سائر معروف المثل الاوربي فان حشنة عذراء بدحت كندراية امكسث. اي
مسي ذكر صحنه الذي افاده الأسرار في الهند معروفه والذي جعل عليه في مسي حر
البريك كعبه على صحنه. ودار ال كذبت حتى سار بنفسه. ودار الدهشة
هو سائر صحنه الذي جعل على اسم معروفه يرجع صحنه كندراية في من قام صحنه
مسه بكونه صحنه حشرة الإمبراطور. ورغم لا عمن به سائر في هذا المثل عنوان
مسه فيه يتوافق مع الأسلوب الإمبراطوري الذي كان عليه ذلك العنصر ذو الأعمدة
بدوره وسائر المفردات الرأس وكرسي العالم وما كان ينظر اليه على أنه محصور وعذرق
حب سائر مسطح المختص رغم ما كان عليه حجم الأعمدة حشنة حاملة به يكسب
وجه في معرض الذي عليه الكندراية

وإنه يشهد على قدر من الفهم والاعتدال في كثير من المسائل التي كانت تقسم من قبل كثير من
العلماء من قبل السادة من غير طرح كل من حيث والاعتدال ومحسن الأسقفية
من على غرض كبرانية إنشائية هي غير واحدة من أكثر دور العبادة في العالم
سبحي على أن من الضروري البناء على كثير من أهل بناء فيسيب امكسيكية
من لارض مئة مستنقعات وثلث من حلال وضع مئة وقعدة من الدش والبرية
من حاور مئة صلبة للكيسة ولكثرة مدينتها لاسية وإد ما أحدا هذه
الاسماء في الاعتبار ومن سبها من المرد مناس كثير وكذلك أعمال لأساسات
من لا من نادر ما قد على أن الكبرانية مكسيكية هي واحدة من أكثر دور العبادة
منها في مئة من من ضروري بالنسبة للرسم أن يتحلى من الكياسات
منه وخلاصه حيازة للاندلسه وأن سدل جهدا في تصورهما على شكلها

الأصلي ، هذا إذا ما أراد أن يعرف الرسالة التي لا زال المبني يبحث بها والتي تعتبر أقدس
تعبير للروح التي أسلهمت المهمة الهدية

بعض داخل الكاتدرائية أنشودة عظيمة للعمود الكلاسيكي الذي يسير على نهج
دوت الذي بدأه ديبحو دي سولويه D. de Solóe في شبه جزيرة أيبيريا في الكاتدرائية
العربية هي كاتدرائية أحدث في محطتها بالمقارنة بكاتدرائية مدينة دارو Darro التي
تحمل طابع العصور الوسطى ، حيث نجد كاتدرائية العاصمة ، المكسيك ، تقوم بتطوير آخر
شكل للكاتدرائية الأندلسية التي ترجع إلى عصر النهضة مثل تلك التي جرت إقامتها في
جبل Ica في منتصف القرن السادس عشر على يد المعماري أندرس دي باندليرا *Anders de*
Vandelera تلميذ ديبحو سولويه لكن الكنيسة المكسيكية تمثل خطوة أكثر تقدما في
العمل مع العمود الذي كلف السائر الكثير من الجهد خلال القرن السادس عشر ،
من حيث أنه موضوع جوهري عبارة عن عمارة في الهواء الطلق تتألف من وحدات ملحقة
بعضها بقاوم النكامل فيما بينها في الإطار الداحني والتوسعي لدر عبادة مسيحية

شهد من خلال الكاتدرائيات التي شيدها الأسبان على الأراضي المكسيكية تطور
حدث على إستراتيجية جوهريّة ، فإذا ما نظرنا إلى كاتدرائية " وادي احجارة لوجدا " التي تضم
حوامل مكونة من أربعة أنصاف أعمدة ملتصقة وعمود مربع مركزي سيرا على نمطية
مستخدمة في شبه جزيرة أيبيريا ، على يد ديبحو سولويه وأندرس دي باندليرا ، أي أنها تحيط
على المساحات المتبعة بشأن أنشاء الأعمدة التي تقوم فوق قاعدة مرتفعة *Pedestal* ونحو
حرفا كبيرا من المعارضة *arquitrabe* التي تمنع منها دعائم القرب وبالنسبة لكتدرائيات
الموحدة في كل من المكسيك وبوييلا نجد أن ذلك العصر الخاص بالعرضة اختفى رغم أنه
قاعدة متعة وينسب في الكثير من المشاكل ، ثم تمتد أنصاف الأعمدة بأبدانها ابتداء من
مستوى الأرض تقريبا حتى تصل إلى تاج ينسجم بالخفة والبساطة ، وفوقه تمتد ، وذلك للربط مع
سنة للعمود الممتل والذي يقع فوق البلاطات الجاسية وكذلك البلاطة المركزية .

هذا هو حل شبيه بذلك الحل الذي توصل إليه المعماري إيريرا *Herrera* وخاصة في
كاتدرائية بلد الوليد حيث يلاحظ وجود شبه واضح بينها وبين كاتدرائية أسبانيا الحديثة
وخاصة كاتدرائية بوييلا ، الأخت التوأم للمكسيكية وبهذا نجد أن كاتدرائيات أسبانيا

المدينة قامت بتطوير أسلوب أقل ميلا للنعرة الوطنية وأكثر يونفرسالية في العاصمة وبذلك
باني هذا الأسلوب ليكون في مركز الدائرة لمراحل أكثر إبداعا ونقاء فنيا في تاريخ العمارة
الهسبانية hispana وليس ذلك بشكل سلمي بل إيجابي من خلال ابتكار حلول لمواحهمة
مشكل محددة في البناء، وربما تقدمت في هذا على الحلول المطروحة في شبه جزيرة أيبيريا
مثلا هو الحال بالنسبة للأبراج الأربعة المثامة في الأركان والتي استلهمت النموذج الذي
قترحه برامنتي Bramante بالنسبة لكنيسة سان بدرو دي روما، ولتي ربما بدأت في
ويلا دي لوس أنخلس قبل بلد الوليد

ليس من قبيل الصدفة الطابع الكلاسيكي الذي عليه الكاتدرائيات المكسيكية بل هو
انعكاس قوي للتوجه اليونفرساني الذي كان الإبقاء الواضح في مهمة التخصر خلال عصر
كارلوس الخامس وعصر من خلفه وهو ملك الأسكوريال شعرت أسبابا وهي في الهند
ألم وريثة روما وأنها مكلفة بأداء دورها في العالم جديد بناعا لما قاله فيرجيل

كل خبثس دي سيبوليدا Ci Sepulveda، متخصص في الدراسات الإنسانية
والذي يقف على النقطة من موقف لأب لاس كاس، هو الذي أعد رسميا النظرية
مقدمة حول النعبة الطبيعية، واستلهم رسميا من شكل مسخر، حيث قام بترجمة كتابه
"أساسة" من اللغة الأصلية إلى اللاتينية، كتب سيبوليدا الذي يمكن أن يتحدث لهؤلاء
المرر شكل أسب؟ ولكن ليس شكل محسود، من حوسمة إلى ناعن للإمبراطورية التي
يقوم ناعوها بالتصرف بحكمة وتعليمهم أنفسهم، من حوسمة من مرر، وهو مسمى
لا يستحقون أن يكونوا بشرا، إلى أناس محسودين في حدود يمكن لهم ذلك وأن
محولهم من سوء التصرف والشفق إلى ناس عقلاء، وشرف، وغلبهم من السعية للسياطين
و مسيحين وعباد الرب الحقيقي

ومن خلال توجه النص يمكن الاستنتاج كتب أن النظرية الأسريالية الكلاسيكية، في
صرفتها الحازم بين هؤلاء المسيطرين المتحصرين والبرر، تنتهي أو تخص إلى دخول
نوع إنساني في المسيحية وهو نوع من نفس الأصول والمصير الذي عليه كافة أفرادها. هذا
بمعني إضفاء السمة التأصيلية للنظرية اليونانية اللاتينية وفي الوقت نفسه بوطد من مفهومه

(1) Democrates Alter ed ٢٠٠٠, page 3١3

أشار روبرت ريكارد^(١) إلى "أن المبشرين فضلوا الإقامة في التجمعات التي كانت المراكز السياسية الدينية قبل الغزو. وكانت هذه المراكز تضم معبدا teocallis أو أكثر، وهي دور عدة أقيمت على قمة أحد الأهرامات. وبالتالي كانت هذه المنصات العالية الأماكن التي تم اختيارها لإقامة الكنيسة والدير". ويعتبر ظهور "عذراء جوادالوبي، القمحية اللون وذات السمات الهندية لأحد البسطاء من السكان الأصليين فوق جبل تيباك tepayac أحد مظاهر التدين الشعبي الشديد الصراحة منذ زمن أول أسقف للمكسيك، وكان ذلك تحديدا إلى جوار المكان الذي كان قبل عدة سنوات، على بدء المفاهيم الدينية الجديدة، المركز الذي كنت تعبد فيه الإلهة تونتزين tonentzin الإلهة الأتيكية للأرض والحبوب.

من الممكن أن يكون قد تبقى في اللا شعور عند الهنود الذين كانوا يسرون كل يوم في طوابير لا تنتهي، نحو المركز الديني الذي ربما كان الأهم في العالم المسيحي، نقول بقي لديهم ولو مساحة من المفاهيم الإيمانية السابقة. وسوف يظل فاعلا العرق الديني العميق ترنط بالتضحيات الدينية العنيفة عند الأتيك وهذا ما اعترف به فرانز ديتو دي ساهاجون بعد عدة عقود على الغزو حيث كتب يقول "وفيما يتعلق بالديانة والثقافة الخاصة بالهتيم لا أعتقد أن بقي في هذا العالم الوثني هذا التقديس لآلهتهم"^(٢).

عندما نأخذ في الحسبان هذا العرق الديني حد أو السلطات الدينية أثناء فترة نيابة الملك تساحت مع أشكال من التعبير الديني للسكان الأصليين وربما كان ذلك نوعا من المواءمة بين السعد الديني للصور، ومعها المعتقدات الدينية الشعبية، وبين المسكونية الخاصة بالإطار المعماري الذي اكتسب هو أيضا مساحة من اليوفرسالية السياسية من خلال الاحتفالات المدنية التي كانت تقام فيه بمناسبة أبرز الأحداث خلال عصر نيابة الملك. وعندما كرر النائب الجديد للملك يتولى منصبه ويستقبل ثلة من السلطات وعلية القوم، في دائرته، داخل بارليكا جوادالوبي إلى حوار حمية الهنود، والتي يوجد فوق تمثالها بنية معمارية مهية تصاهي صورة الكنيسة البرامانسية Bramanesca بشكل أكثر دقة، ربما، مما عليه الكنيسة الأكبر في العاصمة وهي بيلار دي سرفسطة التي شيدت قبل عام من إقامة المكسيكية، كان الأمر يبدو في عيون السكان الأصليين على أنه نوع من التنصيب والمسوح الأهلية.

^١ الغزو الروحي للمكسيك، باريس، ١٩٣٣م، ص ١٩٦

^٢ التاريخ العام لأمو Cosas أساليب الجديدة، مقدمة، المكسيك، ١٩٥٦م، الجزء الأول، ص ٣٠

ثم فيما يتعلق بالمصلى الذي بضم "الش" المبارك "العدراء" حول لوسى . والذي
شيد بقصر لكثير من الصدقات الشعبية والعمل التطوعي الذي قام به لسيور . وأصل
مصمم المصلى . وهو من أبناء المكان ويدعى فرثيسكو تطويو بيرير يرو . في تومس .
وأصل سيره على سطح أثر قديم متهدم يوجد بالقرب من روم في مدينة لثرب السادس
عشر . وأعاد سيرليو serlio إتاحة من خلال كتبه لشهير كتاب العمارة . وقد كان
أكثر متهدما لم يتمكن سيرليو من رسم السقف وبالتالي لم يكن أمامه أن يوصف حيزيرو ولا
إتداعه وقدم لنا واحدة من الأعمال المكسيكية لأصيلة وهو اليوم لعمل أكثر شهرة صمم
عمرتها . سر في السقف الألوان بدرجة غير مسبوقة في عاصمة بيعة لثرب . من أوصاف
ذلك التقابل اللوني بين الأحمر المحملي الذي عليه Tlaxcala ولا يصب في عبي
chilueca . تلك المياه المتعددة الألوان بين الأصفر والأخضر في عبي لريج الوارد من
بوسلا الذي يكسوه القبة نجد أيضا الشكل لأستوائي متراص حولي لذي يربط
ما يشبه خصلة شعر محدة بينهم بدورة في هذا مشهد حصل كلاسيكي مكسيكي لذي
هو المصلى الشهير البوئينو Pocho

ولما قامت أسبانيا بممارسة ميلها لرومي على طريقة عقلت أكثر من يمس و
ماردة عملا بالانفتاح التقليدي الذي عليه الإنسان الهنسي على اعراسية شرقية . فكان
أفراد الرعية من الأمريكان من أن يفتحوا أذرعهم ليس فقط من لعالم حصن بالسكن
الأصلي بل أمام ما هو آسيوي حيث تكثر القطع الفنية عدد وحودة في دور العدة في
أسبانيا الجديدة . هناك الحاجر الحديدي الضخم لكورس في كاتدرية المكسيك . وهو
أفضل حاجز في العالم الحديد . حري إتاحة في مكوا Mexico . ورعه أن من قام برسمه .
وهو نيكولاس رودريجث خوارث . كان يعيش في المكسيك . كان القبول من الصين ولم
يقتصر الأمر على ذلك بل كانت من الصين أيضا المواد المستخدمة calan و lampaga
(خليط من الذهب والنحاس . والفيروز) ومن العصر دت المصادر لأسبوية في دور
العبادة هذه نجد التماثيل الصغيرة حوامل الكتب إضافة إلى تماثيل كثيرة من لعاج معروضة
الآن في متحف الكاتدرائية .

تكثر المحتويات العاجية بوفرة في المكسيك . وفي هذا المقام يرى مانويل توست M.
Toussaint أنه لا توجد كنيسة أو منزل إلا وعده تماثيل للمسيح من هذه المادة احام

كبرت أم صغرت أكثر إتقانا فيها أو أقل^١ كان قد تم جلبها من آسيا في غليون أكابولكو بصفة إلى قطع أثاث عديدة وقطع مدهونة بالورنيش وقطع من البورسلين الرقيق والمسوجات وعدد - لمختلف الأغراض - ولم يكن ذلك من الصين فقط بل أيضاً من جاوة وسيام وكمبوديا ومن الأقاليم النائية في الهند، وحتى يتم ملء سحارات الغليون الكبري وتقوم بالرحلة من أكابولكو كانت تلتقي في مانيتا سفن قادمة من مختلف البلاد الآسيوية التي تقوم بالرحلة من أكابولكو كانت تلتقي في مانيتا سفن قادمة من مختلف البلاد الآسيوية ويشمل ذلك الخليج الفارسي. هناك أيضاً مواد خام جرى جلبها من المشرق وكان يتم استخدامها في الصناعة في أسبانيا الجديدة مثل القطيفة والبطاطين والطرح والزركشي والكثير من الرايات^٢، تم تباع كل هذه المنتجات في العالم الجديد وتخلق الكثير من فرص العمل لآلاف الأسر. ويندرج في ذلك فن العمارة حيث يلاحظ فيه التأثير الشرقي^٣ هناك قطع خشبية مشغولة ومدهونة طبقاً لما يشير إليه الناقد المكسيكي المذكور^٤، ربما كانت ذات أصول آسيوية، تشبه التشطيبات التي لا مثيل لها في كنيسة سان بربسكا في تاسكو 1550 وكان السفينة أتت بها من الصين^٥ يرجع حب الفن القادم من الشرق الأقصى في أسبانيا الجديدة إلى زمن قديم كما أنه كان أقوى، بالمقارنة، من ذلك التوجه السائد في أوروبا وهو الميل إلى ما هو صيني، ولم يقتصر الأمر على هذا بل ذهب إلى ما هو أبعد حيث تحول إلى نوع من التعبير عن مصير تاريخي حقيقي وقبل قرن من الزمان على انتشار الخشب لصيني المدهون في أوروبا الشمالية كان فيليبي الثاني الكاتب العظيم وحامي حمى حزر لفيليبين يتلقى مكاتب مصنوعة من هذه المادة من خلال أسبانيا الجديدة. كانت قطع الأثاث الشرقية تتسم بأنها أكثر من كونها مبعثرة رقيقة سواء كان ذلك في البلاط في مدريد أو في كنائس المكسيك وقصورها ذلك هو منزل رمري ومكلف قادم من الأقاليم الآسيوية البعيدة وأسهم فيه الكثير من الرحا والمهم والسوق والمال سواء من أسبانيا القديمة أو جديدة وبعد دراسات دقيقة تم التوصل إلى أنه خلال القرنين الأولين من الاستعمار أرسلت لمكسيك إلى الفيليبين أربعة آلاف وخمسمائة طن من الفضة الأمر الذي يعني ثلثي الإرساليات التي كانت تبعث بها نيابة الملك إلى شبه جزيرة أيبيريا^٦

^١ الفن لاستعماري في المكسيك، المكسيك ١٩٤٨ م، ص ٣٨٣

^٢ المصدر السابق، ص ٢٩٥

^٣ سرشيو السبيرو والسمكي الايبيري (قرن ١٦، ١٧، ١٨)، باريس، ١٩٦٠، ص ٢٦٩

عبر أنه إضافة إلى هذا الريف الذي تعنيه تلك المساعدة من المهم أن نصنع في الحساب
اجهد المدول في الحفاظ على المجرى حتى يستمر التيار. كانت رحلة الذهاب من أمريكا إلى
أسبانيا شيء من السهولة إلا أن "رحلة العودة من الغرب" كانت عصبية على السفر
طوال أربعين عاماً. وبعد كثير من حالات الفشل قام أحد البحارة من ذوي الخبرة، ساء
على طلب من الإمبراطور فيليب الثاني، بهذه المهمة. وكان هذا البحار يعيش في دير
مكسيكي بعد أن انسحب من نجواله في أرحاء العالم. وفي اليوم الثالث من أكتوبر لعام
١٥٦٥م خرج من ميناء مانيلا صوب ميناء أكابولكو وكان قائد السفينة أندرس دي
وردانيتا A. Ordaneta رجل البحرية الذي كان قد أروى في الدير. وبعد رحلة غاية في
صعوبة استغرقت أربعة أشهر حيث تناقص أثناءها عدد البحارة بسبب الموت والمرض
بدرجة أنه لم يبق في نهاية المطاف إلا بعض الأفراد الذين احصروا في أوردانيتا نفسه وأخذ
سحارة. كما لم تتوفر لديهم القوة الجسدية ليلقوا بالهلب

وفي نهاية المطاف تحققت العودة من العرب "عبر ميناء الشمال من المكسيكي، ثم
تحوّل المسار بعد ذلك إلى مسار للإبحار انطلاقاً من أسبانيا الجديدة التي ترجع إليها ملحمة
كتشافه. وليس أقل من ذلك جهد الحفاظ على استمرار الخدمة في هذا الخط بشكل لا
ينقطع خلال زمن طويل. كان السير في هذا الخط يعني المجيء إلى أوروبا والعودة إلى البلاد،
من خلال أسبانيا الجديدة، حيث قامت بذلك سفارة أرسلتها إليهم إلى العرب، وكان هذا
يعني من الناحية الجغرافية عند اتخاذ المسار الأمريكي شرق الأقصى. وكوع من
نتيجة لهذا الجهد التحصيري الضخم الذي دتته الطريق شهير عبر المكسيكي، خرجت
حملة، بعد عامين من بدء الكفاح من أجل الاستقلال، من أكابولكو محملة صوب الفلبين
وهي حملة كان يقودها خابيير دي بالمس وهو يحمل معه الطعام ضد الحذري الذي قد
اكتشف حديثاً بعد أن مد مصالحه في البلاد الأمريكية

له يترتب على استقلال نيابة الملك هذه والمقطوعة التي ترنبت بالتالي على الاتصال
التفصيلي بين أكابولكو ومانيلا، التي استمرت في يد الأسبان، إلغاء تجارة المواد الشرقية
وفي عام ١٨٢٤م قام مفوض الحكومة الإنجليزية ج. إي. طومسون G.A. Thompson،
الذي أرسل في مهمة لتبيان حالة "جمهورية المركز" بالاتحاد صوب ميناء أكابولكو تنفيذاً
للمهمة التي جاء من أجلها، واصطدم بشقافة تتكون مما يريد على ١٤٠ بغلة كانت محملة

بالعالمي والنفيس " لا يمكن تخيل ما كانت تحمل من أشياء والتي تتكون في الأساس من
قمم الكريب القطيفة من الصنف النادر وكذا قماش "الموصلين" المطرز بالذهب والفضة
وصديريات من الحرير الموشى . لم أر في أوروبا أبداً " ويختتم الدبلوماسي الإنجليزي ذلك
قولاً " لم أر في أوروبا منسوجات صينية يمكن مقارنتها بهذه " (١) .

إذا ما كانت روما حاضرة في أسبانيا بعالميتها الفنية والثقافية والدينية . هناك أيضاً
حاضرة العالمية الآسيوية حيث تتكامل كلتا هما وكل له أعاده المختلفة ودلالته . كان ذلك
من خلال الكنائس والقصور وكذا القرى الشعبي نفسه ومن الأمثلة الطيبة على ذلك الفجار
مطيري (نسبة إلى طليعة Lalavera) المصنع في بويلا وهي صناعة يرجع أصلها -
كما يدل اسمها - إلى شواطئ نهر التاج . لكنها تلقت تأثيرات قوية آتية من الصين - قبل
رمس طويل على إقامة مصنع لها في ميسن Meissen - وكانت هذه التأثيرات تقنية وكذلك
بالنسبة للعناصر الزخرفية . كما تشعبت هذه الصناعة بالمثلثات الكلاسيكية المتوسطة
لدرجة أن رليج بويلا كان يصنع شكل محدب يحس الشيء لأنه كان يستخدم أساساً في
زخرفة الكثير من القباب التي كانت في الإقليم . ومريد من التأثيرات على هذه الصناعة
هناك أيضاً تأثيرات موريسكية محددة في إطار اسوحة انسي المدخن الذي كان يستخدم
البرليج لكسوة الخمر السفلي للحوافظ

أصبحت أسبانيا الجديدة مليئة بـ "العمالة والثقافة القادمة من اقاصى الدنيا"
وهذا ما يسطر Northrop and West " كما تعنى بذلك برناردو دى "العصمة المكسيكية
The Meeting of East and West" .

تقسّم المكسيك العالم إلى صنفين

كما ننحني لها الأرض كأنها أمام الشمس

وفيهما كلها يبدو أنها الأمرة

مع البيرو والمالوكو والصين .

والفارسي المولد و Seta والمورو

(1) Narrative of an official visit to Guatemala, from Mexico, London, 1829, page 11

"Cap" التراث الثقافي في المكسيك - نيويورك، ١٩٤٩، الفصل الثاني

وكذلك البلاد الأخرى قريبة أم بعيدة،
مع فرنسا ومع إيطاليا بكسزها
مع مصر، والقاهرة الكبرى وسورية.

بريطانيا، اليونان، فلاندرس وتركيا
مع الجميع يتم التعامل والتبادل.

وحتى الآن لا زالت هناك تأثيرات فنية وثقافية متنوعة تترك بصماتها على الفن
الشعبي. من المشاغل الجذابة الطواف بمدن المكسيك وقراها وخاصة الأسواق وأماكن
المهرجانات وإلقاء نظرة على داخل المنازل الشعبية وذلك لاكتشاف الأخفة و Jerongos
واللثام وغيرها من قطع الملابس والعناصر الزخرفية للسكان الأصليين التي اختلطت تلك
القادمة من سلمنقة ومن شريش دي لافرونير Jerez de la frontera، لبرى كيف ينه
تبادل الأدوار بين الحيوانات الأثنيكية من الأضحيات وبين أبي الهول واجنيات وليران
المتوسطة، كما نرى على قطعة واحدة من الفحار المعابد والعصافير الصينية التي تنال
بألوان ايمينج Ming وقد أحاطت بها الحلية المدحنة (اجفت) greca.

تعتبر الحماجم المصنوعة من السكر من العناصر التقليدية في الاحتمالات لشعبية
المكسيكية وهي ثمرة تراث ضارب في القدم وكذلك من أناس من الهسبان hispanica، «د
رسم هؤلاء الموت بلامح باروكية عنيفة، كما أنهم قاموا بطقس تناول "عظم القديسين"
في "يوم الموتى". وكما هي العادة في أي من قرى شرق الأندلس يتم في المكسيك إحراق
عرائس "ليهودات" Judas محملة بالصواريخ وذلك في مكان غير بعيد عن المكار حيث
هناك شمعدان من ذلك النوع الذي يشبه "شجرة الحياة" والذي كان يصنع في ماتامورس
دي إيروكار Matamoros de Irucar، موضوع فوق مائدة خشبية مدججة بأفرع
الرمزية المعلق فيها نماذج للعذراوات والملائكة والبسطاء، وكذلك أدوات شعبية لكن لها
صلة بشخصيات شجرة Jetsé.

XXII- الهند الغربية والملكية الكاثوليكية وأوروبا

أدت المفاهيم المعلوطة الخاصة بالبعرات القومية في باب التاريخ، ابتداء من العقود الأولى من القرن التاسع عشر إلى وضع عتبت وعراقيل أمام فهم الإسهام الأسباني في الهند الغربية. كان ينظر إلى القارة مقسمة إلى ثلاثة مناطق لغوية وثقافية كبرى وكان يبدو أنه لا مخرج من التفكير في أن كل واحدة منها شهد عودة تحسد روح الشعب Volksggeist لكل واحد من الشعوب المستعمرة. وبدور التوقف برهة لتأمل الكثير من التصديب المتعلقة جغرافيا والسلالات والمهام والمستويات التاريخية فإن الاختلافات الواضحة في حواش متنوعة من الحياة تبدو جلية عند مقارنة كل من أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى بأمريكا الشمالية. ويتم إلصاقها بالموثوث الروحي الذي حلته لعراة وراءهم ومن حاسب بحر عشر الأسباب كنا نرتكب خطأ مماثلاً عند رد فعلنا على تريفن الأسطورة السوداء أو نلث لأساطير الأكثر شيوعاً التي تلف مفهوم تعبير أمريكا اللاتينية. حيث كما سادى محاصرة لوتالديعالم الإنسانى الأمريكى المثرامى لأصراف. وكما مسكة الكاثوليكية كانت دولة قومية ورعاياها نقلوا إلى الشاطئ الآخر للاطسفي ثقافة سلبية

غير أن كافة شعوب العالم القديم كانت حاصرة في معالم احديد مد الساعات لأور. وكل له وظائفه الشديدة الاختلاف وكذا لأسهامات في هذا الحدث الصحم الذي هو لانتج على العالم الجديد وصمه. وفي هذا مقام كتب حارتيلاسو دي لاسيجا، ذلك شعر المهجن، وجود الثلاثي الذي شارك في احسة على البيرو وهم فرانيسكو بشارو وديجو ألماجرو وإيرناندو لوكي، حيث قام بغزو ممالك جديدة 'من أهل الأصدقاء ولأعداء دون أي تمييز بينهما، ذلك أن المسيحيين يستمتعون بأعمالهم ومكاسبهم، وكذلك، الوثنيين واليهود والمورو والترك والملاحدة، حيث كانت الثروات تُشر فوقهم في

كان عام يأتي منه الثلاثي الذي كسب حرب كست ثلث مشاركة كسب سبعة ومع مد
 مسرعاً من الأوربيون بمدور يديهم نصف نحو كرسى وثلث مسرعاً في الاستيلاء
 على المعدن الثمينة الآتية من نهج مغربية وثلث هي تقطع سبعة من كور من
 موكتبرود التي تم احتياطاً بعدياً على يد برن كوريس . كور من كوريس
 للإمبراطور . تتعرض لعمية سقوطه في قوساً فرسي . وثلث في كوريس كوريس
 الأول . ولم يكن ذلك لتزيين حصون بوار (1) بل لضميرها . ثلث . لأرسترايين
 الرعين لليونان ودفتني تم يكونوا من عشاق من لستق على حصر معروف أكثر على
 حدود من كوريس وثارو

لكن الأجنب لم يقتضروا على . يعتبر (2) كرسى من وقت مكر من
 مكوا حرره والأرضي بسعة بني كسبهم بقس . كرسى من وقت مكر من
 بدو . الرحمن مفتوح على ندم من مع لأوريس من كرسى من وقت مكر من
 كثير من الاختلافات والاس والام بني كرسى من وقت مكر من
 نهج الغربية حيث ثو بني قسبهم . كرسى من وقت مكر من
 وميرت من مد ويشتقون على كسبهم سبعة . كرسى من وقت مكر من
 هو العبر لأوربية لاوي بني كرسى من وقت مكر من
 ذلك من قبل مورو لأثر . كرسى من وقت مكر من
 وشو واحد من ثلاثة عشر ريفت سارو . كرسى من وقت مكر من

لابد أن المشهد عدد أن مشني من كرسى من وقت مكر من
 لأبطال في معجزة هوميروس أمام الاس . كرسى من وقت مكر من
 "لأنه كان مدرعاً بالحديد كاملاً من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه . كرسى من وقت مكر من
 في شوارع تومس Lumber بعد أن سفع من كرسى من وقت مكر من
 للتأكد من أنه ابن الشمس . واستحده في ثلث كرسى من وقت مكر من
 (84 vara سم) كان يمسكه بيده ليمس . كرسى من وقت مكر من
 كرسى من وقت مكر من

(1) Vid حوسية نظية . اشعولات لسقة على بوجور لاسي . كرسى من وقت مكر من
 مذكرات الدورة ١٩٦٠ . ص ٧١

(2) العمل المشري . خرة الربع وعشرون . بضعة مكر . كرسى من وقت مكر من

معبد الشمس الذي كان مزينا بألواح من الذهب ' وأن يتأمل الأدوات وسجود من
 للذهب والنقصة وكذلك الحيوانات المشوهة حلقة باستخدام الوسائل التي كنت موجودة
 في حديقة الإنث Inca. وعندما عاد مدرو دي كاندبا بصحة يبتارو لعرو ديت سلا
 لأسطوري رافقه عدد غير قليل من البونانيين من الخراء في صاعدة مكوبات مدافع و
 تنعيبها. ولما كان قائد الحملة ' الحيدة للعاية والوفيرة العدد ' قام ديبجو دي أدهرو
 لمونو بقتله بالرمح ضيقا وغيطا ' عندما أدرك أن مدرو دي كاندبا أعد اعدة حتى يبتو
 تدفعه من عل حتى يحول ذلك دور إيذاء حيتس الحاكم الخليلد ' بك دي كاسيرو. ديت
 هذا لعملاق اس حريرة كريت كز يريد أن تنحضر جهوده على خدمة صاحب
 حلاة

كان حاله يحبط في هذا مقام أن رم كز من لأفصل أن خدمه بونسي سلا من
 فشتلي وخدمة للملكية بكن أن يفتي في كينو رفق مدرو كندب وكه انيسور
 بين اعتنقوا المسيحية ضمن صفوف الحيوث بعرشة. وقد سرقوا الملايكه ارس
 نسو. السير العظيم سار فر نيسكو وشيد و لاسر و لافسبون و مسرفة مدرو قدو
 لرحرة ذلك مسي ' لسبق على لاسكورين لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 لأسليب وانوصوعات شنية في هذا لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 خديدة. ولم يكن ذلك محود صخرة لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 أيضا كان من الممكن في حنة ملكه لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 هذه ساء على الفكرة القائمة بأن هذه مسجونين لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 التي نلاقت فيها

كانت هذه الإسهامات ذات أهمية كبيرة في حياة لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 شديدة الاختلاف فيما بينها ولها مساهمة كبيرة في حياة لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 ممكنة لكاتوليكية ' ذلك أن هذه كتب ذات أهمية كبيرة في حياة لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 من تكن مملكة وحدوية ومركبة على طريقته مسكونة لافسبون و لافسبون و لافسبون و لافسبون
 عن مجموعة من الممالك بعضها يوجد في شبه جزيرة أيبيريا وبعضها في جزر الهند

1 ' جزيرة لاسودي لايجا ' عرو البرو الكتاب الأول. من جزيرة لاسودي لايجا

العدو التقليدي لأرغن، بغية تكوين طوق سياسي له comme à l'avance le curieux empire habsbourgeois طبقاً لما أشار إليه فرنان برادل^(١).

أضف إلى ما سبق هو أنه رغم عدم تشكُّل هذه الإمبراطورية بالشكل الذي نعرفه ظهر تجمع سياسي آخر مشابه خلال القرن السادس عشر. وقد أدى تفكك خريطة السياسية في وسط أوروبا بسبب "الإصلاح الديني" وعدم الحماية التي شعرت بها المدن لترية في "البلاد الوطئية" كنتيجة لإضعاف الإمبراطورية. وتفكك شبه الجزيرة الإيطالية وانقسامها إلى مدائن - دول. وتهديدات الإمبراطورية التركية... الخ. أدى كل ذلك إلى ضرورة تكوين تنظيم سياسي أوسع وأكثر مرونة. على أن يكون هناك مركز آخر نحو المغرب. وأن يكون هذا التكوين أكثر تمهما للأراضي الأكثر تراء وتقدماً في القارة العجوز وهذا ما نبدى في وضع إطار له هو Limes القديم للإمبراطورية الرومانية.

هذه الخسارات التي وقعت في القارة العجوز تم الاستعاضة عنها بإضافة قارة جديدة. ولكن دون هيمنة سياسية رسمية في القارة العجوز. أي أن القوة الأوربية، التي يقع على عاتقها تنفيذ هذه العملية لم تكن مطلقة اليدين لفعل ذلك بسرعة. و كان من الممكن أن يزيد عدد القراصنة الفرنسيين والإنجليز الذين كانوا في الكاريبي إذا لم يكن لدى ملك الهند العربية القوات الحربية المرافطة تتكن دانه وعلى مسافة قصيرة من باريس وندن. وكان من الممكن أيضاً أن تكون هناك موارد أقل من مختلف الأنواع للقيام بمهمة بهذه الخطورة. وفي نهاية المطاف فإن اتحاد إمبراطور الهند العربية للقب الإمبراطوري أسهم في المزيد من الرفعة والقيمة والمرونة السياسية للمهمة وارتفعت درجة الوعي السياسي لدى من يتولون هذا المنصب.

تمكن كارلوس الخامس من الفوز باللقب الإمبراطوري بينما كانت تجرى الحملة على المكسيك، أي عندما قام كورتيس بحرق الستس ولكن قبل الاستيلاء على العاصمة. وكان من الممكن غزو العاصمة والسيطرة عليها بالطبع حتى ولو لم يحصل الملك القشتالي على اللقب الإمبراطوري؛ إلا أن الضم السياسي لذلك البلد الجديد كان يمكن أن تكون له نغاد أخرى وفي هذا المقام نجد المراسلات بين كورتيس والإمبراطور وكذا عدد المرات التي

^١ البحر الأبيض المتوسط والعالم المتوسطي في عصر فينيسي اشي " مارس ١٩٤٩، ص ٥١٨

وحدثت بسرعة مذهلة في ذلك المسعى لإبضاع العصر الذي يعيش فيه واعتدنا به
على محاولات أسرع مضاعفة وفي غضون فترة هي ثمانية عشر عاماً بالسام والكمال
في سنة من موت فرناندو انكوبليكي ١٥١٥م وحتى دخول بنارو الكونكيو
١٥٣٣م. برزت على كاهل واحد واحد من ثلاث الهيمنة hispanica وكذا
هيبت بعدد منعمه سورجوت وموكسروم وألوانا Alantapla. والإمبراطورية
حرمة والأوبه الإيطالية والأرض السوية شكل عرس في خلال الصعوط سي
مرشد من كسبت سبع

وفي عام ١٥٣٠. أي بعد ثلاثة أعوام على هيبت روم. ساعدت لأوضاع سياسة
سيرة كاربوس خمس في إيطاليا. بقوة السلاح. مسند في عدة لاسات لتدوية
ب. لافس هيستي وكذا النورجوت ولإمبراطوري. حيث حتم في سنة هذه لتواعد
سلاطه. و. لاج. دي. بقعه على الهند العربية عديم حري نفسه عام ١٥٤٠م. لأوهو
من مذكور بعد ذلك لإمبراطور فيلسي شافي. حيث لفت لافس لافس. من
مكند مسجدهم في هذه نقطة لهيجل في التاريخ العام من حيث هي سنة بالعبء
وحررت لاستددة لها خدمة مهمة تعظيمة وهي أوربة عالم جديد ساعد

ساعة لإبضالون شكل كبير في عملية الاكتشاف والاستطلاع وكذلك في أوربة
ساعة جديدة وصل ذلك الجهد حتى بداية القرن ثامن عشر. كما أسهموا كذلك في
لادة من مورده. ومن لشائع عادة لمالعة في أهمية امركة لافس وكل كولوموس كل
قد حتم لفتينين لإبحار وكذا استعمار حرر الأنيل سير على لإبضاع اندي كانت عليه
جمهوريات لإبضية في حوض الشرقي للبحر المتوسط. ومما يسي من ينكرون هذه
تجربة أنه عديم من كولوموس بحر الكماري أمكن له أن يرى انتشار لاصحة لشديدة
نفسه سنت في موف جده في عالم الخلد. وليس على ساكنة ذلك مشهد الذي قرأ
من وضع جمهوريات لإبضية في شرق المتوسط. وعلى عكس ذلك الوضع كذا
من حيث جده. من دور لإبضالين في أمريكا ساء من محقة التي بدأت فيها
سنة لافس على سنة جده لإبضية ولسالي في الدور لإبضالي وسهمه من خلال
نفسه لأوجه هي كانت. على من مختلف أحرار الإمبراطورية النابوليكية

يلاحظ أيضاً أن مختصرات كتب التاريخ العالمي الشائعة نسلط ضوءاً أكثر على
 بؤس الهولندي في العالم الحديد مقارنة بالوجود الإيطالي أو الفلسفي لكن هذا ليس
 مثيراً لمناقشة ذلك أن المؤرخين عادة ما يخصصون عدداً أكبر من الصفحات لسرد سير الحكام
 هولنديين وملاحهم في الراريل أكثر من الحديث عن أعمال الحكام العموم البرتغاليين أو
 بواب الملوك من الأسبان غير أن حقيقة الأمر هو أن الرهاس والرسمين والمعماريين
 وبنهائس والقائمين على أمر التعدين ورجال السوك واخود والنحار والساحرين
 واخرالات والشاربين من الإيطاليين أو الفلسفيين الذين هم من رعايا ملوك الهند
 العربية والذين يخطون بالكثير من الاحتكارات سواء كانت قابلية أو فعلية تركوا أثرها
 عميقاً في العالم الحديد مما تركه الهولنديون الذين كانوا يصلون ويجولون في مياه الكاريبي
 وبقسور في أفريقية شبه صحراوية وذلك حتى يسبحروا المستعبدات الاستوائية للمساكن
 بفضل لأيدي الأفريقية العاملة

ومن حقائق الملموسة أيضاً مقابل ما سبق هو أن لهند العربية تركت بصمتها
 العميقة في إيطاليا، إذ أتاحت الوفرة المائية التي كان عليها اقتصادها الفرصة أمام امملكة
 الكابولية لتجمع الموارد واخدمات المعلننة بالعديد من الرعة لمواشئة تنفق الأمبريالية
 تركية التي كانت تقوم على قاعدة اقتصادية لا تنسجم تماماً مع الرونة وبدون حرائر المار
 بورد من بونوسي لم تكن أساساً لتتمكن من التمسك حتى إحدى وسعين سقبة للسحوال
 في البحر المتوسط، حيث كان ذلك موجوداً حتى عام ١٦٤٠م ومعدها، وكان من هذه
 لسن أربع عشرة سقبة لها فاعديتها في حنة، وربع من سردين وعشرة في صقلية وأثنار
 وعشرون في نابولي، إضافة إلى سلسلة من مدونات والمقصبات التي جرى وضعها في
 عصر فيببي الثاني للدفاع عن الشواطئ الإيطالية من هجوم الأتراك وإذا ما كانت هناك
 دراسة اقتصادية فاحصة للإنشاءات التي أقيمت في كل من نابولي وباليرمو وميلان وروما
 لحوه رمي نمض عن هذا الكم الضخم من الاموال المرسلة من لهند العربية المستخدمة في
 إنشاء على هذه المراكز

بالها من عملية تجسد مثاليات إسبان عصر النهضة واكتسابها القوة عندما هاجرت
 من وراء الأطلطي وانتشرت واحتلظت بواقع جديد حيث عاشت موقف الإعجاب
 بعالم القديم وانفتحت بقوة وحيوية على المستقبل بشكل لا يمكن تخيله لو كان ذلك في

بعض حدود (بعضیہ) وہ بند کر مرء نیک صفتی خود شہد مرء نیک نیت در کسمین
بعض کیم نہ بعد یہ قبیلہ علی قید کورنیں معرض کثیر من لحدت محکمہ
مرور مرء نیک حدود و نیک حتی بشعبہ نہ مرء من عرق مرء کب. و بعد معرض عہ
نہ نصف حدود لاکتر حلال مرء مرء ساقی حلال حاکمہ سقیر نہ کافہ شفق
نہ فی نیک من بتعلق برویں و۔ لاسکسر و کدست من نیکہ کسر و مشاہیر مدینہ
یکو و لبحر و و اعلیٰ مرء حہ شفقری مرء کیمہ کدست حاکمہ کورنیں قسعة و صدفہ
احداتہ مقداریہ نہ کب نمک۔ بقصرہ قند حری لمار صبی بروینہ R و بعد
بتعلق بتا ثنویہ لیمہ صدفہ نہ بہ بحدت علی لاصلاقی۔ قند فی من نیکہ برویں مرء
مشاہیر مدینہ اعدا غصبہ نیک۔ شہد حتی رنن و لقصہ مدینہ سقیر
من حلال بتعلق و سید کورنیکہ ساریح. و شد کثیر مرء بعد لمار

١٢) العنصر الرابع منه لنقص L\I\I. نصفه من الراس الى

XXIII - ازدهار الباروك المسرف في العالم الجديد

أدى استخدام الأسلوب الأول المتعلق بعصر النهضة والأيبيري في أوربة العالم الجديد إلى إيجاد أسلوب آخر ممكن حديث ومنتسب إلى شمال أوربا، بدأ في أمريكا الشمالية وكذلك في الكاريبي خلال الربع الثاني من القرن السابع عشر، وقد ظهر في هذه البلدان التي أصبحت في تلك الفترة على رأس الحداثة *sensu stricto* في المجال الفلسفي والعلمي والسياسي والاقتصادي... الخ

هو أسلوب يتعارض بوضوح مع الأسلوب المبدع في القرن الماضي وخاصة بالنسبة حالة إنجلترا. فأمام النظام الاستعماري المتعدد التوجهات الذي عليه الهند الغربية الأسبانية، حيث هناك خليط من المقاطعات ذات الطقس الشديد الاختلاف وكذلك السلالات ونطبقت والمواقف الاجتماعية لكن دور الوصول إلى العبودية وحربة المواطنين، نجد الأنحلو سكسون يختارون نظامين مختلفين بشدة من جانب هناك المستعمرة الكائنة على الشاطئ لتسمالي الأوربي حيث الناس هناك أحرار ومتساوون، وقد حظيت هذه المستعمرة بالكثير من الهجرات المنتظمة والكثيرة خلال الفترة بين ١٦٢٠ و ١٦٤٠ وكان ذلك بفضل دافع يونوبي بالنسبة للحياة السياسية والدينية الكاملة، ومن جانب آخر، نجد جامايكا، ابتداء من عام ١٦٧٢ م، تشهد سلسلة من الهجرات المتعلقة الأمر الذي أدى إلى وجود مجتمع للعبيد وهو مجتمع كامل في إطار نوعه.

ويطبق على النظامين، ولكن حسب كل، المنظور العرقي المتزمت، ففي مستعمرات الشمال هناك البيض مع زوال قطعي للسكان الأصليين؛ أما السود فهم في جامايكا، وحتى عام ١٧٨٧ م وعلى مدار ما يزيد قليلا على قرن من الزمان تم نقل مليونين ومائة وثلاثين ألف أفريقي إلى الأنتيل الإنجليزية؛ كما أن السكان في جامايكا توزعوا حسب

النسب التالية: ١٠٪ من البيض و ٨٦٪ من العبيد و ٤٪ من الشر الأحرار من الملونين. وفي
كوبا، عام ١٨٠٤، هناك ٥٤٪ من البيض، و ٢٥٪ من العبيد، و ٢١٪ من الأحرار
الملونين ويرى مادارياجا^(١) "أن هذه الأرقام تعبر عن مفاهيم حياة شديدة الاختلاف فيما
بينها، كما ينعكس ذلك على جوانب أخرى من التناقض القائم بين الأنبل الأسابية
والبريطانية، ومن الأمثلة الدالة على ذلك أنه أمام الجامعات الدينية في كل من كوبا
وبويرتوريكو كانت جامايكا حتى ذلك الحين خالية من أية حجة تتولى التعليم العالي".
بدهية أيضاً الاختلافات في حالة المستعمرات الجنوبية مقارنة بأمريكا الأنجلوساكسونية،
ذلك أنه لما كان هناك توازن بين السكان البيض والسود كانت الفوارق العنصرية وكدا دقي
أجوانب الأخرى فيما بينهما شديدة الوضوح

كما يدخل هناك عنصر آخر للتمييز بين الاستعمار الإقليمي والأيثري وهو ما
يتعلق بالحركة ومكان التواجد، فالمستعمرون الأنجلو ساكسون يستقرون عندما يلغون
شواطئ العالم الجديد وكأن توحهم كمزارعين يجدهم بصرى حذرهم في الأراضي
التي تطوها أقدامهم. وحتى عام ١٧٦٠م كانت سلفانيا المستعمرة الوحيدة التي يوجد بها
مواطنون استقر عدد منهم على الجانب الآخر من Appalachians باللاتس، في وادي
أوهايو Ohio اليناع. لكن هناك المزيد من المؤشرات في هذه السلسلة التثني لندها في
حالة الاستعمار الهولندي، لكن هذا التثني كان غريباً وحاراً لحد ما لم يكن نرياً ونحنا عن
الإقامة باستثناء مستعمرة الكابو Cabo.

وبعد سنوات قليلة من الرسو على شواطئ البر ونام الأسان باستكشاف
"السلسلة" وغابة الأمازون وأقاموا في أصقاع صعبة للعائلة (بربعة)، ووصل بهم الأمر،
على زمن الكونت مونتي ربي، إلى تنظيم حملة أطلقت من أساليب الجديدة وانتهت نحو
القطب الجنوبي، وكانت على وشك بلوغ الهدف وفي حواره، حتى القرن الثامن عشر،
لم تخضع الممالك المهمة للسكان الأصليين سواء من خلال الوسائل السلمية أو العيفة وطل

(١) المصدر السابق، ص ٣٧٧

الأمر على هذا النحو حتى القرن التالي " حيث لن يتم استكشاف هذه المستعمرات حسب الأهمية من حيث الثروات الطبيعية الموجودة بها " (١).

الاختلافات ملحوظة أيضاً بين الاستعمار الأيبيري والاستعمار القادم من شمال أوروبا (الأسكندينا في)، فلم تغيب عن هؤلاء الرغبة التي كان عليها الغزاة والمستعمرون الأيبيريون، لكنهم كانوا يميلون إلى الخيال بشكل أكبر وليس إلى العمل المنهج ورغم أنهم لم يكونوا غائبين، وخاصة فيما يتعلق بأعمال استغلال المناجم، حيث أن الحظ هو العصر الحاسم في الأمر وكذا العناية الإلهية والثراء المفاجئ والبذخ وما يترتب عليه من ترف وقد اختلط كل ذلك برغبة تشيرية بين السكان الأصليين وادماجهم ولكن عند إدخال العقلانية على ما يسمى *more geometrico* "الأخلاق الهندسية" نجد أن العقلية الأوربية، في منتصف القرن، كانت تقنن في أن معاً معنى المهمة الاقتصادية فيما وراء البحار يتدخل عنصر آخر في ذلك وهو المخاطرة لكنها تأتي في شكل مضاربة برجوازية تجارية محسوبة ومنظمة.

من الأمور الحديرة بأن نبرزها في كلامي المجتمع الاستعماري الأملو ساكسوي نجد الأنماط الحديثة للحياة السياسية التي تهبأت من خلال المفكرين الإنجليز خلال ذلك عصر. وفي حالة جامايكا يجري تنفيذ المتهوم الآلي والنفعي في المجتمع لدرجة اللامعقول، وذلك من خلال تحويل المعبد إلى ماكينة للإنتاج الاقتصادي، ففي أمريكا الشمالية جرى إنشاء "بريطانيا الجديدة" الحقيقية ولم يكن ذلك بالاستيلاء المفاجئ على مساحات جديدة من الأراضي مثلما حدث في حاة أسبانيا الجديدة بل جاء ذلك من خلال لنظام عممية نقل أنماط حيوية إلى وعاء فارغ، جاءت من إنجلترا القديمة، رغم أن مصطلح القديمة في هذه الحالة لا يتضمن معنى ما هو تراثي بل ما هو حديث أي ذلك الذي ليس مكان في المجتمع "المستقر" في إنجلترا وتحت الغطاء الديني للمجتمعات الديمقراطية انخرمت هناك نظام مجتمع نفعي يأنف من البذخ الذي عليه الرقعة الحضرية والميل إلى العظمة من خلال الترف الاجتماعي الذي كان سائداً في المجتمع المعقد، ونمطية الأرستقراطية، في العهد لعربية التابعة لقشتالة.

وأيا كان الموقف المتخذ من العمل والاقتصاد في هذه احتمالات لمرئمة والشديدة
لاحتلاف عن الهسبانية، من المهم الإشارة إلى أنه كان يقوم على قواعد دينية عميقة. الأمر
الذي يجب أن يؤخذ في الحسبان وذلك مواجعة تضاد عدة ما يكاد ضد الاستعمار الأساسي
للعالم الجديد من حيث أنه قام على أساس معتقدات قوية ومؤسسات دينية. وبالتالي ينبغي
من ذلك أنها كانت ذات أسس تحمل طبيعة لعصور الوسطى

هناك مفهوم تبسيطي للعصور التاريخية حيث يتم نحرشها مصحوبة سيطرة عبر مرة
تتعلق بالحدلية التاريخية بين العقل والأيدي. وقد أدى هذا إلى عدم إدراك الدينامية الحديثة
التي أثبتت الاعتقادات ومؤسسات التي توصف بأنها ذات طبيعة لعصور الوسطى تلك
التي قام الأسس بتطبيقها على أمريكا. وهذا يشير إلى ما كتبه كارل فوسيو 'بالقول' أن
الميل إلى ما هو تراسدنتالي ولشور ما هو في ما هو الذي جعل الأساسي قادرا على كسر
الإطار الضيق للحياة الأوروبية خلال العصور الوسطى من أجل هزيمة خصوصية الفردية
للسادة الإقطاعيين وكذا للسلطان والقدسية والشمولية والاضمار شردية، والكشف عن بلاد
جديدة والطوف حول العالم وحسم الكثير من الشعوب من مختلف لسلالات واللغات في
إطار إمبراطورية كويبة كاتوليكية مسيحية.

كان ذلك ممثلة نوع من سلف ... مفهوم بلاشوي لتراسدنتالية وينحور
الإيمان إلى محرك لدينامية في مكان ومجتمع ... حدث أيضا ولكن تصور
وطروف جدا مختلفين في حالة الاتحاد ... المعتمدات لدينية كانت عنصر
حاسما عندما انتقلت إلى أحداث ... لا ... في تكوين المجتمعات
الاستعمارية حيث نحد أن الروابط ... ذات طابع سياسي ديني حصري وهم
لا يبتعد كثيرا عن ذلك الذي يست ... العملية الأساسية وممرور الزمن خلال
المحصلة العملية لهذه المعتقدات الدينية في ... لأساسية وهي الأخلاقيات كسوية مختلفة عن
كل منطقة بشكل واضح وعلى أية حال يجب الإشارة إلى أن كافة المفكرين الليبراليين
الأوروبيين الذين قاموا بتحليل المجتمع الديمقراطي لولايات المتحدة خلال القرن التاسع

De Bedeutung der spanischen Kultur für Europa und südliche Romania Leipzig
1950, page 268

عشر أصيبوا بالدهشة لما عليه الأفكار الدينية من تجذر في ذلك المجتمع، وهذا ما كان يتناقض مع القواعد الشديدة العلمانية التي عليها مجتمعات أقل ديمقراطية بكثير في العالم القديم.

وفي أمريكا، وبناء على أنها، تحديدا، مجتمع تأسس حديثا، نجد أن أسسه الدينية كان يجب أن تكون أكثر صلابة بالمقارنة بالمجتمعات الأكثر قدما والمستهلكة في أوروبا؛ وعلى هذا كان من غير المسموح به، من منظور سوسولوجيا الدين، التقليل من شأن لطابع التبشيري الاستعماري الأيبري ومقاتلته بطابع الحميمية والتعددية المفتوح في باب العقيدة الدينية التي كانت سائدة في أمريكا الإخيلية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، واستبعاد أي منظور ديني بحت، إذن، ما الذي كان أفضل من أجل أوربة السكار الأصبيين في العالم الجديد من المنظور الراديكالي للمعتقدات: هل هو الترميم الديني والعرق من الحماس الغيور على كسب أنصار للدين وكذا البعد السلالي، الذي هو من سمات عصر النهضة، للهسبان *hispanos*؟

وإذا ما نظرنا إلى ما يتعلق بمفهوم الشعب الاستعماري من المسكن الثوب بأن كلا من الإخيلير والهولنديين طبقوا نظاما أكثر حداثة انطوائيا من عبد الله المحسوب مقدره بالطابع المعاصر الذي عليه الأيبريون، ولكن بدون هذا الطابع المعاصر لم يكن ليكتشف الكوكب، ولم يكن الهولنديون ليصلوا إلى حواصده، أما حسب تعليقنا هو ملائم لتنظيم المجتمعات الأسانو أمريكية المتنوعة أي بنية سياسية حصل تداع عصر النهضة، وبالتالي فهي بنية عامضة وقديمة بعض الشيء كما هو الحال بالنسبة للمملكة الكاثوليكية، ليس من الضروري الكثير من الإصرار إن الصورة الصحيحة التي عليها مدينة المكسيك، والتي تتركز لحيوية التي كانت عليها البلاد خلال القرن الثامن عشر إنما هي خير مرهان على ذلك

وعند النظر إلى نيابات الملك من حيث الأداء الذي يتسم بأنه مستقل ذاتيا بدرحة ما نجد أنها تمكنت من مباحدة نفسها عن التذبذبات التي كانت تهر أسبابا رغم أنها بدأت بأزمة المجمع الاقتصادي "أشبيلية" الهند الغربية". وعندما يفرق الخناح الأوربي لهذا البناء السياسي الضخم الذي هو الملكية الكاثوليكية، فإن الخناح الأمريكي له لم يقف عند حد البقاء دون أذى بل يذهب إلى ما هو أبعد وهو بلوغه ازدهارا كبيرا. لوحظ، مدهيا، في

أمريكا الالمخطاط الذي كانت عليه الأسرة النمساوية الحاكمة في أسبانيا، وخاصة ما يتعلق بتدهور العلاقات الإدارية والاقتصادية، لكن ذلك كانت بدرجة أقل بكثير مما كان عليه الأمر في شبه جزيرة أيبيريا.

بدأ المجتمع الممخطاط الذي تأسس في الهند الغربية خلال القرن الماضي بؤتي أكله في إطار تيار مضاد يتسم بالحيوية في الوقت الذي يخبو فيه نور القوة الإبداعية للمعقراطية الأيبيرية وعلى هذا فعندما تحف الرش أو تصبح مبتذلة في شبه جزيرة أيبيريا، نجد أفضل اللوحات تخرج من بين يدي الفنانين "الكريو" أو الممخططين أو الهنود. عاش أفضل الرسامين الأسبانوأمريكيين خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر وعند التحوال في أمريكا من الشمال إلى الجنوب يبرز في المكسيك كل من بلتسار إيتشافي ريوخا (B. Echavi R. 1632-1682) وكريستوبال دي سيالبا ندو (C. de Villalpando 1645-1714م)، وفي كولومبيا نجد حريجوريو ساتكيث دي أرني نيبايوس (G.V. de Arce 1638-1711) وفي الإكوادور هناك ميحل دي سانتياجو (١٦٥٥، أول عمل له ١٧٠٠؟) ونيكولاسل خابيير دي جوربار (N.J. de Gorbar 1665-1736؟) وفي بيرو ديبجو كيسي تينو (D. Piuspe T 1621-1681؟) وفي شاركاس هناك مليتشور دي أولجين (١٦٦٥؟ - ١٧٢٤؟)

كانت المكسيك على سبيل الخصوص البلد الذي دخل بقوة القرن الثامن عشر والبلد الأكثر ازدهارا وإبداعا على مدار ذلك القرن، فقد دخلت يد التجديد على كثير من مدنها وخاصة العاصمة كما تبدى أمام نواظرنا اليوم بدرجة أكر مما عليه باقي مدن العالم الجديد وأغلب مدن العالم القديم من تلك المدن ذات السمات العمرانية التي ترجع إلى القرن الثامن عشر. ولم ينج من هذا التجديد القوي في عاصمة أسبانيا الجديدة إلا الكاتدرائية وأديرة الراهبات التي ترجع في أغلبها إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر.

بدأت عمليات التجديد خلال السنوات الأخيرة من حكم الملك كارلوس الثاني واستمرت حتى أيام الاستقلال، وكان ذلك في إطار تطور أسلوبية عبارة عن مراحل ثلاثة؛ ففي المقام الأول هناك تلك المباني التي لا زالت تحمل الأنماط الموروثة عن عصر الباروك خلال حكم الأسرة النمساوية، وتبرز من بينها الكنيسة الدير سانتو دومنجو؛ ومن ناحية

نوبة هناك المرحلة التي وصفها نابليون نوبست باسمه نسوب تشوريجير
 Charriguera. مستخدمين في ذلك المصطلحات سائدة في شبه جزيرة أيبيريا أو نسوب
 سركوك المذبح فيه بالمعنى المردوح الذي عني به وراء لبحار' وساعات الأسبوعية وفي
 نهاية هناك المرحلة الثالثة، الكلاسيكية الحديثة، التي تلت بقوة خلال السنوات الأخيرة
 من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وذلك من خلال أعمالهم الفنية كبرى
 وفي سنة خمالية رابعة مثل قصر كوليج المسمى C de Minera ووجهه حارحة
 مكندراتية

نعتبر مدرسة السركوك المذبح فيه المدرسة الأهم والأكثر أهمية من المدارس الأخرى.
 حيث لا تقتصر على العمارة بل شملت صنوحة، مثل أي نسوب حقيقي، لدخل أيضا
 علم السحت والرسم وأعتب تشوريجيرية أو الهندسية وفيه لا يست فيه أن بعض المذبح
 التي تحمل خصائص هذه مدرسة تبدو كأنها صنعت مرة بين فصل ساحت في ساريج
 العامي للنسب خلال القرن الثامن عشر وهذا يدل أن سركوك قد كان بعض دور معونة في
 العاصمة وهي كندرية ساحر ريجو ونسوب مهندس وسار فرانسكر ولا يسبب
 Ensenanza، صفة من مدارس أربعة، الساحة وسار تشوريجير حيث
 لها من، ذات تصميم جديد، شكل جديد،
 عديداً أو تسمى على سركوك
 (C. d. d.) وانها خمسة مقسمة
 الأقل لها مائة السراي، كما أن

وطننا لما يشير إليه الاسم الذي
 عصر بناء المذبح، فإن الدفع الذي
 أسبابا لقديم هناك القاعدة على
 مساواة بين الواحدة وحامل الأيقونات
 وكأنها قطعة من الخشب أو العكس
 أيضا قدم عدد غير قليل من التماثيل مثل
 شكل هرم ناقص، ولورنتو رودريجيت،
 العاصمة وهما أندلسيان، كما أن التماثيل

كوليج المناجم، حيث عني بالشحنبيخة ارقبة القبة وواجهته لكاندرائية. وهو الذي قام
سحت النمثال الضخم لكارلوس الرابع وعندما يكون لمعماريون من أبناء السكان
الأصليين نحد قامات مهمة منها أنطويو جيريرو وفرانيسكو إدواردو نرس حبرأس ودامير
فورتيت دي كاسترو، حيث كانت لهم صلة قوية بلقن الأوربي من خلال أسسها وعلى
ذلك فإن آخر المعماريين من لأسماء المذكورة ستم سر في بناء أبرج لأحراس في كاندرائية
المكسيك على السمودج المقام في كاندرائية مملوكة والتي شيدتها ستورا رود ريخيت

هناك ناقد حديث هو جورج كسر. يعتبر من النقاد الذين لهم باع طويل في باب
الفن السابق على عصر الاكتشاف، نفت هذا الناقد لانتها ضد الفن المانع فيه إذ كان
يستلهم العقلية لغوية، حيث يلمح بعض الإسهامات ذات الصنع المحلي في الآثار الأكثر
رفعة في المكسيك. تعتبر لرحارف احصية في مصلى روساريو ساستو دوسحو في بويلا
وكذا غرفة عذراء لقصير في ملقة منتسبة دور في مثل مرة في ذكر ما قبل عرو أمريكا
Preconquest American admixtures. وسبق تصوير شكل حصص على أنه
كيف أن العديد من العناصر المعمارية المكسيكية التي يرجع إلى القرنين الثاني عشر تسنوح
قطعا أندلسية سابقة عليها ومع هذا من غير مستبعد أن تكون هذه الحديت عن نوعية أو
شيء من هذا القبيل. وما لانت في هذا المجال من شئ وندت في عاصمة
المملكة وجرى إدخالها أنشبة تنقلت من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد ما بين النهرين
إبحث - تحذروها بقوة وحيوية لدرجاتها من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد ما بين النهرين
مع مرور الوقت غرت هذه القطعة. لهذا وسمي هذا القرن بالأسبانية في كفة الحاء
شبه الجزيرة لكن في مدريد فقط كان هناك بعض من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد ما بين النهرين
مدرسة ذهبت بهذه القطعة إلى ابحار وبعدها سيجد من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد ما بين النهرين
ودور العبادة^(١)، وفي الوقت ذاته نجد أنها وصلت إلى بلاد ما بين النهرين إلى بلاد ما بين النهرين
واستخدمت في عدد لا نهائي من الواحات التي ستجدها في بلاد ما بين النهرين إلى بلاد ما بين النهرين

(١) الفن والمعمارة في أسبانيا والبرتغال وأثرهما (١٥٠٠-١٨٠٠) The Peninsular History of Art، ص ١٩٥٩

(٢) ديجو أنخولو إيجيت "تاريخ الفن الأسباني الأمريكي" جزء ثاني، ص ٥٥١

هذه القطعة الباروكية، الهرم الناقص. كانت نوعا من المقابلة ورد الفعل الأكثر اكتمالا على الخطوط المنحنية التي تُرى في العمود التقليدي بما لها من شكل هرمي مقوص ومكعبات وزوايا وحواف وأحرف وانكسارات وتناقضات عنيفة من الضوء وظلال وكانت هذه القطعة مدعوة لتقدم أفضل ما عندها تحت الشمس الحارقة في المرتفعات المكسيكية في إطار تكوينات كبيرة إيقاعية وقد تحررت من أية وطيفية لصلق لها. كما كانت منسقة مع الإطار الطبيعي المحيط والذوق الذي عليه السكان الأصليون يحدث الشيء نفسه بالنسبة للعقد المتعدد الخطوط حيث يمكن البحث عن أصوله في التاريخ البعيد خلال العصور الوسطى وخلال العصر الشرقي الهسباني^(١) لكنه قدم أفضل ثماره في أسباب جديدة وأسهمت مواد البناء من الـ tezontle المائل للحمرة والكتل الحجرية البيضاء chiluca في إصفاء السمة الطبيعية على الأشكال المعمارية، ولو كان هذا قليلا، فإن لأرض الرحوه الطرية التي شيدت عليها العاصمة أدت إلى انه عندما فقدت الكثير من المباني قواعدها تركت على ما يبدو بصماتها الأرضية في الكنائس والقصور

ومع هذا لا يشعر الأسباني الذي يتحول في المدينة التي ترحع إلى القرن الثامن عشر والأكثر ضخامة بين كافة المدن المتحدة بالأساس، والتي لا يمكن مقارنتها إلا بالقبيل من مدن الأوربية، إلا بالقليل من الاسفراط رغم تفرد المدينة جغرافيا واحتشاعها شهي أسبابا قديمة أو جديدة^(٢) هي ذلك الساحل من كوسومستيل أو مقر الكاندرانش المكسيكية الحد الفاصل يكمن فقط في ذلك، ورحلة التهرجة أو تشكيل المعنى، لكن فيما يتعلق بالتجربة الشخصية لكاتب هذه السطور تكمن التكد على أنه سم يتمكن من فهم الرسالة الفنية للكوليجياتا Colegiata التي سمى بها من خلال الكوة الضخمة لمدخل المحاط بالمحوتات وأبراجها النحمة وكان يرمقها يوميا سواء بطلقة تأملية أو عارة أثناء دهايه وإيابه من المدرسة، وظل على هذا حتى اكتشف أعمالا أثرية مشابهة، أكثر قوة وفانتازية، يلفها شعاع نوراني فريد لا مثيل له، في الهضبة المكسيكية.

^(١) المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٥٥٣ وما تليها

XXIV الانعزال والتقدم

من المؤكد أنه يوجد في الفن المكسيكي خلال القرن الثامن عشر، في الكائنات الرائعة ذات الأسلوب الباروك مدح فيه *ultrabarroco*، طابع أكثر همسية *hispanico* وأقل أوربية مثيرة. مدح التي ترجع إلى لقرون لسابقة لم تصل الأنماط اسرؤكية في أي من المدن في الفترة المعجوز. في تلك لفظة الملموسة التي هي من أهم سماتها في شبه جزيرة أيبيريا وكذلك الأسر شكل أكثر في أساليب جديدة. وجدت امسكة الكاتوليكية نفسها بعدة، في عمية سلام في *ultrabarroco*، عن مدرة النية التي دخلت إليها الكثير من المدن لأوربية واسباني وجدت مسية مدرة على أن تعتمد حصرياً على قوتها وعدم شعرت بتجسبات في ذات سوحات جديدة ذات الطابع العقلاني والعاطفي لأوربي استعنت حدود باروك همسي. وسبقه ضوء في أساليب جديدة على الضوء والظلال والتكرار المنحرج ومثل في مدح وشمع

نعم، لقد شدت روح عصر سوري في بلاد سوريون ثم انتقل منه إلى الهند الغربية وفيها يتعمق الأسلوب اللاتيني-الهمسي في مدح يرجع بمقصور لسابقة بعد أنه عدم نصهر المعتقدات نفسها في حساس حرمي وحدث، اساء من ذلك، وحتى آخر أفراد اربعة، فإنه يتم تعبير مدح مدحهم معوية بأسلوب اسرؤكيا وشر موسوعة وأكثر ثقافة وأزستقراطية والذي يمتد زمر حي هو شخص كويت اراداً، كمتبادل لشخص الكاردينال نيسبروس. نكن لا يجب أن سأل في همية سوحه جديد، ذلك أن أسلوب عصر التوير اصطدم بعدة عقبات مهمة سواء كان في أساليب أو في الهند الغربية وذلك سبب ما عبه من تنظيم اكتملت ملاحظه فن ذلك شريين من انرمان لا يستوي القيام بساء

منى كولونيالي، ذي مخطط جديد طبقا لمخططات العقلانية الحديثة، مع القيام بإصلاح منزل كبير حيث كان الأمر والنهي في يد الحوائط الصلدة وأساساتها الحجرية والإبنية

خرج أوتس كابديكي Ots Capdoqui إلى خلاصة مفادها أن الاستبداد التسويري لم يكن قادرا على حل "مشكلة الهندي"، رغم أنه تمكن من رفع المستوى العام للثقافة في الهند الغربية، ولم يقتصر الأمر على هذا بل خلق في نفوس المخلطين والكريو نفعة كبيرة، ذلك أنه جعلهم أكثر بعدا عن ذي قبل عن الحياة السياسية والإدارية وهنا فإن الإصلاحات في شئون البلدية الشهيرة التي أمر بها كارلوس الثالث أسهمت في المزيد من المخططات المجاليس، وليس الإغلاء من شأنها، من خلال زيادة التأثير الحاسم على قراراتها من قبل التاج^(١) لم يكن في كل ذلك نوع من احلل بل كان هناك سطق استناجي يعتمد على مبادئ سياسية، ذلك أن الاستبداد التسويري في جوهره كان يميل إلى المركزية وإلى التمييز العرقي ولا يمكن له أن يتوصل لحل المشاكل العويصة في مجتمع مختلط

ومن حقائق الأمور كذلك أن بعض الأيديولوجيات خلال القرن الثامن عشر ساعدت على التوصل سريعا حل "لمشكلة الهندي" فمثل الشائع في أراضي أمريكا الشمالية والقاتل "only a dead Indian is a good Indian" "الهندي المقتول هو الهندي الحيد"، كان يقدم حيث "فصل من عدد حل" بعاء مشكلة "وما لاشت فيه أن السكان الأصليين في مناطق الرعي في أمريكا الشمالية كان يميل بشكل أكثر إلى الموت مقارنة بذلك السلمي في المرتفعات المكسيكية" كتب "أوتس دي توفيل A de Tocqueville يقول^(٢) "لقد سافرت إلى أصقاع شاسعة كان يسكنها اليهود الناصرون بالحياة وهم اليوم لا وجود لهم... كانوا يشعرون بالشرور التي كتب يراكم على رؤوسهم عاما بعد عام وأنهم سوف يهلكون عن آخر رحل منهم بد، دفعوا العلاج وأنه يجب استخدام القوة لإجبارهم على العيش" لكن من يستطع أن يصل إلى عمق الروح الجماعية؟ ربما أسهم العلاج في الوقت المناسب الذي كان يمكن أن تقوم به مجموعة من اليسوعيين

(١) حوسبه ماري أوتس كاديدك الهيئات التأسيسية في "تاريخ أمريكا والشعوب الأمريكية"، مدريد ١٩٥٩ ص ١٣٩

(٢) المصدر السابق، لطبعة المذكورة، ص ٢٣٥

لترسيير خلال القرن السابع عشر في هذا الميل الغريب للانتحار الذي أسهم بشكل حاسم
في حل مشاكل سياسية ومشاكل تتعلق بالضمير

ومن البراهين الواضحة الدلالة على أن عقلية القرن الثامن عشر لم تكن على
استعداد لمواجهة المشاكل الضخمة القائمة في مجتمعات الأسبانوأمريكية. هناك حركة
بعدها نحو العالم الجديد التي انطلقت في منتصف القرن وانساق وراءها الكثير من العقليات
الأوروبية من الصف الأول. وسوف يقوم بوفون Buffon بالدفاع عن نظرية "عدم نضج"
الفترة الأمريكية، حيث نجد أن مملكة الحيوانات فيها هي الأدنى أو أنها ضعيفة مقارنة بما هو
موجود في العالم القديم. وقد لاحظ ذلك علماء الطبيعة الهسبان خلال القرن السادس
عشر أما الجديد فكان هو الرؤية العلمية المصحوبة في آن معا بحكم الإدارة التي يغلفها.

وأمام البعد الأسطوري للسكان الأصليين والطبيعة في العالم الجديد التي صورها لنا
الأب دي لاسلي كاساس وكدا موتولينا Motolina وتركمادا Torquemada
وكثيرون آخرون من الكتاب، هناك اتجاه آخر بدأ في الصف الثاني من القرن الثامن عشر
وبداية التاسع عشر بسحو إلى "إلغاء تلك الصورة لأسطورية شكل راديكالي وهذا يؤكد
بوتون شكل ساحر أن أكثر حيوان في العالم الجديد هو التابار tapir البرازيلي أي
الليل الأمريكي - وهو يبلغ حجم عجل يبلغ من العمر ستة أشهر أو بغلة صغيرة".
ويصم الي هذا كل من هوم Hume وفولر وموسكيو ومعهم آخرون ممن يقللون من
 شأن العالم الجديد والدين من بينهم في المقام الأول حد كاتا أقل شأنًا لكنه ناظم وفظ
في المناقشات المحتدمة، ألا وهو البروسي دي تاو De Tade وفي رد فعل يصعب فهمه
نجد أنه عندما وصل العالم القديم إلى واحد من المعصور الي ساد فيها التفاؤل بشدة
يتعرض العالم القديم للهجوم والاستهجان، فلم ينسر الأمر فقط على سكانه بل شمل
عالم الحيوانات فيها وعالم النباتات والطقس وكذلك حيولوحته

أثر هذا الموقف الاحتقاري، الشديد التصارب من حيث المبدأ مع الروح
الكورموبوليتية لعصر التنوير، تأثيرا كبيرا على سكان الهند الغربية الهسبانية مقارنة بالتأثير
لدي تعرضت له المستعمرات الإنجليزية في أمريكا الشمالية، إذ كانت أقل مساحة وأقل
نصحا كما أنها تقع في منطقة جغرافية ممتازة وقادرة، بفضل هذا، على الدفاع عن نفسها

دون حاجة إلى أدلة وبراهين مثل تلك التي استخدمتها المقاطعات الموجودة في جبال الأنديز دفاعاً عن نفسها. أصف إلى ذلك كان هناك هجوم مقنع يستكن تحت الشكليات العلمية والفلسفية موجه إلى ذلك البلد الذي ارتكب الفعلة غير الرصينة الرابعة في أورة السكان الأصليين في هذه القارة المعصوب عليها. وانطلاقاً من هذا هب عدد من الكتاب الذين يكتسبون باللغة الأسبانية على شاطئ الأطلنطي للدفاع عن القارة الأمريكية حيث سلطوا الضوء على الظروف التاريخية الجديدة، وعلى ضوء عالم أوروبي عدائي وغير مبال للاشياء ما حوله. استمروا على نهج كتاب الحوليات الهندية العظماء خلال القرن السادس عشر

أحدوا بذلك يعيدون إحياء روابط المصير التاريخي الذين يربط الشعوب المتحدة لأسبانية لم يكن الأمر مجرد مشكلة أدب الصفوة، بل من الأمور بالغة الدلالة أن كلام كلابيغرو (Clavigero) ومولينا وبيلاسكو وموكسو Moxo... الخ أعلنهم من اليسوعيين أسرعوا أقلامهم للمشاركة في هذه المعركة "ضد الطائفة الخديثة من الفلاسفة المعادين للأمريكان" والتي ربما بدأها بكلمات حامية أحد الكريو الديناميين، في برلين تحديدًا، المديس التي شهدت أستاذية الكرسي لـ De Pauw، الأكثر نقمة بين أولئك الفلاسفة كان اسم ذلك الفتى حواري بيثتي جويس باتشيكو دي باديا، وكان في مهمة تطواف في أوروبا من أجل "تحسين مستواه" بعد أن طاف، للغاية نفسها، بالكثير من الأقاليم في العالم الجديد، الأمر الذي يسهل له الحصول على الكثير من البيانات الإيجابية للرد على تلك الطرقات الأكثر شيوعاً وهي أن الرجال الأمريكيان هم من أقل الناس ميلاً إلى الشغف بالجنس وأن اللبن يتزل من أثدائهم^(١).

كان ذلك الكريو ابن أول كونت دي Revillagigedo ربيعاً خيخيدو، نائب الملك في أسبانيا الجديدة، وهو المنصب الذي سيشغله هو نفسه بعد أن اجتاز دراسة الحرب في أسبانيا والتي برز فيه لدرجة اعتباره أفضل نائب للملك لأسبانيا الجديدة على الإطلاق هذا الكونت ربيعاً خيخيدو، الذي كرمته المكسيك عام ١٩٣٣م، ينشر كتابه المعنون "رؤية الحاكم" Juicio de Residencia الذي يعتبر شهادة رسمية على أدائه الرائع في الحكومة، حيث قام بتجديد عاصمة نيابة المملكة وبذل جهداً لا يكل في تحسين إدارة المدن

(١) أنطونيو غريبي، العمل السابق، ص ١٧٥.

وتربية والنشون الخيرية والمالية والرياسة والاتصالات والدفع عن البلاد. الخ كان
دكتور النائب الملكي يعرف أن على أسبابا القيام بإصلاح مسار حكومتها في العهد العربي
بكر تحت هذا يجب أن تحافظ على ولائها للتوجه التحضري وهو توجه يصعب للمعية على
الشعوب الأوربية فهمه في تلك السنوات التي عاش فيها.

كانت أسبانيا الجديدة هذه هي التي قام بتحديد نواب الملك كارلوس الثالث
امتارين والذين يبرر من بينهم كونت ريتا خيخيدو آخر سلسلة نواب الملوك في تلك لفترة
ولتي كانت على وشك الانقطاع بعدما قام كونت حودوي (Rodoy) بتعيينه، وكانت هي
لتي زارها ألكسندر فون هومبولت في نهاية رحلته الطويلة عبر القارة حيث ترك لها صورة
كاملة عنها مستخدما ماصح جغرافية وإحصائية دقيقة. الأمر الذي يجعل من هذه الصورة
وثيقة لا تظير لها لمعرفة ما كانت عليه منتمعات بيبة الملك في آخر مر حلها

نظام لأول وهمة أن المكسيك بعد مكتمل يعيش حالة اكتفاء ذاتي بثمنه لأساس
لأريكس - طبخاله في إطار وحدة أسباب جديدة وحوالته لا يسودح نوحيد في منطقة
حارة لامة مكونة من ثمانية ملايين تحكمها قوانين وشمات أوربية حيث يزرع هناك السكر
والكاكاو والقمح ولعنب كما لا يكذب واحد هناك عند سرعو من الأرض الأثرية.

ورغم أن المزارع الهندي فقير فهو حر كما - حاشه - أفضل بكثير من اقراه من
القرويين في كثير من الأماكن في أوروبا الشمالية. و - حاشه - من يعمل في حقن شعبد في
أسبانيا الجديدة فهو يحصل على دخل أفضل من من يعملون في هذا الحقن حيث
يحصل على راتب يصل إلى ستة أضعاف راتبه في أوروبا. وحاشا يسترشد بمعاراة لتويسي
يقول فيها 'إن البروليتاريا احرارية' التي يوجد حارج معرف كانت أفضل حالا في
المعاملة من 'البروليتاريا الداخلية'

وإحالا للقول فإن المستوى الاقتصادي في أسباب جديدة كان أعلى مما كان عليه في
أسبانيا، ذلك أن همبولت كان أشار إلى أن متوسط الدخل للفرد كان سبعة بيرة لكل
مواطن في شبه الجزيرة مقابل عشرة بيرة لكل مواطن في أسبانيا الجديدة وأربعة عشر بيرة

١ مقال سياسي حول مملكة أسبانيا الجديدة - الجزء الثاني - ص ١٦٠

للفرنسي لكن ذلك لم يحل دون أن تكون المكسيك، البلد الذي ظلت ساحته تنتج ثلثي الفضة الأمريكية حتى نهاية القرن الثامن عشر، عملية استثمارية جيدة للتاج الأسباني فمر خلال متوسط اليوميات التي قدرها الجغرافي الألماني بأنها أغلى خمس مرات من عليه الهند البريطانية، ومع تعداد للسكان أقل خمس مرات، كان الملك الأسباني يتلقى من المكسيك ربخا صافيا - ثمانية ملايين بيزو - وهذا ضعف ما تتلقاه بريطانيا العظمى من الهندستان^(١)

لم يترك همبولت أمر الكشف عن جوانب معتمدة في ذلك المجتمع وعرضها، والتي كانت فيه مثل الفوارق بين السلالات والمجموعات الاجتماعية المصطهدة مقارنة بالبيرو على سبيل المثال. كانت توجد في المكسيك ثروات ضخمة جمعها من يقومون باستغلال المناجم وكذلك الإقطاعيون مثل حالة كونت نلسية وكونت رجلا وماركيز فوجواجا Fogoaga. كما أن بعض الأساقفة كانوا أكثر ثراء من الأمراء من احكام الأمان وعلى هذا فإن الحو المحيم في عاصمة نيابة الملك نوع من حياة البذخ شعر بها البارون فور همبولت إن لم يكن الفيلسوف، فهو ذلك الأرستقراطي المنتع على العلم

هذان التياران في شخصه كان يمكن لهما أن ينعيشا وذلك عندما تمكن الرحلة من اكتشاف سيدة فاضلة هي مدام ستايل المكسيكية "de schône Rodriguez" دت السمات الروحية التي تتفوق على جمالها الأنثوي^(٢)

كانت الطبقات القادرة في المكسيك تركز جهدها في خدمة الأمر، على حقول رعاية الفنون الجميلة بأن ترسل أبناءها للدراسة في أكاديمية سان كارلوس، التي تأسست تقريبا لأكاديمية سان فرناندو في مدريد، والتي كانت تنتج انبائها لصلوات دور تميز يسهم في السلالة أو الطبقة الاجتماعية وتقدم لهم، في مجال التعلم، "سلسلة من الأعمال احصية الأكثر جمالا واكتمالا لا مثيل لها في ألمانيا"^(٣). لكن كانت هناك هيئة أخرى تثير المربد من الإعجاب، بها هسبانos، مقارنة بتلك التي حارت بعجاب همبولت: إنها "كوليج التعدين" ففيها أمكن للطالب أن يتحدث لغته، إذ بالإضافة إلى المهنيين الحرمان في

(١) المصدر نفسه، الجزء الرابع، ص ١٨٨

(٢) Vid هوبيك "الكسندر فون همبولت" ويراندا ١٩٥٩م، الطبعة الأولى، ص ٢١٦

(٣) "مقال سياسي حول مملكة أسبانيا الحديثة"، الجزء الثاني، ص ١٢٢

هذا المركز كان هناك إثنان من المدرسين الأسبان وهما فاوستو اخويار F. Elhuyar
 ومدرس مانويل دل ربو. حيث درسا على التوالي في فيينا وفراي مريخ Freiberg. حيث
 كانت هناك أفضل مدارس التعدين في كافة أنحاء أوروبا والتي كان همبولت نفسه طالما
 فيها

تمكن همبولت على مدار رحلته من ملاحظة المستوى الرفيع الذي وصلت إليه
 الدراسات في علم النبات في الهند العربية حيث ساهمت الحكومة الأسبانية في تطويره
 بدعمها الاقتصادي الذي فاق ما فعلته أي دولة أوروبية أخرى تمتد مدائح العالم الألماني
 أيضاً إلى تلك الفصول الأكثر تقدراً طبقاً لروح العصر. المسارات البحرية، والطريق
 'البريد' الذي كان يجرى بأداء بين حديقة أمكسك وبراكروث والإشاعات الهيدروليكية
 لتعريف مياه البحيرة. حيث تعتبر كل هذه من أفضل الأعمال في تاريخ الأسبانية، وشرطة
 المدينة ومشروعات القنوات الرابطة بين محبطين والعمل على تنسيق النجارة
 الداخلية الخ

وفيما يتعلق بخدمات البريد التي تسمح بتمتع في رحلتي الانقصال بشكل منتظم مع
 من هو في المكسيك الجديدة أو كينيسوما الجديدة مع وجود مسافة تساوي مسافة بين باريس
 وسبام أو بين فيينا ورومن الرحلة تصبح. حيث أن المسافة بين كل عليها همبولت
 واضحة ومتعددة مع ما يرى. فكل من هذه المسافات يتقارب - التي يمكن
 اعتبارها واحدة من أفضل الأعمال في عصرنا الحديث - بعد مساهمة في تسريع انتقال
 الأفكار. وأصبحت شكوى المستعمرات تصل إلى أوروبا كما أن السلطات العليا
 تنويعت في مشاكل كان يمكن أن تصل مقبولة في تلك المسافات الطويلة

بلا حظ من خلال الصفحات الكثيرة التي سطرها همبولت حول الإعجاب التي كان
 يشعر بها إزاء النشاط الدفوف الذي يقوم به ساح وبادرت مركزية المستولة عن الهند
 العربية لصالح الرعية من الأمريكان الذين كانوا يعيشون في أوضاع بعيدة ومتفرقة وهي
 جهود أحياناً ما يعيقها صغار الموططين كما أن من المؤكد أيضاً أن ذلك انحراف سوف

¹ 'رحلة إلى الأقاليم الواقعة في الاعتدال الشمسي في بقعة حذرة' - ١٨١٥. كتاب لاوي. الفصل الأول.
 ص ٥١-٥٢

يصمم بصفته مشاهد منحمنس إلى اجمهور الذي شارك في تكريم المدينة - أثناء إقامته في المكسيك - للملكها حيث تحت له مثالا من الرويز ووصعته في أفضل مبيديها

من المؤكد أيضاً أن همبولت الذي عرف المثلث كارلوس الرابع في زحوت Aranjuez قبل أن يبدأ رحلته. قد ادرك أن قدرته وسماته الشخصية كانت أقل من هذا المنصب الرفيع وأن الهدف الرئيسي له كان يتمثل في الهبة التي كان يحسدها والتي تسم بالسيادة والرفعة مع وجود البعد التاسع حيث لا يكاد الناس يدركون السمات الفريدة لحامل الثقب. كما لا يكاد يتم اكتشاف تلك الملامح من خلال النوحات التي رسمها حوبا نكارلوس الرابع والتي لا تكاد تلمح في لست من محوت من روبر كس لم يكن راعي هذه الاحتمالية على درجة رفيعة إذ كان الماركيز برنتورني Branciforte الذي صعد إلى منصب نائب الملك في أسابيا الجديدة على يد مكوت حودوي بنقل صدة لسب التي تربطه به لكن هذه النظرة الطيبة ليهود الذين كانوا يسمون عن كتب عممة انتقال التمثال عبر شوارع المدينة من الورشة التي تم صهره فيها وحتى مقر سدي اقمه فيه، وكذلك متابعة القيمة الثمينة للعمل كانت نقد الاحتمالية من مذاب سحاصة وتحويلها إلى تكريم رمزي. يكاد يكون رثاء. من قبل الرعية في أسابيا الجديدة لذلك سمى لاستغورية التي وحدو فيها على مد ر قرون ثلاثة سدهم وملاذهم

رغم أن حجم هذا التمثال، الذي اذعه ماسون جرس M Tolon كان كبيراً إذ يمكن أن يضم بطن احصان حمسة وعشرين رجلا صمد برات بعض امور حتى جرى صهره في المكسيك في بعض الأفران التي شيدت في مدرسة سان خريغوريو القديمة تحت إشراف سلبادور دي لاييجا الذي يتمتع بمهارة شديدة في صناعة الاحراس كان التمثال صحنه ومتفخا يبدو، ولا يزال حتى اليوم. وكاله على ونبت الصهيل مما يبدو عليه من حيوية نيبة. ولانت أن المدع استلهم العمل الفني جيراردون Girardon الذي يمثل لويس الرابع عشر. ولانت أن ذلك نموذج مدلع فيه نالسة لمن هو من سله الذي كان يجلس على عرش مدريد. غير أن المهم أنه يتمثل في الإبداع الفني في حد ذاته ورفعة الأشكال والرمزية السياسية والكمال الفني وفي كل هذا الحد المثال م تولسا يتفوق على الفنان الذي

استلهمه^١ أشار همبولت^٢ إلى أنه "إذا ما تم استثناء تمثال مارك أوريليو في روما فإنه أكثر بهاء ونقاء أسلوبيا من كل ما بقي لدينا من هذا الصنف في أوروبا".

استغرق السلنسي أربعة عشر شهرا لصهر التمثال، واستغرقت عملية نقله خمسة أيام حتى الميدان الكبير حيث كان موضوعا على عربة ذات ست عجلات من البرونز وفي يوم ٢٨ ١١ ١٨٠٣ م تم وضعه على القاعدة بعد أن جرى وضعه قبل ذلك فوق سلم سيد لهد العرص، وكانت عملية شديدة الدقة حيث كان نائب الملك وأقربائه من المراقبين لها وهم في شرفات القصر المحاور مباشرة. تم وضع التمثال على القاعدة المحصنة له في اليوم التالي وأنتى الجميع على عقربية الآلات التي ستكرها^٣ نولس لرفع ذلك الحمل الثقيل والسبل

له يكن الإطار المعماري أقل عظمة وسلا، فميدان الكبير في امكسيك كان قد جرى تليطه بالكتل الحجرية في عصر الكويت الذي رب جيحيدو، كما جرى تنظيمه من الباحة احصرية على يد مدير العمارة في الأكاديمية الملكية سر كارلوس وهو السيد أنطونيو حونتيل بيلانكيت، وذلك لاستقبال نصيف املكي كانت الأعمال الحارية في الكندراتية على وشك الانتهاء حيث كانت توضع المناسات الأخيرة على رقعة التلة والأرج والواحدة طبقا لمحضقات ورسمت من قبل نولس نفسه وشكل منعدم على واجهة الكندراتية كانت مدمجة فيها نصيف املك، الطوبية والهدنة، في المكان الذي احتاره كورتييس نفسه. وقد استقبله (الملك) وبعض من امكان الذي احتاره كورتييس نفسه. وفي هذا الموضع حيث كان يوجد مدخله ساحة الأخرى ربيعة الشأن تكمل الدائرة حول الساحة حيث كان يوجد مدخله ساحة بصوية بعض الشيء يحيط بها سياج من الحديد حبله في اصراف المحاور وحارح هذا السياج، وتعيدا في أرض من الحديد من أربع دهورات كوع من الحماية تمثال الملك لا توجد مبادئ كثيرة في الساحة من قبل مقاسهاها سلك لرقعة المعمارية لعمرانية

كان مناخا مختلفا عن ذلك الذي برأه في مصلى اليهود "سان جوسيه دي لوس ستورالس" عندما كانت تعقد فيها الاحتفالات من أجل الإمبراطور كارلوس الخامس.

^١ هامبولت نوست الفن الاستعماري في امكسيك، ص ٤٣٦

^٢ مقال سياسي حول ملكة إسبانيا الجديدة، الجزء الثاني، ص ١٢٣

فأمام الأثر المدجن الهش المشيد من الخشب هناك الأبراج القوية ذات الطراز الكلاسيكي الجديد، وأمام المنصة التي ارتجلها كلاوديو دي أرثييجا C. de arciniega، يوحد التمثال الأبدى المصنوع من البرونز، وأمام المزامير chirimias والإيقاعات الكنسية هناك السماعات المرحية الصادرة عن النوافير والأجراس. وعندما أطل نواب الملك من الشرفة - ضفة للجازيت المكسيكية - "هناك الصمت والتربق من جانب الأعداد الغفيرة التي تملأ المسرح الكبير وكافة شرفات المباني المجاورة والأسطح وكذلك أبراج الكاندرانية حيث كان ذلك يشكل عملية ترقب جدية بالإعجاب . . . " وعندما أعطى نائب الملك الإشارة بد رنين الأجراس وتم قطع الستار الذي يغطي التمثال الملكي إلى نصفيين

يشرب الحصان "الكبير البطن طبقا لأسلوب وحرفية من صممه - من ورد السعادة التي عليها الأعمال البرونزية المماثلة، وإضافة إلى ذلك صوت انطلاق الصفات من عشر قطع مدفعية تشريفا للتمثال حيث هناك خمسة صوب لتقصر وخمسة أخرى في لانه المقابل. جرت تحية الأمراء الملكيين بثلاث طلقات عامة، وإلى أصوات لأجراس أُنعت التهتافات بالحياة من قبل الجمهور بينما كانت القوات تسير في عرص عسكري وقت تركت ستة حراس حول قاعدة التمثال. أضيئت المدينة على مدار ليالٍ ثلاثة وحررت احتفالات شعبية وأرستقراطية^(١).

كان الأمر نوعا من تمجيد الملكية، وودع إمبراطوريتها الهيدية وبعد عشرين نه تدمير الأسطول الأسباني القوي في ترافلجار. وبعد ذلك ثلاث سنوات تمت لإضحة بنائب الملك الذي افتتح ذلك الأثر. بعد شهر قلبية من تدارله امهين عن حقوقه في لهد الغربية لصالح نابليون تلك الشخصية التي تحظى بالاحترام لتسديد في إفريز حنة Zócalo.

وفي عام ١٨٢٢م ظهر إيتوربيد Iturbide الذي لم يستمر إلا قليلا للاحتفاء بتنصيبه إمبراطورا على الطريقة الأيبيرية من خلال مباراة لمصارعة التيران. وترك نيبال الجميل ذا الطابع الكلاسيكي الجديد فضاء بينما نجد كارلوس الرابع يمتطي صهوة احواد بالسخرية القدر! - ويبحث عن ملجأ في صحن الجامعة.

(١) إريك لا فوبوتي فراري، نائب الملك إيتوربيد ووصول استقلال المكسيك، مدريد ١٩٤١، ص ٣٣-٣٤.

XXV- من المكسيك إلى فيلادلفيا

لم يكن الإطار على الوضع الذي عليه أسبانيا الجديدة من قبل العالم الألماني مجرد انطباعات شخصية أو جراء التفوق النسبي في الازدهار الذي كانت عليه أسبانيا الجديدة مقارنة بالأقاليم الأخرى في الهند الغربية

قام العالم الألماني همبولت بزيارة الولايات المتحدة قبل العودة إلى أوروبا واستقبل استقبالاً كريماً من قبل الشخصيات البارزة في البلاد لدرجة أن الرئيس توماس جيفرسون استضافه أسبوعاً كاملاً في منزله وتناقش دائماً مع العالم الألماني حول موضوعات فلسفية وعلمية وسياسية. كما استقبلته "جمعية الفلسفة في فيلادلفيا" التي تعتبر المركز الرئيسي للحياة العلمية في الولايات المتحدة وكان استئصالها له كضيف شرف وسجلته كأحد أعصائها. ورغم كل هذه الحفاوة وكاختصار للحرية الكاملة التي مرّ بها من خلال الكثير من المدن الأمريكية بدءاً بمدينة ليما وحتى نيويورك كتب يقول: "ليست هناك أية مدينة في العالم الجديد بما في ذلك الولايات المتحدة بها مؤسسات علمية قوية وعظيمة مثلما هو الحال في عاصمة المكسيك"^(١). وهو في هذا كان مقتصراً على تكرار الرأي نفسه الذي صدر عن رجل عظيم يتسم بالأمانة هو فراثيسكو دي ميرابدا رائد الاستقلال والرجل الذي قام بزيارة الجامعات في أمريكا الشمالية قبل ذلك بعشرين عاماً.

كان همبولت يعتبر أن العالم الجديد "عندما يفيد مما كانت فيه أوروبا من كوارث وإشفاقاتها سوف يحقق تقدماً مذهلاً في طريق الحضارة" دون ذكر لاختلافات في هذا المقام بين أسبانيا الجديدة والولايات المتحدة، كما يعترف لهذا البلد الأخير بوجود ميزة هي النمو

^(١) مقال سياسي حول مملكة أسبانيا، الجزء الثاني، ص ١٢٢

السريع في تعداد السكان، لكن لم تكن أسبانيا الجديدة كذلك حيث لم يكن لديها عبيد. وهم الذين أبرزت من خطورتهم ثورة سانتو دومينجو.

وبعد معركة أياكوتو Ayacucho أخذت فكرة السير في خط متواز بشأن مستقبل المكسيك والولايات المتحدة تشق طريقها بمناسبة التعليق على "مقال همبولت" من خلال مقال نشر في "Le Globe"، الصحيفة التي لم تكن ذات ميل للعالم الهسباني في هذا الجانب أو ذاك من الأطلنطي. تقول المقالة بالنص: "هذه الأمبراطورية الشاسعة والغنية بمناجها والزراعة فيها والتي يصل تعداد سكانها إلى ثمانية ملايين تتمتع بالسلام الداخلي وتنافس الولايات المتحدة الأمريكية الشمالية، وهي إمبراطورية تحت نير حكم الاستعماري الأسباني خلال القرن الثامن عشر ومع ذلك حققت تقدماً سريعاً. وقد نحاض هذه الحقيقة كتاب همبولت ولم يسلط عليها الضوء، وإذا كان الاستعمار لم يمنع زيادة الثروة فهل من غير الممكن أن نتوقع الحرية؟" (١)

الأمر المؤسف أن الحرية في الجمهوريات الأسبانية الأمريكية لن تؤدي التمار المرحوة منها وفي هذا المقام نحد قصة قصر "التعدين Mineria" الذي كان في مرحلة التشييد أثناء ريادة همبولت للمكسيك إعمالاً لخطط مانويل تولسا التي جرى عثمها، عام ١٧٩٨ م. له دلالة كبيرة فقد انتهى البناء في ١٣ ٤ ١٨١٣ م وكتب ١٥٩١٤٣٥ بيرو يلاحظ أن هناك قماش يتم القصر منه - طبقاً لكلمات مانويل توست - وبعد ذلك بأحد عشر عاماً، أي ١٨٢٤ م كان المبنى مهدداً بالسقوط بسبب التشقق الذي عليه القبة التي كانت فوق السلم جرى تقديم ميزانية قدرها أربع مائة ألف بيرو لإصلاح المبنى لكن كانت التكلفة مبالغاً فيها في نظر الحكومة المكسيكية التي حصلت على استقلالها ولم يتم فعل شيء. وفي عام ١٨٣٠ م قدم المعماري الفرنسي أنطوان فولارد عرصه وسنطاع إصلاح القصر مقابل ٩٧٤٣٥ بيرو وبهذا تم إنقاذ عمل فني

ماثير الدهشة، لكن له دلالة مثل قصة المبنى، هو رأي مانويل توست "يعتبر قصر التعدين" أثراً يرجع إلى عصر لويس السادس عشر، جرى صبط كل شيء فيه سواء

(١) ٢١ أبريل ١٨٢٧ م

(٢) الفن الاستعماري المكسيكي، ص ٤١٦

كان في الواجهة أم الشرفات، ويعتبر السلم والصحن من أجل وأبهى ما هو موجود في المكسيك. وفي هذا المقام شهد المكان الحفلات الراقصة الرفيعة المستوى خلال القرن التاسع عشر والصفة التي تطلق عليه، إذا لم أكن مخطئاً، هي هذه: "الرقى". وإذا كان هذا القصر في أي مدينة فرنسية لكان مثار فخر، ومع هذا فزيارته المرة تلو الأخرى والاستماع إلى تعليقات الأجانب الذين كانوا يرافقونني وجدوه أترياً وبارداً وليس به مشاعر مقارنة له ليس فقط بالمباني الباروكية الضخمة بل بكنيسة متواضعة في قرية! الأمر هو أن الباروك وتنويعاته الشعبية آتية من أسبانيا، أي من أسبانيا الدرامية والفضة التي منحتنا ذاتنا من حيث أن هذه الأشياء الجميلة من القشور والشعر المستعار المترب، تبدو كأنها تحاول إطراء غرورنا لكن ما حدث هو إذلالنا بها.

ورغم أن المكسيكيين يحملون ألقاباً ليست هسبانية فهم قادرون على التعلق بشدة بالتقاليد لدرجة تتفوق على أشد الحالات التي يمكن أن يكون عليها السلت الأبيريون والأمر هو أن أسبانيا هذه التي منحت لأسبانيا الجديدة ذاتها لم تقتصر على أن تستخرجها من أحشائها الروحية بل من كافة أنحاء العالم الأوربي خلال ذلك العصر لم تكن كاتدرائية العاصمة أكثر إسبانية من "قصر التعديس" حيث كان كلاهما مستلهماً من نماذج مختلفة فيما يتعلق بالمثاليات الجمالية الموروثة عن العصر القديم غير أن الفارق يكمن في أن أسبانيا نجحت في تمثّل الأساليب الفنية في عصر النهضة والباروك وهضمتها ثم قامت بتنفيذتها بعصيرها الخاص، بينما نجد أن أسلوب الكلاسيكية الجديدة لم ينفذ إلى الداخل وبقي ظاهرياً لكن لم يكن ذلك قليلاً جداً كما يشير التعليق القدي المتمسك بالتقاليد للكاتب المكسيكي.

كان الأمر جد خطير ذلك أن الفن الباروك المسرف ultrabarroco كان قد استعاض آخر إمكانياته الأسلوبية، فلم يكن هناك المزيد ليم تقديمه في باب القواعد العرفية المقنونة والعقود المتعددة الخطوط تحت القباب المتعددة الألوان كما لم يكن ممكناً التراجع إلى الوراء، والتزام الاعتدال بدلاً من هذا الذبح الرحرفي أو تحويله إلي صيغ مانيرست Manierista وإلا لكان رافضاً لدافعه الحيوي. الفن المتمسك بالتقاليد يمكن أن يعيش دون أن يأفل نجمه أو أن ينزلق في هوة التكرار وذلك نظراً لالتزامه بالقواعد المتبعة، لكن الفن الذي يقوم على إبداع الخيال، يجب عليه أن يسير إلى الأمام أو أن يقضي. بقي هذا الفن

مدرستي امكسبيتي امسرف صمد و مدر جهدار انغا دكر روح العصر الذي كان فيه كنت
ممولاً صده. حيث كان هناك في اسباب الحديد بدءا بالبحث عن أشكال قبة حديدية بنسبة
مساحة والعقلانية والتساق وان نسبه من زوايا من ابوسفي الروماني مع إدخال
حديدات عليه وعندها

وكان همولت شهد بقصر محض بكون مفرأ 'مكوليج' للعديد من المرات
سعيد التساق مع روح هذه النهضة وركب من هذا الصلابة بني عبيد بهاء بقصر حيث كان
سعد مع مفهوم معمارية جديدة في عهد معرسة كانت لأعمدة الكلاسيكية
حديثة بوفرة بني تده في الولايات المتحدة كبر مساحته. وكانت عدة من احسن
في ريت أعده مكي دكسون ومن درهي روح جمهورية الحديد في اسباب النعمه
ولي الكانس ولي مكي معمة كانت : مرحلة مكوليج مدر على لأسلوب الكلاسيكي
حديثة. وهو أسلوب لم يكن يعني أنه رقيق ورقيق ومساحته أو فخور. وهذه كنه
صحت بصفته بوسيت على 'قصر متعدد' من كبر وأمر عكس ذلك. هناك تنقسم
وسميت وروح مسواة وحسب معادلة

من يسفل سرعة من امكسبيت و تدراسة من مارت حبة صورة مكي عصر
بوت ميث بني كانت تده. ثم يشوه عمارته مكي من تده متباعدة من الآخر حيث
اجتمع أدء جمهورية الحديد المباشرة بخصوص درسيه و رفع تحدسه إلى لذت
معية Alusmo. نيس أمامه إلا أن يشعر شعوراً عديداً بوضعية بعدم التساق الواضح
خلال بين مكورات المعمارية القائمة وبين بية زعمية دكر ورعا

كم مرة نبع مساحة كندرائية امكسبيت مفرده دكسبة من بوتر أو سان لوك تده
بيندي. أو كم مرة تلعب مساحة القصر محض ببالا مدر مفرده independence
Hall. إضافة إلى أن الماني في أسباب الحديد لم يكن متباعدة من الآخر واحسن من
الأمريكية الشمالية بل من كتل الحجارة احيدة مع مرعدة لأبعاد لأسلوبية لكن "عبر أن
هذه الضخامة التي تعتبر عصباً مهماً في العمارة من حيث مدلولها الاجتماعي ليست كل
شيء. كذلك هناك الكانس المتواضعة في المدينة الأمريكية والمشيقة بأسلوب منه
كلاسيكي بسيط. وهذا هي الآن محافظة بصحت السحب التي تعكس الظهور المدهش

لعصر يتسم بالرخاء والازدهار في البلاد، بينما نجد ذلك القصر المنيف، قصر التعدين، وقد أصبح يابا وغرق تحت وطأة عظمته، أي تلك العظمة الرومانية التي كانت على مدار ثلاثة قرون مصدر إلهام للمهمة في الهند الغربية لكنها الآن تبدو غير متسقة مع أسلوب الحياة المعاصرة.

ولنقل لو عاد الزمن إلى الوراء لوجدنا أن سكان المستعمرات الصغيرة في أمريكا الإنجليزية كانوا يتجهون نحو الغرب ويعبرون سلاسل الجبال والأنهار والصحراوات بينما كان ملأك الإقطاعات الكبيرة من الهسبان يتراجعون، ولكان قد تحول المتزمتون إلى مغامرين وغزاة وأمامهم أحفاد الهسبان الذين يشعرون بفقدان الأمل أو يخرجون لساحة المعركة وهم مسلحون بأسلحة لا تتواءم مع الزمان وكأنها أسلحة دون كيخوته. بدأت فكرة الحدود، الغائبة عن المجتمع الاستعماري الأنجلو ساكسوني، والتي اتسمت بالثبات على مدار فترة طويلة، تلعب دوراً حاسماً كعنصر دينامي في تطوره الاجتماعي، بينما نجد الجمهوريات الأسبانية الأمريكية الجديدة التي تقولت في الأنماط الإدارية الموروثة عن عصر نيابة الملك، والقبادات العامة والإدارات المحلية لا تبيل من قريب أو بعيد للمعمارة أو التوسع واخصر أمرها على الصراعات الداخلية أم النسب والنسب المكونة من المستعمرات الأطلنطية في أمريكا الشمالية فقد وجدت شكلاً مريباً للتوحيد سيما نجد أن الأقاليم الأكثر توحيداً وتراطلاً من الناحية الإدارية في الإمبراطورية الهندية تتنكث وتترك نفسها في كثير من الأحيان بها لتتشرذم والعرة الوطنية

هذا التحول التاريخي البديل صرب بقوة حتى وصل أعماق الحياة الروحية وهنا نجد سلباً دور دي مادارياجا يسلط الضوء على هذه المشكلة من منظور جيد: "كان الإنجليز، في حقيقة الأمر من ذوي التوجهات الاحساسية رغم أن الطاهر أنهم أكثر أنانية؛ ورغم أن الأسبان كانوا يبدوون أكثر ميلاً ليخوبوا روح دولة وأكثر إبداعاً وأكثر ميلاً لإضفاء صفة النبيل على المدن وعلى تأسيس الممالك فبهم كانوا أنانيين. فالإنجليزي بما يربحه كان يضيف الطابع الاجتماعي على معماراته ومكاسه وغائمه، أما الأسباني فهو مستشفياته ومؤسساته وكنائسه ومدارسه والألقاب الاجتماعية كان يقيم أثراً لأناء، وكان يؤسس شيئاً محبوساً عليه... التوتر عند الأسباني كان يتجه نحو الانساع أما عند الإنجليزي فهو إلى الأمام. كان الأسباني يرفع السهم من الكائندرائية نحو السماء، أما الإنجليزي فكان

يجوب بمركبه بحار التاريخ متوجهاً نحو المستقبل الذي تخيله وأبدعه بشكل أفضل من أي أوربي آخر وأصبح البحار الأكثر كفاءة في مياه الطبيعة المائجة^(١).

لا يمكن فهم هذه الكلمات - أو أنها كانت مكتوبة في إطار الحتمية التاريخية حور السمات المفترضة للشعوب المستعمرة والشعوب المستعمرة في هذا الجانب وذاك الآخر من أمريكا. فخلال القرن السادس عشر نجد أن البحارة الذين شقوا عباب تلك المياه الهائجة المائجة كانوا أيبيريين ولم يكونوا إنجليزيين. لم يكن الاختلاف جوهرياً بل كان متعلقاً بموقف تاريخي. وفي بداية القرن التاسع عشر حدث تغير عنيف في مسار الشعوب الأوربية حيث زادت قوة توسعهم في مختلف أنحاء الكرة الأرضية وكذلك في صفوف العالم المرتبط بهم وهو الذي أسسوه في العالم الجديد. وتوافق هذا التغير مع بداية عصر جديد ألا وهو الفترة المعاصرة.

وحتى يتيقن المرء من هذا التحول لمعاجي، فليس عليه إلا أن يقارن بين وجهتي نظر لاثنين من كبار الرحالة عبر الأراضي الأمريكية، والذين يعتبرون من أبرز القامات خلال القرن التاسع عشر؛ الأولى هي الخاصة بألكسندر فون همبولت، أما الأخرى فهي لألكس توكيفيل Alexis Tocqueville مؤلف أفضل كتاب عن الولايات المتحدة كتب حتى الآن. طاف توكيفيل بالولايات المتحدة من أولها إلى آخرها وكان ذلك بعد ربع قرن من قيام همبولت ببلوغ الأماكن الأكثر تقدماً في توحه نحو الغرب فمن الناحية الشمالية وصل إلى كندا الفرنسية، ومن الناحية الجنوبية وصل إلى ييو أورليانز، حيث وجد الأثر الأسباني، لكن دون أن تتوفر لديه أية نية في التعرف على جمهوريات الأسبانو أمريكية وهنا نجده يقتصر على إدراج عدة تعليقات حولها وهذه التعليقات هي تبيان لمهامه المغلوطة من حيث أنه رجل إسكندينا في، من النورماند، وليس هذا فقط وإنما انسحب الأمر على آراء "الجانكي" (الأمريكان) المتعددة في هذا المقام

الأمر عنده إذن هو أن السلالة الإنجليزية، لا مرء في ذلك، بلغت تفوقاً ملحوظاً على كافة السلالات الأوربية في العالم الجديد؛ وهي الأعلى حضارياً وقوة^(٢) إنه يستخدم مصطلح "saces" بصيغة الجمع لأنه يضع في الحسبان الأربعمائة ألف فرنسي المتواجدين

(١) العمل المشار إليه، ص ١٨١.

في كندا، وهم الذين تم إحصاءهم سياسيًا، وليس هذا فقط بل جرى عزلهم وتجاوزهم من
 خلال الديبلوماسية الاجتماعية التي عليها الأنحلو ساكسون أما رأيه بالنسبة للعالم الأسباب
 المركزية فهو في الكثير منه إدانة لأنه عالم لم يصع في الحساب الوضع الجغرافي الذي هو عليه
 "فهم هذا الجزء من العالم كتب يقول ليس هناك مساحة شاسعة من الأراضي شديدة
 خصوبة وبها الكثير من الأنهار الكبرى السكر في كافة أنحاء أمريكا الجنوبية" ومع ذلك لم
 يمكن أمريكا الجنوبية من تحمل الديمقراطية كما لم تتحمل السلام فهذه العرلة
 منده لتي تحمي بها الطبيعة الأساس في أمريكا لم تمنعهم من الاحتفاظ بالحبوش،
 ولعمري الحرب فيما بينهم سيما الأجانب عندهم هم في عداد المفقودين، وبالتالي لا يوجد
 سوى الديمقراطية الأنحلو أمريكية التي طلت فادرة حتى وقتنا الحاضر على احتفاظ على
 سلام، ثم يجتزم الرحالة تأمله بالقول بأنه "لا يوجد على ظهر الأرض أمم على هذا القدر
 من نعاسة مثل ما هو موجود في أمريكا الجنوبية

من الصعب في هذا المقام أن نعثر على آراء متعارضة للعبة لكل ما يقول ألكسندر
 بوريسولت في كتبه وفي مراسلاته قبل ذلك ربع قرن من الزمان لقد قطع هذا الرجل
 آلاف الكيلومترات عبر أقاليم صحراوية أو مأهولة بالسكان، والعيان والأودية
 مروعة ولسلاسل الجبلية حيث كان يجيم هناك "سلام هسباني"، وإذا ما كان به عيب
 كسلام مبالغ فيه كتب يقول "قلنا ألف مرة ذلك، لكن الرحالة يشعر دائمًا بأن عليه،
 بأكبره وهو أن المستعمرات الأسبانية هي أرض مصيافة" "ربما لا يوجد أي بلد في
 هذه في معرض ما يقصه على أحبه من كولمانا عام ١٨٠٠م يمكن فيه أن يجاء حياة
 هذه وهدنة مثل المستعمرات الأسبانية التي أجوب أنحاءها منذ خمسة عشر شهراً"

والذي حدث إذن خلال ربع القرن ذلك، أي الفترة الفاصلة بين هذين الرأيين
 معرضين بشكل راديكالي؟

من الملاحظ في هذا النص، الجزء الثاني، الفصل الخامس، الأعمال الكاملة لجوليسار، باريس ١٩٥١م، الصفحة
 ٣٢٠

XXVI - التباعد بين الأمريكيات الثلاثة

من يقوم بتأمل خليج نيويورك من أعلى نقطة لتمثال الحرية لا يشعر بالميل إلى التسمرق في التأملات التاريخية والطبيعة تستوعبه في أحضان حاصرها لدرجة أن المشهد يبدو كونيًا أكثر منه جغرافيًا وكأنه قد بوعد عن أي إيقاع أو أحداث مؤقتة ومن حقائق الأمور أيضًا أن هناك ملايين البشر يعيشون في ذلك المكان، لكنهم قاموا بإقامة مكان عملاقة، من أجل التوافق مع المشهد، حيث تبدو الحياة في تلك المباني وكأنها قد صغرت به كل ما فعلته يد الإنسان. ومن خلال الطائرات المكبرة يتم اكتشاف الحياة بصخبها على مهر عابرات المحيطات وكأن الطائرات المكبرة عبارة عن مجهر في معمل للكشف في هذه حانة عن عملية إعداد تاريخية؛ هذه الماقلات نشق عباب المياه بهدوء تحت ضوء الشمس صاعدة خلال فصل الشتاء، كما تكشف الطائرات المكبرة ما حول المباني العملاقة من حياة لسكان غير أنه إذا ما افتقر المراقب للموقف على الوسائل التي تقدمها له عيناه دون مساعدة لهذا الأمر شاسعًا وساكنًا لدرجه عدم الحركة.

هذا المرصد الذي يقف فيه المشاهد يدعو إلى مشهد أكبر من تلك المشاهد التي اعتاد عليها البشر، إذ هو ينسب إلى تمثال ضخيم يمثل فكرة عظيمة، وهي أفضل فكرة تعتبر محرر وراء الحياة في هذا البلد الكاث في أمريكا الشمالية، إنها فكرة الحرية. ونظرًا للتوجه من عيه fonce- idée "الفكرة القوة" التي هي محور أية حضارة، فمن الطبيعي أن يكون لتمثال الرمر في حالة حركة فيها جلال حيث يرفع شعلة تتحدى نارها شمس النهار. يصر برى التمثال مبعداً ووسط العناصر المختلفة يبدو وكأنه أسطوري، أي كأنه جن ساعد الأرض، وعلى أمريكا الشمالية كلها بلد الحريات الحقيقية.

وبمع هذا من المشروع أن نشهد على ملامح التمثال الضخم لمحة فيها تحد أكثر تحديداً من حيث توجه نحو جزيرة قريبة، هي جزيرة استاتن Staten، إذ يمكن أن تحمل اسم جزيرة

"الطغيان" ذلك أن جورج الثالث جمع فيها، خلال صيف عام ١٧٧٦م، قوة محترمة مكونة من اثنين وثلاثين ألف محارب إنجليزي من ذوي الخبرة، وذلك حتى يتمكن من "إخضاع رعبته" التي اتخذت منه موقفاً هو "موقف الأسد". كان هذا الوصف مبالغاً فيه ولو كان ذلك مقتصرًا على المنظور العسكري ذلك أن الجيش الذي كان تحت إمرة جورج واشنطن والذي يربط على الجانب الآخر من الخليج، في جزيرة مانهاتن، ومرتفعات بروكلين، لم يكن يتجاوز ثمانية عشر ألف رجل، ومع هذا كان التعبير الثاني من الحملة أمراً حقيقياً عندما تمكن من هم ذوو الخبرة الحربية في المدينة من إجلاء الجنود الاستعماريين من المواقع التي كانوا يحتلونهم وأجبروهم على مغادرة مدينة نيويورك التي استمرت طوال أمد الحرب في يد الإنجليز وتحولت إلى معسكر للأسرى.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها عبور المراكب، في حالة حرب، المياه التي تحيط بالجزيرة رغبة في الغزو. ففي عام ١٦٥٥م غادرت الخليج سبعة مراكب هولندية صوب Delaware بغية السيطرة على مستعمرات "السويد الجديدة" التي أقيمت على الشواطئ؛ وبعد ذلك بتسع سنوات كان هناك أسطول إنجليزي قادم من بوسطن حيث دخل الخليج حتى يحول المدينة التي كانت تسمى آنذاك "أمستردام الجديدة" إلى نيويورك، حيث حلت السيطرة الإنجليزية محل الهولندية. وبعد ذلك بسنوات قليلة، عام ١٦٧٣م، كان هناك أسطول هولندي آخر يقوم باستعادة المدينة مرة أخرى ومعها وادي هاديسن ولكن إلى حين.

كان هذا المقر الهولندي الصغير عرضة، منذ سُنَّه، لتهديدات بحروب رهبة من الهنود الذين كانوا على وشك القضاء على وجود أمستردام الجديدة نفسها حيث يمكن أن نرى مبانيتها المتواضعة مصورة بريشة الرسامين القدامى، محاطة بأسيجة مرتفعة من الخشب والمصحوبة بتحصينات ومعازل خشبية. وحتى الآن يمكن أن نرى في المكان الموجود، غير البعيد عن الميناء البحري، الذي تخرج منه المراكب المتجهة نحو شمال الحرية، أطلال تلك التحصينات التي تقف شاهداً على الحياة وسط المخاطر التي كانت تحياها المدينة منذ البداية.

سوف يكون خطأ تاريخياً فادحاً التفكير في أن ذلك الماضي المتقلب والحربي كان بعيداً عن مغزى تمثال الحرية، وبالتحديد عن الاثنين وثلاثين ألف محارب من أصحاب

حرة من الإخلاء الذين تجمعوا في جزيرة Staten القريبة والذين نسبوا في أن يمر جيش جورج واشنطن وسكان المستعمرات بلحظات كرب وصيق وبدون هذا الضغط الحربي نفى على زعمه رب لم يكن ثمة أخرية بهذه الصحابة والرمزية للقارة بأكملها بما في ذلك مستعمرات احتوية التي كانت تقوم على عمل العبد ولو لم تكن هناك هذه القوة وتقدير التي عليها المدينة ربما لم يكن باستطاع أن يظهر الاتحاد للنور، الذي تجاوز الأنظمة الاقتصادية والعقوبات والمصالح الاقتصادية شديدة الاختلاف، ولم يكن من الممكن أيضاً بوصول إلى نهاية للربح الطويل بين فرنسا وإجلترا من أجل السيطرة على أمريكا الشمالية واستيلاء على إقليم كيبك دون ضغط حربي آخر سابق على هذا، جاء ذلك عام ١٧٥٩م بفضل جهد كبير الذي قامت به إنجلترا التي كان يرعها ويليام بيت حيث كان قادراً على إرسال جيش إلى ما وراء سحر قومه سبيل ألف رجل

هذه الأرقام هي أكبر بكثير من الأرقام التي أمكن لأسبانيا أن توفرها أثناء حروب استقلال أمريكا، ففي عام ١٦٠٤م كانت ثلث سنوات سطمية في أسبانيا الجديدة، وفي ذلك الوقت من وحدة في محافظات إسبانية سبع ٩٩١٩ رجلاً كما أن كلفة عدد حيويتي بلغت بها أسبانيا من خلال مساعدات شديدة في الهند الغربية، خلال الفترة بين عام ١٦١٥م و ١٦٢٠م لم يكن ذلك بعدد اندى كانت عليه القوات الإنجليزية مرتبطة في جزيرة Staten، وبعد حروب أمريكا من قبل Amemillas، فإن القوات التي تم ضمها عبر الأنديز خلال حروب إسبانية المذكورة وصلت إلى ٢٧٣٤٢ رجلاً وبعد هذا التاريخ كانت لا تزال إسبانيا من حيث ذلك أن الجيش الثاني على إدارة احمدة الذي كان يسيطر على إسبانيا من على قيادة ريجو Kiego عام ١٨٢٠م، من أجل إسقاط نظام إسباني في أمريكا الجديدة، ومنه بالنسبة لعدم الذهاب إلى أمريكا، وخلال ثلاث سنوات من الحروب من قبل من سطر حدوث أي شيء من وراء هذا التآخي الأيديولوجي بين إسبانيا وإسبانيا

مادامت أي قوة حربية يبلغ عددها ٢١٣٤٢ رجلاً أرسلت في حملات عبر منظمة وشكل مرتحل لتنتشر فوق أرض تبلغ مساحتها ثلاثمائة ألف فرسخ مربع أي عشرة

١. لوريموت نشر سياسي جورج كينغ ساب جديدة حرة، ص ١١٩

ملايين كم ٢ - وهي بذلك أكبر عشر مرات مما عليه المستعمرات الإنجليزية عندما استقلت.
وهي التي تقيم على أرض أقل مساحة وقابلة للتنقل فيها. فليس من المسألة القول. عدم
نضع في الحسبان عناصر ديمغرافية وأرضية وتكتيكية وإستراتيجية. بأن القوات التي
أرسلت من شبه جزيرة أيبيريا إلى ما وراء البحار كانت أقل عدداً من القوات الإنجليزية
خمس عشرة مرة أو عشرين

ومن الأمور بالغة الدلالة أيضاً إثارة بين مكروبات لقوات تسعة بكل من كلا
المركتين اللتين أدبت إلى محصلة حرب الاستقلال في كنت مضطربين فأسست بقوات امرقة
في أياكوتشو Ayacucho. كان نائب ملك بنوفا على ٩٣٠٠ جندي. أغلبهم من جهة
الغربية ولا يمكن أن يصل الأسر من محاربين من ذوي خبرة في حسمات فرد. وفي
كانت التحالفات الخطية لسكان لأصبيين يدين كيو بدور نشطة لاستقلال وحسنة
الامر هي أن رباط الدم حملهم نحو أنوار الشمس على نفسه حيث شعرت
قريب من نائب الملك الأسدي عهد في حرب سيوكن في معركة بني وضعت نهاية
للإمبراطورية الأسانية في أمريك الجنوبية

وفي المعركة الممثلة. التي كان فيها خمسة من الأسر في أياكوتشو. حد
أن عدد المحاربين الإنجليز في أمريك الشمالية. في حرب ١٨٢٠ مع عددهم ثمانية آلاف.
وهم الإنجليز الذين استسلموا لتحشيش الذي يتوهم. من الأسر لا يزال هناك ثلاثون
القام من الجنود الإنجليز في الأراضي الأمريكية

واصلت أمريك البرتغالية في ذلك من شدة ولاجأ. من أسس على البرتغال.
ذلك أن هذه الأخيرة لم ترسل جيش كبير بعدد واعد. وهي كانت تفتت جديراً. أو
فرق مسلحة كما فعلت أساليب. فقد سافرت من أوربي بسوية لأسيرة امكية بكسها
وعدد كبير من علية القوم من الموظفين وناس من تحت حجاب موجهين إلى البرازيل.
حيث بلغ عددهم خمسة عشر ألف فرد. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتوهم بها ملك
أوربي بعبور الأطلنطي متجهاً صوب الأراضي الواقعة في أعالي البحار. وهذا هو بنفعل
ملك البرتغال وقد أخذ معه الدولة بنفسه

وفي السابع من مارس ١٨٠٨م دخلت السفن خليج جوانابارا Guanabara، شديد الاتساع. بشكل سلمي ومهيّب حيث كانت تبهر الملكية البرتغالية متجهة صوب عاصمتها في العالم الجديد. كان هذا تاريخاً مشهوداً في تاريخها وفي تاريخ الأنظمة السياسية، ذلك أن المبدأ الملكي كان يبرهن على تمتعه بفضائل حميدة، تكاد تكون معجزة أيضاً، على الشاطئ الآخر من الأطلنطي.

سرعان ما يختفي الطابع الاستعماري للبلاد وتضرب الهيئات التابعة للدولة بحدورها ها هي الوزارات ومجلس الدولة ومحكمة العدل ومجلس الحرب والمالية وبيت سك العملة وبنك البرازيل والأكاديمية الحربية والمطبعة الملكية ومراكز التعليم العالي. وبخ، وهذه الهيئات لم يكن من الممكن إلغاؤها أو أن يقود مرة أخرى إلى لتبونة. إذ نحد أن استقلال البرازيل بدأ في ذلك اليوم الذي وطأت فيه قدم السيد/ راجوا السادس أرض البرازيل، وتمت الحيلولة بذلك دون أن تقع البلاد في فخ التشرذم والتفكك والتحول إلى جمهوريات صغيرة ذات حكومات غير مستقرة^(١) - طبعاً لجواو ريبيرد - وفتحت الباب أمام استقلال سياسي جيد ومرغوب فيه وبدون المتاعب والقلق التي تحدثها الثورات.

كان كافياً أن يقبل الملك تغيير العلم البرتغالي بالعلم البرازيلي وكان ذلك في السابع من سبتمبر لعام ١٨٢٢م حيث تحقق استقلال البرازيل لكن لم يخل الأمر من احتجاجات شعبية ومعارضة السود وتمرد القوات وحركات انفصالية في بعض المحافظات البعيدة وهزائم في أزمات دولية، لكن آل براجينثا Braganza استطاعوا أن يحكموا، وسط كثير من العقبات، مسار سفينة الدولة البرازيلية؛ وفي عام ١٨٨٩م، أي بعد نصف قرن من الحكم، يتنازل السيد/ بدرو الثاني عن الحكم وينفي، ويترك وراءه موروثاً للجمهورية لا يمثل فقط في نظام سياسي ضخم بل ترك أيضاً تراثاً مؤسسيا وعادات مدنية في باب التعايش والتفاهم.

ما الذي كان يمكن أن يحدث لو قام الملوك باتخاذ طريق لا صوب بايونا بل صوب مساء إشبيلية وانجهوا إلى أمريكا مثلما فعل أبناء العمومة من البرتغاليين؟ كانت مهمتهم ستكون أكثر سهولة من ناحية، ذلك أن الكثير من الهيئات الحكومية التي كان على جواو

^(١) حوالو ريبيرد، العمل المشار إليه، ص ٣٥٤، ٣٢٣.

السادس تأسيسها في البرازيل ، كانت موجودة في الممالك الهسبانية في الهند الغربية . وهي أكثر استقلالاً ذاتياً ولها قانتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية الأقوى مقارنة بالأملاك البرازيلية ؛ ومن جانب آخر كانت المهمة ستكون أكثر صعوبة ، ذلك أن الأراضي الأساسية متباعدة بشكل ملحوظ فيما بينها بالمقارنة بالبرتغالية . كما أنها عذرة عن محنت مختلفة وقد لاشك فيه أنه كان سوف يكون مستحيلاً اخفاظ على هذه الممالك تحت سيطرتها السياسية لمدة طويلة مهما بلغت درجة المهارة التي عليها حاكم أمريكي في موبوس أبرس وكينرو والمكسيك .

وإذا ما كان المنطق هو الحكم في التاريخ لكان قد تم التوصل إلى حل اقترح عام ١٧٨٣م الذي قدمه كونت دي أراندا إلى الملك كايوس الثالث والذي يتمثل في تعيين امرء من مدريد بصفتهم ملوكاً في سدة الحكم في بيئات الملوك ويتم التوحيد بينهم في صورة كومونولث هسباني بناء على الروابط الأسرية والاقتصادية والسياسية وهذه هي فكرة التي عادت للظهور على زمن حودوي (Godoi) . وكانت تصفع . حتى ذلك الحين . في اعتبارها خطة guala التي اقترحها إينوريدي Liande عام ١٨٢١م حيث يتم على أساسها إقامة حكومة ملكية معندلة على رأسها فرديناند السابع . وفي حالة عيونه يتولى أحد أمراء الفرع الأسباني من أسرة البوربون . كانت وقعت حذر من لأحدث في أساليب الجديدة وكذا القديمة تحول دون قبول تلك حصة في العتمة . كما لم يوجد شك من عدم قبل الزعماء المتمردين الذين تمكنوا من هروب عتمة من تلك . وعلى أية حال كانت الفكرة الملكية تداعب أذهن الكثير منهم . وبما أن العتمة كانت المعنبة ومراب نظمتها فإن النموذج البرازيلي كان يؤكد كل هذا

غير أن الحدث الذي دفع بالملوك البرتغاليين نحو براريس لإشاد ناههم حدث الأسبان نحو بايونا Bayona وذلك لوضع ناههم تحتهم المعدة في يد الإمبراطور الجديد للعالم الغربي (نابليون) وهنا يمكن سوق احصة بأن أساليب كانت قريبة من حال البرانس وعلى مسافة واحدة من الشواطي . وأن التوجه السياسي الأساسي لم يكن يربو إلى ما وراء البحار بشكل مثل البرتغاليين . فالمملكة الكاثوليكية كانت جسراً بين أوروبا والهند الغربية ، وعندما ترك ملوكها الانصياع للتوجهات النابليونية فإنهم كانوا يسرون مغمضي العيون ، وبعدم قدرة ، على حتمية قانون تاريخي .

وعلى أية حال ليس هناك إلا القليل من الأحداث المصحوبة بالتنازع المساوية في تاريخ القارة العجوز وتاريخ العالم الجديد مثل عمليات التنازل في بايونا، استناداً إلى تراخي أطراف المملكة وقيمتها التي أهملتها أسرة البوربون الأسبانية. فالممالك التي كانت عمادها كانت مترابطة فيما بينها بفضل الملك حيث هو المثال والمحور، وعندما يتعرض محور المملكة للتحلل كان عليه أن يستعيد مركز الجذب الذي عليه استناداً إلى قاعدة الشرعية للديمقراطية التي كان ينادي بها كثيرون مثل روسو ومابلي Mably وسييس Sieyès، ويتوريا وموليناس وسواريث.

ها هي المجالس السيادية ومجالس الكنائس cabildos، المغلقة أو المفتوحة، والبيشبات الشعبية كلها تشكل رد فعل ذا تقليدية وثورية في آن معاً. عند هؤلاء الوطنيين على هذا الجانب أو ذلك من الأطلنطي، على عمليات استسلام ملوكهم وعلى عملية نصيب ملك جديد في شبه جزيرة أيبيريا بمساعدة الجيوش الأمبريالية. أما فيما يتعلق بالكلمة والروح الكامنة وراء هذا فليس هناك اختلاف في المطالب التي تعلنها المجالس التي تتولى أمر السيادة المهجورة في كل من أستورياس أو فنزويلا أو ريودي لابلاتا. هناك نوع من المنطق الجيد في الكلمات التي وجهها إلى إيدالخو دي ثيسيروس نائب الملك، كورنيليو سبييرا أحد قادة "مجموعات المواطنين" عندما وصلت إلى بوينوس أيرس الأخبار التي تحدثت عن أن القوات الغالية احتلت كافة أنحاء أسايا ما عدا قادش وجزيرة ليون التي أصبحت المقر المهدد لمجلس الوصاية "ما هو السبب الذي يجعل من هذه الأراضي المترامية لأطراف بما فيها من ملايين السكان تعرف سادة تحار قادش وصيادي السمك في ليون؟... على أي أساس انتقلت إلى كل من قادش وليون، المنطقتين اللتين تشكلان جزءاً من إقليم الأدلس، حقوق تاج قشتالة، الذي انضمت إليه أمريكا؟ لا يا سيدي. لا نريد أن نسير على طريق أسبانيا، ولا أن يحكمنا الفرنسيون. لقد قررنا أن نمارس من جديد حقوقنا وأن نحمي أنفسنا بأنفسنا. فذلك الذي منح سيادتكم السلطة لتحكمونا لم يعد موجوداً وبالتالي فإن السند الذي تقوم عليه هذه السلطة لم يعد موجوداً".^(١)

^(١) كاربوس كانو حوليات تاريخية للثورة في أمريكا اللاتينية، الجزء الأول ص ٨١ ورد عن ميليشور فرناندث اميجرو "استقلال أمريكا وانعكاس ذلك على الوعي الأسباني" مدريد ١٩٤٤م، ص ٣٩

اختلفت نتائج المواقف السياسية المتشابهة في الممالك والأقاليم الكائنة على هذا الشاطئ، أو ذاك من الأطلنطي وذلك حسب العقلية الاستقلالية المسيطرة في أمريكا التي أفادت من اللحظة المواتية التي قدمها لها التاريخ. غير أنها لم تكن لحظة جرت الاستفادة منها ببحث بل كان فيها نفسها ميول انفصالية ناجمة عن غرف المركز أو المفتاح الذي كان مبقياً على وحدة هبة المملكة الكاثوليكية. وإذا ما كانت الممالك والأقاليم في شبه جزيرة أيبيريا أظهرت ميلاً نحو الاستقلال الذاتي والانفصال، فكيف لا تنساق في هذا الطريق نيابات الملوك البعيدة في الهند الغربية؟ الأمر المؤسف هو أنهم ساروا على درب النموذج الذي حدث في شبه جزيرة أيبيريا حيث أخذت الممالك الأمريكية تتفكك بفعل قوة الطرد المركزي وتحولت كل واحدة منها إلى ثلاث جمهوريات مستقلة أو أربع ووصل العدد في البعض إلى ستة دول مثلما هو الحال في أسبانيا الجديدة.

كان هناك نموذج أيبيري خطير في باب استقلال أمريكا ألا وهو أسلوب الحرب الذي قاومت به أسبانيا الغزو الفرنسي. فعندما سقطت الدولة وجرى تدمير الجيش في ميدان المعركة وتحطمت الأجهزة الإدارية واختلت البنى الاجتماعية وأصبح الجسد عرياناً في حالة طبيعية، كان رد فعل الشعب الأسباني البطولي الذي حارب الجيوش النابليونية، وابتكر، رغم قلة الوسائل، نمطاً جديداً من الحرب أثار دهشة الأوربيين، يبدو وكأنه الصورة المضادة للصورة التقليدية، كما أنها من حيث المنطق والنتائج السياسية مناقضة بشكل جذري. "فعادة ما جرى استخدام مصطلح "روح الميليشيا" و "الروح الحربية" - كما يقول أنخل جانيت^(١) - دون أية اختلافات بينهما ومع هذا فإنني لا أعرف مصطلحين متعارضين فيما بينهما أكثر من هذين. فلأول وهلة يمكن القول بأن "روح الميليشيا" هي روح تلقائية، أما الروح الحربية فهي روح متأنية، وأن أحد هاتين الروحين موجودة في الإنسان بينما الأخرى في المجتمع؛ وأن إحداهما هي جهد مبذول ضد التنظيم أما الأخرى فهي جهد تنظيمي".

والأمر المؤسف هو أن الكثير من حاملي الرسائل، بدءاً بسان مارتن نفسه، بطل معركة بالين Bailen وكذا بطل مائة مواجهة وقعت ضد القوات النابليونية، نقلوا إلى ما

(١) "بومبات إسبانية" مدريد، الطبعة السادسة، ص ٤٧.

... من ... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...

... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...

... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...
... في ...

فيها الدم الساحن الاستوائي؛ أو حتى الحرب بين البيض أنفسهم وبين أناس متعددي العرقيات، فلم تطرد بوليفار وأعوانه من الكربو، من القارة عام ١٨١٤م، قوات قادمة من شبه جزيرة أيبيريا، حيث مات في معركة ماتورين Maturin الأغلبية العظمى من اخنود الذين كانوا في فنزويلا. من قام بطرده إلى عرض البحر جيش حقيقي مكون من سكان الريف مكونين من السود والسمّر والمولدين، Zamibon، والمولدين بين الزنجي واليهود الأحمر حيث حارب كل هؤلاء بقوة وعنف قيادة بوبس Boves وهو من أستورياس لكنه كان يعيش في أمريكا وهو في الخامسة عشرة من العمر.

وبالنسبة للحربة التي جرى الصراع من أجلها في حرب الاستقلال الأسبانو أمريكية لم يكن لها إلا صلة واهية بالسبب الذي كان وراء الحرب في أمريكا الشمالية لم تكن حرية مقيدة ومحسوبة ونفعية ومرتبطة بفرض ضرائب بل كانت حرية بلا حدود واضحة، لها ذلك الأسلوب الضخم الذي هو من سمة المدن في الهند الغربية وهذا المناخ الأسطوري الذي كانت عليه دائماً مدينة بوتوسي أو ليما أو كيتو أو بوييلا كان الكربو يريدون أن يكونوا أحراراً في مواجهة الأوربيين، وكان يريد ذلك كل من الهنود المحتلطين والمولدين أمام الكربو، ونيابات الملوك أمام أسبانيا، والقيادات العامة والسلطات Audiencias المحلية أمام نيابات الملوك. كان كل فرد يأمل أن يكون له سيادة مطلقة بالنسبة لنفسه وعلى الآخرين

وها هي المعتقدات الدينية التي كانت الرابطة والبقاعدة لهذا العالم المختلط mestizo تصبح محل صراع. نُقي مفهوم الحياة التي سادت في الملكية الكاثوليكية وكانت الحرية ذات معنى راديكالي يرتبط ارتباطاً جليماً بالغاية المطلقة للإنسان ألا وهي الحرية من أجل الخلاص أو الإدانة. وعندما يتم إضفاء الطابع الدني على هذا المفهوم للحرية ويتم نقله إلى النظام الاجتماعي والسياسي فإنه يحدث تغييراً في المناخ والهدف لكنه يحتفظ بدرجة التوتر الداخلية لديه: أي سيظل يواصل تقديم المدلول الهائي والراديكالي نفسه. والأكثر من هذا نجده بقوة في العالم الجديد أكثر من شبه جزيرة أيبيريا نظراً للمسافة الفاصلة والظروف الوجودية التي خلفتها أمام حركة الأفراد والجماعات وما يترتب أيضاً على المعتقدات الدينية والتناقضات الاجتماعية والإثنية الحادة.

وها هي روح التحارب تنبدي من خلال هذه التشكيلة التي هي من سمات الحياة الأمريكية حيث طالت حتى القديسات المبجلات فإذا ما قام النفس إيدالجو باتخاذ راية "عذراء جوادالوبي" فإن نائب الملك في أسبانيا الجديدة يختار "عذراء ريميديوس V. Remedios كحامية للجيش الملكية ووصل الأمر بالماسوني البارز سان مارتين بعبور جمال الأنديز وهو يرفع راية "عذراء دل كارمن" بألوانها البيضاء والزرقاء وهي الألوان الخاصة بالعلم الأرجنتيني.

وحلال ربع قرن من الزمان نجد أن أمريكا الأسبانية المسالمة التي رآها وتمتع بها لكسدر فون همبولت، تتحول إلى هذا الوضع المتفجر الذي أثار استغراب ألكس دي توكفيل A. de Tocqueville واستغراب الكثير من الأوربيين ومن أمريكا الشمالية. ومن حقائق الأمور أيضاً أن شبه جزيرة أيبيريا تستحق أيضاً هذا الاستغراب، إذ عاشت تحولاً تاريخياً عتيفاً طال كافة الشعوب الهسبانية. الأمر الذي أدى بهم إلى السير في طريق منزع وحظر وابتعدوا عن الطريق الحقيقي الذي كانوا يسرون فيه أثناء معركة روسيون Rosellon أو ترافالجار أو عندما رار همبولت "مدرسة التعدين" وكذا حديقة النباتات في المكسيك خلال الفترة الفاصلة بين تلك المعركتين.

كانت لعبة ملعونة في الكثير من جوانبها حيث قام القدر على هواه بجعل التاريخ الهسباني يتأرجح بين الحظ الطيب والحظ التعس فذلك الحظ التعس الذي بدأ خلال العصور الوسطى في شبه جزيرة أيبيريا كان عنه عوضاً الحظ الطيب الذي حظيت به مع نهاية العصور الوسطى: أي أن غزو العالم الجديد كان استمراراً لعملية الاسترداد Reconquista. وفجأة يتشكل الوضع الكوني للملكية الكاثوليكية، وفجأة أيضاً تنهاوى الامبراطورية الهندية.

غير أن الشيء الذي يألم له الأسباني كثيراً عندما يقرأ تاريخ تلك الساعات المعتمدة ورائد المشاهد التي جرت فيها الأحداث، أي ليست تلك التي وقعت في شبه جزيرة أيبيريا بل تلك التي حدثت في أسبانو أمريكا. يجد أن وراءها، بشكل كبير، عدم قدرة أسبانيا على العمل ليس من المشروع الحديث عن حرب الاستقلال الإشباني الأمريكية، إذ أن أسباب وجدت نفسها مقيدة اليدين والرجلين حيث لم تتمكن بالفعل من ممارسة فعل

الحرب أو السلام في نيابات الملوك مثلما فعلت كل من إنجلترا والبرتغال في أملاكهما الوافعة فيما وراء البحار .

لقد جرى غزو البلاد واستسلامها، وأصبحت غير قادرة على التصرف، بعد تحررها، وكان ذلك نتيجة حرب طاحنة وكذلك صراعاتها الأيديولوجية . لا توحد بها قوات أو جيش أو موارد اقتصادية فأخذت تراقب عن بعد، وقد غابت عنها مشاعر " الغيظ والنفمة والكراهية . . . " ^(١) . مشهد حرب الاستقلال الأمريكي الذي كان حرباً أهلية شاركت فيها قوة الأم والأرض أكثر من مشاركة في صورة جماعات إنسانية . كانت أرضاً من أصعب المناطق جغرافياً جرت فيها تجربة فريدة في صورة مجتمع حيوي يضم جماعات إثنية مختلفة يقوم على قاعدة المعتقدات نفسها والقواعد السلوكية ويقوم بذلك بدور نبيل وإنساني أكثر من مجرد تصدير أدوات حضارة تقيية .

ولهذا فإن الفصل الأخير في الهدد الغربية، وهو فصل استقلالها، الذي لم تسطع أسبانيا أن تكتبه بذكائها أو حميتها أو حتى بدمها، يعبر واحداً من الفصول العسة وعبر الجديدة في التاريخ .

(١) Vid ميلتشور فريثاندث الماجرو العمل المشار إليه، ص ١٧٥

الباب الثاني

آسيا

I- في الطريق إلى المشرق

أن يكون المكان espacio زمانا هو ما يمكن أن يشعر به الرحالة المسافر على متن اسور بويج تحديدًا، في هذا العصر الخاص بسببية الأشياء، فمنذ سنوات خلت عاشه الرحالة على متن super constellation، لكن كان ذلك في إطار أكثر اعتدالا وأقل فدعا لأن ذلك لم يكن يؤثر بشكل مباشر على الجسم كان من الممكن اليوم على كنية عند شكن يكاد يقترب من حجم السرير، ورغم أن المسافة الزمنية الفاصلة بين مواعيد انضمام كانت أقل عند الطيران نحو الشرق، فإن المعدة لا تكاد تلاحظ ذلك، حيث أنها كانت تهمة بسبب حالة الترقب بالنسبة للرحلة غير أن القفزات في الطائرات الجديدة تتسم بأنها قصيرة للغاية لدرجة أن الشركات قررت أنه ليس من المجدي اليوم على متن الطائرات وعلى هذه تصرفات مع المسافرين بأعداد متعددة يصعب أن تكون أفقية وبالتالي فإن الرغبة ملحة في النمو نضيج سدى أما لوحات فهي الواحدة تلو الأخرى الأمر الذي يسهم أيضاً في أن بطل المسافر في حالة بقطعة شبه كاملة

وإن جانب التعبير في التوقيت من مكر لأحر بطراً التغيير أيضاً على الذاكرة فإيقاع لتذكر والنسيان يرتبط ارتباطاً حميماً بالبيانات الحديثة الآتية والتي تدخل في إطار الوعي بتغير التأثيرات حسب البيانات البصرية أو السمعية، فعند سماع سيمفونية كثيراً ما تبدأ نية لتذكر في العمل، وهنا تبرز بعض المواقف العاطفية المنسية منذ زمن طويل لكنها تمكن من الطفو في بحر الوعي بمساعدة حالتنا الانفعالية الحاضرة. وعادة ما يكون الأمر عمدة عن تخيلات حقيقية لكنها غير مترابطة، كما أنها لا ترتبط في شكل سلسلة متتابعة. غير أن هذا عادة ما يكون كثيراً عندما تبدأ آلية الوعي في العمل من خلال سلسلة من الصور الزمنية وبعد وقت قصير، على سبيل المثال، من تأمل المشهد من نافذة القطار يبدأ فيضان

الذاكرة يستعيد قوته بحيث تبدو منظمة بشكل جيد . وتنفذ الصور من خلال العيون في تتابع سريع لكنه منسق وتستتفر حركة مشابهة في شريط ذكرياتنا . ولا بد أن برجسون خطرت له نظريته حول " تدفق الذاكرة " وهو يراقب المشهد من نافذة القطار .

ولاشك أن الانطباع الذي يخرج به المسافر وهو يمتطي صهوة الجواد أمر مختلف ، إذ يلاحظ الفارس تغيرات في المشهد لكنها تتابع بشكل فيه نعومة لدرجة أن الاستمرارية لا يتم من خلالها إدراك التغيير بل الأمر مرتبط بإحلال مشهد مكان آخر وكلاهما في الحاضر . وبالنأمل في النظرية الكلاسيكية ، منذ أرسطو ، الخاصة بالتتابع الزمني من حيث هو سلسلة من أزمنة حاضرة تتجه إلى الخلف أو إلى الأمام ، لوجدنا أنها نظرية الإنسان الذي كان ينتقل ، كحد أقصى ، على حصان . ومن المؤكد أن السفر السريع بالعربات التي تجرها الخيول كانت له آثاره في النظريات التي سادت خلال القرن الثامن عشر وبدايات القرن العشرين ، فكيف إذن ستكون النظرية الخاصة بالذاكرة المتولدة عن التجربة المحدودة التي يجيها من ينتقل في الطائرات الحديثة ؟

قبل التفكير في النظرية يصبح من المهم تمييز البيانات ذات الإشكالية وتقييمها بوضوح . وكذا حالة الانفعال التي تؤثر في ذاكرتنا ، ومن البدهي أن آخر الذكريات يتم إهمالها . فالنظرة إلى الخلف لا يسترعي انتباهها تفاصيل الحياة العادية التي انتهينا منها للتو ، حيث تصبح ذات حجم أصغر وتنفرد أمام البروز المفاجئ للخريطة البارزة لحياتنا كاملة . وهنا تتبدى مستوياتها الحياتية أمام عيوننا في مستويات مختلفة ، كما أنه داخل كل مرحلة تبرز الأحداث الأكثر دلالة مثل قمم الجبال التي تبرز وسط هضبة أو وسط سلسلة جبلية .

وعندما تحاصرنا مشاغل الحياة اليومية نجد أن آفاق ذاكرتنا الحية تضيق ، فنحن نتذكر تفاصيل ما حدث لنا بالأمس ، وخلال الشهر الماضي أو السنة الماضية ، لكن الأحداث الأبعد زمنيا في ذاكرتنا تكاد تنفدت منا . نعرف أنها وقعت ونعرف موقعها وارتباطاتها ، لكننا لا نراها ، أي كأننا لا نرى مشهدا واسعا إذا ما كنا في وادي الدموع *in hac lacrimarum valle* الذي هو الوجود العام عند المحترف . فالمناطق المرتفعة القريبة تخفي ما وراءها رغم أنه قد يكون أعلى ، تعرف عن وجودها لكنها أخبار عنها مثل الأخبار في كتاب للجغرافيا ، وليست الرؤية المباشرة التي يتمتع بها الرحالة .

تبدو هذه التشبيهات ذات الطابع الجغرافي، للوهلة الأولى، غير ملائمة لواقع شديد الحساسية الذي هو واقع الذاكرة. لكن من المهم قبل أن نصدر حكماً أن نضع في الحسبان أن الواقع المؤلم لحقائق الجغرافيا - من جانب - تعرض لعملية تشتت، فالجبال وسلاسلها تتحلى أمام نواظرنا، ونحن على ارتفاع اثني عشر كيلومتراً وكأنها بيانات غير مستقرة بل هي في حالة حركة، في تنقل دائم وحالة انزلاق مؤقت. وهنا فإن انتقال الزمن إلى المكان والعكس ليس مجرد أمر نظري بل هو نتاج تجربة محددة للغاية وقابلة لأن يعيشها الإنسان في عصرنا.

وعلى هذا السمط تصح الحدود بين ما هو مادي وما هو روحي غير واضحة للغاية ومن الممكن أن نستخرج من مصدر للمعلومات شديدة المادية في الظاهر كنوزاً لم تعرف من قبل تتعلق بالأبعاد الدلالية. وقد أدى التقدم التقني الحديث إلى زيادة أفق حيواتنا وعلينا أن ندل الجهد لاستخدام البيانات الجديدة حتى نستخرج منها أو نستخلص إمكانات جديدة تساعدنا على حل المشاكل التي نواجهها. كما تساعدنا مسبقاً على معرفة المواقف التي نظهر فيها وسرعان ما سنجد في أنفسنا مبررة استخدام عناصر جديدة لم تستهلكها يد الاستخدام أو تشكل العبارات البلاغية برائنة عطاء لها إنها هيئات جديدة وبكر ويمكن أن تكون بمثابة مراكز للتكثيف في سبب تصور احديده وبصل بها الأمر لتكون في إطار معالجة المعاني الشديدة الدقة

من المهم أن نختار الوطنية ذات الصنع المتدني الضرب والتي جاءت بتبعة التجارب النعمة عن الرحلات على الكتاب وامتكرس عن سطرار الأول وإذا ما تأملنا مونتين أو مونتسكيو لوجدنا الأمر بدهياً نظراً لصيغة سحرهم. أما بالنسبة للكتاب خلال القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر فما يتوفر لديهم من حرفة رومانسية أو ما قبل الرومانسية، لوجدنا أن التأثير الذي أحدثته رحلاتهم نحو البحر المتوسط أمر بدهي أيضاً. كما لا يوجد مانع أيضاً من القبول بها في حالة الكتاب العظيم أو المسابح الهسبان خلال العصر الذهبي مثل ثرمانس ولوبي دي بيجيا وبيلاتكيث وساندرا حيث يلاحظ البعد اليونان سالي والدينامي في أفكارهم وصورهم. لكن الأمر الذي يصعب أن نقر به هو أن تجربة الترحال كان لها تأثير مباشر في تشكيل العقلية أو الأفكار التي عليها المفكرون الأكثر تأملاً وتديراً.

ومع هذا يبدو أن هذا التأثير كان حاسما في أكثر من مرة وخاصة في الفلسفة الإنجليزية، إذ بدون الرحلات الطويلة في القارة لكانت جد مختلفة الأعمال الفلسفية الصادرة عن جويس أو لوك أو هيوم أو استيوارت. وربما كانت مختلفة ألف مرة. غير أن من حقائق الأمور هو أن المفكرين الإنجليز كانوا مجبرين على السفر لأنهم كانوا يعيشون على الأطراف الفعلية والروحية لأوربا، وتركوا أنفسهم نهبا للحاجات والدوافع الدفينة لسلالتهم، غير أنه لم تغب الأسباب حتى نفترض أن المدلول التجريبي والنسبي والنفعي للفلسفة الإنجليزية مصدره الأساسي هوياة السفر التي كان يمارسها أبطال هذا الفكر، كما يجب أيضاً الإشارة إلى أمر ورد ذكره كثيرا وهو أننا يجب أن نضع في الحسبان السكون الذي كانت عليه حياة كانط حتى يمكن فهم منظومته الفلسفية.

وعلى أية حال تشكل ثقافة أدب الرحلات فصلا مهما للغاية في الآداب والفكر الأسباني خلال القرن العشرين. وإذا ما نظرنا إليها من باب الموضوعات لوجدنا أنها أدب محلي في المقام الأول باستثناء كل من نلاسكو إيبانيث ورامون دل مايي إنكلان وباروخا إضافة إلى بعض الكتاب الآخرين من جيلهم. ومع هذا فإن هذا الأدب يقوم بدور جوهري في إجمالي إنتاج أونامونو أو آثورين ربما كانت غمطية التفكير الهسباني الحيوية والواقعية تتطلب معالجة مباشرة للسياق المحيط، وهي معالجة لا تعني التبادل مع الأشياء عندما يتم إدراكها وتصبح في آن معا مثيرة للانتباه والإدراك والنقل هذا ما يقوم به الرحالة. وهن فإن أبرز أعمال العبقرية الهسبانية، الكيخوته، هي في نهاية المطاف كتاب رحلات

وإذا ما كان لكاتب هذه السطور أن يدلي باعتراف قابل للغفران بعد الإشارة إلى ما سبق - فإنه يجرؤ على القول بأنه كان يشعر منذ سنوات صباه بالأهمية التي كانت للرحلات على تكوين سيرته الخاصة. إنها لا تقوم بمثابة حدود هندسية على طريقة الخرائط بل هي بمثابة تقسيمات حقيقية تقوم بتوزيع المياه في اتجاهات مختلفة صوب المسار الرتيب للحياة العادية. إنها فواصل تقوم بدور وهي حية كما أنها جزء من الوجود الإنساني وعلى ذلك ترتبط بنظام وصفي. وبذلك يضحى من الممكن الانتقال بسهولة من دائرة حدودية إلى أخرى، بمعنى استدعاء التجربة المعيشة في رحلة سابقة بدقة شديدة عند القيام برحلة جديدة خلال الفراغ الذي تخلقه عندما تختفي الاهتمامات اليومية من دائرة اهتمامنا.

وسبراً على هذا الإيضاح المحرري في العرص بدو ما شعير وكان من بعد الحجة النبوية
قد عرفت واحتلت في واد معتمه. بسبب يتركز الانداع على منفع حين بعد في الزمان ومع
يث فهو قريب ووضوح في ذكر بيان المعينة مرة أخرى بدو الأمر وكان منظر به من
حلال منظر فداعي له بنه فقط توحته الأشعة البصرية نحوها من نه توحته حساسية
بكمية. ولهم في المرحلات تستعيد بسبب. بسبب حسنة شعير بال أكثر قور من مصب
ومن بعض خطوط التي تدر وتضيق في عمق ماضي ويرتد على ذلك شفق لاني
مفازات ماضية كحد حينا ماضية وقد أصبحت وحيرة وبه صفة سيوت وضوح
أكثر نسباً ورتاً فضلاً ومن هذا في المرحلة حين شو بدو شعير مع بعده وكما
حديث مولانا لا به وضوح يوحى

ولا ينقص منضج على وجهه شو من سبيل الانسابة. فكيف لا يفكر مرة في
(المكسر) لأكثر بعد مرور قور. شمس حلال تلك ماضية حسنة في هذه المرة من
بعد. آخرت مراكب لأمر صور المعتمه وبه سبب ماضية بعض شمس كحد أضواء
الأنوار. التي بعد وحيرة من ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
وبسبب الأمر بحركة الأرض من ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
بعد حاض به راحة في ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
مضاه. وقد مضاه ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
لا مضاه ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية

هذا من حلال بعد ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
من الانداع على ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
الأرض لا ترى على ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
صورة كذا حقيقي لتاريخ ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
لها هو وادي حلال (1888) ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
لكن ليست محردة وفي لأشغل أخرى ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية
للامع المسئلة بحيث تدر بشكل أوضح تلك ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية ماضية

وحتى سنوات قليلة خلت لم تكن العين البشرية بقادرة على أن ترى في لمحة واحدة هدير المصيرين الحمرافيين الحاسمين في مجمل التاريخ السياسي والثقافي في الهند. انتهينا لتو من المرور فوق بياريس Benares، قدس الأقداس في الهندوسية، الكائنة بجوار امكر الذي كان فيه موذا يلقي بعظاته وخلال بضعة دقائق سوف نمر بالقرب من بوت جايا Both-Carya حيث نزل عليه الوحي فما الذي كان سيشعر به لو تأمل الهيمالايا مثلنا من اخو وهي أعلى من كوة القمم المحيطة دون أن يسمع أي صوت اللهم إلا أزيز الطائرة دون أن يوتيب الماحس من أنها ستقر في إطار الظروف التي يمكن أن نتصور بها في وعينا ما عليه الملاك مظفر إذا ما توفّر لديه القدر الكافي من السعادة والطمينة.

تظهر سلسلة جمال الأندبر إلى المحبلة والتي تعتبر العصب الآخر الكبير على الكوكب. كنت الظائرة تعبر بالقرب من المكان وكن من الممكن أن نرى بوضوح المناطق الحيدية في انقمة والشعاب والوهاد. ها هي الهيمالايا تصبح في الحلف، لكن صورتها تثير الصورة الأكثر قدما ويشعر امرء بميلاد جديد للمتساعر التي كانت نائمة في أعماق الذاكرة. تلك، كنت رؤية ملقطة وربما كانت أكثر تأثيرا من خلال الحوار المستمر بين الجبال السماء وبين البحر الواسع للغاية، كن الإنسان غائبا عن هذا شكل شبه كامل. أما في الوادي، أي وادي جانج Ganges، فهناك خلية محل من المساكن. إذ تتابع القرى بشكل ملح لدرجة أن المسافة الفاصلة بين كل أقل من عرض الرقعة لمصرية

لكن بين هذه القرى نرى الأرض بشكل دائم مع عناصر تثير الدهشة. أصبح من الأقوال المألوفة أن المفاهيم الهندوسية أو البوذية المتعلقة بأن الأشياء زائلة إنما ترجع إلى خبرة الحيوية التي تعمل على النباتات القوية والمتغيرة في الهند؛ فكتاب رادكريشان عن الفلسفة الهندية، وهو كتاب صديق الرحلة، يلح على هذا الجانب. وحقيقة الأمر هي أن صفحاته بنجم عنها الانطباع بالزوال السريع ولو كان الذهن كحد أدنى. لكن ما يتم اكتشافه من على متن الطائرة هو البنية العظمية للأرض حيث نجد العصعص الكبير الذي هو الهيمالايا في العمق. تبدو مجاري الأنهار شبه جافة، لكن هناك عروق مياه قليلة بالمقارنة بمرض المجرى يبدو كل شيء قوي وأبدى وضخم.

وعندما كنا على بعد ساعة ونصف من نيودلهي أخذ المشهد يتحول إلى اللون
الأخضر، فالأنهار بها المزيد من المياه، ويلاحظ وجود مجموعات شجرية غابية وكذلك
بحيرات أو خزانات مياه، تنخفض سلسلة جبال الهيمالايا وتبتعد عن طريقنا. ومع زيادة
الرطوبة والمياه تزداد كثافة السكان، وحتى المناطق شبه الغابية تصبح ذات رقعة أكبر،
وتسيطر على الأرض، تتفرع أفرع الأنهار وتتسع وتلتحم بالسافانا قبل الوصول إلى مياه
البحر.

بتلاؤا المحيط الهندي تحت شمس المساء، غير أنه إلى جانب الضوء الأحمر الخائق نجد
هناك بعض الألوان الرائعة الجمال، حقا هذا بحر هو ميروسي، لونه لون النبيذ ولون
الشفج ورغم ذلك فإن اللون الأخضر القاتم للغابة البرمائية المتموجة والكثيفة، سرعان
ما يكذب الانطباع بوجودنا في حوض البحر الأبيض المتوسط الأسطوري، ويستثير
ذكريات الغابات البرازيلية.

أخذت السحب تظهر من مكنها الرطب أكثر من كونها مكثفة في الهواء مكونة
بذلك أشكالا غريبة ذات سمات مادية أكثر غرابة. وها هو ظل الطائرة ينعكس على
طبقات السحب، لكن مع الرطوبة فإن الظل ليس رماديا أو ممتدا بل شبكة من ألوان
الطيف. أي مخلوقات استطاع خيال ميلتون أو حوته تخيلها عندما جرت هناك إطلالة على
نهب جزر كاملة في المنطقة الاستوائية؟ ألا يمكن أن تظهر يوما ما ميتولوجيا فائقة عن مستوى
التيولوجيا الفائقة، رغم أن ذلك يمكن أن يكون شعريا فقط؟

II- مانيلا دون تعلق بالتقاليد

حل الظلام بسرعة استوائية بينما كانت الطائرة تحلق فوق غابات الهند الصينية،
لأمر الذي عزز عودة الذكريات التي أخذت طريقها نحو مانيلا ، المحطة التالية للرحلة
أحدث تبدل قراءات وصور ، وحكايات عن الفلبين جاءت على لسان شقيق لحدي من
لأب ، عاش سنوات طويلة يعمل كمهندس جمال في اجزر قبل استقلالها . ورغم أن هذه
الذكريات غير المترابطة نبعت من الذاكرة أحدث تنظيم أجراؤها حول صورة زوحي من
لعارات Jarrones الصينية جلسها عمي من الفلبين حتما عثلي عندما كنت طفلا في منزل
حدثني حيث اعتدت قضاء فترات هناك كل عام

كان ذلك هو أول اتصال لي بعالم الشرق لأفصى ، وما لانت فيه أن هذه الفازت
كانت عملا حاسما في تشكيل رؤيتي له . بعد سد صولتي ، عبر أنه من الصعب تحديد
ملاح الانطباعات الأولية . وهذا فان الصعوبة لا تكمن فقط في الذكريات التي أتى عليها
المرن الذي مضى بل يتعلق الأمر بالشيء الذي يؤدي إلى ذلك . كان هناك نوع من عدم
التحديد الشكلي مثير للحيرة ، فلم أكن أفهم اسبب في أن القاعدة كانت مثقوبة بشكل غير
منظم كان يتسبب في عدم استقرار القطعة على الأرض ، كما أن القطعة كانت مهتدة أيضا
على عليه شخصية مرسومة ذهبية اللون وهي نشهر سينها لتضرب أحدا لا ندري من هو .
كما لم يكن واضحا أيضا لم كانت حواف الدرة متعرجة ، أو ما هي وظيفة فراستين
مكملتني الشكل تقريبا تقفان في الجزء العلوي إلا أنه كان هناك نوع الخلط الرائع للألوان
الزرقاء والبرتقالية المنتشرة على السطح احسن لقطعة البورسلين . وفي ثانيا الذكريات تظهر
طرائف كنت أسمعها حول فترة الإقامة التي قضاها جدي من العمومة في جزر الفلبين ،
تد في ذلك تلك التي كان يقصها قبل وفاته بوقت قصير ، أي ليس منذ سنوات طويلة .

استمر - صورة العارات مسترخي استاهي طوال الليلة الفائتة في مابلا حيث كنت
عزير راحة غير اعتدائه بغيره ليست غير موقع في هذه الأصفاع الا وهو الرد الشايد
ان يد امره اناء اول لينة فاته في امطلة الاسوينة الامة ينكح حيث التقت بهذا
عزير راحة في هذه المقامات

من الامور اعمدة القضا ان ايرد الغرض من في كتب مقصدين كان مختلف في حالة اول
سنة فمركبة كان مرد قصفا راح عن نواح سحرية ١١٨٠٠ التي كانت بعد غير سارة
مقصود على اسحر تم خرج في شكل روعة صفة في حلال فحوات الداء الكاس في العدة
مدين بعد ان يكون هرت السيرة وكذا في حدى ميرك ك كان من المستحيل ان
مصور على عرفة مثل هذه في كفة اناء مدينه وخد منها في كفة حدى وحصل للو وقد
كده في عمدة كنة احتفوق لم يكن عرفة في مدينه ذلك ان Natal التي شهدت
مصور سرى فوان الحرب العامة الثانية لم يكن بها مدينه في حلة حلال فحصل الخبر من
عام ١٩٥٥ كات العرفة حرة من المصحة بعينه في مدينه على ان لوضع الذي هي
عنه ك مرحة مدرجة مدعوي في اسحقى عن حفصا في مدينه لاسه

واسسة لأول بيلة وثنة في الشرق الاقصى لم يكن من سهل بقى معثور على هذه
عددي. وصادق الأكثر شهرة كانت نوح بالكثير من براس مدينه انوا من محافظات
مجنمة ان مابلا محاسبة انتحاب رئيس جمهورية وسانتي تم قتيادي الى صدق غير
مستخدم وما ك الامر ان مابلا قرية من سحر في العرفة معرضة خطر البرودة غير
موقعة. لانها برودة اضطاعبة هذه امرة. حيث مصدر حهر تكيف كان حهر لا
يسمح الا بامرين اما انه معلق واما انه مفتوح بقدر منه هو بارد للعبة. وحلال
مدينه من مقصدين غير امحب أي مدينه. من الحل لوصول في منطقة وسطى قضيت
حرة اكبر من مدينه نوم نظاردي دكريات مديرات لصبغية التي تتقاطع مع حبة في
حرة من مابلا

من الامور ذات الدلالة النعفة هو ان هذا النوع من الملاس اكتسب أهمية من حرة
واحدة من أفضل الروايات خلال القرن التاسع عشر لروائي بريت حدود. وهي

فورتوناتا وخانيتها". ها هي بارباريتا والدة بطلة الرواية - طبقا لما يقصص علينا الكاتب^(١) - وقد تربت في مخزن أحد الدكاكين في مدريد في سياق "محمل برائحة الصندل والعمود الشرقية ومعها الألوان الزاهية للمناديل الصينية الأمر الذي كان له تأثير كبير على الانطباعات التي خرجت بها عن طفولتها". تذكرت بارباريتا دائما لوحة لأيون Ayün ذلك المطرز العبقري للمناديل في مانيل الذي ابتكر ذلك النمط من الأغصان الذي يعتبر أكثر الأنماط بهاء، وهو الشاعر المعطاء الذي طرز هذه القصائد الغزلية من الكريب الأسود في صورة رهور وأغصان وعصافير".

"الصناعة الحديثة - يضيف جالدوس - لن تخترع شيئا يماثل هذه العبقرية الشعرية لطرحة المطرزة بالزهور الملتصقة والمرنة وغير اللامعة، وكذلك الأهداب التي ترتبط بالأحلام وكذلك بزهو الألوان التي كان الناس يزدهون بها عندما كانت شائعة الاستخدام الطرحة يمكن أن تكون لباسا شائعا إذا ما ارتسخت بالتصميم، لكنها لا تكون كذلك لأنها تحافظ على الفنون البدائية والشعبية إنها مثل الأسطورة، وقصص الطفولة، ذات ألوان زاهية ومرحة يسهل فهمها وعصبة على تغير الموضوعات".

هذه الصفحة ليست فقط من الصفحات الأدبية الرائعة في هذه القصة العظيمة جالدوس بل هي تشغل المركز من الدائرة لأسباب عميقة الأمر هو أن شال مانيل يعتبر مفتاحا لفهم العمل كله. أي الرابطة بين النطتين في الرواية وهما، سيدة من الطبقة الرجوازية في العاصمة مدريد، خانيتها، وامرأة من الريف هي فورتوناتا، والملابس التي ترتديها كل واحدة منهما كانت ملتصقة بأحسدهما لإبراز مفاتنهما وذلك من خلال شعرية عصرية شبيهة بما يتفجر في قلب خوايتو سانتا كروث، الرجل القادر على أن يستوعب امرأتين المحبوتين، مثلما هو الحال بالنسبة للطرحة القيليبينية، ولكن بإيقاع مختلف.

ومما لاشك فيه أن طرحة مانيل تعتبر من العلامات الفارقة في باب التوجه لبوشرسالي الذي عليه الشعب الأسباني، وهذا في إطار ربما كان أكثر عمقا مما عليه إيقاع الشركات الاستعمارية والتيارات المهاجرة. كانت الطرح الصينية Chinoiserie في كل من هولندا وفرنسا وإحلترا مجرد زينة في الصالونات الأرستقراطية أو منازل الطبقة

^(١) فورتوناتا وخانيتها، مدريد، ١٩٥٥م، الجزء الأول، ص ٢٧

الرجوازية، لكنها لم تنفذ إلى الطبقات السفلى من المجتمع وما نحدثه فقط في أسانبا الخديدة وأورما المعحوز هو ملابس جرى إرسالها بكميات كبيرة من الشرق الأقصى، الأمر الذي جعلها تتحول إلى أدوات حية لشعر شعبي ولم يكن ذلك عن طريق إثارة الفضول أو الرمزية بل من خلال الطريقة الأكثر واقعية حيث أصبحت وكأنها طقعة أخرى من الجلد من الكريب الأسود 'مكونة من الزهور والأغصان والعصودير' العربية بالسنة لأحساد الدوقات ونساء *manolas* الطبقة البسيطة في مدريد

لكن الذي يتحول في شوارع مانبلا وهو يصمر مستمًا أحكامًا ترتبط بالإعجاب فيها من بورسلين وطرح سرعان ما يخيب أمله، ففي فندق المدر الأسانوا أمريكية محد النواين وحاملي الشط يتحدثون الأسانية المصحوة في أحبار كثيرة بكلمات قديمة وهذا يساعد الرحالة على نسيان المودرنيزم النقي والمحاييد التي عيبه هذه اللعبة في انطارات ومادق هيلتون، وأن يتهيأ جيدا لزيارة الماني الهسبانية القديمة للسيدة إلا أن اللعبة السائدة في فنادق مانبلا بين البواين والسعاة هي على أفضل الأحوال الأسانية المصحوة بالإنجليزية واثناجالو.

في بداية شهر نوفمبر عام ١٩٦١ كان الرحالة الذي يطرف شوارع مانبلا يصطدم في كل خطوة بالإعلانات الخاصة بالدعاية الانتخابية والتي كست تعطي احداثق والشوارع الرئيسية بشكل غير معقول، كما أنها كانت تثير الحيرة بسبب ما بها من مكومات مختلفة تكاد كافة الألقاب تشير إلى أصولها القشتالية الحاضرة، لكن ملامح الوحوه المرسومة في الإعلانات كانت للسكان الأصليين، أما العبارات فكانت بالإنجليزية، وفي الانسامة الأندية التي يتوحد بها المرشحون للناخبين كانت تتلأأ الكثير من قراريط السعادة والثقة الظاهرية مقارنة بما عليه صورة سناتور أمريكي.

كانت الصورة تلك الخاصة بالسناطور مصحوبة بالمباني الحديثة التجارية التي تُرى من وراء اللوحات الإعلانية الانتخابية، بينما نجد هناك السيارات الفارهة ماركة كريسزلر أو جنرال موتورز تشق الطرق التي تم اقتطاعها من البحر الأمر كذلك فيما يتعلق بالشهر الذين يسكنون هذا المشهد حيث كان هناك، بعيدا، ذلك الرحالة من مناخ هسباني محض وهو أمد كثيرا هنا، مقارنة بأي مدينة في جبال الأنديز أو الكاريبي من الغرب في مانبلا

أن تكتشف وجود ملامح أيبيرية في السلالات المختلطة، ولا يكاد المرء يسمع الحديث بالأسبانية ولو كان بشكل سيئ في الشوارع، ورغم أن المدينة كانت أسبانية حتى ما يزيد قليلا على نصف قرن من الزمان فإن أصدقاء أسبانيا أقل بكثير عندما نقارنها بما عليه سانياخودي شيلي أو بوجوتا

الشعور بالسخط على الفور هو ما يميز السلتي الأيبيري من سلالة خالصة لما قامت به الإدارة الأمريكية من هيمنة ودهس تلك القطعة القصية من العالم الهسباني. ورغم أنه لا يعدم المرء الأسباب الكامنة وراء هذا السخط، عليه أن يبدأ بتحديد جوانب المشكلة العرقية والثقافية التي وجدها الأمريكيان أمامهم norteamericanos وذلك حتى يتم تحديد درجة مسؤوليتهم التاريخية. مارس الأمريكيان ضغطا أعلى من ذلك على جزيرة بويرتوريكو، حيث كانوا شديدي الاهتمام بصممها إليهم لعويا وثقافيا بشكل أكبر عن تلك المنطقة الموحدة في الشرق الأقصى، لكن النتائج التي توصلوا إليها حتى هذه اللحظة كانت ضعيفة للغاية مقارنة بتلك النتائج البديهية التي وقعت في حالة الفيليبين

كانت بويرتوريكو مدعومة ومحيط قوي لعويا وثقافيا كانت جزءاً منه كما أنه كان يمتد حتى "أرض النار" ومن جانب آخر هناك مجموعة متكاملة من السكان الهسبان مطعومة بمميزات هجرة قوية قادمة من القارة عندما حصلت على استقلالها، في بداية القرن التاسع عشر، وانفصلت عن أسبانيا، وبعد ذلك طلت طوال القرن الماضي (التاسع عشر) في حالة مقاومة فعالة لمحاولات الأمريكيان للنفاذ إليها، واستطاعت أن تُنقي في سان خوان - بمبعد عن أية تنازلات تتم خارج حدود المدينة - على النواة الحية لعاصمة واحدة من محافظات شبه جزيرة أيبيريا. أما الأمر بالنسبة لحرر الفيليبين البعيدة كانت الهجرة الأسبانية إليها ضعيفة نعية نظرا للمسافة البعيدة ووجود العالم الجديد كذلك، وبالتالي كانت السلالة المختلطة من البص والسكان الأصليين ضعيفة العدد للغاية، وكذلك الأمر بالنسبة لاستخدام اللغة المشتبهة وإذا ما نظرنا لحالة المقاومة التي وحدثها الولايات المتحدة أمامها في الأراضي مؤسدة على الجانب الآخر من المحيط الباسفيكي كانت، لكل هذا، أضعف كثيرا من ضربة التي وجدها في الجزيرة الموجودة في الكاريبي

هناك عنصر آخر كان لصالح الأمريكان في الفيليبين، هو قانون تاريخي جغرافي لم يكن موجودا في الجزيرة الجميلة بين جزر الأنتيل رغم قربها منها. فجزر الفيليبين على مدار تاريخها الغربي كانت مرتبطة بشدة بالنصف الشمالي للقارة الأمريكية، ومن خلالها، أي من خلال أسبانيا الجديدة، كنت ترتبط بأسبانيا حتى جاءت لحظة الاستقلال ووجدت أسبانيا نفسها مجبرة على إقرار الاتصال بالجزر البعيدة حيث كانت تدور حول رأس الرجاء الصالح في رحلتها إلى هناك ثم بعد ذلك عبر قناة السويس، وتحولت الفيليبين لبعض الوقت إلى مستعمرة أوربية صرفة.

III - الفيليبين وأمريكا

فيما يتعلق بوصول الهسبان إلى جنوب شرق آسيا من الشرق إلى الغرب، وهو الطريق المقابل لذلك الذي سار فيه البرتغاليون وسار على نهجهم الهولنديون وباقي الشعوب الأوربية الاستعمارية لم يكن ذلك يستلزم مجرد اختلاف الطريق فقط ولكن كان يرتبط بأمر جوهري له صلة بالمعزى والدافع الاستعماري. لم يمكن جديدا هذا التوسع الأوربي نحو الشرق من خلال المحيط الهندي، إذ بعد الدوران حول رأس الرجاء الصالح يتم الدخول إلى المحيط الهندي، وكان البرتغاليون يواصلون طريقهم التوسعي سيرا على نهج التوسع الإسلامي الذي انطلق من قواعده في الشرق الأوسط وتقدم بشكل مستمر نحو الشرق الأقصى على مدار القرون.

وقد سبق الإسلام البرتغاليين في غزوات سنوات قليلة وأصبح وجوده ملحوظا في كافة أرجاء جزر سوندا Sonda، ووضع قدمه في أقصى الجنوب في مينداناو Mindanao لم يكن الإسلام إلا نموذجاً لعالم البحر الأبيض المتوسط، لكن لم يكن هناك مستوى ثقافي رفيع خلال ذلك العصر، أي الغرب؛ وليس ذلك بمستغرب لهذا أن يستمر في التقدم كل من الاستعمار البرتغالي والهولندي حيث كان الوسيط الإسلامي حليفاً أكثر منه منافسا. وعندما قام خلال عام ١٥٧٠م مائة من المحاربين Castilas بقيادة مارني جوتي M. Goiti متوجهين انطلاقاً من جزيرة باناي ليجاثي Panay Legapi، تمكنوا، بعد معركة قصيرة، من الاستيلاء على حصن كان يحمي بلدة مانيبلا، واكشفوا بين الجثث التي قتلت بين "المورو" من بورينو، جثة برتغالي. كان البرتغاليون أدخلوا الأسلحة النارية الأوربية في الشرق الأقصى الأمر الذي كان يسمح للمورو أن يبرصوا سيطرتهم بشكل تدريجي على جزر الفيليبين، مما كان للأمر أثر طيب في جعل

الجزر فريسة سهلة دون أن يصل الأوروبيون الذين يقطنون في أمريكا في الوقت المناسب للقيام بالعمليات الاستعمارية والتبشيرية.

لم تتوقف موجة التوسع نحو الشرق من جانب الغرب، نحو الشواطئ الآسيوية، إلا موجة أخرى مضادة هي أيضاً جزء من التوسع الغربي لكنها قادمة من المحيط الباسفيكي. أي من خلال النمطية الغربية المتوسطة في التوسع؛ كانت هذه النمطية تتطلب - خلافاً للنمطية الشرقية - غزو مساحات كبيرة من الأراضي وكذلك التبشير والاستغراب الجماعي للسكان وما ساعد على ذلك هو التخلف الثقافي لهؤلاء، يذكر الكاتب بير شاونو أن الانتقال إلى الفيليبين هو بالتالي الانتقال إلى قمة منتهي الموحات المتتالية التي وصلت إلى سبر أغوار العالم بطريقة فجأة. هو الانتقال من البنية الحضرية للإنسانية في الزمن القديم إلى النواكب الأولى للبنية المتواصلة من الحضور الإنساني سيما أراد طرف العالم هذا، والذي بعد صدفة وقيمة، للبشر أن يفتحوا على أوروبا عبر الأطلنطي وامتداده في الطريق الذي خطه كولومبس قبل ذلك، أي عبر أمريكا.

بدأت الفيليبين على مدار تاريخها كحالة حرة مستعمرة من الدرجة الثانية، أي مستعمرة مستعمرة حيث تأسست بفضل العالم الجديد، وتحتل معاصرة كل من ليجاني وأوردانيتا اللذين كانا المفكرين الحقيقيين وتأسيس على ذلك الذي لم يتمكن كولومبس من تحقيقه. ولما كان فيليبي الثاني الأب الحثيثي ومؤسس لهذه الحرة التي تحمل اسمه، كان كذلك من أنصار المهمة التي بدأها والده، في معسكر سانتا في، في مواجهة الغرب المعتم، حيث جرى إهدار الطاقات المتراكمة حينئذ على مدار تاريخ مكثف وشكل مستمر ولا يتوقف وكانت طاقات قوية حتى بعد غزو العالم الجديد أدت إلى عبور أكبر المحيطات والوصول إلى شواطئ آسيا.

كلف الأمر الكثير من الجهد والعمل، بالنسبة لحكام الفيليبين وكبار القامات في الجماعات الدينية، على إبقاء الجنود والرهان الدين وصلوا للتو إلى مجموعة الجزر، رغم انقضاء عامين استغلا في الرحلة إلى المكان انطلاقاً من شبه جزيرة أيبيريا. كانت الفيليبين تعتبر، على مدار فترات طويلة، مجرد ذريعة لعملية التبشير والسيطرة بالكامل على القارة.

(١) الفيليبين والباسيفيت الأيبيريين (القرون ١٦، ١٧، ١٨)، ص ١٩

مثلما حدث الأمر نفسه بالنسبة لجزر الكاريبي حيث كانت مكان التجهيز لغزو القارة الأمريكية، وهنا نجد منطقية تلك العبارة التي أوردها المؤرخ الأمريكي جون ليدي فيلان J. Ledy Phelan في ختام كتابه المعنون "أسبنة الفيليبين The hispanization of the Philippines"⁽¹⁾. نقلا عن نيتشه "يا لهؤلاء الأسبان! يا لهؤلاء الأسبان! كانوا أناسا بطمحوون إلى أمور تزيد عن الحد".

كانت مهمة غزو الإمبراطوريات الآسيوية تبدو قابلة للتحقق أكثر من أي وقت مضى ذلك أنه عندما اعتلى الملك في مدريد عرش البرتغال تم الوفاق على التوجهات الاستعمارية من جانب الشعوب الأيبيرية التي تقاسمت العالم فيما بينها مع نهاية القرن الخامس عشر. ونظرا للتوجه التعددي الذي كانت عليه المملكة الكاثوليكية فإن ذلك الاتحاد لم يستلزم إلغاء الخط الفاصل المنصوص عليه في معاهدة "توردسillas" والذي كان يعبر مجموعة الجزر الكائنة في جنوب شرق آسيا، لكن كان يبدو من الممكن الجمع بين جهد البلدين المتآخين على أرض شبه جزيرة أيبيريا ومن خلال التاريخ وكذا طموحاتهما التوسعية.

وعلى هذا تحولت الفيليبين إلى المفتاح في عملية السيطرة على منطقة المحيط الباسفيكي بالكامل. وظلت فرموزا لبعض الوقت رأس حربة بالنسبة لمانيلا بينما تدور الشرايع الطموحة للحاكم جومث بيرث ديسماريناس G.P. Desmarinas، ومعه ابنه لويس الذي خلفه في المنصب، حول الهند الصينية، توغل المبشرون والجنود الأسبان في العبادات الكمبودية وقضوا على ملك مغتصب وأقاموا علاقات سياسية وتجارية مع ذلك البلد. وقد ظلت جزر Molucas تحت السيطرة الأسبانية طوال عقود من الزمان، حتى محت عام ١٦٦٢م في الحفاظ على إمبراطوريتها في جزيرة تيرنات Ternate ومجموعة احزر المحيطة بها. وفي نهاية القرن السادس عشر كان السيد/ فرانشيسكو دي ساودي F. de Soude أرسل حملة إلى بورينو borneo وتمكن من جعل ملكها الضعيف من حلف بين التبعية، كما أن غينيا الجديدة دخلت في الفلك الأسباني نظرا لأولوية اكتشافها.

(1) The University of Wisconsin Press, Madison, 1959, page 153

وفي نهاية المطاف بعد قصص تفر في دائرة هذه السلسلة من الأملاك المنتشرة على طول
 الهندوسية وهي كندوت مدينا Mendana وكبروس Quirós حيث كانت استكمالا
 لكندوت أخرى وكندت مدينا لأسباب لقب ملكيتها لمجموعة من الجزر التي تمتد إلى
 جنوب شرقي الأمريك الجنوبية الأمر ندي أنار حبال البحارة في رؤيتهم لقارة جديدة،
 وكنت مجموعة من حملات إلى نتيجة مهمة وهي اكتشاف جزر سليمان Salomón
 وألنر ماركيسا Marquesas وألنر موياس إيريدياس Las N. Hebridas وجزر
 سومبيلا I. Sumbilla وكندت مجموعات أخرى من حرر البولنيسية Polinésicos.
 كندت رجور لأسبانية هي انجور لأوربية الأولى التي رأت المشهد المدهش للطبيعة
 لغرومسية بني كندت عبيد حرر 'بحر جنوب' التي كندت تسكنها نساء جميلات مثل
 مياء بيدي. حيث كن تحمل نساء ندي كندت العبور الأسبانية أيضاً هي التي رأت لأول
 مرة ضوحي بقرة لأندربية

كر روت هو حمة. وحققه في شكل إمراضورية أسبانية في المحيط الباسفيكي تحده
 ضوحي بقرة لأمركية وكندت مجموعات الجزر التي تم اكتشافها وسبر أغوارها على يد
 الهسبر بيدر خونو روت 'محيط نصحه إلى 'البحر الأسباني' طبقاً للتسمية التي أطلقها
 ذات منسبت Menche'a حيث أصفى السعد البلاغي على ما تم إقراره من خلال عدة
 قرارات تحدثت على أنه عندئذ من عام ١٥٤٠ م يمنع معانات على أي مركب أجنبي الإبحار
 إلى الهند الغربية ولا عرضت نفسها للاحتطاف 'هذا المفهوم احص بالبحر الأسباني أو
 سحيرة لأسبانية - ضف للمؤرخ الأمريكي ويليام ليتل شورر W.L. Schurz^(١) - لم يكن
 مجرد جبل كبحوتي لشعب مهيأ لتلقيام بتحقيق رؤى عظيمة، إذ أن ما قام بتنفيذه في بداية
 تقرير سبع عشر هو برهدر قاض على معدنه، وإذا لم يكن تمكن من تنفيذ رؤيته بالكامل
 على أرض الواقع، فذلك لأن البحارة والقسطبات كانوا يعتبرون أنفسهم في درجة أعلى
 من موت واستشارين الذين كانوا يخدمونهم. غير أن الوضع كما ظهر على أرض الواقع
 تلاعبه أخوهرية ظل واقعا فعليا على مدار ما يقرب من مائتي عام. كان جروثيو Grocio
 على حق عندما صاح قائلا هل سبصل الأسبان للسيطرة على العالم بالكامل؟

(1) The Manila Galleon, New York 1939, page 292

عارض جروثيو بقلمه وأبناء بلده، بمراكبهم وروح المغامرة والإبحار، تنفيذ
 الصمومات الأيبيرية في المحيط الباسفيكي؛ ففي عام ١٥٩٥ م، أي بعد أن تعلم بحارتهم
 السفر عبر طريق "الهند" على متن مراكب برتغالية، خرجت من أمستردام أول حملة بحرية
 متجهة إلى جاوه وبعد ذلك بثلاث سنوات خرجت من الموانئ اثنتان وعشرون سفينة،
 أبحرت منها تسعة من خلال مضيق ماجلان رغم أن كانت هناك سفينة واحدة هي التي
 مكملت هذا الطريق الخطير الذي كان يتقن الإبحار فيه كل من الأسبان والبرتغاليين، حيث
 لم يكن هناك ميناء للتزود بالمواد. ومع هذا رغم الصعوبات لم يتأخر الهولنديون من طرد
 الأيبيريين من الحزر التي كانوا شديدي الاهتمام بها من الناحية التجارية، وتبديد نواباهم
 على الملأ من الإعلان عن حرية التجارة من خلال قلم واحد من أهم المفكرين في ذلك
 القرن. وقد أدى أسر عليون برتغالي رائع عام ١٦٠٣ م في "مصيق مالاكا" Malaca على
 يد سفينة تابعة "لشركة الهند الشرقية" التي تأسست حديثاً إلى إعطاء الفرصة لهذه الأخيرة
 لتكليف جروثيو بتحرير معاهدة "Deivre Predae" حيث يشير الفصل الثاني عشر
 فيها، والمنشور عام ١٦٠٩ م عنوان "الحر حر" *si ve de iure quod Bitavis*
competit ad Indiana commercia، وهو واحد من أشهر النصوص في تاريخ
 القانون الدولي.

ورغم تمكن الهولنديين من السيطرة والبقاء في "الهند" التي تحمل اسمهم، ورغم
 توسيع نشاطهم التجاري الذي امتد حتى اليابان، ورغم محماتهم المتكررة على ماينلا
 وفيهم بعض قادة البحر منهم بالعمل على اكتشاف أراض جديدة وما ترتب على كل هذا
 من خسارة فادحة للأيبيريين في الأرض والتجارة، لم يترتب على كل هذا أي تعديل
 جوهري على وضعية المحيط الباسفيكي من حيث كونه "بحيرة هسبانية". ولما كانت
 "شركة الهند الشرقية" المعنية بمصالحها التجارية قادراً ما كانت تغامر بمواردها في خوض
 عمر مغامرات ذات مردود غير مؤكد. فالحملات التي دارت حول أمريكا الجنوبية
 وأبحرت في الباسفيكي الجنوبي لم تكن إلا مغامرات معزلة لا تشكل جزءاً من خطة عامة
 نهضت السيطرة الأسبانية على المحيط الباسفيكي، غير أنه كان هناك استثناء مثلما هو
 حال نسبة للحملات التي تمت خلال عامي ١٦٤٢ و ١٦٤٤ تحت رعاية الحاكم العام في
 الهند لانديساس I. Neerlandesas فان ريمين، والتي قادها أيل جانسون تاسمان.

حيث تم من خلالها اكتشاف الجزيرة التي لا زالت تحمل اسمه حتى الآن، وقام بالدوران حول القارة الاسترالية، وتم سبر أغوار جزر فيجي وغينيا الجديدة. كان الدافع لهذه الحملات خطط طموحة تتضمن اكتشاف "كل ما لم يتم اكتشافه حتى ذلك الحين على ظهر الكرة الأرضية" إلا أن المساهمين في أمستردام رفضوا إنفاق المزيد من المال "فيما اعتبروه مهاماً شديدة الخطورة لا يقدر عليها إلا أسباني" (١).

من البدهي أن المهمة الأسبانية في الفيليبين كانت تجارة خاسرة، إذ كانت تكلف أكثر مما تعطي، لكنها كانت أكبر من مجرد كونها مهمة كيخوتية، ولم يكن ذلك من المنظور الديني والإداري والثقافي فقط ولكن من المنظور العلمي من المهم أن يبرز هنا "أطلنطس الجديدة" Nova Atlantis، أي اليوتوبيا السياسية التقيية، التي نشرت عام ١٦٢٧م، والتي ألفها فرانسيس بيكون أحد آباء الفلسفة والعلم الحديث، تقع في جزيرة في خضم "البحيرة الأسبانية" التي هي الباسفيكي.

بدأ مكتشفو هذا الفردوس اليوتوبي السياسي رحلتهم من البرو حيث ظلوا هناك حوالي عام كامل وكانوا يتفاهمون بالقشتالية مع سكانها المثقفين، حيث كان قصائدها، "آباء بيت سليمان"، يضعون فوق رؤوسهم علامة مميزة عبارة عن قبة تشبه "القبة أو ما يسمى montera الأسبانية" (٢) لا ترجع هذه الملامح الأسبانية الواردة في كتاب المفكر الإنجليزي إلى نوع من حمل الكاتب إلى ما هو أسباني أو ما كانت تتمتع به الممكلة الكاثوليكية من شهرة في العالم ذلك أنها كانت قد تقلصت بشدة عندما نشر "أطلنطس الجديدة"، وإنما ترجع إلى ذلك الترابط الإجباري الذي كان يلاحظه الفيلسوف الإنجليزي بين الاكتشافات الجغرافية والتقدم العلمي "ولهذا - كتب بيكون" (٣) - تنبأ النبي دانيال في معرض حديثه عن آخر الزمان. plurimi Pertransibunt et augebitur scientia وكأنه من الأمور المكتوبة أن الانفتاح والطواف بالعالم وزيادة المعارف سوف يكونان في عصر واحد.

(١) ويليام لبتل شورر، العمل السابق ٤٧، ص ٢٩٤.

(٢) يونوبيات عصر النهضة، المكسيك ١٩٤١م، ص ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٨٨.

(٣) De dignitate et augmentes scienciarum II, 10.

لم يساهم أحد مثل الأسبان في الانفتاح والتطواف بالعالم، حيث كانوا يواصلون السير في مناكب الأرض والبحار بلا كلل، رغم ما عانوه من الخطا ط. وظلوا على هذا النحو حتى ردهم من القرن التاسع عشر. ولم يكن هناك مسار بحري أطول وأخطر على ظهر الأرض من ذلك المسار الذي اعتادوا خوضه بغليوناتهم صوب مانيلا في سباقهم نحو أكابولكو. هناك رحالة إيطالي يدعي ديميلي كاسري G. Caseri قام برحلة في نهاية القرن السابع عشر ووصف لنا الوضع على هذا النحو: "يجب أن يتم النظر إلى الرحلة من جزر الفيليبين إلى أمريكا على أنها الرحلة الأطول والأخطر في العالم سواء كان ذلك بسبب ضخامة المحيط حيث يجب اجتيازه مع الرياح المعاكسة كما أنه يساوي ما يقرب من نصف الكرة الأرضية. كما أن هناك عواصف شديدة الواحدة تلو الأخرى، إضافة إلى الأمراض الخطيرة التي يتعرض لها المسافرون وطاقتهم الرحلة طوال سبعة شهور أو ثمانية التي تستغرقها الرحلة... كل هذا يمكن أن يكون كافيا للقضاء على إنسان من الصلب وليس إنسان من لحم ودم..."^(١)

وفي عام ١٦٠١ م تمكن غليون من مواجهة ثمانية عشرة عاصفة، وفي عام ١٧٤٦ م واجه الغليون "سانتو دومنجو" ست عشرة عاصفة استمر بعضها ثمانين ساعة. كان الأمر الأشد خطورة السير في مجموعة من المضائق التي تفصل بين مجموعة الجزر قبل الخروج إلى البحر المفتوح وذلك بانتهاء فرصة هبوب الرياح الموسمية في الصيف التي كانت تعصف بالمراكب وتلقي بها على الشاطئ. كانت كل مرحلة من مراحل المرور بالمضائق مرتبطة باسم مركب غارقة. أضف إلى ما سبق، هناك مخاطر أخرى يقوم بها البشر وخاصة أثناء الحروب مع هولندا في بداية القرن السابع عشر، ثم تلا ذلك المخاطر التي وقعت في نهاية القرن نفسه وبداية القرن التالي قام بها القراصنة الذين نفذوا إلى برزخ بنما، ثم ما جاء بعد ذلك خلال الحروب التي دارت مع الإنجليز خلال القرن الثامن عشر.

ورغم كل هذه العقبات والمخاطر كانت تتم الرحلة الطويلة بانتظام على مدار قرنين ونصف من الزمان. كان الأمر قضية حياة أو موت بالنسبة لبقاء النظام الأسباني في الفيليبين حيث كان سكانها مرتبطين، بشكل مؤسف، بما يحدث للغليونات بشكل لم يحدث لأي

^١ ورد في حلال ويليام لينل شورر العمل المنجز إليه، ص ٢٥٣

شعب من شعوب الدنيا. كرّس بعض علماء الاقتصاد بعض جهدهم لدراسة هذا النقل البحري الغير عادي رغم انتظامه. وعبروا عن شكوكهم في أن المحرك الأول كان عناصر اقتصادية مهمة وأن هذه الحركة التجارية النشطة التي تدخل وتخرج من ماينلا كانت السبب في تغيرات مؤقتة في التجارة في حوض المحيط الأطلنطي؛ غير أن نتائج الأبحاث كانت سلبية تماما فيما يتعلق بالتساؤلات والأوضاع الاقتصادية، لكنها أسهمت في إلقاء الضوء على الأحداث والوقائع نفسها التي كانت عليها المهمة الأسبانية في جزر الفلبين، ووضعنها في مكانها الصحيح بدلا من نسبتها إلى تأملات أيديولوجية.

الأمر المثير هو صدور كتاب ضحل، مؤخرا، مكون من مائتي صفحة تقريبا يتضمن أرقاما تتعلق باقتصاد جزر الفيليبين وفيه عبارة وردت في كتاب "العمل التبشيري" Labor Evangélica لـ ب. كولن P. Colen "السيد فيليبي الثاني". كان يقول أنه مستعد أن ينفق كل دخل ممالكه من أجل الإبقاء على كيسة ولو صغيرة في الفيليبين من أجل ذكر الرب المقدس". غير أن الأمر الأكثر غرابة هو الاستنتاج الذي يصل إليه المؤلف بيير شانو Pierre Channu^(١). "هكذا وبفضل الهج الأساسي للكاثوليكية المتشددة الثيوقراطية فإن الفيليبين كان لابد أن تصبح اليوم أكثر بلاد الشرق الأقصى تغريبا. لقد كانت تلك المسيحية المتشددة والصلبية التي تنتمي الي العصر الوسيط قريبة العهد من قرون الاسترداد السبعة، هي وحدها القادرة علي رسم حد "مدنو" علي أرض استطاع الإسلام الحسي والفطري أن يرححها نتيجة ألف مقابل واحد، بل واستطاعت أيضا أن تمثل الجسد الرخو العليل المرن جدا والأشبه بالإسفنح الذي يمتص ويستوعب تلك البصمة المسيحية. وربما لم يحدث للغرب الأوربي خلال جهوده الحثيثة لتصدير ثقافته أن وجد أرضا أكثر صعوبة وأكثر جحودا ولا قدم جهدا مثل ذلك أكثر من أن يحصى من أجل الخروج بنتيجة أكثر استمرارا عن حق. لقد حققت الحملة الصليبية التي حلت بالشرق الأدنى مبتغاها. لقد أنجحت الكاثوليكية الأسبانية المالاوية بزلزالها المزدوج الحضور السياسي واللغوي لأسبانيا"

(١) الفلبين والباسفيكي الخاص بالآبيريين، ص ٢٢

أمكن تحقيق ذلك الهدف إذ بالإضافة إلى الإيمان وإلى التوجه التبشيري الواضح كانت هناك ماكينات إدارية لخدمة ذلك ، وكان أداؤها بصفة عامة ورغم الصعاب الكبرى في شتى الحقول ، تؤكد وجودها جبال من الوثائق شديدة المواءمة لتلبية الاحتياجات العلمية للباحثين مقارنة بوثائق مثيلة ، لكنها أقل ، في أوروبا . كان من الضروري أن يكون تحت كل من الأديرة والسلطات المحلية Audiencias وضباط التاج أفراد يعملون بلا كلل ولهم إرادة من حديد وذكاء جماعي قادر على تلبية الاحتياجات الخاصة بالدفاعات الحربية وكذلك عن تلك الاحتياجات الأقل حدة والخاصة بالوضع الاقتصادي الهش نظراً لما عليه مجموعة الجزر من فقر .

وفي نهاية المطاف نشير إلى أنه لو لم تكن هناك إمبراطورية ضخمة ولو لم تكن هناك قاعدة أساسية لكان من المستحيل البقاء في هذه المجموعة من الجزر . وكانت الفضة المكسيكية هي المقابل لتغذية نقل الحرير الصيني وباقي المنتجات الآسيوية التي تعتبر عصب اقتصاد البلاد . رغم أن هذا الصنف من التجارة كان غير كاف لتلبية احتياجاتها ، وكان في عجز مستمر وبالتالي يجب تعويضه من خلال المبالغ القادمة ، على متن المراكب ، من أكابولكو والتي تم استخراجها من المناجم الغنية في أسانيا الجديدة . لم يكن ممكناً القيام بهذه المهمة الفريدة في تاريخ إضفاء الطابع الغربي بشكل عميق ، في الجوانب الروحية ، على إقليم في آسيا لولا وجود مفهوم التعددية والوحدة في الغايات العامة المتوخاة التي تهدف إليها المملكة الكاثوليكية القادرة على نقل موارد من أقاليم إلى أخرى في إطار لإمبراطورية المترامية الأطراف رغم أن الأمر في هذه الحالة يتعلق بالتجار الأشيبليين .

وبعد تحليل دقيق تم التوصل إلى أن قيمة استعمار الفيليبين في أحسن حالاتها كلف أسبانيا ما بين ١٠٪ و ١٥٪ من إجمالي هامش أرباحها القادمة من الهند الغربية ؛ وكانت الهند الغربية هي الممول الرئيسي لعملية غرابة مجموعة الجزر القصية ، ولم يكن ذلك في صورة أموال سائلة ورجال بل أسهمت في ذلك الخبرة التاريخية للمملكة . ولما كانت الفلبين قوة من الدرجة الثانية ، أي أنها مستعمرة لمستعمرة ، تهيأ لها الأمر لتسير دون قفزات شديدة النفير مثل تلك التي كانت في الكاريبي أو المكسيك أو البيرو من حيث دخولها في طريق عالم ثقافي جديد . وكانت التعليمات المكتوبة التي يحملها الحاكم Adelantado ليجائبي كانت رداً على حالة القلق التي تصل إلى درجة الهوس بألا تتكرر الأيام الدموية التي كنت

ضد الأثنيك وضد الإنك، والتأكيد الذي لا رجعة فيه على عملية اعتناق المسيحية بشكل سلمي "هذه الوثيقة المهمة للغاية - طبقا لجون لدي فيلان^(١) - كانت تبدو انعكاسا حرفيا لخطب فرانيسكو بيتوريا". كانت هناك مجموعة من الظروف المواتية ذات طابع إنسي واجتماعي واقتصادي. الخ، أدت على أن يتقلب الواقع إعمالا للتعليمات الطبية بشكل أكبر بكثير مقارنة بباقي أغلب الأراضي الأمريكية.

لم تعثر الفيليبين تلك التقلبات الديموجرافية والبيئية التي عانى منها السكان الأصليون الأمريكيان خلال السنوات الأولى للاحتلال الأسباني؛ فتلك الخصوصية المحلية للسكان التي تقوم على زراعة الأرز والتي تتطلب وجود المزارع إلى جوار حقلة كانت السبب في مقاومة، لا مناص منها، ضد محاولات التمرکز أو وضع السكان الأصليين في قرى منعزلة مثلما حدث في أمريكا. حال هذا المطلب الخاص بالبيئة، ومعه قلة تعداد السكان البيض، أن توجد في الفيليبين أملاك كبرى على طريقة ما حدث في نيابات الملوك في الهند الغربية. كانت السيطرة الاقتصادية والسياسية في الحرر الآسيوية غير مباشرة كما أنها كانت تحترم البنية الطبيعية للسكان المحليين. وهذا ما لم يحدث في حالة أسبانيا الجديدة والبيرو؛ كانت السلطة تتم من خلال وسطاء محليين، الذين هم "الرئيسيون" حيث ساهموا بفضل المثالب التي عليها القيادات المحلية caciquismo في خلق نوع من الاستقلال الذاتي. إن الأمراض التي جلبها الأوربيون معهم كانت أقل حدة مما حدث في أمريكا وذلك بفضل الاتصال المسبق للفيليبين مع سكان القارة الأوربية الآسيوية.

وبالنسبة للهيئات الاستعمارية التي حري نطبتها في أمريكا الوصاية والخصص والضرائب... الخ فقد تم نطبتها في احاسب الاحر من المحيط الباسفيكي بمجرد إدخال التعديلات عليها من جراء خبرة خمسين عاما وكذلك معرفة احبدة للحالة النفسية التي عليها السكان الأصليون الأمر الذي يسر لمن استعمروا هذه المجموعة من الجزر أن يتواءموا بمهارة مع الفسيفساء المتناثرة من القرى والسلالات التي نساكنها. قامت كل جماعة دينية بالتخصص في مجموعة لغوية معينة وذلك لتوصيل المفاهيم العقديّة باستخدام اللغات المحلية. ومن جانب آخر هناك تهديدات الغزاة من الصين أو ساكني الجزر وكذا السكان

(١) العمل المشار إليه، ص ٨.

بحر حقیقہ در شریعت میں تدبیر و تدبیر فی حلال و حرام و غیرہ ...
 سبب لائیں مطلق لائیں و حلالہ سبب لائیں مطلقہ علی سبب سبب
 سبب کہ سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب سبب
 سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں
 سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں
 سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں
 سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں سبب لائیں

IV - داخل الأسوار وكافتي

بعد أن قام أرنولد توينبي بالترحال برا إلى دول جنوب شرق آسيا انضم إلى الآراء التي قال بها عدد غير قليل من المؤرخين الأجانب والتي تنفي على ما قامت به أسبانيا في القسبين ولو أن هذا جاء متأخرا. فقام بعقد مقارنة بين أوضاع السكان في هذه الجزر وغيرهم من البلاد المحيطة، ولاحظ في الجزر حيوية وتفاوتا فريدين نسبة إلى تاريخهم الطيب. فالكنيسة الكاثوليكية التي أبرزت قدرتها الكبيرة على دمج شعوب من مختلف لسلالات، جعلت القليين على شاكلة ما عليه الدول الأمريكية. "يمكننا أن نسمي القسبين يقول توينبي - بأنها بلد لاتيني أمريكي تم انتراعه من الأمريكتين ووضعه على حث لمقابل من المحيط الباسفيكي من خلال مد أسطوري ضخم أو عاصفة تفوق الحد يكن لليلبر تشكل حالة فريدة لأنها تصم في تاريخها فصلا يتعلق بأمريكا الشمالية بعد النص الأسباني وكان ذلك عبارة عن عسليه دمج جيدة للعاية ذلك أن اسبانيا والولايات شحدة تكاملتا بشكل متبادل حيث هما تمثلان عناصر مختلفة للحضارة المسيحية الغربية".

باله من اعتراف خرج من ريشة المؤرخ الإنجليزي يجب أن يأخذه في الحسان بدقة رعاء هذه الجزر وكذلك من جانب ذلك البلد الكبير الكائن على الطرف الآخر من السفيكي ويتولى حمايتها عسكريا واقتصاديا، وهذا لأسباب مختلفة سها المصلحة الخاصة به الأمر إذن عبارة عن تنمة يصعب فيها الحماط على التوارن، فمن جانب هناك المعتقدات التي تخلصت في الأعماق على مدار القرون، حيث هناك الكثير من العادات وأماط الحياة، غير أن كل ذلك يستند على الطباق الذي يرجع إلى الماضي؛ ومن جانب آخر هناك المصالح والنفسية والرياضة وتزجية الوقت واللغة والعقلية الجديدة هناك أيضاً السلطة الحربية ونوع من الترمت الديني الفخور بنفسه والذي لا يجد أي غضاصة في اتخاذ قرار مفاجئ في باب

اللعبة المعقدة للتوازن، لأنه غير قادر على الاعتراف بما يعنيه وجود أنماط أخرى للتفكير أو المعيش وأنها يمكن أن تعني شيئا إيجابيا وربما لا غنى عنه في الحياة الفيليبينية.

وإذا ما طاف أحد من الناس بالأطلال داخل الأسوار فلا يسعه إلا أن يأسف على تلك الصربة الفظة التي وُجّهت إلى هذا التوازن الشديد الحساسية. كان تدمير داخل المدينة القديمة "إنتراموروس" في أغلب جوانبه محصلة مقاومة شرسة من جانب المحتلين اليبابانيين، غير أنه إلى جانب أعمال التدمير الحربي التي لم يكن هناك مناصر منها، هناك أخرى قامت بها مجموعات تابعة لجيش الولايات المتحدة تتولى عملية الهدم، فمن خلال مساعدة البلدوزرات والجرارات التي تقوم بالتدمير من خلال جذب الأحبال جرى تدمير الحوائط والأسوار التي كانت لا تزال قائمة، والتي كان يمكن أن تسهم في إعادة بناء الآثار القديمة بدأت بعد ذلك مرحلة الاستفادة من الكتل الحجرية المقطوعة وجرى بيع الكتل الحجرية للكنائس بسعر زهيد. ثم صدر قانون بأن تتم عملية إعادة البناء طبقا للأسلوب الأسباني، غير أن تنفيذ ذلك اصطدم بمقاومة قوية جاءت من التقدميين الذين يريدون إقامة الكتل الأسمنتية مهما كلف الثمن من أجل إنشاء الكثير من المكاتب^(١).

وبعد ستة عشر عاما على هذا التدمير أصبحت الأرض التي شهدت إقامة قصور الحاكم ومجلس الكنيسة والحاكم المحلي والأديرة والمستشفيات وبيوت المتعبدات مأوى للبؤس بين كتلها الحجرية لأناس أقل من البروليتاريا حتى أصبح المشهد مبعثا للتعاسة والألم.

أعيد بناء الكاتدرائية لكن جرى استخدام مواد جديدة وبأسلوب لا يمت إلا بصلة ضعيفة للماضي. هناك استثناء وهو أن الكنيسة القديمة لدير "الأغسطين" لا زالت تحمل في ذاتها شاهداً على التاريخ الفلبيني. وحقيقة الأمر أن تلك كانت الأثر الأقوى والأفضل بناء والأعلى قيمة في مانيلا الأسبانية، ولما كانت تؤدي الكثير من الحيوانات تحت أقبعتها استطاعت أن تنجو بشكل نسبي من الطلقات، مثلما نجحت قبل ذلك في أن تنجو من الحرائق والزلازل والهجمات وغزو القوات الأجنبية للمدينة.

ينضح البناء القوي لمبنى الكنيسة من الخارج في صورة الدعامات التي ترتفع حتى السقف دون أن يصغر حجمها، وتتأكد هذه المثانة بمجرد الدخول من السياج المحيط بالكنيسة. تأخذ

(١) Vid (١) بدرو أورتيث ارمحول، "داخل أسوار مانيلا" مدريد، ١٩٥٨ م، ص ١٠٥ والسالية

أحوال في الانحناء عندما تبلغ منتصف ارتفاعها، بمجرد تجاوز الكورنيش الذي يتسم بأنه قصير نسبياً، وذلك حتى يكون هناك حامل قوي ومتين للقبة التي ترتفع فوقه، حيث تقوم على أكتاف (أعمدة مشيدة) قوية، كما أن القبة الرئيسية مربعة ومقواة بأوتار إضافية. ومن أسفل الأرض هناك الأساسات المتشابكة مكونة ما يشبه قبة تحت الأرض وذلك بغية أن يكون المبنى أكثر استغلالاً حيث أن الأرض معرضة للهزات وعلى هذا فإن الكنيسة عبارة عن برمبل كبير معقودها المترابطة التي يمكن أن تلف قبل أن تسقط على الأرض.

يُنسب المبنى إلى النمط المعماري الموروث عن إيريرا وهو السائد في كاتدرائيات إسبانيا الجديدة، لكن فيما يتعلق بالكنيسة الفيليبينية هناك صلة أسلوبية وليس ذلك فقط بل هي صلة دم بالمهندس المعماري لفيلبي الثاني. من الأمور الشائعة أن الدير القديم في مانابلا كان من أعمال أنطونيو دي إيريرا الذي هو الابن، أو ابن شقيق من أمر ببناء الاسكوريال، حيث ظهر في عام ١٥٩٩م في عاصمة الجزر، وبذلك أمر طبقاً لما كتبه الأب البيروخ. بيرث - في العام نفسه بداية الأعمال الفنية الزخرفية لكنيسة القديس أعطيير حيث هما من الأعمال الفنية الرائعة. ليست فقط لمثانة البناء والزخرفة بل لأنهما الأثران الوحيدان اللذان طلا قائمين رغم الرلار العنيفة التي تتكرر في تلك لأصقاع^(١١).

غير أن علاقة السب هذه لا تعصدها مسسات متوق بها، ومع هذا فرغم أنها مبالغة تتعلق بالأسطورة الأيبيرية التي نحمل من إيريرا المهندس المعماري للجرائيت الصلد وأنه سينكي السلالة senequista. نجد أن قصة الأثر تؤكد نحاح نسبته إليه نظراً لمثانته التي تجلت أمام الأعاصير وأحراق والرلار. ولتصف بالقابل وفي تلك الأصقاع المقابلة والتي تقع فوق المنطقة الآسيوية حرت. فامة أحسن الذي لا مثيل له بين كافة الآثار الهسبانية، حيث جرى النظر إليه على أنه مركز امملكة من خلال اسم الملك الذي أعطاه اسمه وحمايته لمجموعة الجزر الآسيوية. كما أن مواد البناء الهشة كانت تبدو متناغمة مع لإرادة الصلبة التي تسيطر على العمل الأسكوريالي. وعندما ذهب بنا "الأب الأكبر"،

(١١) ورد عن ماري لوردس ديات تريشويلو إسبولا العمارة الآسية في القرن (١٥٦٥-١٨١٠) أسبليه ١٩٥٩م، ص ٢٢٨

الذي بقودما في ريادة الدبر ، حتى الكورس العلوي للرهبان وضرب بأحد المنافع أحد الكراسي الخشبية المشعولة والمطعممة بالصدف اهترت أركان الكنيسة من خلال استجابة صادرة عن الحجر الجرايتي .

بواصل "الأب الأكر" شرح ما في الصحن الحاصة بالدير والعرف والمطاعم والسلالم الحج ، التي هي مكويات مدينة الرهبان ، أو دير جماعة سان أغسطس ، أي أول جماعة وصلت إلى المكان وأكثر الجماعات نشاطا في باب التبشير ، وهنا فإن الذاكرة تستدعي صور الكثير من المدرس الدينية التي أقيمت على الجانب الآخر من المحيط الباسيفيكي . ورغم أن هذا الصف من البناء كان صغيرا في الفيلين فإنه يوجد في حائطه القوية ومقاعد وحامل الكتاب المقدس المصنوع أيضاً من خشب قوي من المنطقة الاستوائية ، وفي طريقة الراهب نفسها وهو يتحدث نغمة أكثر قوة وقطعا من تلك التي تُسمع في الأديرة الكبرى في البرو أو امكسيث . وبالفعل فإن الرهبان كانت لهم صلاحيات أكثر في التبشير عنها في إسبانيا أمريكية نظرا لاستقلالهم عن الأساقفة حيث تولوا أمر العناية بالكنائس وأعدب المهام المتعلقة بالتبشير . وإذا ما نظرنا إلى الفيليين في أيامنا هذه وحدا أنها تاح عمل استمر على مدار ثلاثة عشر عاماً قام به ما يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ راهب ، وكذا الجهد الذي قامت به "الخزاة الملكية" للذهاب بهم إلى المكان المراد وتشيد الأديرة الكبرى التي كانوا يقيمون بها . وإذا ما كن من الصعب وضع رمح في فلاندرس Flandes فإن الأصعب من ذلك كثيرا وضع أحد الأغسطيين أو الفرنسيين سكان في جزر ثيبو Cebu أو حرر مينداناو

كانت المالية والأديرة والتعليم والروح الفيليبينية عناصر شديدة الارتباط ببعضها على مدار الفترة الاستعمارية ، مثلما هو الحال في أيامنا هذه طبقا لما يمكن أن يلاحظه من يصف بأرجاء المدينة ويرى بشكل مستمر تلك المباني العظيمة التي تحولت إلى مقار للجماعات بفصل المرونة التي عليها التشريعات في الولايات المتحدة في باب التعليم ، وهذه الجماعات تدبرها الجماعات الدينية . وأيا كانت درجة التنوع في جودة العملية التعليمية فإن ذلك انحاز في الحياة الفيليبينية هو الذي يظهر فيه الموروث التراثي الأسباني وقد تناغم معه انوروث الأمريكي . وفي هذا المقام ينبغي دعم أواصر الوعي الأخلاقي والديني للبلاد وترويه مجموعات من المهنيين المتوسطين لسد الاحتياجات الأكثر إحاحا في باب التقدم الاقتصادي على أرض ليس بها الكثير من الميزات مقارنة بالمناطق المحاورة .

كافتي Cavite هي طرف متقدم يحيط بها البحر من كل جانب عدا مدخل سهلي هذا يربطها بالأرض ولا بد أن عرض هذا المدخل يصل إلى مائتي براثا (مقياس طوله ١٦٧ م) هذا الوصف الموجز والذي يتسم بأنه وصف بحري يرجع إلى السيد خوان نينيو دي تامورا^(١) لعام ١٦٢٩ م وهو وصف أغلى من ألف صفحة وصورة.

يرى القارئ لسانا من الأرض يدخل بطريقة هادئة في البحر لكنه دخول حاسم مثلما عليه مدينة قادش، رغم تعرض المكان لمخاطر تأكله بسبب الأمواج مع السكان الذين توفرت لديهم الجراة في بناء مدينة على هذا اللسان. ويبدو أن صورة أقدم مدينة في شبه جزيرة أيبيريا تلك المدينة التي لعبت دورا حاسما في حقل التجارة مع ما وراء البحار وخاصة خلال القرن الثامن عشر. قد انتقلت بكاملها من خلال ذاكرة البحارة الذين كرسوا جهودهم لاكتشاف السنة من الأرض شبيهة بذلك اللسان الذي شيدت عليه قادش في الخليج الأندلسي، حيث أقاموا هناك أكثر من قادش الجديدة سواء في أمريكا أو آسيا. قرطاجنة هي قادش الهندية بخليجها ومراسيها وشوارعها المستقيمة وشرفاتها ومرحها وتبناها. ورغم أنها صغيرة جدا بالمقارنة فإن قادش الآسيوية، وهي كافتي Cavite، ليست في مرتبة دنيا، ذلك أن الوجوه السوداء أصبحت زيتونية الشكل وصفراء اللون.

تفوق كافتي على كل من الميناء الموجود في الأنتيل والأندلس بسمة خاصة وقد أسهمت الكتب المدرسية في تثبيتها في الذاكرة دائما وهي التآكل المستمر للشاطئ واستمرار عرو البحر لها البحر هو المسيطر الأكبر على كافتي مقارنة بقادش وقرطاجنة الهند الغربية وبالسبة للأسوار التي جرى بناؤها حول المدينة تعرضت هي الأخرى للتآكل من جراء موجات البحر بشكل أكثر مما عليه الأسوار في قادش. كما أنها مهددة بالغرق بسبب عدم حودة الكتل الحجرية وعنف البحر العاصف وفعل التآكل بسبب المياه التي تتولى شمس المنطقة الاستوائية تسخينها. وخلال القرن السابع عشر، وبسبب ضيق هذا المكان جرى بناء الكنائس والأديرة لكل من اليسوعيين والدومنيك والفرنسيسكان بالقرب من البحر لدرجة أن أمواجه كانت تبلغ الأسوار. والأكثر من هذا أنه مع بداية القرن التالي - طبقا لما يقصه علينا أحد المؤرخين - كان مبنى الكوليج وكنيسة جماعة يسوع ودير رجال الدين سانتو دومنجو

^(١) من حلال ماريا لوردس ديثا تريشويلو سينولا المعمل المذكور ص ١٨٦.

الذي كان شبه معزول، كانت كلها معرضة للدمار " حيث كانت الأمواج تضرب أساساتها بقوة بما في ذلك في المد العادي . وفي منتصف القرن الثامن عشر نجد مستشفى "سان خوان دي دبوس" . الذي شيد في ذلك الجزء الأكثر عرضة لخطر البحر ، ومعه الخندق الدفاعي عن شبه الجزيرة وقد غطتها مياه البحر رغم أنه جرى بناؤه عدة مرات .

ولم تكن المياه كريمة أيضاً مع أسوار الحصون المشيدة من الدبش ، وكذلك الأمر مع شوارع المدينة . وفي عام ١٧٠٢م ، فرغم كافة الإصلاحات المستمرة ، حيث جرى بناء الخوازيق والأحزمة ، لمقاومة البحر ، كان تقدم المياه شديد الخطورة لدرجة أن المدافع جرى تفكيكها في بعض المواقع وقد دمرتها المياه بشكل جزئي ، وهي مياه كانت تغمر الشوارع الحابية للمدينة أثناء المد الكبير ، ولم يكن ينجو منها إلا الشارع الكبير . جرى وضع مشروع وراء الأحر لحماية المكان من خلال استشارة أفضل الخبراء . وهنا تأتي إلى ذاكرة تلك الدروس المستفادة من الموانئ الأمريكية المهددة أيضاً بأمواج البحر مثل قرطاجنة الهند وبراكروث . لكن الأموال المتوفرة في الفيليبين كانت قليلة دائماً ، وكان البحر يتكفل بالقضاء على الدفاعات في عاصفة واحدة .

وفي عام ١٧٦٧م أصبحت شبه الجزيرة التي تقوم عليها مدينة كافتي على وشك التحول إلى جزيرة . وجرى وضع مشروعات لمواجهة الموقف الحديدي والدفاع عن المدينة تاريخ هذه المدينة هي عبارة عن كفاح مستمر يقوم به الإنسان ضد البحر في المنطقة الاستوائية وهو بحر لا يكاد يهدأ ، لدرجة أنه مع نهاية القرن أوصى الخبراء - ومن بينهم البريجادير أليخاندر مالا سبين الذي زار المكان أثناء رحلته الشهيرة في الدوران حول الأرض في نهاية القرن الثامن عشر - بهجرها غير أنه خلال القرن التاسع عشر تمكنت التقنيات الحديثة في البناء من إضفاء هالة من الاستقرار على كافتي المعذبة ، والتي قامت بأداء دورها كميناء وكحصن دفاعي ، رغم كل شيء ، وكمكان لم يد العون للغليونات المتوجهة إلى أكابولكو من خلال إصلاحها بعد رحلة طويلة ، وقيامها بتصنيع المدافع لحماية نفسها وحماية الجزر المحيطة من هجمات الأوربيين أو الأسبويين .

استمرت كافتي في أداء دورها الحاسم الذي لعبته على مدار تاريخ أسبانيا في هذه الجزر حتى النهاية ؛ قامت بحماية القاعدة البحرية من الهجمة التي قام بها الأسطول

الأمريكي، حيث انتشرت سفن القائد البحري مونتوخو عام ١٨٩٨م وهي سفن تحمل أسماء ذات دلالة بالغة وهي "قشتالة" و"الملكة كريستينا" و"السيد خوان النمساوي" و"السيد أنطونيو دي أبوا" و"جزيرة كوبا" و"جزيرة لوثون" . الخ . كان مشهد اللقاء يبدو في حقيقة الأمر منتسبا إلى الماضي وليس إلى الحاضر، إذا ما نظرنا إلى عدم فعالية مدافع المراكب ومدافع التحصينات حيث كانت قصيرة المدى ولم تتمكن بذلك من النيل من المراكب الأمريكية. لم يكن هناك عدد كبير من القتلى لكن كافة المراكب الأسبانية تم إغراقها في مذبحة تاريخية وجغرافية وكذا مذبحة للأسماء التي تحملها.

ومع هذا فإن الهسباني الذي يتمشى في شوارع كافتى لا يشعر بالحزن إذ يحول دون ذلك وجود هذه السمة الأندلسية المرححة للمدينة بشوارعها التي تغمرها أشعة الشمس ومنازلها غير العالية المدهونة بشكل جيد والمعنى بها أيضاً، وليلاحظ المرء أنها منازل أعيد بناؤها، ذلك أن كافتى تدمرت تماما أثناء حرب الباسفيكي؛ غير أن إعادة بنائها كان سريعا للغاية عما كانت عليه "إنترامورس" ذلك أنها كانت ضرورية لحياة القاعدة البحرية الأمريكية. ونظرا لهذه السرعة في إعادة البناء جرى السير على الإيقاع المعماري الذي كانت عليه قبل الحرب. وفي هذا المقام كانت عملية إعادة البناء برهانا حاسما على قوة سيطرة التراث.

لا يقتصر الأمر فقط على الأسلوب الذي عليه المنازل وتأثيره على الرحالة الهسباني الذي يطوف بشوارع المدينة أو يطوف بأرصنة ميساء كافتى ويشعر بأنه راض أو كأنه عاد إلى البلاد؛ هناك أيضاً اللغة التي يتحدث بها سكانها، ففي هذه المدينة كانت الأسبانية شديدة الشبوع نظرا للاتصال المستمر بين أهلها وبين البيض الذين يعملون في الميناء وفي الورشة وظل على هذا الحال حتى أياما هذه إلا أنه احتسب به الكثير من المصطلحات التاجالية وكذلك الصينية. كان العمل الأكثر قسوة في الورش يقع على عاتق أبناء الجزر لكن الفنيين الذين يكلفون بالمهام الأكثر صعوبة كانوا من الصين حيث احتلطوا بالسكان الأصليين وأدى ذلك إلى وجود سكان مختلطين لا رالوا يستخدمون أسبانية، مليئة بمصطلحات أجنبية، يطلق اليوم عليها اللغة "الكافيتينية" نسبة إلى المدينة.

وغير بعيد عن المكان الذي يتم فيه الاحتفال بوداع الغليونيات بحضور الأسقف وأحاکم العام وكافة سلطات مانيلا، أخذنا نتحدث ونحن إلى جوار البحر حول مائدة

توجد في ترأس "البادي الأمريكي". وفي الحلف يقفز المصطافون من الشباب والشيوخ في مياه حمام السباحة. وأمامنا بمند الخليج البحري لمانيلابضخامته وكذا شبه جزيرة باتان Batan الواقعة في العمق، وإلى اليسار هناك كافتي التي لا تكاد ترى أخذت الشمس ترسم الأفق بأشعتها حال الغروب من خلال ألوان متتابعة غير واضحة المعالم، والخافتة رغم عمقها الشديد.

ومع هذا فاليوم ليس يوما طيبا، إذ هناك أمسيات فيها الغروب أحمل بكثير مما هو عليه اليوم، طبقا لما يرويه لي محدثي وجميعهم من الأسبان، أغلبهم من قطالونيا وكذا ممن يعملون في "شركة الفلبين للتبغ". هم هنا منذ سنوات طويلة، يكادون يقضون حياتهم كلها هنا وقد ترقوا في مختلف المناصب الإدارية حتى بلغوا مراكز القيادة التي يشغلونها حاليا يعرفون جيدا الحياة في هذه البلاد حيث لم يقتصرُوا في عملهم على التعامل مع السكان الأصليين من العمال الذين يعملون في المزارع بل تعاملوا أيضاً مع المنتجين المستقلين، الذين يشترون منهم التبغ المخزن في مناطق محدمة منشرة تابعة للشركة في كافة أنحاء مجموعة الجزر، وكان ذلك طبقا لنظام للتدخل عبر المباشر في الحياة الاقتصادية للبلاد حيث كان ذلك النظام هو المتبع خلال العصر الاستعماري تحدثوا عن العادات القديمة وعن الثقة الأتوية التي كانت موحودة في الأقسام بقضية البلاد منذ عدة سنوات، لكنها ثقة أخذت تختفي هذه الأيام فصنوا طرائف من "حبة في مدر" القديمة للمحافظات حيث كان التراث الأسباني أكثر حيوية مما عليه في مايبلا

يشعرون بانتمائهم لمهامهم الأمر الذي يتحدور حدود لروني المهي، وكأنهم الذين يحملون على رؤوسهم كبرياء "السادة القشتاليين". وليس هذا فقط بل المتعة التي يعيشها الكثير من الأسبان عندما يدحسون كمية مهمة من التبغ فيليبسي، وهم لا يكادون يدرون ذلك، ذلك هو إسهام في إضفاء الفرحة الوطنية وهذه نشه رغم أنها أقل ظهورا ووضوحا - تلك الفرحة المرتبطة بارساليات الطرح من مايبلا التي أخذت تجارتها في الأقاليم في غضون بعض السنوات، والسبب هو أن الرياح الوطنية التي تهب في الجزر غير مواتية للشركات الأجنبية، وهذا أمر معتاد في كافة الدول التي حصلت على استقلالها حديثا، ويشمل هذا كذلك الحالة الأسبانية رغم تراثها الطويل ورغم الصلة الحميمة بالفلبينيين.

نمضي الساعات ممتعة بينما نتحدث عن Tagaytay المشهد الأكثر شهرة في منطقة
حوار للعاصمة، وكذا عن المشاكل الناجمة عن تزايد مشاركة الصينيين المقيمين في الحياة
الاقتصادية للسلاو وعن ألف موضوع آخر مثل المهمة المعقدة التي تقع على عاتق الإكليروس
في المناطق الريفية نظرا لعزلتها وسط قرى متفرقة، وعن الصعوبات التي تقف دون تعيين
حريجين الجامعيين من الجامعات الكثيرة المنتشرة في مانيلا، وعن وظيفة "الكازينو
الأساسي" الخ.

وعندما تهدم مبنى ذلك الكازينو أثناء الحرب، كان على الجماعة الأسبانية المقيمة في
المنطقة أن تنسحب من أرضه، وإقامته على مساحة أقل؛ ومع هذا لازال يحتفظ بسمعته
وحديثه التي امتدت إلى الأسبانو أمريكيين وإلى الفلبينيين أنفسهم. وأمام هذا المد الكبير
للأمريكية الأخلاوساكسونية، أصبح "الكازينو الأسباني" جزيرة يبحث فيها الناس عن
مأوى ولا يقتصر ذلك على الشعور بذكرى الأيام الحوالي التي كانت لهم في الوطن الأم،
صفا لما نراه في الكاريبوهات الأسبانية في أسبانوأمريكا، بل يشمل ذلك كل هؤلاء الذين
يسركون القيمة العليا التي تتضمنها البلاعة الوطنية المتمثلة في محاضرة يتم إلقاؤها على
حسب الأحرار، أو الاحتمال محطوبة بنت من أصول سلتية أيبيرية أو المحرمات المقلية بزيت
بربنون الصافي أو قصاء فترة الطهيرة ممددا على أريكة كبيرة بينما في الجوار يسمع صوت
قطع الدومينو على ترابيزة من الرخام وكل ذلك مصحوب بعبارات التعجب بالقشتالية
حاضرة

رغم أن هذه العادات تنكمش يوما بعد يوم فإنها قيم لا زال لها قوة في الانتشار بين
عنصر الحرية، مما في ذلك لعب الكرة الساسكية في مانيلا. وطبقا لما يقصه علي رفقائي في
سنة فإن امهرحان الرئيسي للمدينة هو احاص بسانتياجو حامي القشتاليين هو يسمى
بـ Castila و Castila بلغة البيساو. وكان هذا المهرجان يقام في الفلبين لكل
ثلاث الأسبان. تعقد الاحتفالية في "الكازينو الأسباني" ويرأسها القنصل القائم بالأعمال
التي حولها له مؤقتا الحاكم العام. ويوضع فوق واجهة المنى تمثال ضخمة للقديس الرسولي
لذي يبدو أنه يجري أثناء ليلة استوائية في خضم كميات تضيء وتنطفئ. الحصان السائر
بأنما وحاص بالقديس الرسولي هو الوحيد الذي يسير بخطى ثابتة إلى الأمام في طريق
السمار الذي فتحوه نحو جزر الفلبين بمراكب ليجاثبي منذ أربعة قرون مضت.

V - الخط القطري لطوكيو

إذا ما قام الرحالة في باب البحث عن وجوه شبه تساعد على فهم الظاهرة الحضرية العربية نتي هي طوكيو بمراجعة الصورة النمطية للمدن الأوربية الكبرى، لوجد أن برلين هي الصورة التي تكون عوناً له في هذا المقام، فالعاصمة الألمانية تشبه طوكيو من حيث موقعها في منطقة سهلية وكثيرة المياه وأصولها الحديثة وطبيعتها السياسية الحربية.

قدم الشحونس (الشجون Tokugawa, shogunes) بتوسعة طوكيو، مقارنة مدينة كيوتو، مدينة الأباطرة، مثلما فعل ملوك بروسيا لبرلين مقارنة بفيينا الإمبراطورية. وقد أدت عدم الشرعية التاريخية الدينية التي حمل كلا النظامين على التصرف بشكل تكميلي وبات لتسمية وفخار كل بما له من رأسمال ضخم. يجب أن يوضع التوازي بين الطرفين في حصر شكل كبير، كما أنه يتموقع في المصير المأساوي الذي تعرضت له هذه المدينة أو نيت فلقد جرى تدمير كليهما منذ زمن قصير، ولو أن طوكيو تعرضت للقسط الأكبر، فقد سقت الطبيعة في هذا المقام بالزلزال المدمر الذي وقع عام ١٩٢٣م، وتلا ذلك الدمار - حرم عن الشر أثناء حرب الباستنيكي.

وسرعان ما أعيد بناء المدينة، فالمدن المشيدة من الخشب من السهل تدميرها ومن سهل أيضاً إعادة بنائها باستثناء الرقعة القديمة التي لم يعد لها وجود في طوكيو باستثناء معد التي نحت بفضل انعزالها أو أنها خرجت من بين الرماذ بشكل معجز. أما الرقعة الحضرية الكبرى فقد أعيد بناؤها حيث هناك مركز حضري يليق بها وينظم مسارها. ومن جهة أخرى فإن هذه المدينة لا تتوفر على مناطق مرتفعة يمكن أن تكون بمثابة مرجعية بصرية، كما لا تتوفر على نهر كبير يقسم المدينة ويكون بمثابة محور، أو وجود موانئ

كبرى وحولها تمتد خريطة المدينة أو إطار من الطرق تحيط بها والتي تصبح ذات غاية سلبية رغم أنها حلت محل الأسوار التي كانت وكذلك الخنادق الدفاعية .

لا يعني هذا أن البعد الحربي غائب عن طوكيو ؛ بل العكس من ذلك ، فهناك واحدة من الصور التي بقيت مطبوعة في عيون الرحالة ، وخاصة إذا ما أقام في فندق " بالاس هوتيل " . هي السور الذي يحيط بالقصر الإمبراطوري ، حيث يسير في خط مواز للواجهة التالية لذلك الفندق ثم ينحني على الفور ويتعد ويتوه وراء الكتل المعمارية للمباني العالية ، المشيدة بمواد معمارية ثرية وجيدة التشطيب والتي تقف على النقيض مع السور المعماري الدفاعي الروستيك . ويتوج ذلك أشجار الصنوبر بجذوعها وأغصانها القليلة الملتوية وكأنها نوع من التشبه أو التحفي في صورة جنود محاربين فاقد الأمل . هناك حزام من البوحي مربوط بأحدع في المنتصف وذلك للحيلولة دور نفاذ الحشرات ، مما يجعل الأمر يبدو على سبيل التحيل وكأنه له وظيفة حربية كبرى

ونحت ، هناك الكتل الحجرية الموضوعة بشكل مائل entalud ، حيث توجد غرف كبيرة بينها مما يعطي الانطباع بأن هناك عملية إصلاح مؤقتة أو أر هناك قطاع من حائط لحوض زرع . وما ينفي ذلك الانطباع هو الدقة في وضع الكتل الحجرية في الزاوية ، فقبل أن تغوص في الخندق نجد لها منحني لطيفا كأنه مقدمة لمركب تسير بالمجاديف تنبأهي المرة تلو الأخرى بتلك الرقاب التي تشبه رقاب السحرة التي تعوم في المياه الهادئة إلى جوار المقدمة الحجرية .

ومن الساحة الفعلية فهذا القطاع من السور الذي يمتد بقوة ليس هو المحيط بقصر ميكادو Mikado بل كان الذي يحيط الفضاء الخارجي الذي تم إلحاقه بالحصون اليابانية الكبرى . حيث كان يعيش أتباع سيد القلعة ، وهم في هذه الحالة أسر " الدايموس " daymios التي كان الشجون Shogunes يمسكون بها في قصورهم لتكون ضمانا لولائها . إلا أن هذه الأسوار تتصل بتلك التي تحيط بشكل مباشر في الوقت الحالي بالقصر الإمبراطوري ومعها هناك الخنادق التي لا تفصل عنها مشكلة بذلك حدود رقعة خضراء كبيرة وسط المدينة وفي بعض الحوائط هناك أشجار الحديقة فوق هضاب غير مرتفعة وممتدة إلى ما لا نهاية ومن جانب آخر هناك طرق جديدة وفسحة تشق هذا المقر الواسع

عندما يلقي المرء نظرة على خريطة طوكيو يكتشف أن خير مرجعية تساعد على التطواف في هذا الخضم الحضري هي المساحة الخضراء التي هي الحديقة الإمبراطورية. وهذا وجه شبه آخر ببرلين، حيث هناك أيضاً كتلة خضراء واسعة هي Tiergarten تقوم بوظيفة مماثلة. ومن ناحية أخرى فإن التجربة كثيراً ما تزيل اللبس عن الذي وصل إلى المكان حديثاً، فبعد عود المرء من حضور مناسبة أكاديمية عقدت في واحدة من الجامعات الموجودة خارج نطاق المدينة، أو العودة بعد تناول طعام الغذاء في مطعم ياباني هناك في إحدى الحوارى التابعة حتى لا نستطيع الذاكرة حملها، تطالعه الكتل الحجرية الرمادية للأسوار الإمبراطورية، وهنا يشعر بالسعادة لهذا النوع من اللقاء الذي يكاد يكون حميماً إضافة إلى ذلك الشعور البسيط الناجم عن وجود جزيرة قريبة لهذا الفريق. الذي هو الزائر الأوربي، وسط هذا المحيط الحضري الضخم لطوكيو بعدد سكانها الذي يبلغ عشرة ملايين.

يراد ريادة هذا الرضا من خلال اكتشاف المحاور الكبرى التي تبدأ من القلب الحضري والسياسي الذي تمثله الحديقة الإمبراطورية، لكن لا يوجد في طوكيو "Unter den linden" أي "البوليفار" المسمى بهذا الاسم في برلين. أو ما يسمى شارع kurfürsten damm في برلين؛ فالطرق الفسيحة والشوارع التي تبدأ من تلك الحديقة سرعان ما تبدأ منحنياتها وتفرعاتها أو أن تذوب في شوارع أخرى. ومن يركب سيارة سرعان ما يتوه. كما أنه ليس من الممكن أن يتخيل المرء طبيعة توافق التقاطعات في المركز الحضري، وهذا يرجع في المقام الأول إلى أن الحديقة الإمبراطورية التي هي قلب المكان، تستعصي على أية قياسات هندسية بمحيطها المتعرج بشكل غير منتظم؛ أضف إلى ذلك أن الخطوط التوجيهية بالنسبة للرحالة تتوه بعد أن يعادر الرحالة المكان بوقت قليل ليدخل في شبكة من الشوارع وتصبح بذلك الجهات الأربع عائمة وغير موثوق بها وكأنها بتلات ورده حمها الهواء.

غير أن الشعور بفقدان الاتجاه لا يتوفر عند الياباني رغم أنه ربما يزور عاصمة بلاده لأول مرة، فالأمر بالنسبة له هو أن الجهات الأربع ليست في حاجة إلى مرجعية لتحديد لها، وإنما هي حاضرة في حد ذاتها، دون أية مساعدة طبوغرافية أو معمارية. فالياباني يعرف دائماً إلى أية واحدة من الجهات الأربع ينظر؛ "فوردة الهواء" (دوارة الرياح) عنده لا علاقة لها بما هو بحري أو جغرافي، وهي شديدة الارتباط به وعادة يومية وهو يحملها في بصره. وعندما

يكون هناك مسافر في تاكسي، في شوارع طوكيو، يقوم بتوجيه السائق باستخدام عبارات مثل هذه 'نحو الشمال، نحو الشمال هناك'، وعند الوصول إلى تقاطع يقول له ادخل سيادتك نحو الشرق'. عند دخول الغرفة الرئيسية في المنزل بعد المرور بمسارات وحدائق معقدة عدة ما يقول رب المنزل للزائر 'تفضل بالجلوس ذلك أن الجنوب هو مكان جلوس الصيوف' أو أن يقول الزوج لزوجته 'هذه اللوحة ليست في مكان مناسب أمام الصوان، ضعيها نحو الشمال' فتطيع الزوجة وتقوم بوضع اللوحة في المكان المحدد بشكل تجريدي دون أي تردد وكأنها تحمل في مآقيها بقرين البوصلة

ومع هذا يبدو أن الياباني يشعر بشيء من عدم اليقين عند استخدامه مصطلحات 'اليمين' و'اليسار' التي هي من سمات الأوربي في كافة مناحي الحياة. ولاشك أن ذلك يرجع إلى أن الثقافة الغربية أكثر ميلاً إلى إضفاء الصفات البشرية على كائنات أخرى antropomofica والعقلانية وأقل طبيعية من الثقافة الشرقية. الأوربي إذن هو مخلوق أكثر ابتعاداً عن حضن الطبيعة عن الياباني، الأمر الذي أدى إلى فقدانه غريزة تحديد الاتجاه. وبالتالي لا يستطيع أن يحدد مكان الحي الذي يطوف به في طوكيو، ولو كان يتحرك في اتجاه يوكوهاما أو في الاتجاه المعاكس. وتستعصى عليه عملية العثور على مناطق مرتفعة في الأرض، أو حدائق، أو أبراج تصح مرجعية في سيره؛ الأمر هو أن الحدائق كثيرة ومتشعبة. والأبراج كذلك، وعدم يتم اتخاذ أحدها كمرجعية تتعلق بالشمال أو الشرق تظهر أخرى شبيهة في حي قصي وبالتالي يزداد اللبس وليس العكس

غير أن هناك ما ترتبط به العين وكأنه اللوحة المنقذة، هو برج يتسه برج إيفل، رغم أنه أعلى. ويمكن القول بأن هذا البرج قد رفع قدميه إلى أعلى رتبة في منافسة البرج الباريسي إنه برج طوكيو الذي يقف أمام فندق 'بالاس هوتيل' في عمق لطريق الذي تم تعبيده بعد الحرب عامراً احديقة الإمبراطورية وقد تجلى البحر للرحالة عندما نظر من نافذة غرفته حيث تبدى قدمته بشكل رائع في الضمة بفضل الأضواء التي تعكس بنيتها احداية بشكل تصاعدي مع زيادة المساحة المضاء بفضل كشافات السيارات المارة بشكل مكثف في الطريق.

وعلى هذا تكونت مساحة كبيرة مضاءة في العتمة المسيطرة على الحدائق الإمبراطورية، وكذا من السماء وهو أمر يلفت أيضاً انتباه المسافر الذي وصل لتوه، كانت

مساحة فُطرية تبرز أيضاً في وضوح النهار، ثم أخذت تكتسب أهمية بمرور الأسابيع التي قضتها الرحالة في المدينة. والأمر هو أنه لما كان من المستحيل إسكات حالة عدم اليقين أثناء تحواله في الشوارع المتشابكة والشوارع الكبرى، فإن البصر يرتبط بذلك المحور الواضح والخورري الذي يبدأ من نافذة الفندق ويعبر فندق القصر والسور، ويترك على الجهة اليمنى المباني الكلاسيكية اليابانية التي أقيمت إلى جوار مدخل ذلك المكان، وبعيدا بعض الشيء، إلى اليسار، هناك مجموعة من المباني التجارية التي تمتد على طول الطريق الواسع وتسنم حتى تصل إلى جوار البرج الشاهق حيث يصعد إلى أعلاه ويختفي في سماء الخريف الياباني التي لا تصمت.

هو محور يبدأ من مآقي عيون المشاهد حتى آخر الأفق بعد أن طاف بمشاهد ذات أهمية خاصة، وحوله أخذت تتشكل ملاحظات وتأملات، ولو لم يكن كذلك لتاهت في الغابة الحصرية المزدحمة. هناك أيضاً الثمار التي تم اختطافها في رحلات إلى مدن يابانية أخرى أخذت تتجمع وتصبح كأنها حبات مسبحة في هذا المحور البصري.

يمر هذا المحور البصري إلى جوار الإطار الألمنيوم للنافذة، الذي جرى تركيبه بدقة لا مثيل لها كما أنه ناعم الملمس لدرجة يكاد معها لا يكون من المعدن بل من الخشب، وهذا من سمات شعب عرف ما لم يعرفه شعب آخر، أي أن يستخرج من الخشب مسطحات شديدة الملامسة حيث يمكن أن يشعر المرء من تحتها بنبض العصارة الشجرية التي تسير بإيقاع هادئ للغاية. وإذا ما تناول المرء طعام الغداء في الطابق السفلي فإن المحور البصري يعبر حديقة صغيرة من الكتل الحجرية والرمال توجد إلى جوار نوافذ كبيرة شديدة النظافة لدرجة أنها لا تكاد تكون موجودة وكأن داخل المكان قد انصهر في المشهد الخارجي.

تتوافق الحديقة مع أقصى متطلبات الروح البوذية "زن" Zen التي تُلهم الحداثق الشهيرة، بدون حشائش، التابعة لمعبد ريوآنجي Ryoan-ji ومعبد دايتوكوجي Daitoku-ji في كيوتو. ولما كانت الرمال متحركة بعض الشيء بسبب مرور مقشة عليها يتولد الانطباع بوجود مسطح متموج للبحر. جرى اختيار الكتل الحجرية بعناية فائقة من خلال أشكالها الطبيعية، وجرى تقديمها منسقة في توازن بين الأحجام وخاصة عندما تظلم وعندئذ تنمع المسطحات وتعكس ضوءها على رمال أكثر رخاوة وسمرة بفضل الرطوبة. تتسم

الحديقة بأنها شديدة التقليدية في إطار الأسلوب الياباني لكنها لا تتفصل ، على الإطلاق ،
عن الحدائق المعمارية ، إذ يبدو أنها جاءت من لدن فنان شديد الحدائق .

وعندما أمطرت السماء أخذ البصر ينزلق بنعومة ابتداء من الحديقة التجريدية إلى
خندق المياه وتزحلق بسهولة شديدة على مسطح السور القائم فوق الخندق مهما كانت
حجارته خشنة وغير منتظمة . لا تعتبر المياه الموجودة في الخندق الواسع عنصرا غريبا على
المشهد بل هي شيء طبيعي تماما ، فلم يكن من الضروري جلب المياه من خلال قنوات
اصطناعية بل اقتصر هم الرجال على ترك المياه على ما هي عليه : فالاسم القديم والحقيقي
للمدينة يعني الحميمة نحو هذا العنصر السائل . اسم طوكيو حديث ومجرد إذن ، وهو يعني
العاصمة الشرقية ، في تقابل مع مدينة كيوتو القديمة والمقدسة ، وهل هذا الاسم محل الاسم
الذي كان يطلق على العاصمة القديمة Shogunto شوجوانتو وكان ذلك في بداية عصر
ميجي Meiji ، وهذا الاسم هو يبدو Yedo الأكثر واقعية وارتباطا باحترافيا هذا الاسم
يعني بالفعل مصب نهر وبصف بدقة وضع المدينة عند مصب النهر الذي تحمل مياهه الرمال
مغلقة معها الخليج ولا تترك إلا القليل من المراكب ذات العاطس البسيط لتصل إلى موانئ
العاصمة .

المياه الموجودة في الخنادق مياه راكدة تعوم فيها طيور السحح برشاقنتها مضيئة جوا من
الحنين إلى سنوات "نهاية القرن" . وهي طيور ذات حجم كبير وكأنها مرسومة على برفان ،
وقام برسمها فنان عصر موروماتشي Muromachi لا يمكن له معسر العربي أن يكون
فكرة عن الأهمية والقيمة التي يتمتع بها هذا الطائر لكهوتي في نظر الشرقي ، ولهذا فإنه
يبرز بشكل خاص العبوس الذي عليه السور الحجري . من حلف البياض القوي الذي عليه
البجع .

ورغم أن السور غير مرتفع ، فإنه يثاوم هجوم البطرة التي تنفذ في الشقوق وتحيط
بالكتل الحجرية ذات الخواف القوية وتلمسها تحتفظ الكتل الحجرية التي تستخدم في
الحوائط اليابانية باستقلالها الطبيعي والذي يعتبر المتابل الآخر للحوائط الصلدة لثقافة
الإنك في كوثكو . وعلى أية حال تتسم الكتل الحجرية للأسوار الإمبراطورية في طوكيو
بأنها ذات تمتع خاص ، فلا يدري المرء هل يصنف ذلك على أنه علامة على احتجاج الكتلة

أحذية على استخدامها في غرض ما التصق بها منذ عصر ميحي Meiji ، عندما أقام الملأك
دلت السور ، وهم 'التوجوني' ، رؤساء النظام السياسي والعسكري في البلاد ، عندما
حرى الاستيلاء على مقرهم من قبل الرؤساء الروحيين الذين هم بابوات أكثر مهم أباطرة
سنتهم العربي والدين ظلوا طوال قرون محوسين في السحر الذهبي الذي كان مدينة كيوتو
عندهم

لكن تعلق الجماهير ولاءها الروحي لذلك الرجل سليل الآلهة أمانيراسو ، والذين
ينواحدون ويسبزون في الطريق المؤدي إلى مدخل القصر ، كنوع من التكريم الصامت له عن
بعد وهؤلاء الذين يسبزون بهذا الشكل اجماعي في إطار حربي قديم وكأنهم فيالق
بنوفون ويناعمون في ظل حركة القطريرة الصربية ، التي تنسم بكثرة السيارات التي تمر بها
لتصل إلى الحظ المتملت الذي عبيد الريح المعدني الضخم وعلى هذا ينتهي الخط البصري
نما هو شديد أحداث ، بعد عبور الحديثة الودية للصدق والصدق وما به من طيور السح
والأسوار القديمة ثم بعد ذلك المشهد الذي سحى فيه العديد من الطواهر الوطنية ، من
مظاهرات سياسية ولاستحار كرامة من خلال الطقوس كما يبدو أيضاً أن
لنصر له سنة مساره عند أعلى برج من عتد السماء في الهواء اللاهاني ، وكأنه
ينتهي صهوة الموحث التي حمل لاسيات وخسوف إلى عدد لانهاني من المساكن في البانار
التي كان انتاحها على العالم الحار حتى سويح السجود

VI - القرى وحقولها

نعتبر منطقة طوكيو الكبرى أكبر من محافظة جيوثوكوا الأسبانية. كما أن الخروج من المدينة يستغرق وقتاً طويلاً. وتبقى في الخلف المستودعات والمخازن وعناصر السكك الحديدية والمباني الحديثة للمركز التجاري والأحياء السكنية المتعاقبة. المنازل غير مرتفعة فنادرًا ما يرى مبنى مكونًا من أكثر من طابقين، كما أنها ذات حدائق بشكل شبه دائم أو نوع من المساحات التي تقوم مقامها، هناك الحدائق والمدافن أيضاً التي تحتل مساحات واسعة.

وفي نهاية المطاف أخذت تظهر الحقول المزروعة لكن بها أيضاً منازل الأرباض التي يعكس عليها أهذاب النسيج الكثيف الموجود في العاصمة ولا تكاد الأرباض تنتهي ذلك أن الأرباض ترتبط بها أو تليها القرى الزراعية والتي يمر من محطاتها القطار. يمكن أن يتأمل المرء سهل كانتو Kanto الممتد أمام البصر لدرجة لا تكاد تُرى معه الجبال المحيطة. إنها منطقة الأكثر اتساعاً في البلاد والشديدة الثراء زراعياً وكذلك فيما يتعلق بالأحداث التاريخية وإذا ما كان سهل ياماتو Yamato المحيط سارا وكيوتو Nara مسرحاً دينياً وثقافياً لليابان القديمة، فإن سهل كانتو كان المسرح السياسي لليابان الحديثة والذي يقوم "الشوجونس" طوكوجاوا Tokugawa بإدارته من ييدو Yedo.

بعبارة القطار منطقة من الأرض جرى اكتسابها من البحر Polders حيث تبدو وقد تم تجفيفها بعد عناء منذ زمن غير طويل؛ ثم نجد بعد ذلك أن طريق القطار يسير وسط أرض مرتفعة بعض الشيء وجافة ومهيأة على شكل مصاطب. وترتفع هنا وهناك جبال صعبة تتوجهها الأشجار والمعابد لكن لا يكاد المرء يواتيه الانطباع بأنه أصبح يمر بالحقول، ذلك لكثرة القرى وكثرة ما بها من مساكن سواء متفرقة أو في شكل مجموعات رغم أنها جميعاً شديدة القرب من بعضها ولا يكاد يفصلها عن بعضها إلا الحقول الزراعية. الأمر

ليس ظاهرة ديموغرافية ترجع إلى فترة قريبة؛ إذ أنه في عام ١٦١٢ شعر السيد/ رودريجو دي بيرو إي بيلاسكو، الذي كان حاكماً للفلبين، بالدهشة عندما رأى توالي القرى الواحدة تلو الأخرى في كل أربعة فراسخ وعلى مدار المائة فرسخ المسافة الفاصلة بين زورونجا و *Zurunga* ومياكو *meaco* (كيوتو) ولم يتوجه ببصره إلى أي شيء إلا واكتشف مجموعة من الناس كثيرة العدد مثلما هو الحال في المدن الأوروبية الكثيفة السكان.

كما تبدو عربّة القطار منزلاً أيضاً. فالحرارة مرتفعة وهناك الكثير من المسافرين الذين تحللوا من لبس الجواكت وأخذوا يقرؤون الصحف أو المجلات المصورة وهم جالسون على كراسي مريحة، أو يستمعون للراديو من خلال السماعات الموجودة معلقة في المقاعد. يبدو أنهم لا يولون اهتماماً لما يفعله أو يفكر فيه الجار وكأنهم يخضعون لحماية برفانات غير مرئية تعمل على خلق جو منزلي. ومن العلامات البارزة للغاية على أنهم في المنزل هو أن الكثير منهم خلع حذاءه وأراح قدميه على مسند مُعدّ عبارة عن قطعة نسيجية كأنها سجادة حلت محل الحصيرة *Iatami* المنزلية. وهي مصنوعة من قش الأرز الذي هو مادة ضرورية في المنزل الياباني لكنها مادة هشّة لدرجة أن شركات السكك الحديدية لم تجرؤ على وضع نليسة لمكان راحة القدمين، بمعنى واحد من المكايين المحصنين لراحة القدمين بالنسبة للمسافر ذلك أن القطار الياباني يقدم مكاناً آخر يرتبط بالأول من خلال آلية عبقرية، وعليه طبقة من الكاوتش حتى يمكن وضع القدمين عليه وهما متعلتان، هذا إذا لم يرد المسافر المشاركة في هذا الجو العائلي وفضل الاستمرار على الحالة التي هو عليها، وهي أنه يمرّ مؤقتاً.

يُحدث الجو العام في القطار تأثيره على الصورة التي عليها المشهد الخارجي، إذ في هذا هناك خلط مشابه من الداخلي والخارجي، لما هو عام وما هو خاص. هناك زراعة الأرز التي تُغلّ جيداً لدرجة أن الجزء المملوك لكل أسرة وتعيش عليه هو الحد الأدنى ويبدو وكأنه ملحق بالمنزل أكثر منه حقلاً بالمعنى الفعلي. أو إذا ما شئنا القول فإن المنزل هو ملحق بذلك الحقل المزروع؛ فالبيت مشيد من أساسه وحتى سقفه من الخشب والمنتجات النباتية، ويبدو شديد الارتباط بتلك المواد التي يتغذى عليها سكانه. كما أن المنازل الريفية المشيدة من الكتل الحجرية أو الآجر تذهب إلى ما هو أبعد من ربط سكانها بالأرض المزروعة إذ تقام في الأرض الجيولوجية، أما المنازل الخشبية فهي تجعل الرجل ريفياً حقيقياً. يسكن

الإنسان بين حائط وأسقف مكونة من عناصر عضوية نبتت في الأرض واحتفظت بمصارتها
بكمها عصارة في حالة جافة. إنها مسكن هش ومؤقت مثل الخشب، وهي مثل الطعام
ومثل الإنسان.

توجد في الدول الغربية، الأوربية أو الأمريكية، كثير من الأقاليم يعيش فيها
الفلاحون في منازل خشبية أيضاً، لكن نادراً ما نجد العمارة الريفية تصل هناك إلى إزالة أي
عصر من العناصر الإنشائية غير العضوية بشكل كامل مثلما هو الحال في المساكن الريفية
الاسبانية هناك برهان قاطع في هذا المقام في الحالة اليابانية، رغم أن الرحالة قد تأخر في
برازيل ذلك، ألا وهو غيبة مداخل المدافئ. كان يلاحظ وجود شيء ينقص هذه المنازل
شائعة إلى حوار نافذة القطار، وهو شيء أساسي للغاية لم يتمكن المسافر من تحديده حتى
نه في نهاية المطاف اكتشاف أن الأسقف خشبية أو من نبات الخللج لا يوجد أي ملحق من
ملحقات تصريف الدخان.

هذا لا يعني أنه ليس هناك نار توقد في المنزل الياباني، غير أنه لما كانت كافة مكونات
المرقاة للاشتعال وجب العناية الشديدة بهذا الأمر سواء تعلق بالطهي أو التدفئة. هناك
لوازم المصنوعة من الفخار التي توضع بالقرب من الذين يتناولون الطعام وهم جالسون
على الأرض إذ تبدو وكأنها مخصصة لعملية طقسية أكثر منها لتدفئة الجسم؛ وهنا نجد أن
الياباني يقتصر على فرد أصابعه ومدّها من حين لآخر نحو الجمرات وكأنه قس في لحظة
نصهر. أما فيما يتعلق باستخدام النار في الطهي فالأمر لا يتطلب مكاناً ثابتاً ومركزياً. أي
لبت في المنزل الياباني، ولا يمكن الصعود بحرية إلى أعلى من خلال المدفأة، التي هي
عمود الفقاري للمنزل الأوربي. والسبب أن المسمى مشيد من الخشب. وهنا يمكن تذكر
صور الكثيرة التي ترجع إلى فترة الحرب العالمية والخاصة بالقرى الروسية التي احترقت
وخولت مداخل المنازل إلى وحدات منزلية مرتفعة في الفضاء ومنعزلة وسط المباني التي
حولت إلى كومة من الرمال.

لا يقتصر وضع المدفأة الغربية على كونها محور المنزل بل تسهم أيضاً في إضفاء سمة
تحدّر ذلك من خلال عمود الدخان الذي يصعد إلى السماء. لكن المنزل الياباني يفتقر إلى
مدن لاسامي، إذ هو منزل شديد القرب من الأرض والالتصاق بها وبالحياة العضوية؛

الشيء نفسه نراه واضحا بين من يزرع الأرز، إذ يحتم عليه هذا الالتصاق بالأرض وهو يعد لها أكثر من ذلك الذي يزرع القمح وفي الأراضي التي يتم فيها زراعة القمح تجد العامل يشعر ببطء الأمومة التي عليها الأرض حيث يقوم بحرقها ورراعتها. وبعد ذلك تنسويها ثم تصح هي وحدها النطفة، أما زراعة الأرز فتتطلب تعاملًا أكثر حميمية واستمرارية ليس فقط مع الأرض بل مع المياه التي تحملها منمرة وعندما يقوم التلاح بالعمل في حفر من حقول الأرز وقدماء مغروستان في الطين فله يتبدى على أنه حالة قصوى من حالات التداخل وقيام الإنسان بضرب جذوره في الأرض عندئذ ينحول الإنسان إلى سات أكثر من حيوان.

هناك دائما على الأرض الأوربية عملية انتقال بين الأرض الزراعية والعمدة، إذ هناك أشكال من الرراعات المكثفة والمراعي المتنوعة واحس عبر الأسمه أما في البلدان فهناك حد أن مزارع الأرز والعمدات يفصلهما ببساطة خط، يتم الانتقال مباشرة من الأرض التي تردي والمترعة بعرق الأحبال إلى الأرض في حاشيتها سدائية حيث تنمو الأشجار على هواها وإلى جوار الحقول الرطبة أو 'الت' لا حاشية حشيرة أو 'هنا' لا إلى المناطق المرتفعة حيث تررع أنواع رديئة من الأرز وكذا حشيرة سي عادة ما تنمو في المناطق الحارة، كما تررع أنواع معينة من الشجيرات وفي الأوربية مرسعة في مناطق الكثافة بين اجبال تررع أشجار التوت والدرة والسوب، بل أن مرسعة تررع في بلدان توجد في الأراضي الوطنية أي في مناطق زراعة الأرز مع وجود حشيرة سي عادي

وعلى مدار قرون عديدة كان مجموع في بلدان حشيرة سي لأراضي الخبذة للرراعات أخرى عبر الأرز، بمعنى أن هذا المنتج أكثر حيوية مما هو من المنتج في العرب بالسنة للحياة الاقتصادية في البلاد ولا يعتبر الأرز مجرد غذاء حشيرة سي بالسنة لفتقاع عربص من السكان بل هو وسيلة تبادل تقوم بدور العملة. وصلت ذلك حتى القرن السابع عشر ومما لاشك فيه أنه كان منتجًا كريمًا يساعد على بناء عدد كبير من السكان أكثر كثافة من أوروبا، لعدة قرون. وخلال القرن الثامن عشر ومن خلال صناعة أقل تطورا ومساحات للزراعة كانت ضئيلة جدا كانت تعداد سكان اليابان يماثل تعداد فرنسا البلد الأكثر كثافة سكانية في أوروبا. لكن بفضل الأرز وبفضل الإخار المكثف بالقرب من الشواطئ في بداية

الغرب الثامن عشر بلغ تعداد سكان في كل من أوزاكا و "Yedo" مثل تعداد كل من
سكار باريس ولندن، أي المدينتين الأكثر كثافة سكانية في أوروبا.

وفي الوقت الحالي يعتبر اليابان من أكثر بلاد العالم كثافة سكانية إذا ما وضعنا في
حسبان مساحات الحقول المزروعة حيث لا تتجاوز الستين ألف كم^٢ لتلبية احتياجات كتلة
سكانية تزيد على تسعين مليون نسمة، والسبب أن سدس مساحة البلاد فقط صالح
للمزراعة هناك ستين في المائة من البلاد عبارة عن غابات، بينما نجد في فرنسا ٢٥٪، أو
٢٨ في ألمانيا الغابة هي المالك الحقيقي وسيد الأرض اليابانية كما أنها تنزل إلى الهضاب
حتى تصل إلى الخط الفاصل بينها وبين الأرض المزروعة والمخصصة للزراعات المكثفة
بالأحرار

وعلى هذا فإن المفاهيم المعتادة المتعلقة بالطبيعة والزراعة غير موجودة في اليابان. أما
في أوروبا، سواء كانت الجنوبية أو الأسكندنافية، نجد القوى الطبيعية والبشرية تتداخل فيما
بها بشكل متوازن وذلك من خلال تنويعات تبدأ من الغابة التي تحتل مساحات أكثر من
نلارم، وحتى الأراضي الزراعية. أما في اليابان فإن العلاقة بين الإنسان والطبيعة
تتدرج، ودون مرحلة انتقال بين الغابة المحلية العير مأهولة بشكل شبه كامل وبين
الزراعات الأحرار حيث ينتشر السكان بكثافة وكان الأرض تحولت إلى جحر من النمل. يتم
هناك استغلال كافة المناطق، كما أن الاستخدام المكثف للأرض القائم على جهد إنساني
صحم يصل إلى درجة غير معروفة على الإطلاق في أوروبا.

نسم هذه العلاقة بين الإنسان والطبيعة بأنها قوية عندما يغيب الوسيط المتمثل في
حيوانات، التي نادرا ما تستخدم في الأعمال الحقلية وتكاد تختفي كقطعان مخصصة للتغذية
معدا في هوكايدو Hokkaido المنطقة الكائنة في شمال جزر اليابان. وهذا الاستثناء يعود
إلى تربع قريب ذلك أن عملية الربط المتوازنة بين الزراعة والماشية كانت أمرا غير معروف
سوى الصينيين واليابانيين حتى جاءت الأساليب المستوردة من الغرب وحلت بالكاد محل
معدات المحلية السائدة في هذا المقام. لكن هذه العادات تضع أمامنا أرضا مؤنسة بشكل لا
يصدق حيث أن المزرعة قد ارتفعت مكانتها إلى درجة الحديقة

VII - على شطآن المحيط الباسفيكي

يتضح التناقض بين الحقول المكثفة الزراعة وبين الطبيعة البكر بشكل أكثر جلاء عندما نجد الغابة ملتحمة بالبحر، فالأشجار تنزل حتى آخر جزء من الشاطئ وتكثر في الخزر الأكثر وعورة وكأنها تتعذى على ما يبدو أنه صخرة. المشهد يتسم بأنه مفاجئ، وهذا ما يظهر في عدد غير قليل من الأصقاع حيث ينفذ البحر في الأرض مشكلاً فراغات اعتباطية ذات حواف ناعمة من حلجار وحل داخل البحر وجزر شكل ليس له مثيل في الشواطئ المشبهة في النرويج أو اليونان

فأمام قوة هذه المشهد الموحودة في أوروبا وني تتسم بأنها حشنة بشكل ما نجد أن العودة لشبهة في اليابان تبدو قابلة للدحون إليها دون أن تكون على مقربة من تلال الرمال أو المناطق الضحلة أو بحيرات ملوحة أو محضات حافتها هواء البحر وهما هي مرتفعات ماتشوشىما matsushima أو كاشيكوجيما Kashi Kojima تشدى بسرعة على حافة الطريق مصحوبة بالأشجار العالية على احافة منسب وكان مياهها ليست بحرية بل مياهها عدة، وكأنها مروية دائما وتعتبر من ضمن سلسلة sankai أي المشاهد الثلاثة الأكثر جمالا في البلاد، والتي تغنى بها الشعراء منذ عرون صاعدة والتي رارها الآلاف والآلاف من اليابانيين، تعتبر من ذلك الطرار

غير أن التداخل المشترك بين الأرض والبحر لا يقدم لنا ثمار اجمال فقط في اليابان بل لأساة أبصاً، فكل السهول الساحلية لسلاذ وخاصة في الجهة الشرقية منها معرضة لموجات السيزمية أي التسونامي وهذا نوع من raz de maree التسونامي حيث تسبب أحدهما عام ١٨٩٦م في القضاء على أربع مائة كم من الشاطئ، وتسبب في وفاة ثلاثين ألف شخص هناك تمثال بوذا الضخم في كاماكورا kamakura أي العاصمة القديمة لليابان

التي ترجع إلى العصور الوسطى ، يقف في العراء فرغم أنه على مسافة غير قليلة من الشاطئ تمكن البحر من تدمير المعبد المكون من أشجار ضخمة كانت تحيط به .

يؤدي الوضع الذي عليه اليابان على طول خط من الخطوط غير المستقرة على ظهر الكرة الأرضية ، وهو خط ليس يبعد عن حُفر الباسفيكي ، أي أعماق المناطق البحرية ، إلى حدوث كارثة زلزالية كل ست سنوات أو سبعة طبقاً للإحصاءات التي ترجع إلى عام ١٤١٦م . وهي كوارث لا تقتصر على تحريك كل واحد من العناصر القائمة بل يتأتى عنها خلل في نظام الأشياء وخلطها وكسر الخط الفاصل وهو الشاطئ . وهنا ليس بمستغرب أن تنشأ الأسطورة الشعبية القائلة بأن البلاد تقف على ظهر سمكة ضخمة تغضب من جنون الناس وأفعالهم السيئة فتتفرض بغضب ، من حين لآخر ، من هؤلاء المتطفلين المذنبين .

وعموماً كانت الهزات الأرضية أيضاً السبب في سيادة الغابة على الأراضي اليابانية . فالشعور بالحماس للشجر عند الياباني وكذا للنباتات هو نوع من رد الفعل على الأرض غير المستقرة التي يسكنها . فالإنسان لا يثق في الحجر ولا في الطين المحروق أو الطوب البين ليودعه حلمه أو آلهته ، إنه يهرب من كل ما هو جيولوجي ويلجأ إلى ما هو نباتي . وإذا ما كان للحجر جدوى فإنه يضعه في الحديقة على مسافة معقولة ، دون أن يعمل يده فيها ، ويتركها بشكلها الطبيعي الذي عندما تراه العين الأوربية لا تعرف له معنى رغم أنه بالنسبة لقوم يعيشون على أرض كثيرة الحراك يعني أنه محمل بإمكانية الحركة

لكن مياه الباسفيكي المجاورة لخط السكك الحديدية لا تكاد تتحرك ، فأمواجها لطيفة دون قوة أو تيارات سفلية . تواربها الأشجار من حين لآخر ثم تتركها تعود للظهور فجأة هادئة بزبدتها الذهبية . تنسم بشيء من طابع البحر الأبيض المتوسط رغم البعد الشاسع الذي يفصلها عن الجانب الآخر من الشاطئ . وبالنسبة لرؤية الهساني المتأثرة ربما - بمفاهيم تاريخية ، تنجح في العثور على هواء شبيه بهواء بلاده في هذا المساح .

كانت غليونات مانيللا تقترب في رحلات الذهاب لها من الشواطئ التي يسير القطار بمحاذاتها . كتب الأب خوسيه دي أكوستا أنه " لكي يتم تفادي العواصف من قبل هؤلاء الذين يعودون من الفلبين أو الصين إلى المكسيك فإنهم يسافرون نحو الشمال حتى يصلوا إلى الأصقاع اليابانية ويتعرفون على كاليفورنيا وعندما يصلون إلى أسبانيا الجديدة يعودون إلى

مبنى أكابولكو الذي كانوا خرجوا منه" (١). وخلال السنوات الأولى في هذا المسار Carrera، كانت المراكب تصل إلى جزيرة هوكايدو Hokkaido؛ وبعد ذلك بزمان لم تكن تصل إلى خطوط العرض التي تقطع الجزيرة الرئيسية لهذه المجموعة من منتصفها. ورغم أن المراكب لم تكن تقترب إلى شواطئها عادة، كانت تُرى من المراكب قمم الجبال اليابانية وعندما لا يحدث الشيء نفسه كانت مقدمة المراكب تبحث في البحر عن شيء يحمل اسم اليابان مثل: كورو سوا Kuro Siwa أو "التيار الياباني" الذي ينساب صوب أمريكا وكان يساعد المراكب في الانتقال إلى الجانب الآخر.

كان يمكن أن تُرى من مسافة طويلة السفينتان كابتن Capitan وألميرانتا Almiranta حيث اعتادتتا على القيام بهذه الرحلة سويا ذلك أنهما كانتا من أكبر المراكب في ذلك العصر إذ كانتا ذات حمولة أعلى بكثير من تلك التي تقوم بالنقل عبر الأطلنطي، كما أنهما أكبر كذلك من مراكب Carreira de India البرتغالية. وفي بداية القرن الثامن عشر وصلت حمولة هذه السفن إلى ما يتراوح بين ١٧٠٠ طن، و ١٨٠٠ طن الأمر الذي أثار استعراب الأعداء من البحارين كما أنها كانت تبدو أكبر مما هي عليه في واقع الأمر وذلك بسبب مالها من هيكلين خشبيين عاليين في المقدمة والمؤخرة. ويؤكد أحد كتاب ذلك العصر أن كل واحد من هذين الغليونين كان "يتسبه حصنا فوق البحر"، وحقيقة الأمر هو أن لصورة لا مبالغة فيها ذلك أن المراكبين جرى تصنيعهما باستخدام خشب غاية في المتانة من المناطق الاستوائية من التيكا والمولومبي ولاماج وأباك. الخ. ويفضل ذلك كانت قدرة على مواجهة مخاطر هذا الإبحار الطويل وكذا مخاطر التعرض للمراكب المعادية.

وأحيانا ما تدفع بها الرياح نحو الجزر اليابانية. ففي عام ١٥٩٦م، ألقى بالغليون 'لقديس فيليبي' إلى شواطئ كيوشو Kyushu وكان حظه غاية في السوء ذلك أنه لم يفتصر الأمر على مصادرة حمولته التي كان يبلغ ثمنها مليون ونصف مليون بيزو على يد سلطان البلاد بل لأن الكلمات التي نسبت إلى القبطان حول سلطة مليكه والوسائل المستخدمة لزيادة أملاكه أثارت نقمة المحارب هيدوتشي Hideyoshi ونتج عنها استشهاد أعداد كبيرة من المسيحيين. وأكثر من هذا فإن سلطة السياسي الياباني كانت ذات طبيعة

١. التاريخ الطبيعي والأخلاقي للهند، الكتاب الثالث، الفصل الرابع، الطبعة المذكورة، ص ٥٨

تهديدية بالنسبة للفيليبين المنطقة التي قام حاكمها بإرسال سفارة السيد، لويس نابارتي فاخاردو وهو يحمل معه هدايا قيمة من بينها فيل من سيام، جدير بكثير من الإعجاب لغرابته لدرجة أن سبعة من سكان كيوتو أصيبوا بالاختناق من كثرة الأعداد المتواجدة. لم تفلح هذه الهدايا العظيمة في تسهيل عملية التوصل إلى اتفاق بين أناس شديدي الإفراط في الغيرة على كبريائهم مثل القشتاليين واليابانيين، كل مع مفهومه لمصطلحين هما Pundonor أي الحرص على الشرف، bushido (طريق المحارب)؛ وفي عام ١٦٠٢م، أي عندما وجد الغليون الأسباني "الروح القدس" نفسه مجبرا على اللجوء إلى ميناء هيرادو، كان قرار القبطان، السيد الحليقي/لوبي دي أيوا الحيلولة دون الوقوع في موقف شبيه بما حدث للغليون "سان فيليبي".

لكن كان اليابانيون أكثر ترحيبا بالغليونين الأسبانيين الذين اضطرا للجوء إلى شواطئ اليابان عام ١٦٠٩م؛ كان أحدهما هو العيون "سان فرانثيسكو" الذي غرق أمام شواطئ كونتو konto وكان تحت قيادة احاكمه السابق للفيليبين السيد/ رودريجو دي بييرو، الذي خلف لنا ملاحظات مهمة عن إقامته في اليابان حيث عومل معاملة جيدة للغاية من قبل إيبياسو Iyeyasu. كما وصل به الأسرى توقيع معاهدات تجارة وصدقة، ذلك أن مؤسس "الشوجوناتو"، توكوخواوا Tokugawa، كان يريد تلقي مساعدة فية من الأسبان بغية استغلال المناجم وبناء السفن. كما أبدى اهتمامه أيضاً بالتجارة مع أسبانيا الجديدة، ومن أجل هذا تم السماح لرسو المراكب، لعدم من أكابولكو في اليابان.

لم تكن السلطات الأسبانية مستعدة بالطبع بكسر احتكارها للتجارة بين آسيا وأمريكا، وأكثر من هذا كانت غير مستعدة لطير التوبة البحرية لشعب محنك للغاية وكثير العدد مثل الشعب الياباني. ما كان يريد الأسبان هو استخدام الشواطئ اليابانية لبناء السفن مثلما حدث مع بعض السفن المخصصة لطريق المحيط الهادئ على زمن الحاكم ألونسو فاخاردو، وكذا الحصول على موانئ للجوء إليها في الجزر اليابانية. وحتى يتم التعرف على هذه الشواطئ وسبر أغوارها جرى إرسال حملة عام ١٦١١م من أسبانيا الجديدة بناء على مبادرة صادرة عن "مجلس الهند الغربية"، بقيادة سباستيان بيثكاينو، الذي قطع وقتا طويلا في اليابان حيث كان هناك توجس ليس بالقليل من قبل سكانها

وحقيقة الأمر هو وجود شعور بالاستغراب لوصول هؤلاء الأوربيين القادمين من أمريكا والعمل الذي يقومون به . ولم يقتصر الأمر على دراسة جغرافيا القارتين بل كانت هناك حجة لا تكل أدت إلى قيامهم بالبحث ، خلال رحلات الذهاب والعودة ، وعلى مدار عمليات استكشاف واسعة بدأها بيثكايينو من اليابان ، في جزيرتين عظيمتين لهما أشياء تثير الخيال . هما " الغنية بالذهب " و " الغنية بالفضة " . وبالنسبة لمن اكتشفوا الكثير من الأراضي لا يمكن لهم أن يتصوروا أن حياة " الخليج " خلو من بعض الجزر . وهو الاسم الذي أطلقه الأسبان على الباسفيكي الشمالي . كما أن الرحالة كانوا يتخيلون أنها أراضي رائعة . كما أنهم تخيلوا ما عليه الأفق لحظة الغروب . أو أن الرسائل القادمة من خلال الطيور أو النباتات العائمة كانت تأتي منها تأخر البحث عن تلك الجزر التي كان ينبغي أن تقدم بالإضافة إلى الكنوز المعدنية ، ملادا للغليونات ، وأدى ذلك إلى تأخر استعمار كاليفورنيا على مدى قرن ونصف من الزمان

لكن القرى والموانئ ، التي ترى من نافذة القطار هي برهان جيد ، بما عليه من بنية وأنماط حياة ظاهرية ، على أن هذه الجزر لم توجد لا في خيال سكانها أو الواقع الملموس . ويمكن القول بأن ما يحجم على تلك القرى هو الفضاء الهائل للباسفيكي هذا إذا ما كان الفضاء يمكن أن يحجم على المكان .

لا يعني ذلك أن اليابانيين أدروا ظهرهم للبحر . بل كانوا يفصلون المياه الأقل اتساعا والتي كانت تفصلهم عن أقاليم أسيوية أخرى . فخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر تمكن بحارة ذلك البلد وتجاره من إقامة مجتمعات صغيرة في حوض شرقي القارة ، وابتداء من منتصف القرن السادس عشر كان لدى ملوك كل من برمودا وسيام وكموديا حرسهم الخاص من اليابانيين . كانت هناك أيضا فرقة من الجنود اليابانيين في معسكر مالاکا Malacca وكذا محلات تجارية في كثير من الأقاليم القريبة من خط الاستواء . كما أن استيراد السفن الأوربية كان سهلا القيام بهذه المهام التوسعية . وبعد ذلك قام " الشوجونسي " توكوجاوا باتخاذ قرار مناعي بقطعها لأسباب سياسية تتعلق بالأوضاع الداخلية

هناك بعض المؤرخين مثل ريتشارد ستوري R. Storry^(١) حيث أطلق العنان لخياله مفترضا ما كان يمكن أن يكون عليه تاريخ الباسفيكي إذا لم يكن هناك تدخل عنيف ودؤوب من جانب حكومة ثيوقراطية الأمر الذي أسهم في قطع حبل التوسع الطبيعي، نحو الجنوب، من قبل سلالة كلها حيوية وذات طبيعة بحرية. ويرى الكاتب المذكور أن غزو الفيليبين كان في متناول اليابان خلال القرن السابع عشر، وفي القرن الثامن عشر كان يمكن لها أن تتقدم على إنجلترا في البحار الجنوبية. إن تاريخ الاستعمار الأوربي في جنوب شرقي آسيا وأستراليا ونيوزلندا كان يمكن أن يتخذ مسارا مختلفا لو أن حكومة توكوجاوا لم تجبر اليابان على الانكفاء على الذات. غير أن هذا الافتراض لا يضع في اعتباره، بشكل ملحوظ، الجوانب الثقافية والسلوكية والتقنية للتوسع الأوربي الأمر الذي جعل منه - أي هذا التوسع - ظاهرة فريدة وظل ذلك لزمان طويل، غير قابل للتقليد. ما هي جدوى الحديث عن حكومة تجبر شعبا أن يقف ضد توجهاته الطبيعية التوسعية على مدار قرنين ونصف من الزمان؟

وفي حقيقة الأمر، أنه في عام ١٨٥٣م، عندما اقتربت سفن القائد البحري/بري Perry من الشواطئ اليابانية، وجدت مجموعة يقتصر نشاطها على الملاحة قرب الشواطئ وعلى الصيد، ومع هذا كان هذان النشاطان يتمان بهمة عالية. كان الصيد والملاحة بالقرب من الشواطئ أمرا مهما لتغذية ييدو Yedo التي كان يريد عدد سكانها على نصف مليون نسمة، ولم يكن القائد البحري بحاجة إلى قذفها بالقنابل حتى تستسلم، إذ كان يكفيه قطع خط الدخول إلى الميناء للمراكب التي لا تستطيع أن تدافع عن نفسها أمام مدافعه.

غير أن هناك نصف عشر السكان اليابانيين في الوقت الحالي يمارسون العديد، أضف إلى ذلك أن إحدى النقاط الجذابة التي وجدها الهسباني في ذلك البلد هو اكتشاف أنواع جديدة من الأسماك وغيرها مما هو غير موجود في وطنه. إنها رابطة قديمة بين اليابان وأيبيريا، ذلك أن مسمى tempura، الذي يطلق على السمك المقلي وعلى المطاعم التي تقدمه، مصدره لفظة tempora، أي الاحتفالات الطقسية التي يقوم فيها البرتغاليون

(١) 'تاريخ اليابان الحديث' بليكارد بوك، ص ٦٥.

ولأسماء تناول أسماك متبلة بهذا الشكل وما لاشك فيه أن اليابانيين لم يكونوا يأكلون السمك على هذا النحو. وهذا هو حتى اليوم يتصلونه مدخنا أو نيشا.

الياباني يريد أن يكون قريبا من الطبيعة. ولا يقتصر ذلك على ما يتعلق بحاليت، ونمط مسكنه وطقوسه الدينية فقط بل يشمل أيضاً ما يتعلق بفدنه. وخاصة إذا كان غذاء بحرياً. وفي فندق مانسوتشيمما Matsushima نتعشى بحاراً. وليس ذلك من منحصري وإنما للسير على عادة شعبية في قائمة الطعام. ومن المحار هناك ما هو سيئ ومن أصناف مختلفة. وهناك مقهي. وأحر في الشورية أو الكريمة الح. ولهذا لا يحدث للمرء في نيت معوي. ذلك أن الأطباق المطهية المختلفة تبدو أساساً موجهة للبرهنة على أن بحر لار هو هو مهما بلغت درجة لتوزيع في طهيها. حيث يحتفظ بطعمه المركز وحوادثه نبي نحب سيمس كما تتوغلها سيرا على عادة الأصدقاء اليابانيين. أي بظء وشكل طففي وكأن تواصل مع أسر حبيوي لأكثر محبظات دور أن يستعد عما الإحساس بوع من مدق لأساسي. ونست أدري فيما إذا كان ذلك من حلال الهواية تناول المحار أو ذكريات لأيام الحواني التي كانت فيها عبيبات بهسية نخوب السمينكي بثقة عالية. صف لإحدى الوثائق. وكانت نخوب ماء سحر ال منسبه

VIII - ماتسوشيما أو المشهد المثالي

إنه لمؤلم أن تبقى صورة المشهد الشهير لماتسوشيما الذي يعتبر أجمل ثلاثة مشاهد من الناحية الرسمية في اليابان، غير واضحة في الذاكرة. وليس الأمر أن ملامح هذا المشهد لم تعد محفورة في الذاكرة لكنها متنوعة وشديدة احساسية، كما أن إحياءاتها شديدة النعومة لدرجة يتولد معها الانطباع بأنها على وشك الزوال.

يبدو الأمر وكأن هناك فرد لا يعرف اليابانية ويريد أن يتذكر واحدة من أجمل تكوينات الكتابة الموجودة في المتاحف إلى جوار الموحات المرسومة. إنها تتسم بالجاذبية شديدة كما أن الزائر يستمتع تأمل حمة روح المحببات الكتابية وتنوع الملامح وفي العلاقة بهرمونية بين مجموعة من الرموز وبين النحرات البصاء الموجودة بينها. غير أنه عندما يريد تذكر ذلك السطح الرائع لا يرى إلا بقعة متحركة. لدرجة تبدو معها كأنها حية أو حماسة اسمك الذريعة alevinos في بحيرة بجدة شبيء نفسه مع المشهد المكون من عشرات الجزر ذات لأشجار التي تنتشر في خليج ماتسوشيما. حيث كل واحدة منها لها سمتها المحددة وكأنها خطف espolón يستقط فوق مياه البحر. كما أن السطح طبل بشكل مختلف سواء كان في الكهف أو في الجسر الطبيعي، مع وحود فرد لشجر الصرور الذي يتوح المشهد. ورغم كثرتها فكل جزيرة تبدو وكأنها تضم في حبتها مدبولا جماليا حصا بها، مثلما تضم الكنس Kanjis سرها رغم أنه غير قابل للفهم لدى من لا يعرف اللغة

ليس الأمر عبارة عن مقارنات عمق الخاصر، إذ يبدو من المؤكد وجود تراسل بين أسوب المشاهد الأكثر تمثيلا في بلد ما وبين رموز الكتابة المتبعة فيها. وعندما يدرك المرء وهو في متحف بيروت التكوين السريع للأبجدية السريانية على مجموعة من الكتل الحجرية العترة ترتبها تاريخيا يشعر الزائر بإعجاب أقل من ذلك الذي يمكن أن يكون عليه أمام تلك

الأعجوبة الثقافية والتي ربما كانت أكثر أعجوبة في التاريخ الإنساني، ذلك أن أحرف الهجائية التي ظهرت على التواطى الفسيقية السيلة والواضحة والمرنة، تبدو وكأنها نبتت كزهرة من الأرض؛ كما أن المصير اللاحق احاص بهذه أحرف الهجائية يبدو متناقضاً لدينا مع السياق الجغرافي لتلك البلاد التي نستولى عليه إن دقة واستقامة أحرف الهجائية اللاتينية التي انتهى بها الأمر بالبقاء في مختلف أنحاء العالم تشبه الوصوح الجغرافي لمنهجه الإبطالي، كما أن الحروف القوطية نفسها تبدو حميمة عندنا لدى قراءتها عندما يكون المرء قد قضى فترة في ألمانيا

سوف يكون من المألوف، وأصعب في الاعتبار عقدة التوق الأوربية، التفكير بأن بساطة الرموز الكتابية ترتبط بالتوق في النظام الحشالي والروحي كذلك من الذهني من المريح تعلم المرء الكتابة بحروف بدلا من لأشكال، غير أن استخدام هذه الرموز يساهم على تطور ملحوظ في معدل الذكاء واحساسية لقد ساعدت مارسيل حراميه معظم المفردات على الاحتفاظ بكامل قدرتها التعبيرية الحشوية وذلك بسبب من الصراحة وصيغة المفردات الحبة وقد صنعت امتردت من تشكيل مدد محردة، وبدوا أنها استطاعت تحويل تلك المفردات التي فكر لم يعد يحوي حو ح من سمات لغوية

ويمكن أيضا أن تصنف أن ذلك لا يمتد مع حساسية لا تبدو منها إلى الاقتصاد في العمليات الانفعالية وفي لانت فيه في حساسية معقدة لا شكل هي واحدة من الأسباب الكامنة وراء احساسية المسألة في اللغة في الفهم والبيان، فدون روح العزيمة والإصرار على التركيز الروحي في استخدام حروف الكنجي Kanjis الذي يترتب عليه أمور كثيرة منها حدة الرؤية والوضوح المحسوسات، لاقتد التاريخ العالمي بعض قصوره حسنة وحيدة في رسم الحروف بالطبعة كأحد أغراضه، ولكان ذلك خسارة كبيرة

لا ينجح الأوربي أن يقرأ شكل دقيق ذلك المسند الرفيع في ماسوشما ذلك أنه معتاد على استخدام حروف تحريرية، أما الشرقيون فعلى العكس إذ هم معتادون على رموزهم الكتابية، ففي الكنجي Kenji (أحرف البائية) الحسية بـ "إسان" أو "مرل"

١ لفكر نصيبي، مذكور في سلسلة تصور لأشياء، ص ٢٠٠

هناك حتى الآن لمحة من الواقع المحدد الذي تشير إليه ، أي أن القدرة على التجريد الثقافي لم تتمكن حتى الآن أو لم ترد أن تفصل ماديا بين الرمز والمعنى . وبهذا تقل الدقة في المفاهيم Conceptuales والاقتصاد المنطقي في باب التفكير لكن هناك مكسب واضح لدرجة الحساسية .

عندما أكد جاليليو أن كتاب " الطبيعة " مكتوب بحروف حسابية فهو لم يفعل غير نقل شيء . وتجسيده في شكل . كان يتكهن به الشعراء والرسامون الغربيون منذ مدة طويلة من خلال حدسهم وتقنياتهم كما أنه مُضمّن في اللغة الكتابية لكنه غير قابل للولوج إليه من خلال مسار الشعر والفنون التطبيقية والكتابة في الشرق الأقصى . كما أن مشاهد الشرق الأقصى بعيدة عن القلوب في الشكل ولا يتبدى ذلك فقط في عيون السكان الأصليين بل يشمل الإنسان الغربي المعاصر .

هناك في هذا المقام مثل بسيط وهو الحالة التي عليها يوم من أيام الحريف في مرحلة متقدمة وكيف هو المشهد الأكثر كلاسيكية في شمال اليابان . من الممكن أن ترصد العين أثناء الصيف صوراً أكثر دقة واستمرارية لحرر ماتسوتشيما ، غير أن العيم في السماء والمطر وأشعة الشمس القوية والجليد والبرد والأصواء شديدة التنوع التي تتابع بإيقاع سريع خلال ساعات الصباح كان كل ذلك يتولى نحو الصور التي يتم نلقاها ، وبمقولة أخرى ، تراكب الصور الواحدة فوق الأخرى وكأننا نشاهد مقطعاً من فيلم حرى فيه فتح الكاميرا مرات عديدة ويضاف إلى هذا التنوع في التفاصيل الملموسة والتنوع اللانهائي للأشكال في المشهد ، ذلك الطقس الذي يمر خلال ساعات قليلة بكافة حالات الطقس المتغيرة

كان الناس يسهمون بدورهم في جعل المشهد أكثر تعقيداً ، ففي احلجان المحمية تشد للعيون سلسلة لا نهائية من مراعى تربية المحار أو الطحالب وقد شيدت في الأساس بلوص (البامبو) ، وعندما تطل عليها الشمس كانت المسطحات الرطبة والمستديرة تلمع وكأنها عيدان من ذهب ، لكنها تحت المطر تشبه محابى تحت المياه . يزداد المشهد غرابة عندما يرى قوارب الصيد وعليها أطقمها من ذوي السمّة السلالية المحلية وهم يرتدون معاطف لامعة ، كما يزداد المشهد غرابة عندما يتم تأمله من وراء زجاج قاربنا المغطى برذاذ المطر ، ولأمر هو أن المطر المفاجئ أجبرنا على اللجوء إلى كابينة القارب .

إلا أن الشمس سرعان ما فكت قبودنا ورسا القارب على مرسى صغير حيث يوجد
هناك طريق متعرج يقود إلى معبد Dang Yo-I دايج يوجي ، وإلى جواره نقطة من النقاط
التي بوصى بها من يذهب إلى هناك لتأمل مشهد ماتسوشيما وهذه النقطة يوحى بها لآعين
طريق الأدلة السياحية أو وكالات السفر بل من خلال موروث شعري طويل يبدأ من قبل
القرن العاشر ، والأمر بالنسبة لليابان هو أن الشهرة لا تقتصر على إبراز ملامح مشهد في
المحمل بل تتم من خلاله الإشارة إلى زوايا المشاهد بحيث تتضح مدى جماليته . لا يتوقف
الأمر على مجرد إشارة بل هو أكثر فعالية ولما كان الأمر يتمثل في انتقال زوايا مشاهدة
حرت مند سوات طويلة وأنه جرى إقدامها والحناط عليها من حيل لجيل من المشاهدين فإن
الشاخ العام يتصمر شينا وكأنه الطريق الذي نمر به ويحتوي على روايا رؤية تأملية

وعموما فإن التقنية الحديثة التي يتحمس لها اليابانيون كثيرا هيأت للسائح العادي
عدسة كرى في الأماكن المصوح بها لتكون منها روايا الرؤية ، فعندئذ يضع المرء بعض
الستات ، ثم تحدث جلبة ميكانيكية غامضة وعندئذ تنتفح العدسة على مشهد مكبر وقرب
وأكثر إمكانية للفهم وبالنسبة للمشاهد الطبيعية اليابانية سني تأصلت من خلال التراث
الجمالي المكثف والطويل تبدو وكأن رؤية المشهد الطبيعية بكثرة لست محصلة ظاهرة
ملموسة فقط وإنما من جراء الإفادة من التراث الممتد ويمكن لقول بأن الأشعار التي
تناولت هذه الانطباعات الجمالية الرفيعة وكأنها تهمس في الأداس مصحوة بالصور الأكثر
وضوحا وتقربها من مشاعريا .

ومع هذا نجد المشهد في ماتسوشيما لا يتوقف عن الإفصاح عن نفسه أمام نواظرنا
كأوريبيز ، وانطلاقا من معبد دايج يوجي نجد ان المشهد قابل للإلمام به ، فالجزر القريبة
تجلى بإذعان أمام نواظرنا ، وتخفي مكوناتها ذات الأصل الركانى تحت قمم الأشجار .
هناك مسبعة أخرى من الجزر ترى عن بعد دون أن تخفي أي واحدة منها وراء خط الأفق
وهو خط غير محدد بدرجة كبيرة بالنسبة للمذاق البصري الأوربي فالأفق لا يأخذ شكله
الدائري بالشكل الذي يتطلبه الطموح الغربي للبانوراما ؛ هناك رغبة في أن يكون أعلى حتى
يمكن رؤية المشهد كاملا وكأن المرء يشاهد خريطة حية على طريقة لوحات الحروب
الفلامكية لكن روايا الرؤية من جانب المشاهد في ماتسوشيما لا تضعه فوق الطبيعة مثلما

يجد لمن يتأمل لوحة مرسومة لمشهد طبيعي غربي دون أن يدري، مهما كانت درجة البساطة في زاوية الرؤية، بل تضعه في وسط الصورة وقد لفته تضاريسها.

من الأمور الواضحة أن الرسم الانطباعي جعل الأوربي يعتاد على رؤية الطبيعة بهذا الشكل وذلك أمام العملية التعليمية المطوّلة التي تلقاها من المدارس السابقة ابتداء من مدارس الرسم الفلامنكي البدائي المحملة بالصوفية المسيحية، ولهذا فإن المرجعية الخاصة باللوحات الانطباعية دائماً ما تطالع المشاهد. هذه الشبكة الواهية المكونة من نقاط وخطوط صفراء والتي تمثل مزارع المحار والطحالب المنتشرة بين الجزر لا يمكن إلا أن تذكرنا ببعض لمحات، يقدمها سيسلي Sisly فوق زرقة الأنهار. تبدو البقع الداكنة لأشجار الصنوبر شبيهة بتلك التي اعتاد رينوار أن يرسمها على بعض شواطئ نهر السين. خلال مرحلة من مراحل حياته. كما أن أضواء المشاهد الطبيعية والظلال في شمال فرنسا، الموضوع المفضل لدى الانطباعيين، بها درجة شبه محددة للغاية بما هو في شمال اليابان. وفي عمق المشهد، أي على الجانب الآخر من الخليج نجد البقعة البيضاء لمبنى قوى، يذكرنا باسم سيزان، وقد استقرت فوق السطح

لكن ليس الأمر كذلك، فدرجة الشبه مع ما رسمه الفنان الفرنسي الكبير غير مقبولة، ذلك أن السبب الذي نوه بهذا الاسم هو سبب خارج تماماً عن المشهد الطبيعي موضع التأمل، إذ هو مصنع حديث ذو شكل عربي بالكامل وهو مصنع سماته الهندسية لا تتلاءم إطلاقاً مع المشهد الطبيعي الحلاب والراقي والمحرك الذي عليه الخليج. وبالنسبة للعمق فإن تذكر أسماء رسامين آخرين من المدرسة الانطباعية أمر غير ملائم. ذلك أن لوحاتهم تحمل جرعة من الذاتية في حصص موضوعينهم المزعومة، وهي رؤية حزينة بشكل مقصود ومؤقت للطبيعة ولا تتفق مع المدلول الحقيقي للرسم الياباني أو مع المشاهد الكلاسيكية لليابان.

تتجلى المشاهد الانطباعية الأوربية، ما عدا استثناءات قليلة للغاية، وهي ذات طبيعة دنيوية كاملة، أما بالنسبة للمشاهد اليابانية فإن السمات الدينية تطالعنا في كل خطوة. نعم هو نوع من المفاهيم الدينية اللماحة، والتي لا تتجلى بوضوح من المنظور الغربي، بقدر ما تتجلى من منظور التدين الطبيعي، لكن ذلك لا يعني غيبة التدين الكامل عند الروح اليابانية بل هو نوع من النمطية والاستقطاب الخاص لهذا التدين.

وفي اللحظات التي كنا نقرب فيها من الدبر تغير الطقس تغيراً مفاجئاً وأخذ الثلج ينساقط وأخذت ندف الثلج تسقط بين الأهرامات الملساء التي هي أشجار الصنوبر اليابانية التي تسق الدبر، ويفضل الندف التي تتساقط ببطء يمكن للعين أن تقيس بشكل أدق حجم هذه الأشجار السامقة والقوية وذات الرساقة الرفيعة. هناك، نعم هناك خطوط هندسية، وهي خطوط هندسية عضوية وحية تنضح بجلاء أكثر عندما تتم مضاهاتها بالجيولوجيا المتنوعة التي عليها الخليج وما عليه من طبقة نباتية. وبدورها نجد أشجار *Criptomerios* السامقة التي تنتظم لتستقبل الزائر للمعبد على القيقض من أية نباتات عشوائية، إذ تقوم في شكل عمودي ينبت من الأرض له ارتفاع معقول وأسطوري في آن معا كأنها مسلة، مؤكدة استقلالها الواضح وهذا بعد دلالي أمام السياق المحيط حيث يمنحها الثلج المتساقط مسحة من القداسة.

لكن دير زويجاني لا يستحق هذه المسحة من القداسة إذ يبدو أنه حصن يرتدي قناعاً أكثر منه ديراً، حيث يحتبى وراء ستار من التقوى الخادعة حتى يفر من أمر كونه حصناً بثقل على "الأسماء الكبرى" *daimyos* ابتداء من بداية عصر توكوجاوا *Tukugawa*؛ وبالنسبة للعاهل الكبير (*Daimyo*) الذي أعاد بناء معبد زويجاني، وهو دائي ماساموني، فقد كان واحداً من أهم الكبار في كافة أنحاء اليابان، وهو من يملك في سندي *Sendai* واحداً من أهم الحصون في اليابان كافة، طبقاً لما تشهد به ركيزته العملاقة. كما كان مالكا لخليج ماتسوتسيمي الذي أصبح في يد من خلفوه، حتى بداية عصر ميجي *Meiji*.

وحقيقة الأمر هو أنه قرر إرسال سفارة إلى أوروبا عبر الباسفيكي وربما كان دافع ذلك أن نأمل المياه الرائعة للخليج أثار في "السيد الكبير" *daimyo* روح المغامرة، أو كان الأمر يتعلق بأسباب اقتصادية أو سياسية رفيعة المستوى أو لأسباب أخرى روحية. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يعبر فيها اليابانيون على متن مركب صنعت في بلادهم. فقد تمكنوا عام ١٦١١م من بناء مركب تحت إشراف قبطان إنجليزي هو ويليام آدمز، قام باستخدامه السيد رودريجو دي ببيرو للانتقال إلى أسبانيا الجديدة، إلا أن الرحلة التي بدأت بعد ذلك تعاني على متن مركب دُشن باسم "سان خوان المعمدان" الذي أمر ببنائه دائي ماساموني، كان يتسم بالعظمة ذلك أنه كان على متنه سفارة كبيرة مكونة من ثمانية وستين

فردا الذين كان يرافقهم الراهب الديناميكي المشاء / لويس سوتيلو، إضافة إلى طاقم المركب من السكان الأصليين .

وفي ديسمبر ١٦١٣م خرجت الحملة وعلى رأسها هاسيكورا Hasikura . وبعد أن مرت مركبه بجزيرة لوثون واصلت طريقها صوب أكابولكو، حيث جرى استقبالها استقبالا عظيما من لدن نائب الملك في أسبانيا الجديدة الذي وضع تحت تصرفه مركبا في ميناء بيرا كروث لمواصلة الرحلة إلى أشبيلية . وفي مدريد استقبل فيليبي الثالث الوفد، ولم يتأخر هاسيكورا في تعميده مسيحيا وتم إطلاق اسم آخر عليه هو فيليبو فرانشيسكو . واصل المبعوث الياباني رحلته عبر سويسرا حتى وصل إلى روما حيث استقبل استقبالا حافلا كضيف خاص على البابا باولو الخامس . وبعد أن قضى عامين في جنوب أوروبا استقل هو وحاشيته المركب من أشبيلية في طريق العودة عبر المكسيك في بداية عام ١٦١٨ ليأخذ في أكابولكو مركبا يابانيا آخر أرسله داتي ماساموني ، لأغراض تجارية كانت السفارة تحمل معها، إلى الوطن، خطابات وهدايا مقدمة من ملك أسبانيا ومن البابا والتي منها لارال موجودا، في معبد زوينجان-جي ، الشمعدانات التي أهداها قداسة الباب

وبالنسبة لهاسيكورا، الذي يبدو أنه ظل وفيما لديته الحديدية رغم المطاردة العنيفة التي تعرضت لها المسيحية أثناء غيابه عن البلاد، فإن حثته مدفونة في مقبرة بالقرب من سنداي Sendai حيث ذهبنا إلى هناك لتكريته في صحبة رملاء يابانيين هناك لوحة حجرية تذكارية منقوش عليها البيانات الرئيسية لرحلته، إضافة إلى لوحة أخرى أصغر منها تذكارا لسوتيلو Sotelo رفيقه في الحملة والذي استشهد في حراكي، ذلك أنه رفض مغادرة اليابان رغم أوامر الطرد الصارمة . يبدو السور الحائري الموحود في وسط المقابر ظللا بعض الشيء بفضل شجرة صنوبر زرعت عام ١٩١٦ وقام بذلك الشن بنوري لي المبعوث الخاص للبابا بندكتو الخامس عشر .

وبالنسبة للجو العام الذي يتم اكتشافه من خلال الرسائل التي كان يحملها معه هاسيكورا، فهو أكثر غموضا، فالوضعية التي ينسبها داتي ماساموني لنفسه في النص، أو أن المترجمين هم من فعلوا ذلك، هي وضعية أنه ملك، الأمر الذي يكشف عن الطابع السياسي والتفقي للسفارة، أو لبعض أعضائها على الأقل . وجه فيليبي الثالث بدوره

رسالة إلى الملك بوجو Bojú، لكنه يشير فيها إلى رسائل أخرى كتبها قبل ذلك إلى "سيد اليابان العالمي" وهو نوع من التعامل غير واضح، لكنه إجباري نظرا للتعقيدات المتعلقة بالألقاب السياسية في اليابان. كان "الدايموي" Daimoy يفكر في المكسيك أكثر من تفكيره في أسبانيا ذلك أن الرسالة الموجهة إلى فيليبي الثالث، والمكتوبة بقشتالية رصينة تحدث عن "إقرار السلام وعن مناطق" مع السيد نائب الملك في أسبانيا الجديدة - يقدم ذاتي نفسه معلنا استعداداه لاستقبال السفن التي كانت تبحر من لوثون Luzón إلى أكابولكو، كما يعرض تقديم مواد يستخدمها الأسبان في بناء سفن على شواطئهم ومنحهم حقوقا خارج أرضهم إذا ما أرادوا البقاء والعيش على أرضه بينما تكون المعاملة مختلفة إزاء الإنجليز والهولنديين وآخرين ممن هم أعداء ملك إسبانيا، فإذا أتوا إلى مملكتي سوف أقبض عليهم جميعا وأمر بقتلهم".

ومنذ بداية القرن كانت المراكب الهولندية تبحر في المياه اليابانية وكانت هناك احتجاجات كثيرة من قبل "حكام الفيليبين"، ففي عام ١٦٠٢م كتب السيد/برودي أكونيا إلى إمبراطور اليابان ليقول له بأنه لما كان يعرف "أن على هذه الأرض هناك بعض الرحال الهولنديين من رعية ملكنا، أرجو من حلالنكم التكريم بأن ترسلوهم إلي على أول سفينة تخرج من هناك ذلك أنهم أناس يتبرون لتلاقل ومن الذين لا يعيشون باستقامة، كما أنهم رفضوا طاعة مليكهم وحرخوا إلى عرص البحر للقرصنة ومن هناك كان مجيئهم إلى مكان... وكبادة لحسن الية، حيث أنكم من الناس الطيبين أردت أن أرسل إلى جلالنكم بعض الأشياء البسيطة من قشتالة

هدايا قبلية ولغة متعجرفة موجهة إلى عالي المقام تسامح اليابانيون مع وصول أوربيين آخرين إلى شواطئهم وهم يقدمون لهم إمكانية التخلص من الاحتكار الأيبيري وإدخال المزيد من المواد والمعارف الغربية في البلاد. وفي عام ١٦٠٩م أسست "الشركة الهولندية لجزر الهند الشرقية" مقرا تجاريا في هيرادو Hirado، وبعد ذلك بأربع سنوات سارت على دربها شركة أخرى إنجليزية لها نشاط مماثل. كانت المعاملة التي تلقاها الأوربيون في البداية معاملة بالمثل، غير أنه ابتداء من عام ١٦١١م، حيث كانت ترغب حكومة "توكوجاوا" في تمتين نظامها الجديد من المنظور الديني، فقررت منع إقامة الشعائر

المسيحية، وأعلنت ميلها موضح نحو الأوربيين الذين لا نهملهم كثيرا المسائل ذات الطابع
الديني مثل الهولنديين

رأى كار داني ماساموني بحث عن تحالف مع لأسان إضافة إلى أسباب دور
ضخمة أخرى يمكن أن تكون موحدة من أجل توطيد موقفه لبحر "الرحل الأخير"
Dallin آدم "الشوحيون" الخديده. رغم أن المنطقة التي كانت في يد هذا الأخير عام
١٦١٣. تحصل من الضعف الكبير في أن سيد سداي (Sedai) يمكن أن يتصرف على
هواه. وعلى أية حال لم يأت المصلحة الاقتصادية الكسبه وراء موقف داني ديت
تسقط لأساسية كانت تقوم لسماع شدة أخرى مسير بين أسان وأسياب حديد.
وهي "السوكيت" لأمانية واموحدات الاقتصادية وسياسية ودينية بين شعوب
مسيحية تنقل إلى الشرق الأقصى ولكن بعنف شديد وأسهمت كثيرا في سلب من شأن
أور - سعيدة وفي عام ١٦٣٨ انتهى الأمر - شوحيون - نصف المعون من مراكب
هوسدي بنصف حصص هارا (Hara) في شبه جزيرة سداي (Sedai) (١) حيث كان هناك
تلاوتور نصف مسيحي يدافعون بحكمة ضد الثروات لاكثر سوء. حتى فقتو محمد محمد
نفسه

IX - البحر المتوسط الياباني

إذا ما نظرنا إلى أكبر القارات وإلى أكبر المحيطات وجدنا أن مجموعة الجزر اليابانية لا تقتصر نفوذها على الحالة الاستثنائية التي هي عليها في تلك الأصقاع من الشكل العام وتتأخر من تتسم بأنها تقدم في وسطها المشهد الكبير بوجود بحر داخلي، أي بحر أبيض متوسط بحه صغير الحجم وحجم لا يكاد يلمح في الخريطة. يتكون من الجزر الثلاثة الأكثر أهمية للكائن في الجنوب هوندو وكيوشو وشيكوكو

هو بحر ضيق وقصير لدرجة أن لاسمه الذي يطلق عليه اليابانية هو seto-naikai بمعنى بحر بين قوت وهو بالفعل يتكون من مجموعة صغيرة من الأحواض البحرية التي تربط فيما بينها قنوات. لكن الأوربيين رتبوا لوجود صورة البحر المتوسط في أذهانهم كانت لهم رؤية موحدة أكثر بالنسبة لهذه المياه. وترجموا الاسم الياباني على ذلك بـ "البحر الداخلي" أو "البحر المتوسط". وهذا الكثير من وجود شبهة بين توبيد هذه التسمية سواء من وجهة النظر الجغرافية أو السياسية أو الثقافية. ذلك أن هذا البحر قد تم تدوير تسميته بما كان في المنطقة اليونانية لرومانية، من إسهام في تطوير حضارة سامية

لا تقتصر وجوه الشبه بين الجغرافيا ورمزية اليابانية وحوض المتوسط على هذه الأصقاع الموحدة في مجموعة البحر بل تمتد إلى الأعلى العظمى منها. وليس الأمر هو عبارة لا أساس لها ترد على تنفاه الرحالة الذين يتركون أنفسهم لانطاعات مؤقتة بل هي عبارة عن رؤية ناضجة توصل إليها متخصصون مشهورون بعد سنوات طويلة من التحصير في دراستها. وإذا ما أردنا تحديدا لوجدنا أنها في نظر المستشرقين الذين اعتادوا على مشهد الخاصة بالقارات في الحضارات الآسيوية الكبيرة، تتميز ببديهية خاصة ألا وهي أن مجموعة البحر اليابانية ذات تركيب معقد سواء بالنسبة للتضاريس أو المناخ ومملكة

السلطات فيه ولها سمات معكس على عقلية وثقافة الشعب الذي يعيش فيها الأمر الذي يستثير مفارقتها بحوص البحر المتوسط الشرفي

كان المستشرقون اللاتين، وخاصة ريبه حروست K. Grousset، هم الذين اقترحوا
الاسماء نحو هذا التواري بين اليابان واليونان. فهذه الأعداد المتعددة تتحلل في احمرايا
الهندسية والبارية، حيث الشواطئ. مشابهة من حيث قصرها، والوجود الكسح التحليل
والبحر كما أن طوكيو يوجد على حافة اعرض الذي عليه سولي، كما أن خط العرض
من الأوس يقطع احريرة ايبانية الكبرى نحو لشمال فملا وكما هو احر في اليونان.
لا يوجد ركن في اليابان يبعد عن أكثر من مائة كيلومتر عن البحر، أضف إلى ذلك أن
سهول هوندو Hondo وكنتو Kanto لا تكاد يحور اعداد سبيلها انا، اكن مكان
يلاري Helade كما أن كلا من نخيرة سوا Helade في حوار كيونو، ومعها البحر
يدخل في تشكيلنا في محققين شبه قد كان عنه أمل احر الولاية

[illegible]

كتب حروست 'وعلى طرفي نفس القارة وعلى سمات بعيدة في الزمان ومكان
وعلى فطرين سعيدين بحرينهما في البحر كان هناك شعبان 'حسنتهما لألله. استطاعا دحر
العنن والنوء والورعد مناهيب الفكر الأسوي التي كانت في أغلب الأجيال عاصية الي
خدم. وقد حولت الثروات الطائلة الي ثمود من معدن اللامع وانسمت انسمت نرنا
ثيب على بلاد الأمان اسود'

ولا بد أن الاستناد إلى تلك الفرضيات في التطواف بالإقليم الأكثر كلاسيكية في
البحر، أي بحوض البحر الأبيض المتوسط الخاص بهذا البلد، ثم مواصلة السير على
الطريقة الكلاسيكية في الانتقال، أي الإبحار، يؤدي إلى نوع من الإنارة والمشاكل في آن معا.

وحتى تكون التجربة كاملة فإن المسار يبدأ من الصقر، ففي أوزاكا نجد الصباح
وصاء لكر السماء أخذت تتلبد بالغيوم عند الوصول إلى كوبي Koby؛ وعندما خرجت
سبعة من المياء وكان الصباب يلفها، وأحيانا ما يكون ذلك بقوة لدرجة أن "السرينة"
كنت تعمل بلا توقف معلنة عن مرورنا بأصقاع شديدة الخطورة بسبب كثافة النقل
اسحري وعندما كانت تخف حدة الضباب كان يرى ولو للمحطات الشكل العام لجزيرة
واحي Awaji وعند المرور بالمضيق الكاش بين هذه الجزيرة وجزيرة أونودو Hondo
أحدثت تظهر الخبال في الميمنة والميسرة، كما نالعمل نحر في حوض بحر متوسط لكنه كان
يشبه أكثر بحر اللطيق أو مضائق fiords الرويجية مقارنة بالبحر المتوسط.

بالع حروست. وبذلك فإن من قدموا هذه الرؤية الموارية بين اليابان وبين الدول
لأسكدنافية في أوروبا كانوا أكثر صواب. فمجموعة احمر اليابانية ابنة الباسفيكي الذي
يلفها بضايه وعواصفه وأعاصيره. كما أن الأمطار التي تسقط على أعلاها وتصل في العام
إلى متر ونصف جعلتها تساوي ما عليه الإقصة الأكثر رطوبة في أوروبا الأطلطية أضف إلى
ذلك أن النباتات الرائعة في اليابان لها ثم هو سوء الأحوال الجوية مثلما هو الحال في شمال
أوروبا. هناك أيضاً القطنات الدس يعرفون من نصيب الذي يلعبا كان شكلهم بريطانيا أو
أسكدنافيا. دعونا لنصعد إلى عرفة القيادة كلب عن لنا وما كان الصباب يلف كل شيء لم
يكن هناك مخرج لترجبة الوقت إلا التأمل في حواش النسبة والاجتماعية لهم، فهم
جادون وفخورون بالمهنة والمسئولية الواضحة التي لا توافق إلا في القليل مع الإحساس
بالمسئولية على الطريقة اللاتينية. يرتدون ملابسهم بشكل رقيق، ملتزمون في الأداء،
متشائمون بسبب المبالغة في التدقيق في أهدافهم، كانوا يتوقعون أن سوء الأحوال الجوية لن
يغير على مدار الرحلة كما أن المساء لا يأتي بسرعة

منذ أن كنا في المدرسة كنا نسمع أن اليابانيين هم الألمان أو الإنجليز في الباسفيكي.
وحقيقة الأمر هو أن جراتيان Gracian أكد في كتابه "الناقد اللودعي" Criticón أن المرأة

أحدث انقراض في الزمان وهو من أهم أحداث الأرض في ذلك الوقت
 الذي أشاروا إلى وقوعه شبه في الزمان وهو من أهم أحداث الأرض في ذلك الوقت
 شخصية في شخصه وروايتي أنه منحت في شخصه وروايتي أنه منحت في شخصه
 منسوبة وكثيرا في البحر والسمك في البحر والسمك في البحر
 وحديث أنبياء مقبلة منسوبة في البحر والسمك في البحر
 الأوراسي الذي منسوبة في البحر والسمك في البحر
 على الأوراسي في البحر والسمك في البحر
 في البحر والسمك في البحر

في البحر والسمك في البحر
 الأوراسي الذي منسوبة في البحر والسمك في البحر
 الحديث في البحر والسمك في البحر
 في البحر والسمك في البحر
 في البحر والسمك في البحر
 في البحر والسمك في البحر
 في البحر والسمك في البحر

إلى الفلاح أمثلة منسوبة في البحر والسمك في البحر
 المطاف حيث يحسب نحو في البحر والسمك في البحر
 للموانئ الكبرى وأما في البحر والسمك في البحر
 الخوب وسط الصب الشمالي في البحر والسمك في البحر
 "البحر الداخلي" هو طريق للاتصال بين المحيطين في البحر والسمك في البحر
 وأوربا بثقة ونخلة ورعه أن مداحها لا يخرج منها بحر في البحر والسمك في البحر
 حديثة جدا، كان الصاب يساعد المسافر على تحمل وحول كمية كبيرة من الأثورة في البحر
 منها، وكان المسافر أطلق العنان خياله كطفل أمام ورقة صماء

أحيانا ما تنفذ أشعة الشمس بين فتحات الصاب محدثة ظهور نور قوي على حبي
 مركب، وهو لون اصطفاي وغريب في ذلك العالم ذي اللون الرمادي الخفيف، وعين

حرف من كنهها المنقحة كان يمتصها الجو المحيط ، وكانت أعواد الأسل ذات سابل رمادية
تور في منطقة مخصصة لصيد الأسماك الوفيرة للعبادة في " البحر الداخلي " ، رغم أن خيوط
صو ، انفسس يذكر أن بصرب المشهد بشيء من القوة وأحيانا ما تكون أشكالها غير
والعديدة التي ينسب أحسنه الوطواط شديدة التواء مع هذا الفانتازي وعالم الأحلام حيث
تحرر مركب من كل لون وحجم ونوع من السمك عباب المياه بين الأفق اللذين يمتدان
مع مرور الوقت

له بأحر بروفيل جزيرة شودو Shodo في الدويان في الأفق ، وهي واحدة من أهم
حرف في " البحر الداخلي " حيث تبدأ منطقة " الحديقة البحرية الوطنية " كانت شواطئ
جزيرة وصحة للعبار مقارنة شواطئ أواسي 1881 ، كما أن المركب تسير بالقرب من
يذكر كانت الألوان الرقراء واحضراء المصمحة باللون الأشهب . ولا تكاد الأرض التي
منه الأخوص الرراعة تمصع عن لون أقوى ، حيث هناك أشجار فوقها لاشك أنها
سحر ريبور ولأسباب سحرية تتعلق شجرة ميرفا Minerva أخذ الجو يبدو أكثر
صند وأحدث تندي يقع من الرقعة اللسية في السماء ، وفي الوقت ذاته أخذت المياه تغمر
يكثير من البحر الصغيرة . كما في تلك اللحظة ندخل المنطقة الكلاسيكية لحوض المتوسط
سببي كما أن الظروف الماحية أخذت تتواءم مع الصورة النمطية لحوض البحر المتوسط
عند وفي الخاب الأيسر ، فوق حلقة من السحب ذات اللون الداكن التي تغطي الجزء
موي يكر رؤية جمال شيكوكو Shikoku وقد اتسمت بأنها جبال أسطورية .

كر البروفيل الفريد المحدد الملامح واحاص بالخزر التي تبدى هنا وهناك فوق مياه
هرة ور كدة تحمل زينة هي أشجار الصوبر ، يقطع ويكسر نمطية اللون الرمادي السائد في
حرفي سحر ! لا أن ذلك الذي هو فيه كر محدد بطريقة غريبة ومختلفة عن ذلك الذي
حد في جزيرة في حوض البحر المتوسط لا يتعلق الأمر أساسا بنوع من البعد الجيولوجي
في هو منعق بالسانات في الأساس ، إذ تبدو وكأنها أكثر من مجرد صخور لها أساس قوي
حت سطح البحر تبدو كأنها أصص تحمل تلك النباتات الغريبة ، توجد هذه النباتات في
له حرف مهما كان سطحها صغيرا لقربها من مستوى سطح البحر ، لا تعرف كم من
وقت نكر أن يستغرق هذا المشهد ، ذلك أن كان هناك انطباع بأنه عند المد أو أثناء عاصفة
سند بمح البحر من الفضاء على هذه الأجزاء من الأرض التي تبدو أنها طافية فوق

المياه وليست ذات أساس في قاع البحر . أو ربما لا تبدو عائمة بل تبدو وكأن هناك يد في الهواء تمسك بها وتحول دون غرقها .

كان الأمر يبدو وكأنه معجزة باقية وتبدو كنموذج ليعظّ البشر متى يُبقون على صمودهم وأملهم عندما يواجهون المواقف الصعبة وخاصة ما يتعلق بمشاعر الحب مثلما نجدّها في هذه القصيدة مجهولة المؤلف التي ترجع إلى القرن التاسع .

ولأنه سقطت بذرة ،
أمكن أن تولد شجرة صنوبر ،
على هذه الصخور الجرداء :
إذا ما كنا أوفياءً لحبنا ،
فمن الذي يمنع أن نلتقي^(١)

وبعد هنيهة انتصرت الشمس تماماً وأصبحت السماء صافية زرقاء لدرجة الملل . وكان يصدر منها شعاع لست أدري هل يمكن نسبته إلى سمات خاصة بها أو بسبب التناقض مع الموقف الناجم عنه الانطباع طوال هذا الصباح ؛ وربما كان كل ذلك نوعاً من الإعداد حتى يمكن تذوق المشهد الذي كنا نراه بنهم ؛ وعند اقتربت السفينة من إيمابوري Imaburi تأكد جمال المشهد بكل أبعاده . هناك اللون البني المعدني والألوان الخضراء القوية لأشجار الأرز ، والبيضاء الخاصة بمحاجر الجرانيت ، والزرقاء في الخلجان الصافية ، والخبيزية الصافية في الكتل الحجرية لأحواض الزرع والأصفر النحاسي في غصون الاستفندان arces والأصفر المتلألئ في المياه التي كانت تلمع تحت ضوء الشمس الممتد . وبالنسبة للمراكب التي كانت تعبر إلى جوارنا كانت تبدو وكأنها مدهونة للتو ، إلا أن ألوانها مهما كانت قوية تتكامل مع الجو المضيء .

من البدهي أنه كان هناك وجه شبه قوي بحوض البحر المتوسط عندنا ، ولا يقتصر هذا على ما يتعلق بالبعد الجغرافي بل يشمل أيضاً ما يختص بأنماط الحياة . هناك قرى الصيادين بموانئها الصغيرة والشباك الممتدة تحت ضوء الشمس والملاحات والزراعات في

(١) كارل شبت " الشعر الياباني " مختارات من الدوايات الأولى وحتى العصر الحاضر ، باريس ١٩٥٩ ، ص ٩٣

الأحواض والأشجار المثمرة والمنازل المفتوحة والبساطة والثقافة في الوقت نفسه، في الطبيعة التي تعلق عن نفسها من خلال الرمزية الهادئة التي عليها tori-i فوق الصخور أما الاختلافات التي تراها العين، يمكن أن تكون، كان يحوها ضوء أثري متجانس وكامل يبدو حديراً بأن تتضمنه أشعار بندارو أو هولدرلن

لكن الأمر يتجاوز ما هو شعري ليصل إلى درجة الفهم فهذا الوجود الإنساني، معصر النظر عن غرابة اللغة التي يجري الحديث بها وعن العقلية، يبدو أمراً مفهوماً. هناك أنماط حبانهم وكيونتهم وسط الطبيعة وقدرتهم على الإفادة من كوز الأرض والبحر، كل ذلك يبدو أمراً مألوفاً وكأننا نعبر مضيق ميسينا L. de mesina أو ندخل في خليج جزيرة إيبيزا Ibiza. كنا نبهر وكأننا نبهر في "بحرنا"، وبالتالي فإن هناك أساس قوى لما يؤكدته Keyserling "إن العلاقة التي توحد بين الثقافة الموضوعية والذاتية بشرية، في اليابان هي علاقة ملائمة، ومما لاشك فيه أن على المرء أن يتحول إلى ياباني لبشر بهذه العلاقة العلوية، لكن في اليابان ليتحول المرء إلى ياباني، فلا توجد روح في العالم قادرة على الاحتضان تحول دون هذا المصير" (١).

وعندما اقتربت السفينة، مع حلول المساء، من شاطئ جزيرة سيكوكو لترسو على رصيف ميناء تاكاهاما Takahama، كان الأمر يبدو وكأننا نقرب من ميناء في بحر إيجة أو في بحر البليار. أخذت تتلألأ أنوار السيور على مداخل بارات الميناء، وأخذ الناس يسارعون في النزول من السفينة وتوجيه التحية للأقرباء والأصدقاء بتلقائية مهذبة تباعد عنها عن الرسميات وتلغي الحواجز بين الحضارات. ووصل الأمر إلى أن اللغة أصبحت أقل غرابة فاللغة الجليلة ليست أمراً جوهرياً في الجو الأسري الذي نشعر به، في حوض البحر الأبيض المتوسط، ويحدث الشيء نفسه على الشواطئ الهسبانية حيث لا تبدو اللغة غريبة

غير أنه عندما أبحرت السفينة من تاكاهاما Takahama صوب بيو Beppo، كان مشهد مختلفاً للغاية، وليس الأمر لحلول المساء بل للشكل المفاجئ الذي اختفى معه الضوء وسبب الظلال الغريبة التي ظلت تطفو في الأفق، كانت ظلال الجزر التي تكسوها أشجار

الصنوبر وهي ظلال أخذت تظهر فيها من جديد الألوان الرمادية للمصباح لكنها أكثر رمادية وأكثر قوة وكأن الجزر التي كانت تطفو، من الصلب، فوق عنصر مائي يبدو الآن أكثر فحشا بسبب الضوء وأكثر هوائية من السماء. وفي هذا النطاق يتذكر المرء الخلجان fiords النرويجية أكثر من صورة الخلجان الموجودة في البحر الأبيض المتوسط غير أنه بالنسبة لشمال أوروبا كان الشفق طويلا ورفيع المستوى ومسليا بينما نشهد الآن شفقاً سريعاً ومثيراً للحرارة.

أخذ عالم الصور المتلاثلة الذي كنا نتأمله في المساء يفرق في فضاء الليل، كما أن ظلمة الليل، التي أخذت تقترب، كانت تبدو أكثر بعداً عنا بكثير مقارنة بأية أصقاع أخرى على ظهر الأرض فيها الأشكال الواضحة والبدئية، وكأن هذه في انتظار نوع من الوحي، حيث أخذت تظهر ببطء من قاع غامض تم عادت لتختفي فيه من جديد ولكن بشكل مفاجئ وكامل.

X- الطبيعة والإنسانية

من بلد له منتصف نهاره وليس ذلك مجرد تحديد جغرافي بل من حيث سبب حقيقته
جوهري في سلسلة التباينات التي تتصفر في البلد، فذلك الحزن النقضي من حزن بل من
إقليم الباسك يعتبر - من حيث الانطباع عنه - بأنه جنوبي أكثر من حيث موجوده على
نصف الآخر لأنه يقوم في البلد الذي هو فيه فرنسا بدور إقليمي لا بد من أن يكون
بما يحاذي الموجود في إقليم الباسك من أحواض المجموعة محدثات تنوع بدور
المصدر حيث أنه إقليم صناعي كثيف السكان وديممي ورض ينكر في بعض أكثر من
لاستمتاع بالحياة يصطدم الرحالة وهو يتجول في أغلب الدول الأوروبية بوصف متسعة
لمسافة، فهي Valais يجد أنه جنوبي استنادا على الحياة فيه إضافة إلى أنه غير معروفة من
مواصفات الجغرافية مقارنة بلومبارديا Lombardia عندك حوض سويسرا مشربة -
ميكلمورجو Mecklenburgo، وإقليم Sussex مقارنة سويسرا

إننا نواجه هنا حالة قصوى تتمثل في تشتت بشري للمشهد الطبيعي، ومجموعات
السياسية في المنطقة الدافئة من كوكب الأرض تدور من الناحية الاقتصادية حول قطبين
بشريين متماهيتهما الخاصة في الأقاليم التي يستقر فيها هذا القطب أو ذلك، فكذلك بعض ولا
مانعة والدعة والتواؤم الطبيعي للحياة والتراث فإن هذا يميل بنقله إلى المجموعات السياسية.
وينكشف ذلك حول النصف الجنوبي، أي المناطق الجغرافية، بمعنى الأقاليم المتمسكة بساحل
أكبر والمربجة في المنطقة الدافئة في النصف الشمالي، بينما نجد أنه عندما يعني الأمر من الجهد
والتوتر والوعي التأملية والتقنية فإن التوجه هو تكثيف ذلك في قطب شمالي سواء كان ذلك
من الناحية الجغرافية أو الاجتماعية. وعلى هذا الأساس فالأردواحية التي يراها في لسكان
وبوسط الملموس تتم في إضفاء الوحدة على الجغرافيا البشرية.

في بيو Beppo هناك إحساس واضح بأن المرء موجود في جنوب البلاد، وهنا يرد على الذاكرة وضع المدن المتوسطة وخاصة بالرمو. فالفندق اللطيف الذي نقيم فيه، وهو واحد من أحدث الفنادق في اليابان، فندق سوجينوى suginoy الذي يرتفع حتى منتصف السفح ويطل على الخليج الممتد والحوض الصغير المكون من منطقة محاطة بالجبال هناك غابات خلف الفندق تمتد حتى قمة الجبال رغم أنه غالبا ما تكون هناك مساحات خالية تكشف أكثر عن جيولوجيا المكان مقارنة بأصقاع أخرى في اليابان. هناك أشجار أقر. كما أن الحشائش تميل أكثر إلى اللون الأصفر، وفي عمق الوادي يمكن رؤية مجموعات شجرية عديدة بين الرقع العمرانية، لكن القطاعات الأرضية، التي تدخل البحر وتشكل الخليج، تنسم في معظم قطاعاتها بأنها جبلية

لا يكتشف المرء مداخل أو مصانع أو نشاطا زراعيا مهما. المدينة متوسطة الحجم رغم أن مساكنها مبعثرة للغاية، هناك مبان ضخمة، ومن البديهي أنها فنادق، تخرج عن الرقعة الحضرية لتصبح في أماكن مميزة فوق الهضاب التي تشكل مدرجا حول المدينة. من البديهي إذن أنه مكان مخصص للراحة والاستمتاع بالطبيعة وحقيقة الأمر أن بيو هي المنتجع الرئيسي أو بمعنى أصح مركز المنتجعات في البلاد، حيث يمكن أن نحصى وجود ثمانية من هذا النمط بين المدينة والمناطق المحيطة بها إلا أن مفهوم المنتجع الذي يتوفر عليه الياباني هو مفهوم أكثر تفاقولا مقارنة بالمفهوم العربي. هناك مياه معدنية termales وفيرة ومتنوعة في بيو إلا أنها غير مستخدمة، مثل الأوربية، في علاج الأمراض، بل الفائدة منها هنا هي الاستحمام والإفادة من حرارتها والمواد المعدنية التي تحتوي عليها من أجل راحة الجسد والروح لمن يزورونها.

يوجد في كل فندق حمامات من المياه المعدنية، وإليها ينزل المقيمون ويتجهون نحو حمام السباحة وهم يرتدون الكيمونو Kimonos أو يذهبون إلى الأماكن المخصصة لهذا الغرض، ثم يعودون للصعود في الأسانسيرات ووجوههم محمرة وناعمة الملمس تغلونها علامات الرضا الحيوية التي تتبدى على وجه الياباني بعد أن يمارس نشاطه في تناول حمام أما "الفورو" furo أي حمام المياه الساخنة والبحار الناجم عنها، الذي يدخل في كل جنبات العرة الصغيرة والمحكمة الغلق، يعتبر طبقا حقيقيا بالنسبة للياباني، وهو طقس شائع ويومي وشعبي. لكن في "بوبو" نجد أن هذا الطقس له بعد أكثر عمقا، ذلك أن المياه

تسبح ساخنة من بطن الأرض، ولا تسهم فقط في تنظيف الجسد وتحسين الدورة الدموية واستعادة التوازن النفسي بل للاتصال بالقوى الغامضة للطبيعة.

تنتقل من طبيعة جنوبية تتسم، رغم دعوتها إلى الدعة والراحة، بأنها غير مستقرة تسب الهزات الأرضية في اليابان وهي نفسها في البحر المتوسط الأوربي. ومن "بيو" لا ترى الكتلة البركانية "أسو" Aso التي توجد وسط جزيرة كيوشو الرطبة في بعض مرتفعاتها وكذا البركان الخامد الأكثر ضخامة في العالم والتي عليها يعيش أكثر من ستين ألف نسمة إلا أن العليان الداخلي للأرض يظهر في كل مكان في المناطق المحيطة بالمدينة. ينجح المستحمون إلى تلك الأماكن التي تنبع فيها المياه الساخنة - وذات درجات حرارة ووبعية مختلفتين - وتفجر ينابيع المياه المعدنية يحدث أيضا في رمال الشواطئ وحتى تتم لإفادة من هذه المياه يلجأ المستحمون إلى دفن أجسادهم في الرمال أملا في الحيوية والطاقة وهم واثقون من بعث جديد للحياة

مواصل في القطار الذي يسير بمحاذاة شاطئ "البحر الداخلي" حيث كان الخط في البداية شديد الالتصاق بالشاطئ الذي يتلاها تحت أشعة شمس منتصف النهار، لكن سرعان ما نترك العين عن يمينها الجزيرة الصغرى كاونيساكي Kaunisaki لتنفذ إلى واد صيق مأهول ذي عمارة تقليدية لم تُمسس، ومن بين المنازل الموحودة على المصاطب المتتالية هناك مجموعات من الأشجار الأسفندار، المسماة momiji، تضيء على الأسطح الرمادية الشديدة من نبات البريزو brezo ألوانها الراهبة محلثة الدرجات، ابتداء من الأصفر وحتى الأحمر القاني الذي يصبح مثل مشهد البيران احتشقة عندما تتحلل أشعة الشمس، وهي بران صامتة وحزينة. هناك القليل من تلك الأماكن التي تتحلى في هذا المشهد المثير في سلاسل، لكن الوادي يأخذ على الفور في الانساع ويدخل الفطار السهل ثم يقترب من الشاطئ من جديد وهو لا يغادر الشاطئ إلا لمسافات قصيرة ويظل على هذا الأمر حتى يصل إلى هيروشيما.

إنها ساعات طويلة ليترك المرء نفسه يتشبع من جديد بصور محددة من الجغرافيا والحياة المتعقبة "بالبحر المتوسط" الياباني. غير أن الانتباه لا يُسلط عليه أو حتى على "الأرض المحيطة به بل على الصلة الحميمة عليهما معا، وإذا ما كان المرء وهو في طريقه إلى

سنادي Senadi يشعر بالبعد اللانهائي للبحر ، فإنه هنا يراه صغيراً ومجزئاً ومأهولاً بالجزر وأشباه الجزر ، إنه طريق ووسيلة للمواصلات والحياة مثله في هذا مثل اليابسة . تشكل الأرض والبحر عالماً معقداً محددًا بشكل ثري وشديد الإنسانية . تسترعي المشاهد الأبصار ليس فقط من خلال كونها " إستامبات " جمالية بل من حيث كونها حقول زراعية كما أن رجل الحقل الذي نحمله نائماً في داخلنا يبدو وقد استيقظ أمام مطلب أو وسيلة زراعية مهيأة على المقاس البشري .

المشهد في حقيقة الأمر هو عبارة عن حقول الأرز في المقام الأول ، وبهذا فإن الحبوب الرئيسية الأكثر شيوعاً وهي الأرز والقمح كانت حميرة لكثير من الثقافات شديدة التنوع . هناك الأرض والحوان والبذر والحصاد والطعام والفصاء والسماء ، وهي كلها شديدة الاختلاف عندما تتم زراعة الأرز وعندما تتم زراعة القمح : هذه العلة الأخيرة يزداد انتشارها كل يوم في اليابان غير أن بنية ملكية الحقول والأراضي ولشئ لا تزال هي العنصر الحاسم في نهضة المناخ للزراعة التقليدية . وتعتبر ديدة النسور اليابانية مجموعة من الطفوس المرتبطة بزراعة الأرز .

ظهرت أنماط حياة حول هذا النوع من المروعات بصعب علينا أن نصل إلى جوهر دلالتها ، لكننا نشعر أنها أنماط حياة إنسانية رغم أنها تسير في نوار آخر مختلف عما عليه الحياة في الغرب . لا يبدو أن الأعمال احتلّية فاسية ويمحس الافتراض بأن العودة إلى المنزل القريب لا يصاحبها نصب بحول دون الاستمتاع بالأرمان الغريبة التي يراها في الأشجار اليابانية ذات الخضرة الموسمية ، وأنها نما هي عليه من سواحيات ودرجات لونية تتسم بجمالها وأنها من صنف آخر غير ذلك الذي يوحد في العرب ومعرفة ، ومع ذلك فهذا الأمر يتحول إلى موضوع محل تساؤلات لدى الرحالة

ومما لاشك فيه أننا لا نفهم حقيقة مغرى الصور الشعرية التي أخذت تتصفي على مدار القرون من جراء تأمل ذلك المنظر الرائع . ومهما اجتهدنا لن نبلغ من خلال الترجمات الوصول إلى هذا الإيقاع الحميم الودود الذي تعبر عنه تلك الصور ، وهو رعدة أكثر رقة مقارنة بما عليه الحال في الشعر الغربي كما أنه عنصر دائم في الأدب الياباني منذ خطواته

الأولى المتلصمة في بداية عصورنا الوسطى ، عندما لم تتوقف أية نظرة غربية من أجل تأمل أوراق شجر أو منحني صخر والتعبير عن الإعجاب بها .

هناك قصيدة ترجع إلى القرن التاسع تعبر من خلال هذه الطريقة الشديدة الرقي عن علاقة الحنين التي يكنها أحد الملوك لشجرتة البعيدة المزهرة :

لا تتخلي عن الفوح بعيرك
المعطر ، يا زهرة الكمثرى ،
وتطلقينه في موجات رياح الشرف
رغم أن مالكك غير موجود
لا تنسي الربيع ^(١)

هناك قصيدة أخرى ترجع أيضا إلى القرن التاسع وهي عينة شعرية مثيرة للهوس
البياني بالأشجار والمزهرة .

في هذه الأماكن القصية
اضطرت لقضاء الليلة ،
عندما سقطت زهور
الكرز أصابتنني بالدهول
وجعلتنني أنسى طريقي إلى المنزل ^(٢)

هناك إمعان في " المانيريسم " Manierista في هذه القصائد وفي كثير غيرها ، لكنه
"مانيريسم" يقوم على معايشة شخصية أو جماعية . كانت عملية الإزهار في الشجر
والنباتات مدرسة للتربية الفنية في تناول الجميع والتي يتم الحضور إليها بانتظام شديد ، وفي
اليان نجد أن المسافة الزمنية الفاصلة بين إزهار وآخر ليست كالتى في أوروبا نظرا لما عليه
الحدائق ، من حالة أكثر طبيعية وتلقائية بشكل ظاهري فمن الحديقة الرائعة والتي تغطي

١ سوحوارا موبشيراى ، Vid ، كارل بينيت ، العمل المشار إليه ، ص ١٠٦

٢ المصدر السابق ، ص ٩٣

بعناية كبيرة على الزهور العادية هناك سلسلة متدرجة من الدرجات ولكن ليست ذات طابع استمراري، الأمر الذي تترتب عليه نتائج مهمة سواء على الجانب الجمالي أم الاجتماعي؛ فكل زهرة تتفتح في إصيص من البامبو تعتبر جبل وصل بالطبيعة الجبوية والوافرة المتواجدة في الحقول. ومن جانب آخر نجد أن حياة هذا الشعب مرتبطة بهذا الشكل بهذا التنوع الذي عليه الطبيعة. يترك الناس المدن بشكل جماعي في شهر فبراير ليعبروا عن إعجابهم بأزهار شجر البرقوق وفي أبريل يخرجون للغرض نفسه ولكن بالنسبة لأزهار الكرز، وفي مارس، في بداياته زهور الأزاليس Azaleas وزهور الوستاريا glicina وزهور اللوتس أثناء الصيف، وفي نوفمبر زهور الكريستيم Crisantemos وأوراق الأسفدان arce. ورغم ما قد تكون عليه الحياة الاجتماعية في البلاد من التزام وصراحة فإنها تتجلى وقد تخللتها الروائح العطرة الجميلة.

ولنلاحظ أسماء الأشخاص المشتقة في أغلبها من التضاريس الطبيعية، فإنه أثناء الطقوس الدينية نجد أن هذه الأسماء عبارة عن تقدمات ثمار الأرض، وفي مسميات الجماعات الاجتماعية وفي الرموز والتروس الخاصة بالسلاسل وبالنسبة للحياة الغربية في هذا الشأن الأخير نجد أن أغلبها مشتق منذ العصور الإمبراطورية القديمة من الحياة الحيوانية وخاصة الحيوانات المفترسة. لكن الأمر بالنسبة للسلاسل اليابانية هو عكس ذلك تماماً. فهي نباتية بشكل خاص. وليس الشيء نفسه أن يرى المرء رمز السلطة العليا في شكل صقر أو أسد يزأر أو أن يراها في صورة زهرة لكريستيم ذات الستة عشرة بتلة، التي هي رمز الميكادو Mikado.

كانت رموز الأسر الكبرى التي مارست السلطة النعمية في البلاد على مدى ألف عام عبارة عن زهور، فهام آل الفوجي وارا Fujiwara، أي عصف نبات الوستاريا، وهام آل ميناموتو حيث رمزهم ثلاثة زهور من الحشيش Ginerana فوق ثلاث أوراق من البامبو، وآل أشيكاجا Ashikaga حيث رمزهم زهرة البولونيا Paulonia وبالنسبة لآل توكوجاوا فإنهم كانوا يخففون من نظام حكمهم البوليسي الصارم بثلاث ورقات من الناردين البري asaro، حيث تُرى في دائرة ضمن شعارهم.

كان للساموراي زهرتهم الخاصة وهي زهرة شجر الكرز، ولا يعني هذا أن الحياة السياسية كانت أقل صرامة أو أقل قسوة مقارنة بالحياة في الغرب بل إنها في أقصى أشكالها انقاسية كان يصل إليها أريج الزهور والنباتات، كما أن العلامة التي تبرز التي توجد في السيف الذي يحمله الأنداء من الساموراي تنسم بأنها صافية صفاء معجزا مثل البتلات.

وفي أيامنا هذه نجد أن الماكينة البيروقراطية للإمبراطورية اليابانية لا زالت تُعنى برمزية الزهور ابتداء من الهياكل العليا بها، فمنذ شهور قليلة كانت الصحف ترف في أنحاء العالم حرار رسميا صدر عن القصر وهو أن الإمبراطور هيروهيتو كان سوف ينشر في عيد ميلاده الحادي والستين محندا كبيرا مصورا من ٤٢٨ صفحة مخصصا لدراسة حياة الزهور، وهذه الصور هي من قبل الإمبراطورة بجاكو. كان ذلك هو الكتاب الرابع الذي كتبه إمبراطور. ومن المطور احصى بالقانون السياسي العميق، الذي يذهب إلى ما هو أبعد من الإحراءات القانونية الشكلية فإن هذا الشر الذي أعلن عنه بكل مظاهر الرسمية كانت له أهمية عظيمة، فهناك الكثير من الناس الذين أتلج هذا الحدث صدورهم عندما رأوا أنه إدام التقليل من الصلاحيات الدستورية المحولة للإمبراطور يتجلى نوع من إعادة الأحياء لشخصه من خلال طريق الساعات العبر قابل للهجوم عليه

هذا التأثير الآتي من الضبعة واضح املامح في الأوساط الثقافية، وفي هذا المقام يمكن ذكر تجربة محددة للغاية تحمل في طياتها شهادة شائعة كان ذلك أثناء عشاء أكاديمي مع أستاذة جامعة كيوتو الإمبراطورية وكان على رأس هذا الحفل رئيس الجامعة، الطبيب ذو الحس الفكاهي والشديد الحيوية والشهرة وحوار الذي نسم في بداياته بالنمط لبرتوكولي طبقا للاحتفالية وساء على المشاكل المتعلقة باللغات أخذ يتجه نحو تبادل، محل ثقة، للأفكار والمشاعر. وأخذت الضحكات والابتسامات والظفرات تكاد تحل محل الكلمات أو أنها أخذت تصبح ذات مغزى حاصر عندما انتشرت في ذلك الحو الودي.

كان جوا شديد الطابع اللاتيني والخصوي، وهذا أمر أقل احتمالية للوقوع في عشاء أكاديمي في شمال أوروبا فالفقشات والتنويهات الساحبة والمعاملة الشخصية وروح الصداقة التي يراها بين الحضور كان يجب أن تبدو مفاجئة بالسمة لمن يطبق على اليابان الأصول والقواعد النفسية والاجتماعية السائدة في أوروبا. وأثناء المحادثات السريعة كثيرا ما يتم

التخلي عن اللغات الغربية وذلك لمزيد من الدقة والتحديد من خلال اللغة المحلية؛ غير أنه في أغلب الأحوال كان هناك من يقوم بترجمة التراكييب ذات الدلالة المزدوجة في اللغة اليابانية إلى عبارات مفهومة. وكان رئيس الجامعة هو صاحب أكثر هذه العبارات وصاحب ترجمتها، في جو مرح وخفيف الظل من خلال نظرائه المؤثرة بوجه أحد العاملين. لم يكن الأمر عبارة عن افتراض، فـ رئيس الجامعة كان يتباهى المرة تلو الأخرى بتلقائية تصورهما أحد في اجتماع غربي، بينما يداعب كأس Saké، بأصوله الريفية ويتحدث عن ذكريات شبابه في القرية مسقط رأسه ويفصح عن رغبته في الانسحاب من الحياة المهنية ليعيش في قريته.

وعلى هذا كان طابع الريف الياباني ينتقل إلى عقر دار أعرق المؤسسات الثقافية في اليابان وكان يخلق جوا من الإنسانية الودودة والانصراف الخفيف الروح لم يكن شيئا استثنائيا بل كان تنويجا. ففي الصباح كنا زرن، بصحبة اثنين من الرملاء، حدائق "المدينة الأمبرلية" الشوجاكوين Shugakuin، وكنا بدأنا نتحدث عن تحارب متساهلة، وأمام هذه الأشجار الجميلة الواقعة على حافة البحيرات كان للكلمات، رغم لمطر، شفافية أكثر مما كنت عليه في مكان مغلق. وبصل الأمر إلى أنه لم تكن هناك حاجة إليها، فصمت كاف.

وبعد تأمل سفح جبل مليء بالزهور الرائعة للأشجار الحريشية والمهيأة بشكل يجعل من حجمها ولونها عبارة عن سيمفونية لونية كانت الطغرات متدلة وكان الناس يشعرون بأنهم أقرب إلى بعضهم وكأنهم عبارة عن اثنين منهنوسين سويسيتي انتهى للتو من سماع سيمفونية جرى عزفها بشكل جيد أو ربما كان عبارة عن سمن من المؤمنين الذين انتهى للتو من سماع مقطوعة "آلام المسيح" لباخ في إحدى الكسرات القوطية

XI - الميتولوجيا في جزيرة مياجوما

في كتاب صدر حديثاً للأب الدومنيكاني / إم إتش ليلونج M.H.I elong بعنوان "الحياة الروحية في اليابان Spiritualito da Japan، هناك إلحاح أنه لكي يتم فهم هذه الحياة الروحية لابد من الإطلاع على تاريخ اليونان وخاصة الجانب الديني منها يسير الكتاب على إيقاع كتب أخرى صدرت في هذا السياق لكن له سماتان هما: تركيز مؤثر المشكلة على الحياة الدينية، وإبرار حوارات لشبه ليس انطلاقاً من أحد المصطلحات والمقارنة بينها بل من خلال مصطلح ثالث. ومنه يتم اكتشاف وحوه الشبه التي تقوم على تقاليد عامة كما أن وجهة النظر المسيحية التي يصدر عنها الأب ليلونج تساعد على رصد أوجه الشبه بين المفاهيم الدينية الهنسية واليونانية. من أنه ليس الوحيد في استخدام هذا المنظور

ويصر الأب ليلونج على أنه من المهم أن لا يفهم من أن الكريستوس Kraitlones الهلنستي وكذا ديانة الكومي Kaiton السنتو دراسة تسيار إلى منظومة الظواهر الدينية نفسها، إذ أنه يعطي الحقير عن المصطلح اليوناني وأحرف اليونانية يعبر عن فكرة التفوق والعلوية والندح لأسسها التي قد استخلصها في هذه الحالة وتلك تبدى وكأنها قابلة لتدخل في دائرة تبادلية كمال. إذا كان الإنسان معادياً لجميع ألوان القطبية ولكل أشكال التوليف الدينية فإنه يتسلسل عما إذا كان يجب أن يقرأ باليابانية أو اليونانية عبارة "كل شيء يزخر بالآلهة" علي أن كلمة الآلهة لا تعني بالتأكيد لا المبدأ التسمي ولا حتي الشخصي^(١).

حياة الروحية في اليابان، باريس ١٩٦١، ص ١٥

وفي إطار عرض أفكاره يقوم الأب الدومينيكي بالاعتماد على جمع رحل آخر من جماعته الدينية نفسها، وهو الأب مستوحيري P. Testugiere، إذ بمناسبة وحدة حقلية تفسى بها تيوكريت Teocrito، استدعى جو الهجر والمنعة من حيث هو "وفقة في إطار الخهد القوي، الذي يراه أفلاطون على أنه أمر حوهرى في أية احتمالية دينية" يعتبر الأب ليلويج أنه من غير الممكن العثور على مصطلحات مناسبة للعناية بالسنة مهرجانات مانسوري Matsuri بمناسبة الاحتمالات بالكرر Nakura وأطلق الموميجي Momiji عندما تزهو أشجار الكرز أو عندما تحترق بعد ذلك أوراق الأسندان هناك "الرب Cigarras ذات اللون القاتم" و"نقيق صعدعة العادات" لدى وردها الشاعر الرعوي، واحتفى بها باشو Basho الشاعر العاني لشهير خلال القرن السابع عشر، من خلال هاي-كاي أي النمطية الشعرية التقليدية في اليابان الماء مقدس لدى شرب قرب مديح المتريس له نفس مذاق الماء الذي يجري في نهر إيري

لن نعد أذا عملية العثور على صور مماثلة ومنشئة مع ما يسمى الأعريقي في التاريخ الياباني، وهذا ما يؤكد الأنصار المتحمسون مثل هذه السمات مثل مثل سيقن نوربيدس عندما ترك أتينا من أحل عزلة مقذوب، وكذلك حله سور "أنا سار عن كونه بل لك أتينا ليقوم بدور الخادم في معبد دلفوس، حيث توحد موثف مع سيرة الكثير من المشاهير اليابانيين الذين فصلوا حياة البساطة على المجد والتحرر، وخويع إلى أضره من رجال الدين وليس نتيجة ضربة نورية بل لحادية السادة

هذا الميل إلى البساطة، الذي يعتبر أمراً حوهرى في هذه الساحة، والذي يتم التعبير عنه من خلال الجمع بين صفتين، بحيث يتم بطقه Seihin النهايات السعيدة)، هو المونور الكبير Leitmotiv الذي يظهر بشكل مدح على صحنات المتحمسين من لاء الدوميكان. تتغذى النهايات السعيدة Seihin على احداث احتمالي المحض بالطبيعة وتتقابل مع البعثة للأشكال الأتانية والنعمة التي تدهورت إليها السطة الهلنستية المسيحية الأصلية للعالم الغربي "إن الإحساس بالطبيعة الباعثة على السكية والتي أصبحت بعد أن تعرضت عندنا لخسوف علماني شأنا أدبيا أكثر من حياة الشعب الحقيقية، هو طريق للعث والإحياء، وهذا الإحساس يمثل في اليابان تنفس البلاد وثقافتها

ولنكرر مرة أخرى قائلين إن هذا الأمر عبارة عن شعور حميم يرتبط، في نظر المعلقين المنذر إليهم بما اكتشفناه في التدين الإغريقي ويكشف لنا أفلاطون عن الراحة والعادة في الراحة العذبة في أحضان الطبيعة حيث يتواجد الآلهة في كل مكان، فكل مكان مليء بالآلهة الذين يدعوننا أن نهذا في معيّنهم، ولهذا يمكن للقديس نائلون أن يقول في استهلال خطبته أمام الملأ قائلا "أيها الأثينيون، أرى أنكم أكثر الناس تدينا" ويمكن توجيه هذا الخطاب بشكل أكثر إلى اليونانيين، ذلك أنه مما لا شك فيه أنهم يذهبون إلى أقصى حد في الطريق الهلنستي من حيث الرؤية المتعددة والمباشرة لما هو إلهي، فالمبجل Kami ليس أكثر من قطعة أكثر تركيزا بعض الشيء من ذلك العصر الإلهي الذي يتحلل الطبيعة بالكامل

من الذهني أن مصطلح kami يعبر عن إلهام ديني أكثر انتشارا لكنه أقل تكميلا دينيا مقارنة بالهة الميتولوجيا القديمة. فتعدد الآلهة اليونانية أكثر عموصا، إذ يوجد أكثر قربا من الأشكال المحددة، التي يتم الإحساس بها عن طريق الحدس، في الطبيعة مقارنة بما هو هوميري. ولا يلاحظ فيها التوحه نحو استحلاص القوى الإلهية في صورة آلهة يقومون فيما بينهم بتفاسم الأقاليم أكثر في الطبيعة والوجود الأساسي في إطار هذا التوحه المثالي المحدد في حصوط عامة بالنسبة لكافة أحد، اعلمه لهميسي وفي هذا السياق كتب ديليو ب. أونو "أينما كنت مسخرة الأقدار الروحية اليونانية لا يمكن سريان أو كلا من ريوس وأبوللو وأثينا وأرئيسا ويدوسيسوس وأثروندت كانت هي الأفكار الكبرى في هذا المقام، وهي، بشكل ما، نواة ما هي الأقدار، وأنها تستمر على هذا النحو طالما أن لروح الأوربية التي وجدت فيها موضوعاتها، لا بد أن لا تترك تخضع للروح الشرقية أو تنوعه شعبية من التبرير العقلاني"

يسر عالم الميتولوجيا الألماني الكبير ورا. روه شديده الاستحفاف بالشرق ولاحتقار له، وهي رؤية تبسيطية للتوحه الذي عنه لإسبقيات ذات الصانع الكلاسيكي الذي كان يشعر بتقاطع المعجزة اليونانية مع حلقة منظمة والموحدة في أسيا من الضروري أمام هذا الاطراد في السق بذل الجهد للتفسير بين الأعضاء الشديدي النوع من

(1) Die Götter Griechenlands Das Bild des Gottlichen in Spiegel der griechischen Frankfort a M. 1947 pag 17

الذين يشكلون جزءاً من هذه الكتلة التي جرى جمعها في مسمى عام هو الشرق . ومن خلال هذا الطريق سوف يتم اكتشاف الجانب الآخر من القارة الأوربية الآسيوية وتقييمه . وتحديدًا في الشرق الأقصى ، حيث هناك ميتولوجيا شعب يعيش في جغرافية شبيهة باليونانية كما أنه تتجلى فيه وجوه شبه مثيرة بما هو هلنستي .

لكنها ليست كثيرة مثلما يقول بذلك بعض الكتاب الذين أشرنا إليهم ، وهنا من الضروري توخي الحذر ليس فقط بشأن توجه مغرق في الحصرية والإعجاب بالتوجه الذي عليه الإنسانيات في حوض البحر المتوسط وإنما أيضاً أمام حالة وعي تبدو مناقضة لكنها في حقيقة الأمر رؤية مشوهة للشيء نفسه والتي هي عبارة عن اكتشاف معجزات من توجهاتنا الإنسانية الكلاسيكية في أقاليم بعيدة عنا في هذا الكون . وفي هذا المقام يمكن أن يكون الرحالة وكذلك المتخصص قد لاحظا وجوه شبه مفاجئة بين العقلية الجمالية الدينية في اليابان وفي اليونان القديمة . غير أنه في الوقت الذي يتم فيه الحرص على الإبقاء على هذا الجسر الذي يفترض وجوده من جراء هذا التشابه لهم مجموعة من الظواهر شديدة البعد جغرافياً وتاريخياً ، من المهم كبح حماح الرغبة التلقائية في الاستفادة منه إلى أقصى حد في باب إلحاق مفاهيم وقيم على الواقع الغريب ، قادمة من التراث الكلاسيكي الغربي ، بدلا من تسهيل عملية فهم الظواهر الغريبة . وبذلك يسهم في تشويه أو طمس المعنى الحقيقي لتلك الظواهر .

هذه التعددية الشنتوية Sintoista التي كان مسموحاً بها أو مقبولة من قبل البوذية اليابانية هي أمر ذو طبيعة أكثر ديمقراطية ، ويمكن القول في هذا المقام بأنها أدنى أقلية وأكثر تشكلاً من اليونانية . غير أنها تفتقر إلى البعد الشكلائي والطري الذي تولى تشكيل مجمع الأولمب وانتهى به الأمر من خلال التوجه الديني إلى المطومات الفلسفية السابقة على سقراط ثم يعود للتجلي مرة أخرى من خلال المدارس الكبرى في آخر مرحلة من مراحل العصر القديم . ظلت الميتولوجيا اليونانية دائماً في حالة فطرية ingenuidad شعورية وخيالية دون أن تعتمد إلى التشكيل النظري أو الأخلاقي .

وهذه هي - بشكل كبير في العالم الهلنستي - نتيجة التقابلات بين مختلف طبقات الاعتقاد؛ ونذهب إلى أكثر من هذا بالقول إلى أنه لو لم تكن هناك هذه الطبقات المتنوعة في

عالم مفتوح على كافة التأثيرات وهو العالم الياباني فإنه لا يلاحظ فيه هذا التقابل الحدلي الذي أفرزته المأساة الأتيكية في العالم اليوناني بأشكالها الفريدة في باب الوعي الأخلاقي والديني وكذا في ظهور فكر نظري وأساليب فنية كبرى. التوجه الديني الياباني هو توجه حدسي أكثر، وأكثر طبيعية وبساطة، مقارنة باليوناني. وبالتالي رسا شكل أكبر على مرأى الجمالية، وهي حالية بالمعنى الأصيل اليوناني في حقيقة الأمر - للمصطلح، الذي جرده كائط، بمعنى من حيث أنه إحساس وانخراط أمين في عالم الطبيعة الخارجية

وعلى هذا الأمر تبدى لنا الثقافة اليونانية على أنها ثقافة جمالية بدرجة كبيرة، وهي نوع من الجمالية لا يتم التعبير عنها في صورة سلسلة من الدرجات والأساليب مثلما هو الحال بالنسبة للأشكال البسيطة اليومية وليس فقط من خلال الآثار الكرى والمعابد والقصور، بل من خلال الأدوات الأكثر بساطة والعدد الأكثر نفعية في تناعم كامل بين مادة والشكل والوطنية ولا يقتصر الأمر على الأشياء بل يشمل تصرفات الإنسان وبنائهم وطرانثهم. كتب ليلويج

لا يوجد مكان آخر أكثر ملاءمة لإدراك تلك السمة الجوهرية للحياة اليابانية إلا جزيرة مياجima التي تقع في "البحر الداخلي". ومعنى ذلك اسم جميل يعني "جزيرة المعبد" ذلك أنها تضم أحد أشهر المعابد في البلاد وهو معبد إيتسوكو شيمما Itasukushima الذي حاز شهرة في مختلف أنحاء العالم بفضل فيلم راشومون Rashomon

كانت الليلة السانقة التي قصصت امر. في مشهد يلقى في مواجهة الجزيرة ولا يصل عنها إلا مصيق صغير، بثمة عملته به. حرة لرب المعبد الشهير، كما أن المركب التي تقودنا إليها، على شكل نين ولها ذيل مسنن وحواسها كأنها من حشيش لامع ونحاة أخذ يتجلى العقد "Tori-i" (العقد الياباني المتعدد) وأخذ بكر وبنللاً على صفحة المياه الساحية الشديدة الهدوء كلما اقترب المركب من المكان، رغم أنه تركه حاساً مد دوراته حتى يرسو على المرفأ المجاور العقد المذكور إذن هو عقد معبد إيتسوكو شيمما لكن لم يتم تصميمه ليكون باب دخول من يحجون إلى المكان، مثلما يحدث في معابد يابانية أخرى، بل هو باب دخول الذات الإلهية نفسها، بمعنى البحر الذي يتم التعمد له في المذبح

الرئيسي للمعبد في شكل ثلاثة آلهة أنثوية حاميات المحارين. وهن إيكيشيما
Ichikishima وناجوري Tagori وناجستو Tagistu.

وكان من الأمور المعتادة في ديانة الشنتو sintoista أن تكون أشكال هذه الإلهات
الثلاثة غير واضحة المعالم؛ إذن فهي تزيد قليلا على مجرد المسميات الأمر المهم في جربة
مياجيما ليس مقر المعبد أو المذبح الموجود داخله في العمق مع ما به من رموز بسيطة للإله بل
لوجود منصات ذات أذرع تخرج من الجسم الرئيسي للمعبد المقدس وتمتد فوق البحر في
محاولة دائمة، وغير راضية، لعناقه. والأمر هو أن المياه التي تدخل عبر العقد المذكور،
"التوري" tori-i، أو تدور حول قواعده الخشبية الحمراء الصلبة، تترلق إلى أسفل الماسي
الخشبية التي تقوم على دعائم ضخمة من المادة نفسها. ثم تسحب بدقة وتنضم إلى الطام
السائد في البحار. وعلى هذا فإن المعبد مكرس وغير مكرس على مدى مرتين في اليوم
ويحدث ذلك بإيقاع عاية في الطبيعة.

في مصر، حيث كانت تحظى مياه النيل بتقدير ديني كبير، كانت المعابد تتعرض
للغرق خلال موسم الفيضان مقدمة بذلك مشهدا شتاهيا لسعد الديني للطبيعة ومن
الأمور ذات الدلالة في هذا المقام أن المعبد الذي طر في حله حمده للعبادة ووصل إليها، معد
إدفو، نجا من قسوة الطقس والإنسان حيث عطفه صدى أسس إلا أن إيقاع القدسية
وتدنيس مياهه كان يفتقر إلى العداحيوي والطيب الذي عليه مد في حالة حريرة مياجيما،
وذلك لأن "البحر الداخلي" الياباني يتعرض من خلال عدة قنوات لهذا الاحتلال المتكرر
في التوازن في المحيط الذي يلف المكان، رعم صعر مساح

ورغم أن اليونانيين اعتادوا بناء معابد البوسيدون Poseidon على الشاطئ، نظرا
لقلة حركة المياه في البحر المتوسط، لم يكونوا يخطون بالإنحلال الخي للقدسية التي تقدمها
البحار، أضف إلى ذلك أن المستوى الكبير لدرجة الشدة بين البشر والآلهة اليونانية يجعلها
مستقلة بدرجة جيدة عن القطاع الخاص بالطبيعة. فهذا هو شكل "البوسيدون" كاملا وله
سماته التقليدية: ها هو الرمح الثلاثي الشعب الذي يحمله الصياد، وها هي العربة التي
تجرها الخيول التي كانت منذ القدم رمزا للمياه ثم أصبحت، من المنظور الواقعي، رمزا
للأمواج. لم يكن في حاجة ليرطب جسده بالمياه والأمواج ليؤكد ذاته كإله البحر، إذ كان

تبدو وكأنها تتخلل رجاجا قوطيا متعدد الألوان. وبعد ذلك تقوم بصهر كافة الألوان ثم
 تعكسها على الأرض المتعددة الألوان وعلى وجوه المارة الذين استوعبهم الجو الأسطوري
 ولما كنا عربيين كنا نسأل بعذوبة وعلى طريقتنا العقلانية والمنطقية في التشكير، عن القوى
 الخفية وعن العقلية المنظمة التي يجب أن يُنسب إليها هذا المشهد. فأني بستانني، شديد
 الحساسية والمعرفة، تمكن من تنظيم المشهد المكون من الأشجار والصخور والحشائش
 والطحالب والضوء والظلال والصمت بهذا الشكل الكامل؟

هذه أسئلة لا يوجهها المشاهد الياباني، وفي الوقت الذي لا يستطيع الأوروبي أن
 ينساها فإنه لا ينجح في الاستمتاع بالمشهد الذي تقدمه الطبيعة اليابانية أمام ناظره من
 الضروري إلقاء هذا التوجه الذي يحرك عليه، وهو التوجه العقلاني والممنهج الذي عليه
 المشاهد الغربي، وأن نفتح على المتعة المحضة بالاشياء في حد ذاتها وبحيويتها الداخلية
 والغامضة لكنها صافية حتى عندما تتجلى في صورة عمل شري، وهي محصلة سنوات
 طويلة من التعلم. وطبقا لما كان يؤكد الكونت كيسر ليج "هذا الكمال الذي لا مثيل له في
 طريقة تنظيم الزهور في البارد يرجع إلى روح الزهور نفسها التي تربط الباقات"

وهناك روح احبل وليست روح مسعة في شكلها مطلق التي تتكون منها
 السفوح بتنوعها وترتيب نباتاتها إنها سكت احداة *funiculas* التي تحملنا
 ونحن معلقون، في الهواء في كابية مريوحة سكت، لا نسمع لها بأر ستمتع بشكل
 هادئ بالتناغم أثناء فصل الخريف وكما إذا كان ذلك نسا داد لمشهد صحامة ولكن
 دون أن يفقد المرء المشاهد الأولى عندما نسير بالمشهد لا نسمع له نسمع له حجم البانوراما هناك
 في الأسفل الأشجار القريبة بألوانها المحددة وعلى مسافة بلاسة لإشباع البصر، وبعبدا
 بعض الشيء وعلى مدار عدة دقائق، ومن خلال مشاهد من عمودين من أعمدة القطار
 المعلق يقترب المشهد من حديد حتى أن الفارب يصغر باحد محابه

هناك طريق قصير يؤدي إلى مرصد الرؤية حيث منه نكتشف جزءا كبيرا من "البحر
 الداخلي". وهناك العديد من الجزر تشد للناظرين بأشكالها الخدابة وجوانبها المحددة
 وكثرة ما بها من نباتات، ونحو الشرق، أي على سطح المياه التي تفصل بينها، هناك لوحة

(١) العمل المذكور سلف، الجزء الثاني، ص ١٤٢

صححة للدعاية من الذهب تعمى البصر ، إنه مشهد يستجلب الأنشودة أو الشيد ويذكرنا
بحر إيجيه وحاليته القريبة ، أي أن أرحبيل هولدرين " . لا ماص من تذكره في هذه
اللحظة نختفي الاختلافات بين البحر المتوسط هنا وهناك وبين الميتولوجيا في الخائين بفعل
قوة الشمس التي تعطي البعد الكوني والجغرافي القوي في هذا المشهد .

وعلى بعد كيلومترات قليلة في العمق بحد خليج هيروشيما ومنازل المدينة الشهيرة
مرئية للبحر كما متأثر أيضاً بذكرى ذلك الانفجار الذي وقع للشمس الأخرى التي قام
بشر بتسببها . وهو انفجار محيف للدعاية بالمقارنة بالذي بلضا الآن تذكر أيضاً المأساة
التي انتهت عصر حديد يرمو إلى المستقبل وليس فقط بسبب قرب المشهد الذي وقع فيه
لانفجار وإنما بسبب اليقين بأنه لم يكن ممكناً اختبار مكان آخر لنتج فيه انفجار آخر أكثر منه
مدمراً على ظهر الأرض

XII - معبد الغابة

إذا ما أمعنا البحث في مخزون الذاكرة لكتشف ما هي الصورة التي حُفرت بعمق
وكانت أكثر تمثيلاً للبيان فليس هناك أدنى شك فيها، إنها الصورة المطبوعة والقوية التي
تكرر على طول البلاد وعرضها وتحلى في صورة مشتركة للمعابد والمعابد

لا يمكن الفصل بين المصطلحين، ولأمر ليس وحوود شينين بل وحوود شيء واحد
مقدم بطريقة مردوحة، فعدد شول عدة في بيان فهذا يعني المعبد وبعد أيام قبلة من
لترجل عبر هذا البلد اعتاد ينظر كثيراً على رؤية معبد في حوار مجموعة من أشجار
الصنوبر أو السرو أو الأرز حيث لا يكاد نلاحظ في حيد لاكتشافه، ذلك أن وحووده أمر
شديد السهولة ليس شيء مقصود، فمعبد مرسى المعبد أو المعبد الصغيرة أكثر مما هو عليه
معبد الكلاسيكي أو المنصبي الروماني على عدة من وحوود في حوار مع من ناحية تحد أن
لعدة في البيان أكثر انتشار مقارنة بالبلاد في معبد معبد، ولهذا السبب نفسه ونظراً
مضرة عبر العادة التي عليها معبد معبد وحوود معبد معبد *emblematic* التي
عدة ما تكون رفيعة للمعبد، هناك حيوية معبد معبد من شك التي يمكن أن تكتشفها في
معبد الأوربية ذات الأشجار موسومة ولاستمرار من شك إلى ذلك أن المعبد نفسه مثبته
من الأشجار وهو بذلك استمرار مباشر معبد معبد إلى وحوود ذاته في محطه حامية له
ومسودة.

تعتبر عمارة الحشب في البيان أمراً استثنائياً في تاريخ العمارة ويشمل هذا كافة
الأحجار بما في ذلك مصر وآشور *Assyria* وليون وروم والهند والإسلام في
المغرب *Occident* على مدار مراحل تطوره الأسلوبية، فكانت العمارة فناً يتمثل في
أقنعة المباني الحجرية، وكان من الممكن، في العصور البدائية، في أقاليم مائية ومليئة

بالقابات أن تشيد مباني من الخشب. لكن عندما كانت تسح الظروف الاقتصادية والفنية المناسبة تم إقامة المعابد بالحجارة، إلا أن هناك استثناء كاملاً وهو اليابان حيث ظل توجهها مستمرا على مدار القرون سواء تعلق الأمر بالعمارة امدية أو الدينية، انتهاء من دور العادة المدنية وحتى تلك التي قامت الجماعات الدينية الحديثة أو الديانات الحديثة. مثل ديانة تريكيو Tenrikyo بينائها هناك أسباب مختلفة يجب أن توضع في الحسبان لتفسير ظاهرة غير عادية وممتدة على مدار قرون: الأمر هو الهزات الزلزالية وكثرة الأخشاب المتاحة وإبول الفنية والاجتماعية. إضافة إلى ما سبق، من الضروري الإشارة إلى أسباب أكثر راديكالية ترتبط بالمفاهيم الدينية الخاصة بالبعد الديني للعناية البشرية، وهو أمر ملموس أيضاً بالنسبة لعبود الغراء.

وإد ما كان الكامي Kami قطرة مكثفة من لسان الإلهي ، لدي يعم الطبيعة
بأكملها ، فال معبد الباباي هو عبارة عن سلاحمة معسرية شر نكتيف وأكثر قوة في حد
انتم الواسع المقدس الذي هو العنة الدائمة ولا تنس الأثر حدة دور عبادة النسوة ،
بدءا بأكثرهم نفوذا ، وهو معبد إيري إا معتمد لاسعبر سنانة احديرة تأمنها بل
يشمل أيضا ملك المعبد ولأديرة السودية ، حكمة حكمة غريبة وكثافة العصور وحققة
الأمر هو أن يمكن أن يرى الكثير من المعبد ولأديرة السودية ، حكمة حكمة غريبة وكثافة العصور وحققة
المسئلة المحاوره مبشرة ، لكن سر عن ما سيبعد لأحسب ، أن سنانة أو انه أمر سيني

ولهذا لا يمكن أن تكون لدينا فكرة شاملة عن مبادئ التصميم من خلال الرسوم أو الصور التوضيحية. فالعمارة تحتاج دراسة معمقة في التاريخ، الفن، العلوم، الفلسفة، والتجربة الحسية. غير أن هذا يتسم بهندسة معمارية، وهندسة مدنية، وهندسة زراعية، وهندسة صناعية، وهندسة بحرية، وهندسة جوية، وهندسة فضاء. فالعناصر الطبيعية لا تقدم فقط المساحات، بل هي كونيها، طارا، يتم من خلاله تنفيذ الشكل المعماري من هي من مكونات، ومن ثم هي مكونات هامة من مكونات أصيلة تلعب دورا جوهريا

في بداية الأمر يشعر المشاهد العربي - لأسحر - على أنه عديم أو أنها كانت تلقائية تجاوزت حدودها وانتشرت وانزلقت بشكل ممنت في الإطار لقصتي للمشاهد هذا هو الانطباع الذي يتولد عند صعود السلالة امردية إلى قمة بيكو Nikko واكتشاف أن

الأشجار لم تقتصر على أن تكون ستارة ضخمة في المشهد الذي ترتفع في داخله المباني محل الذكر بل وصل الأمر بها إلى الدخول في المشهد نفسه ونمت بقوة في الفسحات المقدسة إلى جوار الأبواب الخشبية المتناثرة المنحوتة والمدهونة. وتزداد المفاجأة بوجود الأشجار الكبرى عندما نرى أن مقاييس البناء ومعالجته اللونية وصلت إلى درجة باروكية غير مسبقة الأمر الذي يتناقض مع حالة "الروستيك" التي عليها الأشجار. غير أنه بعد بعض الوقت ينتهي الأمر بالزائر إلى اكتشاف أن ذلك التناقض يحمل في طياته توازنا ويقدم درسا.

وفي إطار هذا الاختيال المثير المتعالي، حيث تتجلى مقابر أوائل الشوجونس أمام الجمهور، تعلن الأشجار مبدأ الارتباط الطبيعي والتقليدي للعمارة اليابانية.

وعلى أية حال فإن زيارة "نيكو"، بغض النظر عن القيمة الفنية لمعابدها ومقابرها، هي عند الأييري أمر ضروري لكثافة النباتات وخاصة تلك التي تنمو في سفوح الجبل المقدس بسبب وفرة المياه هناك، وفي هذا المقام كتب الروائي الأسباني بلاسكو إيبانيث أفضل صفحاته عن اليابان التي تضمنها كتابه "كاتب روائي يطوف حول العالم" كانت تلك المخصصة لأشجار بيكو: "يسير المرء في المدقات الطبيعية تحت ضوء يميل إلى الخضرة مثلما هو الحال في التجوال في أعماق البحار، وتشكل الأغصان قبة وأحيانا ما يمكن للمرء أن يرى قبة السماء وكأنه يتأملها وهو في أعماق أحد الآبار"^(١)

كان بلاسكو إيبانيث من المتبعين الدائمين لما هو غريب وملفت للانتباه، وبالتالي هم في الأساس بطريق الصنوبريات *criptomerias* المزروعة عند مخرج نيكو على يد ساموراي خلال القرن الثامن عشر^(٢). "يسير في طرق ممند بين صفين من المسلات النباتية المعنمة تكاد تتلامس فيما بينها، وهو يمر يعود إلى ثلاثة قرون وبالتالي ازداد امتدادا، وفوق رؤوسنا نرى الجذور المتعرجة لأشجار الأرز العملاقة، أما الحذع الحقيقي فإنه يبدأ في الأعلى. ورغم ضخامة هذه الأشجار المقدسة فإنها تهز عند حدوث أية تغيرات مناخية حتى ولو كانت بسيطة. . . . هذا المشهد المهيّب الذي عليه هذه الأشجار المقدسة التي تمتد

^١ برشلونة، ١٩٥٧م، ص ١٦٧

^٢ المصدر السابق، ص ١٧٨

صفوفها أربعين كيلومترا صعودا إلى الهضاب وهبوطا إلى الوديان حتى يتوه المرء في اللانهاهي، إنما هي أمر غير عادي يمكن أن نقول عنه إنه فريد في نوعه".

غير أن هذه العظمة ارنجالية وشديدة الهندسية وتفتقر إلى الجلال الذي عليه المعبد. فهناك تبدو الأشجار كأنها مسلات أي أساطين ضخمة في هذا الفضاء المقدس، وهنا يكفي قطع قممها ووضع بعض الجذوع بالعرض، عندئذ يتكون المقر المعماري. كما أن الطبيعة، من خلال أعاصيرها، تتكفل بتنفيذ العملية إذ تقتلع بعض الأشجار وذلك لتوفر على الرهبان الكثير من الجهد في الحصول على الأغصان لاستخدامها في البناء، وكان هذا يحدث في الدير الشهير المسمى إترياكوجي enryakuji الذي أقيم فوق جبل هي Hiei، القريب من كيوتو، حيث هناك شجرة أرز ضخمة سقطت بسبب الأعصار قبل أسابيع قليلة على زيارتنا وتعرض أحد أبواب المعبد للتهشم؛ كانت تبدو أكثر من شجرة أي تبدو كأنها عمود ملقي على الأرض لكنها بعقدتها المتصلة ببعضها سليمة وفي انتظار أن تتم إقامتها في المعبد. أو أن نرى ذلك في إيزي Ise حيث تولى الإعصار أيضاً بإحداث دمار بإخلاء المناطق المحيطة بالأشجار التي قاومت قوة الإعصار وكذلك الأمر بالنسبة لما حول المعابد، غير أن الأمر في مثل هذه الحالة كانت الأخشاب تنبدي للناظر جديدة ومتلاثة (هنا نقول أن معابد Iso يتم إعادة بنائها بالكامل كل عشرين عاما) مما عليه الأشجار التي سقطت، حيث تبدو أنها تأخذ مكانها في الماني المقدسة

هناك أسباب مختلفة تكمن وراء التحديد الدوري لمعابد إيزي Ise نظرا لتداخل المعتقدات الدينية القائمة منذ فترة مبكرة في البلاد. فمن ناحية يجب أن نضع في احسان المرحلية الزمنية لذكرى المتوفين من البوديين خلال العام الأول والثالث والسابع والعاشر والثالث والعشرين... الخ ابتداء من تاريخ الوفاة، ومن جانب آخر هناك كيان معبد الشنتو "مي - يا" (أي المكرّم أو البيت المقدس) والإدراك بأنه بعد عشرين عاما يجب أن تحدث هناك حالة وفاة. وفي هذا المقام نجد أن مفهوم الموت عند الشنتو يعرض المكان المقدس للتدنيس وبالتالي يصبح من الضروري أن تكون هناك عملية تطهير راديكالية تتمثل في إعادة بناء المبنى فوق أرضية مجاورة في المكان نفسه، وعلى هذا يصبح خاليا كل عشرين عاما ويكون مغطى على مدى هذه الفترة بغطاء أبيض ويمنع منعا باتا أن تطأ قدم.

لكن المشاهد البسيط الذي يرى معابد إيزومي Ise بنحشبهها الأملس والطازج والذي لا غبار عليه أبدا في وسط الغابة الغناء لا يسعه إلا أن يفكر في أنه تستكن وراء الأسباب المشار إليها أسباب أخرى أكثر بساطة وشديدة البدهية من خلال المشهد الذي يتم تأمله . إن عملية إعادة بناء معبد لا تعني فقط عملية تطهير المعبد القديم من خلال إلغاء رقعته بل إعادة الحيوية له أيضاً بحيث يتم إدخال حيوية الغابة مرة أخرى في المادة التي منها جرى تشييد المعبد والتي أخذ ينتابها الضعف والزوال مع مرور السنين . وعلى هذا فإن المعبد يستعيد قدسيته السابقة بتجديده الغابي .

هناك الشجرة حاضرة أيضاً كبطل على مسرح NO العمل الإبداعي الأعلى خلال العصور الوسطى اليابانية بمدلوله الشبيه بالمسرحيات الدينية ذات الفصل الواحد عندنا autosacramental . فالمرح بكامله . أي بأرضيته وحوامله وسقفه وخلفيته وكذا الدهليز الطويل الذي تسير فيه الشخصيات بشكل طقسي بطيء ، كلها مشيدة من الخشب ، أضف إلى ذلك أن المشاهد عندما ينظر أمامه (يمكن له أيضاً أن يحضر المسرحية جانبياً) يمكن له أن يشهد الحائط الخلفي المصنوع من الخشب النبيل (كاجامي - إيتا) ، أي من الصنوبر ، وقد رسمت عليه شجرة الحياة ، وعلى الجانبين هناك رمز الحياة الحيوية والسعادة وهو البابو^(١) .

تُعتبر الشجرة عنصراً جوهرياً في الرسم الياباني بأنواعه المختلفة ، وعلى الشاكلة نفسها طريقة معالجتها الأمر الذي ساعد على التمييز بين مدرستين مهمتين للغاية في هذا النقام هما مدرسة توسا Tosa ومدرسة كانو Kano ، يقوم إن . تسودا ، في كتابه ideals of Japanese painting^(٢) . بتحليل جوهر المدرستين في ضوء التحليل الذي يتم بالنسبة لشجرة واحدة هي الصنوبر : " إن مدرسة كانو التي ازدهرت في ظل سلالة المحاربين كانت تميل إلى تمثيل الصنوبر على أنه تعبير عن الحيوية القوية ، أما مدرسة نوسا التي كانت تعكس ما يفضده نبلاء القصر والشعب ، فقد جعلت من الشجرة نفسها رمزا للرقى والسخاء " .

^(١) هريال بوهمر ، No. Einführung ، طوكيو ، ١٩٥٩ ، ص ١٠٢ .

^(٢) من خلال بوسكو غوسكو ماراياني " اليابان " ترجمة بارس ١٩٥٩ م ، ص ٣٤٦ .

هذه الرابطة القوية بين الغابة والأثر لا تقتصر على المباني اليابانية التقليدية التي تنتشر في أنحاء البلاد بل تتجلى، وبشكل حاسم، في تلك التحولات التي تفرض على الأشكال المعمارية ذات الأصول الغربية، ومن أمثلة ذلك المعبد أو الهيكل إذن فإن نمط المبني الأكثر تمثيلاً لليابان هو بكل المعايير عبارة عن شجرة معمارية، ولا يقتصر بناؤه فقط على استخدام الخشب بل هو عبارة عن تركيب شجرة اصطلاحية ضخمة، حيث يوجد العمود أو الصاري الضخم في وسطها وهو صار مرن وطيع مع هجمات الأعاصير وكأننا وسط الغابة.

وهذا، من المنظور الشكلي والمادي، شديد البعد عن السمط البدائي البوذي في الهند؛ وبالنسبة لمفهوم القبة السماوية وجبل العالم الذي هو ملحوظ من الناحية المعمارية، في عمارة سانشي Sanchi، نجده يتقلص إلى أقصى حد في اليابان بينما يتطور العمود الأوسط mástil أو الصاري yasti إلى أقصى درجة تتجاوز هيمنة القبة من خلال المستويات الدائرية أو ما يسمى chatras التي ترمز إلى deva lokas أو سماوات الآلهة المختلفة. تطورت هذه الدوائر بشكل كبير في اليابان وتحوّلت إلى أهم شيء في المبنى أي في مختلف طوابق المعابد التي تمتد في الهواء وكأنها أغصان أشجار الصنوبر.

ولا تتجلى البنية الإنشائية الشجرية في محملها في المعابد فقط بل تمتد إلى مباني أخرى، فالعمارة اليابانية هي في جوهرها عمارة أسطح حيث يمكن توسيعها في شكل كتل عائمة لها منحنيات تأتي عفو الخاطر ولا تؤثر على الأعمدة الحاملة، وعبر الكافية من المطور المعماري الغربي لتحمل هذه الحمولة الثقيلة غير أن الانطباع عدم اكتمالية هذا مصدره أن العمارة الغربية تقوم منذ العصر اليوناني على مفهوم التسحر كعصر ميت وكان المعد الدوري عملية تجسد، من خلال الرخام، في معد مشيد من حدوع من الخشب حيث نجد عارضة الارتكاز على الأعمدة arquitrabe وباقي العناصر العلوية للسواء كانت عبارة عن كتل ثقيلة من الخشب المتسق من حيث الكتلة، وكذا مع قانون الحاذية الخاص بالعوارض، العكس من ذلك نجده في العمارة اليابانية ذلك أن المبدأ الجوهرى هو أن السقف وباقي عوارض الارتكاز غير متسقة فيما بينها وبالتالي نتحدث عن قوانين الكثافة والحاذية.

هذا التنوع لا يعني انعدام الوحدة المعمارية بل مضمونها العضوي والحي وليس
المضمون الميت. وهذا تحديدا مغزى العمارة الشجرية، حيث الأوراق الكبيرة أكثر خفة من
الخدع ويبدو أنها تطفو في الهواء، غير أنها يتم إدخالها تدريجيا في بدن العمود الذي
يحملها

وانطلاقا من هذا من الضروري بمكان تأمل العمارة الدينية في اليابان التي تأخذ الغاية
كمطار لها. وعندما نتأمل المعبد الياباني، سواء الشنتو أو البوذي، بشكل منعزل، نجده
شديد البساطة وشديد النفعية كما أنه يفتقد للطموح؛ غير أنه في إطاره الغابي نجد أن
الخطوط الأفقية والمعنى الخاص بالطفو والاستقرار للكتلة المعمارية تزداد عظمة بكتلة
الأوراق، كما تتقابل معها كنوع من النقيض الخطوط الرأسية للجذوع الواقفة، لا تتوقف
النظرة عند العمل الذي أقامته يد الإنسان بل تنطلق منه إلى الغابة المحيطة وتنزلق إلى داخلها
ثم تعود إلى المعبد وتراه على أنه مركز تكتيف لسائر إلهي طبيعي

إذن نجد أن المعبد الياباني يتضمن معنى متواضعا للعمارة، فهو عمل غير كامل
ويستقر إلى الاستقلال بنفسه مثل أي عمل فني، لكن تكمن العظمة في بساطته كما
تكتشف هنا أيضاً سبب استمراره على مدار القرون وكذا حلة البقيس الغريزية التي حالت
دور ارتكاب أخطاء وبعض السقطات في النصيب. نجد أن معبدا أو قصرا يراد له أن يكون
دائرا مثلما عليه الحال في نيكو هذا ملاحظه أحد المتخصصين المشهورين في هذه
المادة "يمكن أن يقام على مكان اصطناعي مربع من حلال حوائط عالية وأرضية من
الرخام ومعه السقف (السماء) وفي نيكو حد يفر الأسرحة والمعابد محاط بكتل من الشجر
التي تلفه في إطار ظل عميق حيث يعرق السعد في ألوان المسابي دون أن يكون هناك أي
صدى وعموما فإن التأثير الذي يحدنه هذا الأثر لياباني الأخير مختلف للغاية، مع ما به من
عصر باروكية، عن تلك الأنماط البدائية والبساطة للغاية لمصليات إيزي ١٥٠.

١٠ روبرت ثربرت بين وألكسندر سومر "الفن والعمارة في اليابان" سلسلة بليكان - تاريخ الفن، لندن، ص ٢٧٤

XIII - الخشب والحجر

الاستيقاظ في منزل ياباني يعني انتقالا هادئا بشكل أكبر، بين النوم واليقظة، عما هو في العرب إنه باب آخر موارد، وأكثر بساطة ذلك الذي يعود بكم مرة أخرى إلى عالم البقعة نمت على الأرض، ورغم أن المرتبة سميكة بما فيه الكفاية ومرنة حتى لا تعاني الأكتاف من القرب من الأرضية الشديدة الحساسية من خلال المراتب القليلة العادية رغم عوامة الحصر، وهنا سرعان ما تدركون بعد النظرات الأولى حولكم أنكم من البسطاء الموجودين في الغرفة ولستم ذلك السيد المبجل الذي يحاول أن يكونه الأوربي حتى وهو في المهدد ولا بد أن المشاركة يشعرون بهذا الشعور بالتميز الذي عليه الحياة الأوربية هو عندما يرون تلك القصور الباروك أو ذات الطراز الكلاسيكي الجديد حيث أن المخادع تحولت إلى عروش تتوجها تيجان من أعلى، ومنها تنزل ستائر تذهب بالوضع الإنساني البسيط إلى درجة كبيرة من الهوس.

أن ينام الياباني، هو أمر أكثر بساطة وارتحالا مقارنة بالأوربي، فليس هناك أثاث ذلك اللهم إلا بعض الأدوات المتواضعة التي يحرق حفظها في الدولاب، والتي يتم فردها على أرضية الغرفة التي يقضي فيها المرء نهاره وذلك قبل دقائق من خلوده إلى النوم. المخدة هي الشيء الوحيد القوي المسموح به في اليوم بالنسبة للعادات اليابانية وهي مخدة من خشب حنت عنها كثيرا ببيير لوتي في رواياته وهي أداة تستخدمها النساء حتى تضعن فوقها رؤوسهن من أجل الحفاظ على تسريحة الشعر التي كلفت الكثير. غير أن العادات الحديثة أسهمت في موازنة استخدام هذه الأداة الوحيدة الصلبة كجزء من المخدع المرتجل للياباني. وفي نسيم باللونة والقابلية للحركة ماعدا الأرضية.

ولاشك أن الحديث حول درجة الشبه بين النوم والموت يتسم بأنه حقيقي في اليابان أكثر منه في قارتنا تبعد عن التعقيدات الفنية والأحلاقية فأغلب اليابانيين ينامون ليس فقط على مستوى الأرضية بل يذهبون إلى ما هو أكثر بالنوم تحت مستوى الأرض ذلك أن هناك عدة مستنمرات عدة بين مستوى الأرضية في العرقة وبين مستوى الأرض؛ وبالنسبة لتحصير المصوغ من قش الأرز ذي الرائحة الساعمة فإنه يتم تغييره كل فترة للاستمتاع بظراحته ويجعل النوم الربيعي حدثاً مصحوباً أيضاً بتلك الروائح الصادرة عن الأخشاب ذات الأريج مثل خشب السرو والنسبة اليابانية لسمه في حسده بجرح من نطاق الخضارة ليحدث أكثر إلى بض الأرض الأم مثارة بالأوربي - أو أن الحصرة التي يعبر فيها ذلك، استنداً إلى أنها تعتمد على قاعدة ضبيعة كثر، يسمح بأن يكون النوم مجرد حدث بسيط وإنه لا يستيقظ كذلك

وعموماً، فإن الفجر ينكسر بالندحول عبر سوف نورقية الواسعة التي تسمح بحد ضوء عبر واضح ملامح وحفيف يتسم ذلك بصوت يندح عبر ألواح الألستر التي كانت موحودة في سوف بكس حلال سدت بعبور موسطى، والتي عادة ما يتم وضعها (أي هذه الألواح من الألستر عند بدهم بدهم) أو ربما يكون من الأفضل الحديث عن الضوء الذي يندم من خلال لأشدة موصلة وعلى حد يستيقظ النائم شيئاً فشيئاً دون أن يدري، وليس من خلال ترسنة غير - عدد من بعض سمار حيوط الضوء في مقلة العين شيئاً فشيئاً وبعد ذلك ندرجاً للاستيقاظ بالسرعة يبدأ الساعي بومه بهذه الطريقة ابتداء من أول لحظة، وتتحرك عندهم أمر مهم في حد - موصلة و حد - الأدبية وهو أكثر في هذا مقدرة بالغربي الذي يميل إلى الاستيقاظ بمر - سمون في مساء وبس في الصباح

وعند النظر إلى شخصيات قصة جنحي - نداء في حد - موصلة انهم، فهم من المؤمنين بالفجر، حيث نجد تحليلات منقصة في الكتاب - ويستيقظ بدهم في عمل موراركي ليس مجرد بداية لليوم بل هو أول فصل من فصول بيوم ومقصوده ونهايته الخربة، ذلك أن وفرة الضوء تقتل كل شيء في صباح يتسم بحساسيته وتفرده

ها هو وصف لذيذ لإشراق الصباح تتعلق بشخصية مهمة في الأجراء الأخيرة من الرواية؛ إنها شخصية كاورو Kaoru الذي رآه جنحي وأنه أصبح ابنه. كان الصباح

يبدأ وها هي زهرات الخديقة واحدة واحدة تبدأ في البروز وسط الضباب بعد أن كانت مجرد أشياء رمادية اللون؛ بينما كانت تتجلى بعض البراعم، شاحبة، من الإيوميا Ipomeas التي تزهر في غضون ساعة ثم تذبل؛ وتشغل هذه الزهور مكانة خاصة في غيلة البطل Kaoru الذي يشغله دائماً المعنى الدائم لما عليه الحياة من عدم اليقين، أغلق النوافذ بالشيش الخشبي وعاد إلى الاستلقاء ثم نام بعض الوقت، وعندما استيقظ كان الوقت نهرا وذهبت زهور الإيوميا وتهاوت. كان كاورو الشخص الوحيد الذي شهد تفتحها^(١).

أخذ الضوء ينتشر في الغرفة بشكل بطيء ومتجانس دون أن يصطدم بالستائر أو لأثاث أو المرايا المعلقة في الحائط ووصل بشكل مباشر إلى الخشب السميك الطبيعي (رغم أنه ناعم بشكل جيد)، أو أنه وصل إلى الخشب الأكثر بياضا لكنه أيضا ناعم وعضوي، وكأنه شرائح من جلد مدبوغ، في الأبواب المنزلقة المغطاة بورق سميك، أو أنه وصل إلى الأجزاء الأخرى من الغرفة المغطاة أيضا بهذه المادة. ويشمل ذلك أيضا أنه عندما تكون حوائط مشيدة من الأرض الحافة، التي تقدم بشكل طبيعي ولكن دون بروز للسمات العضوية

وأثناء النهار وعند السير بحسنة مثل التي عليها الغربي الذي يتجول في المنزل بخطوات واسعة وهو يتنقل احذاء الذي يسير به في الشارع يواتي المرء الشعور بضيق العرفة. الأمر هنا يتجاوز مجرد الانطباع، ولا يصطدم المتكرر بالعتب العلوي للأبواب يؤكد شكل مؤلم للغاية أن أبعاد الغرفة لا تتناسب مع مقاسات جسمك، لكن عندما تُرى الغرفة بينما الرأس مستندة على المحدة تبدو وكأنها ذات مساحة كبيرة ومتوازنة. هي عبارة عن فراغ دافئ وطبيعي ومنظم هندسيا رغم أن المسطحات ليست تحريكية أو مثيرة للملل. يلاحظ أيضاً نوع من اللعب العشوائي بمواد الساء المركبة بعضها بشكل دقيق وتسير على هوى النجار أكثر من السير على هوى من يقوم بوضعه الديكور المنزلي

وهنا نجد أنه إذا ما كانت الغرف اليابانية لا تصمم أنانا فليس مرد ذلك غيبة التفكير به بل لأنه يطبق على الغرفة بالكامل من بحث أن كل جزء فيها معالج بدقة شديدة. وهنا

^١ لبيدي مورازاكي العمل المشار إليه، ص ٩١٢

نجد أن أحد الخبراء في هذا المقام وهو المهندس المعماري بدوين توت B. Tott^(١) كتب يقول 'إن مفهوم الأثاث بالنسبة لعرفة غربية هو بالنسبة لمعرفة ليدانية عبارة عن سبة من الحوائط وتشطبيها بشكل غدية في الدقة' كما يتبدى السقف وقد حرج من بين بدني حجار ماهر لدرجة أن من يستيقظ بتولد لديه الشعور بأنه ليس في غرفة بل في نوع من الخزانة المشغولة

هناك أشرطة مشغولة معدية تقوم بتقسيم السقف إلى مستطيلات، كما أن حوائط ليست حادة بالنسبة للظرة الموحدة إليها من قبل من سنقط للنوم لأنها حواف غير حادة كما أن الأشرطة كلها ليست على شاكلة واحدة، فمثل التي تتوجه نحو الدهليز الخارجي تتسم بأنها أعرض وترر على تلك التي تتقاطع معها رأسياً. أضف إلى ذلك أنها لا تسير على الشاكلة نفسها ذلك أن السقف، قبل وصوله إلى الحائط الخارجي، يميل بدرجة خفيفة نحوه كما أن المستويات الوردية متداخلة بعض الشيء، بعضها الأشرطة وليس ذلك بسبب القوائم الخشبية مشدودة إليها بل من خلال ملامح حرجب المحللة التي تعكس نحو لدحي ببعض أشرطة لظلال الخشبية التي تنبئ بها صورة

وفي عمق العرفة، هناك كمرات متقسمة بأحجار بحسب نوبة لدور مركبي لدي تلعبه هناك كمرات أخرى، ربما بدون تقسيم، بدور وفي، ران حوائط لكن عقده بدرجة كأنها حروج لم تلتئم تقسني على دحل يعرفه صومع حتى بشجرة، رغم أن كافة لمود المستخدمة في تشييد العرفة تبدو وكأنها معدة على السبيل لهذا شيء، حتى وليس فاقدا للروح من الممكن أيضاً أن تقسم بعض المساحات بالموحودة في المقطع الخارجي بعض أعواد النامو لتقوم بدور الشكلة الخشبية وبمجرد دحل يعرفه بمرور الخديفة، بينما نجد أعلى إحدى الحوائط رسماً رفيفاً دمحبات قبل أن ندركه بروكوكو شكل أو بأخر حيث يتبدى كأنه المقابل للذوق الروماني

غير أن الطابع 'الروماني' في البناء ينسب أنه رفيع بدرجة جيدة ولو كان ذلك يتعلق على الأقل بتلك المنظمة التي تحيط بالمرور على شكل حديقة الطبيعة العناء في العبة موضوعة في مكانها بالمقاس والدرجة، رغم أن المقدس والدرجة بعملان داخل السات

(١) 'المرل والنس في البناء'، ضوكيو، ١٩٥٩، ص ٦١٠

نفسه. بشكل متسق ومتزن دون أن يفرضاً نظامهما الخارجي المحظوظ والتنظيم الثقافي
 مسطوط والمسطحات الأحجام والعلاقات القائمة بين كافة هذه العناصر هو من سمات
 الحديقة الإيطالية والفرنسية من حيث أن ذلك واقع رئيسي ومهما كانت درجة مواءمة
 الطبيعة فإنها لا تقوم هناك إلا بدور الزينة. فالزهرة وحدها يمكن أن تظهر في الأماكن
 المحصورة لها. أي في الأصص والمنشآت. أما الأحجار فهي في المدقات، وشجر الخور في
 الأسبحة وفي الحدائق وفي الشوارع ويرى إف. مارايني F. Maraini ' ' أنها زينة من
 لطراز الأول. فهنا يفرض الإنسان قانونه على مادة ترفض هذا القانون، وهو يفعل هاما
 هو في مصلحته أي فكرة. والنسبة للحديقة الشرقية يمكن القول بأن الرخوف يذهب إلى
 وهو أعمد من ذلك. فهو زخرف من الدرجة الثانية ذلك أن الطبيعة يمكن أن تمكن نفسها
 وقد هزمت بشكل مردوح. ففي المرة الأولى هي حصوعها للإنسان والثانية أنها لم تحظ
 بالموافقة على أن تعبر عن ذلك

هذا حقيقي. لكن هذه الهيمنة المردوحة هي هيمنة ثلاثية الأبعاد، فالسباني لم
 يتمكن من التوصل إلى ذلك إلا من خلال ثغور وبعده يتقو بين أهمية للحياة الساتية
 وذلك حتى يوقف تلك العناصر التي تساعد شجرة م على أن سمو دور حاحة إلى تقسيمها
 بمعنى كما أن المياه الموحدة في البحيرات عبر مورعة بشكل هندسي على الخشائش من
 تندي كأنها أصابع بين الأحجار وحسن. وقد يعني تدحلا سافرا من قبل السباني
 مقارنة لدرجة تدحله في حالة *Il giardino all'italiana*. وهذا سطح عملي سباني ينسم بالحساسية
 الشديدة للدرجة تجعله يعوض في أعماق نفسه حيث تدحله عندها شكل صامت
 وحجم وهي الصخرة والسات والمياه والنسب سباني يمكن حتى مسحتها وهي الطبيعة
 بالكامل بكل مكوناتها ومقوماتها تعرف من حيث هو نفسه. وكما أنه موسيقية، في
 حديقة يابانية، الأمر الذي يبدو أكثر ضيعة وأكثر بساطة وأكثر حميمية *domestico* من
 أي حديقة أوروبية

يقوم عنصر نباتي بوظيفة حاسمة في هذا الشأن. به سمو، الهمة الكريمة التي قدمتها
 الأرض اليابانية، والمادة الملائمة للعقيدة الصينية لهذا لتعبر 'الدمو لبس شجرة بالمعنى

النباتي للمصطلح بل هو نوع من الحشائش التي تنمو ويبلغ طولها طول شجرة في غضون عدة شهور. أطراف النبات مرنة للغاية لدرجة يمكن معها أكلها، لكن بوصفها المرن يمكن أن يكون شديد القوة مع مرور الزمن. واستخدام البامبو في حديقة يابانية يفصح عن خيال خصب وشديد الاحترام لما حوله وهو خيال غير مسبوق بالكامل بالنسبة للأوروبي ذلك أن هذا النبات غير معروف في أوروبا ولا يوجد نبات آخر يحل محله.

هناك وضع خاص للأسياح والخواريق المكونة من البوص بالكامل أو أجزاء من البامبو والمرتبطة ببعضها البعض بطرائق شديدة التنوع والألوان مختلفة ترتبط بعمر النبات ونوعه، هذه كلها تقدم صورة تسر الناظرين كما تفعل دلت الأرضيات في الدهاير التي تربط بين المنزل والحديقة حيث هي عادة مصممة من قطع قوية من بوص البامبو، كما أن الأسقف أحيانا ما تكون مشكلة من البوص الصغير أو الرفادة *Vigla* الكبرى التي ربما تحترق غرفة، ومن بين أدوات الحدائق هناك السلالم والأصص والقصاع والحوامل الثلاثية والأنايب والتعريشات والشبكات الروستيك الحسنة من المبالغة القول بأن الاستخدامات الشديدة للتنوع للبامبو في الممارس واخذت من اليابانية تشكل في نظر العربي أمر مذهلا كما أنها مصدر لا ينضب معبده لعناصر جمالية بسيطة مرصية، تقوم بدور حواري في رسم الصورة العامة والتريدة للمشهد الياباني، والآن هو أنها تشكل رابطة الاتحاد بين الطبيعة والحديقة، وبين الحديقة والمنزل، وبين المبنى والحدائق والبوص الحصى ولقصر

لكن كلمة قصر تنقسم بأنها ذات صانع سحري جدا في إطار عمارة تستخدم الخشب بشكل شبه حصري كمادة بناء، وهو توحيد من موهبة مع البامبو والشجار الذي عليه الكنتة الحجرية والرخام والجص الحسنة ومن حدس الأمور هي أن أبعاد الأعمدة *11x15* التي تقدمها غابات البلاد ساعدت على إقامة مساكن واسعة مثل القصر الإمبراطوري في طوكيو ومعبد توداي-جي *Today-ji* في نارا *Nara* الذي يقسم الممثل الصحن لبودا ومن الأمور الحقيقية أيضاً أن أضرحة "الشوجونس" توكو حوا في سكو، مشيدة بأبعاد مرتفعة وملونة بشكل كبير؛ لكن ليس أقل من ذلك ما هو في هذه الحالة وندك حيث هناك انطباع بوجود مبالغة وكأن هناك خرق للقوانين الجوهرية للمواد المعمارية

وعلى أية حال فإن الأصدقاء اليابانيين الذين رافقونا على مدار إقامتنا في بلادهم قاموا رؤيتنا لنيكو وكذا المباني الضخمة المشيدة من الخشب سواء كانت مدنية أو دينية في كيوتو. وكان من اللازم بذل جهد طيب لتغيير خططهم والتمكن من مشاهدة تلك المباني وعكس هذا قضينا ساعات طويلة في زيارة منتديات الشاي Pabellones وفي الأماكن الصغيرة المزخرفة بالرسوم الشديدة البساطة التي تنسب إلى مدرسة كانو التي تسير عليها الأديرة في المدينة الإمبراطورية القديمة، وكذلك الأكشاك وأماكن العشاء وكذا المباني الأخرى في المدن الإمبراطورية كاتسورا Katsura وشو حاكين Shugakuin.

من البدهي أنه لا يمكن أن تصدأ عمارة تلك المدن التي تعتبر من أفضل الأماكن المحفوظة بين المشتات المدنية في كيوتو وبين تلك الأوربية الشديدة الجاذبية، إنها نمطية عمارة القصور اليابانية كان من الضروري أن تتسم هذه المباني بأنها فسيحة وعظيمة شأنها في هذا شأن العمارة السياسية التي تعتبر رمزا وهما يحد أن جيروهورادا J. Horada أخذ بعدد الأسباب التي حالت دون إقامة مبنى ضخمة في البلاد وذكر من هذه الأسباب 'لقبود المفروضة على المدي من بقي الموضع حتى يتم التمييز بين ما هو عام وبين القصور الإمبراطورية' وعلى أنه حال من حجم التعبير للعانة للممرل الياباني يقدم لنا شاهدا على أن العظمة التي عليها القصور كانت لم تكن فيها سبعة في البلاد، هذا إذا ما قارناها بما هو معتاد في أمر متعار الإقامة بالأميرة لاوريس، حيث أن هذه لا زالت قصورا رغم تقليل حجمها وأبعادها وتحويلها إلى 'سجون الصغيرة' أو 'المرب الصغير للأمير' في الأسكوريال

لا يمكن لهذه المباني نفسها التي يوجد في مساحات اسكبة العربية وتعمل على أن تكون مزرعة أو "مارل العامل الزراعي"، من أجل ترحية وقت الفراغ للمقيمين ملكيين، لا يمكن أن تنفصل عن القطعة التي حول دون الاغراط الحثيفي في أحضان الطبيعة، وهذا شيء يتم الحصول عليه أيضا في المدي الأكثر أهمية في قصر كاتسورا Katsura. فهي هي دعاماتها الخشبية وكذا هيكلها، من المادة نفسها. يجعلان الأمر وكأن هناك اتصال وتناغم كاملين بين المبنى وبين محيطه الطبيعي يتطلب أمر تفضيل المواد

(1) A Glimpse of Japanese Ideas Tokyo 1938, page 73

العضوية على غير العضوية وجود مفهوم بسيط واقتصادي للعمارة والإطار المباشر للمبنى في المشهد.

هذه الطبيعة الأساسية في الحياة اليابانية التي قدمت لها هذه الصفة التي تُذكر كثيراً وهي البساطة تتبدى بجلاء في الأشكال الفنية. فما هو فخم لا يتم البحث عنه من خلال الضخامة والتجهيزات بل من خلال الجودة والتركيز وكذا من خلال التعليم الذاتي الشخصي وهذا ما حفزت عليه البوذية زن، ويتجلى في طقس تناول الشاي الذي أسفر عن وجود عمارة للصالات الروستيك الشديدة الانتشار في المدن الإمبراطورية. ولا بد أن هذه الصالات في البداية كانت أخصاصاً أقيمت بطريقة إرتحالية ومؤقتة وكانت ملجأ لقضاء ليلة مقمرة أو بداية نهار قصيرة. هذه المباني هي أبعد ما تكون عن العمارة السياسية الفخمة

ولهذا فإن زيارة هذه الآثار اليابانية تختلف بشكل راديكالي عن تلك التي يكرر القيام بها لمثيلاتها في أوروبا، فالأماكن الملكية في البلدان الأوربية مفعمة بالمظهر النسبة والتاريخ لدرجة أن الطبيعة تبدو وكأنها تلعب دوراً هامشياً، فالقيمة الفنية لمواجهة أو لقبة مرسومة أو الطرفة الخاصة بـ *maitresse* أو أمير هي أمور ذات قيمة أعلى هنا من لون الزهور أو زقزقة العصافير رغم أن هذه الأخيرة موحودة ببساطة لآخرى مجرد ذكرى منذ عدة قرون. غير أنه بالنسبة للقصور الملكية في كاتسورا أو تسو حاكين ورغم ذهاب إلهما بصحبة متخصصين لا يكاد يكون هناك حديث عن التاريخ البشري أو عن المهندسين المعماريين أو عن الرسامين. وهنا يتساءل المرء عن السبب في صمت تلك الرفقة الأكاديمية، ثم يؤول به الأمر إلى اكتشاف أن ما يُقدم لكم بكل أدب ووقار ليس له علاقة بالكلمة بل النظرة.

لا يكادون يتكلمون وإذا ما حدث فهي تعليقات موجرة تشير إلى بعض تفاصيل في أوراق شجرة أو مسار السحب فوق الجبال وأنتم جالسون في الأماكن التي اختاروها لكم، ومن المؤكد أن اختيارها لموقعها فقط بل أيضاً بسبب العناصر الضوئية للسحب التي تمر في تلك اللحظات فوق الحديقة. يستوي الأمر فيما يتعلق بما تراه عيونكم أمامها سواء كانت البحيرة وأنتم في خص الشاي أو رؤية خص الشاي أو ما يسمى ميوكيدن *Miyukiden*، أي صالة الاستقبال في قصر كاتسورا - وأنتم في البحيرة. ليس هناك فرق من المنظور الجمالي والطبيعي بين الحديقة وإنشاءاتها.

وحتى يتصح بحلاء وقوة ذلك التوجه، الذي عليه الياباني في تفضيله لاستخدام
به القعدة التي تقوم عليها الشجرة الكبرى والتي حولها يُقام المعبد والأساس الذي يقوم
عليه أعمود احتسبي، وهو درجة السلم في المنزل وهو المدخل الذي يسبق المعبد. ومن
نحية موضوعية نجد أن هذه لا تعتبر عناصر معمارية بل هي سابقة تدخل أكثر في مسار
تصميمية عنها في مسار الفن. كما أن معاجة الكتلة الحجرية تجعل ذلك أمرا بدهيا ذلك أنه
نادر ما يحدث في باب المنسجحات الخشبية المشغولة بدقة ومهارة لا مثيل لها، فإن الوضع
حاصل بالكتل الحجرية. بما في ذلك تلك الكتل ذات الوظيفة الأرقى، يجعلها تبدو وكأنها
مهمة وكأثر أرميل الفنان يخشى العمل في هذه المادة الميتة

لا يعني هذا أن الياباني يقتصر للحساسية بالنسبة لشكل الحجر، لكنه يقتصر على
الأنواع الطبيعية، التي جاءت من وحي لا ترتحل لذي عليه الجيولوجيا أو العناصر
تتغير بالطقوس. وليس عن قصد بشري يتم سحت في كافة أنحاء البلاد عن صخور
بينة من حيث حودتها وعرقها ونكوبها ومساحتها نغربية وأشكالها، ثم يجري جمعها
معدة بين السات أو مسطرة على أرض رسيبة متحركة، مشكلة بذلك حدائق تسر
بصبر وتدخل السرور على قلب من يتسوق

كيف يمكن المزاوجة بين تلك معاجة لغير مدبة محشيت وهذا الاحترام للشكل
سدي بلكنة احمرية؟ يبدو أن هناك استمرارية بلاسيدي، لندنية للقوى احمرية من
حلال الإحلال والاحترام للصخرة الكبرى شكيب من المسطحة سدي لم يمس، حيث
توضع وسط احديقة ممتدة انص وبنم قبال حشاش بقيرة تم حولها معابة فائقة،
ورب لهذا السبب، أي قدسيتها الطبيعية المحصنة، لا تخرو بياضي على معاجة حوابها
وحيث تدخل ضمن المباني المقدسة كمعصر محمول

ومن ناحية أخرى يجب أن نضع في احسب أن يبدو أن الياباني لديه حس مرهف
فيتمتع بدرجة الكثافة المختلفة التي عليها مواد الساء والكتلة احمرية عند الياباني
ورب كبرى هي عليه عند الغربي، ولا بد أن وجود كتلة من الحجر الرملي أو من الجرانيت
المروعة تعني في نظره تهديدا بالسقوط والتدمير ولا يقتصر الأمر على حالة المباني الدينية

والمدينة بل يشمل العسكرية أيضاً؛ فالمحارب الياباني لم يكن يشعر بالراحة وهو وسط دفاعات حجرية. والحصون هي أيضاً مثل المنازل والمعابد والقصور في مادة البناء وهي الخشب. وحقيقة الأمر أن هذا ليس لعبية احجر في المنى. ولكنه موحود في الأساس الخاصة بالحصن وبالتالي فعندما تُرى هذه الأساسات تدو وكأنها جبل أكثر من كونها مبنى؛ أي أنه أيضاً جبل صغير. من mota، مثل تلك التي كانت تقام في الأقاليم السهلة في أوروبا من أجل إقامة الحصن فوقها ولهذا فإن احصور الحربية لليابانيين وكذلك أسوارها مشيدة، بشكل منحدر. بكتل حربية لا تكاد تكون معاخة ومرصوصة جيداً فيما بينها.

غير أن هناك نوعاً من الخشب يعالج على أنه صخرة حيث لا يخرق المحارور على معالجته أو ربطه من حيث أنه قطعة إنشائية إنها حدور الأشجار. وهي حدور لها مدلولاتها المختلفة والرمزية طبقاً لكل صنف ولها أشكالها التي لا تخصوها العبر والتي تفتح الباب لخيال من يتأملها. وما بها من مكملات ولمسات بسببية أنت حتى من بد فإن وليس ذلك من أجل فرض شط على الطبيعة وإنما العبر على إبرره شكل أفضل. لا وهو الجذور الشجرية اليابانية التي ترقد على الأرض مشددة بسجور أو مفاصة لها ولما كانت الجذور قضت حباتها تحت الأرض حيث يجد بسبب من عالمه الحبولوحب، لكنها جيولوجيا حية وفاعلة حيث تنجلي فيها النوة حدة لا تفسد لا تطير لها

وعكس هذا هو ما تحده من نوعية معينة من حجارة. حيث أن حقة وريها وتشكيلها الطبيعي يمكن أن تكون في الأحراء العموية مع حسب هذا هو الحصى الذي تحرفه الأنهار. أي الأنهار القصيرة الطول لكنها قوية في بروب حسب سولي تحديد عدد عمر قليل من الكتل الحجرية على مدار مسارها العريض والسمير. ونحن سمون بأن من خلال هذه الكتل ينبع حب المادة المهدبة التي تتوفر لدى الياباني. حيث أنه لا يعرف على انقبام بهذه العملية بنفسه في تعامله مع الحجر، وإنما يقتصر على قول ما يأتيه في هذا المقدم والتعبير عن الإعجاب به عندما قامت الطبيعة بفعله. وحقيقة الأمر هي أن أصرحة 'الشوحنس' في بيكو محاطة بخنادق مليئة بهذا الصنف من الحجارة وكذلك الأمر في المنطقة المحيطة بـ Nō أضف إلى ذلك أن الصالات العليا في المتحف الوطني بطوكيو. حيث هناك معرض الفن الفرنسي المعاصر، وضعت فيها كميات كبيرة من الحصى الذي جرفته الأنهار كان من المثير تأمل

لوحة رينوار La Grande Femme accroupie وهي تستعرض جسدها البرونزي اللون فوق تلك الخلفية الجافة الآتية من نهر ياباني .

إلا أن الأرضية الخاصة بهذا الصنف من الحجارة التي ظلت محفورة في الذاكرة أطول وقت هي التي توجد عند مداخل معابد إيزمي Ise ، داخل المقر المقدس حيث لا يمكن للزائرين الدخول وقد حُفر هذا في الذاكرة وليس ذلك فقط من خلال الانطباعات البصرية، والتواؤم الشديد القائم بين الحجارة المبرودة وبين الروافد الخشبية للمعابد، ومن خلال التواجد اللوني والمبجل للأميرة كيتاشيرا كام Kita shira kam ابنة الإمبراطور ميجي، بل في الأساس من خلال الانطباعات السمعية أي الجلبة التي تحدث فوق الكتل الحجرية من خلال القباقيب الكثيرة الطقسية التي ينتعلها الرعد بعد أن يتم رفع الحجاب الأبيض الذي نهزه الرياح والذي كان يغطي مدخل المعبد، حيث لا يرى من ورائه شيء، غير أنه يقوم كذلك بدور الشاشة حتى ينعكس على صفحته ظل الإلهة

ومن الأمور ذات الدلالة المهمة في هذا المقام هو تلك الحلبة الصادرة عن القباقيب التي ينتعلها ماركليز أو جيماتشي ogumachi مثل نيكادو Nikado ، عندما اقترب من السنار المتموج ليقوم بقراءة النص الطقسي الخاص بتقديم أحولة الأرز وبراميل الساكي، Saké (المشروب الكحولي) كنوع من الشكر على احصاد الذي تم منذ فترة وجيزة. كانت جنة جافة ذات صدى ومهيبة وقوية تنادى بهرته حولوحيا أمام الحضارة النباتية في المقام الأول

XIV - نارا Nara، المتحف الأوربي الآسيوي

عند دخول نارا فإن الزائر الأوربي يشعر بنوع من المفاجأة، وليس ذلك لوجود المكان وسط غابة مسحورة حيث تتكامل المقابر وكأنها أشجار اكتملت من خلال الشكل الفني الذي أخذت تميل أكثر إلى الشكل المثالي وخاصة عندما تنعكس على صفحة مياه البحيرات، وليس هذا فقط بل من خلال رعشة آثارية. وهنا فإن الآثار في الغرب هي بدرجة جيدة عملية نعم المتوفين، فالأوربي معناد على السير في مقابر حقيقية عندما يزور الآثار التي ورثها عن الأقدمين وعن بدايات العصور الوسطى، وإذا ما كان الأمر كذلك برغم صلابه وقوة المواد المستخدمة في البناء، فياله من مشهد مؤلم وحزين لن تقدمه الآثار الشبدة باستخدام مواد قابلة للهلاك في العاصمة القديمة لليابان والتي هُجرت قبل تتويج الملك شارلمان، إمبراطور الغرب!

ومن الأمور الحقيقية أن هذه الآثار ترى قائمة عند المرور عليها في الطرق التي يمر بالخطط الواسع كله، والتي أصبحت الآن شبه صحراء كاملة، مقارنة بالمدينة القديمة. غير أن هذا ليس مثير مفاجأة ودهشة ذلك أنه يمكن إعادة نقل رافدة السقف بسهولة أكبر من إعادة نقل كتلة حجرية؛ وفي الوقت ذاته يمكن أيضاً إعادة بناء الأثر بأكمله دون أن يلاحظ ما حدث من تجديد بعد مرور سنوات قليلة. علم الآثار يعتبر مادة من المواد الخادعة للعباءة إذا ما نظرنا إليه من حيث أنه عبارة عن مواد قابلة للفناء مثل تلك التي تدخل في بناء المعابد اليابانية. وبالنسبة للقطع المنحوتة والرسم فإن ضمانات أن القطعة الآثارية أصلية أعلى، أي أن الأوربي شديد الاعتقاد على أن الفضاءات الداخلية التي تحيطها حوائط صلبة من الحجارة خاوية على عروشها، ومن هنا فإن هذا الافتراض أقوى عندما يتعلق الأمر بآثار مكونة حوائطها من أعمال النجارة.

شهد الرحلة في كتب الفن إعادة تقيد محتويات بـسبب حلال شرب السبع
والثامن، لكنه يميل إلى الافتراض، طبقاً لما يحدث في أورب، أن عدد قطع موجودة لا
يتجاوز بشكل كبير تلك القطع المصورة. وغير احبر في سبب الفن في الشرق لأقصى يرى
وجود عدة سمات للعمل المصنوع نفسه، وهي في بوقت دقة قطع مختلفة أنصاف إلى
ذلك، وطبقاً لما يحدث في أورب، أنه لا يفتح في تصور أن لأعمال سحنية ستي تمكنت منها
عادات الزمن استطاعت أيضاً أن تفقد محيطها لأصلي فكل ما سبب سقي لا ينس من رسم
المبروفنجيين merovingior أو رسم سقوط لا يتحور محود مصصبت صناعة في انصاف
الحقلي، إضافة إلى عدة قطع محفوظة في المتاحف وما يمكن قوله هو أن سطح الافتراض
المتعلق بشكل دار العبادة التي تحولت إلى دار عبادة كاتوليكية Rearedo أو مكر ستي
تم فيه تنويع الإمبراطور شارلمان وما هو عالمه سديت معصور الوسطى لأوربية يذهب
ويغوص في الأعماق ولم يصل إلى ما به لا شيا قبيحة وسنيكية

ولهذا فإن أكثر شيء يذهب لأوربي في مدينة دار هو أن يرى تلك مر كك معمارية
التي لا زالت شبه كاملة والتي كانت معصرة تلك الآثار لأوربية ستي ذهبت وما نعد،
رغم أنها مراكب حقيقية مصنوعة من الأعصاب كذلك صمم سحرة ستي عبيد مصنوع
أيضاً من المادة اخذ نفسها وعبدت بدخل ستر لأوربي في صالة الكودو Kendo،
بمعنى الصالة الذهبية، ليهور حوحي لا يمكن أن يكون سحر ساء من كثرة وجود هذه
القطع السحنية في أماكنها لأصيلة يبدو لأوربي معمارية كاتوليكية من معمرات لاستمرار
إلا أن المعجزة تتكرر في الصالة الذهبية في موسو ستي حوحي رين هو كيدو Hokkedo تاع
ل. توداي جي في ياكوشي حي وفي معبد من لاديرة لا حوحي

لا يتمكن الزائر من رؤية كل قطعة حبة في حددها وسقطتها من حيث أنها مجرد
قطعة فنية، إذ أنه سوف يشعر بالعبارة الشديدة من حيرة، بدهرة السانعة على ذلك وأكثر
راديكالية المتمثلة في الحفاظ على عدد متراد من التماثيل ورسمة في إطار معمارية هشة،
والتي بدورها تدخل في إطار حصري تم إحلاؤه من وطنه القباذية أو من أغلب سكانه،
وترك في يد الطبيعة بعد زمن قبيح من إقامة الآثار إنها طهيرة لا يمكن تفسيرها عند الأوربي
وهي القدرة على الحفاظ على الدات من قبل هذه الآثار، ومن هذا فإنه يمكن له أن بأسف لما
عليه المصليات الموروثة من العصور الوسطى رغم أنها كانت منسوبة من الكتل الحجرية
الصلبة مثل مصلى ريبول وكلوني وكليرفو Ripoll, Cluny, Clairvaux الخ

إنها قوة لا تُهرم تلك التي كانت في تلك الأديرة البوذية في نارا عندما وجد البلاط
منه محررا على الهجرة للتحرر من سجنه الخائق، ولم تكن أقل تلك التأثيرات التي كانت
للأديرة التي شيدت بعد ذلك بقليل داخل كيوتو أو في محيطها، أي العاصمة الإمبراطورية
جديدة يقرر النكونت كيسر لنج الأديرة اليابانية بالأوربية، واكتشف في معرض هذا
وجه منه جديد بين الغرب وبين الشرق الأقصى، وهو شيء لا يُدرك في حالة المؤسسات
مكبدة في بلدان آسيوية أخرى، فأديرة الرهبان المحاربين كانت عبارة عن طاهرة متناقضة نظرا
لحالة الصوفية والمضطومة الأخلاقية البوذية المسيطرة عليها، ومن هنا فإنها تشبه الأديرة
عربية حيث كان السيف والعكر في عملية تبادلية بين الأيدي نفسها ومن المؤكد مع هذا أن
لأديرة البوذية كانت تصمم بين أحضانها الكثير من الرغبة في الاستقلال الذاتي الإقطاعي
ونظرة الروحية المتسردة ولوندة، وحدث عندما وحد مؤسسو الدولة اليابانية المركزية
نفسهم في نهاية القرن السادس عشر، مضطرس إلى محاربتهم والقضاء عليهم بلا رحمة أو
هودة رغم أنهم ما كانوا يعودوا للقاء هذه الأديرة بعد اضفاء الحالة الحربية التي هم عليها

واصلت الأديرة التي كانت في العاصمة القديمة المهجورة عملها وبحثت من صراعات
النشر وعاديت الرمن وطلت تقوم من امواج العانة التي تحيط بها واحتفظت ببنيتها
حسنة وما حدث كان العكس إذ راد عددها مع مرور الرمن ذلك أن هناك واحدة من
المكبات العربية التي عليها نقية لحدود الأديرة ألا وهي نقية تمكيبك المباني ونقلها
وهذا ما حدث في البلاد بكثرة، وحاصلة في نارا حتى وصل بها الأمر إلى أن تتحول إلى
مستعمرة من المعابد والأديرة

غرق المركب القائد في حقيفة الأمر، إذ كان حجمه أكبر من اللازم، فكان، نوعيا،
معلقا من العصر الحجري القديم وبالتالي كان من الصعب أن يبقى على قيد الحياة. كان
بسمه دايبوتسو Daibutsu أو بوذا الأكبر، الذي هو عبارة عن تمثال ضخيم من البرونز يزن
٤٥٠ كجم، وتم صهره بعد بذل جهد عظيم والكثير من الإسراف خلال القرن الثامن.
اختزن المعبد عدة مرات على يد البشر وأصاب التمثال الدمار من جراء هزات أرضية وكان
الأرض لا تقبل بوجوده بأبعاده الضخمة التي لا تتلاءم مع التوجه المعتدل والمسيطر على

الطبيعة والمر في البنان والسنة للآثار الأخرى في نارا، فهي أقل ححما وأقل طموحا
ولم تكرر ذات يوم مرهونة محصير المعبد الكبير نوادي-حي، رغم أن الحفلات عليها نطقت
عمليات إصلاح مستمرة

هناك واحدة من السانح المترنة على الساء باستخدام المواد العصبوية، وهي أنه إذا لم
تتم العناية بدقة بالحفلات على تلك السانح فإنها سرعان ما تعتبرها التهاات والتدهور.
وبالتالي يومه الياسي على نفسه التأمل اخرون للمشهد الذي تحول إلى أطلال ولما كانت
المدني من احضت فليس هناك إمكانية أخرى غير الساء أو الساء، أي لا توجد حالات
وسط ومن هذا فإن الأرب لرومسي ولو عظمي المعلق بالألوان سسم بأنه ذو طابع خاص
في البنان وفي سنة 1901 من سنة العشرين ألف ورفه، التي سم معها في
منتصف القرن ثامن ونفي نفسه مؤر ترجع في مرحله رئيسة في سنة للمعاد. هناك الكثير من
المراثيات أو الكرنيات على لأطلال في مدينة دار. معتمدة على شجرة. إلا أن الموسوع
في الأساس هو عينة على مشهد أكثر من سبي في حارة دار. ويذكر أن الحفلات هي
الوحيدة التي استطعت أن تظل في حارة دار لا سيما أن روبرت الحامل تفصيل صلالة
سينها، الأمر الذي جعلها هذا الأرب سكر، على أن تكون على نظمة العرسة، التي
ألقى عليها نقر مصانه مضي. كيو-حي-وي-سبي. في حيون شجرة بنعمي
أي ياسي في المدرسة لاسنة وحفظ من سنة دار

وفي حالة المدني المشيدة من حسب من دار، ما هو الحال في المعاد
فليس هناك مكان للمراثيات على طريقه مرسى. ما لا لم' التي
نراها، هي حقول وحيدة، وهي ربي حرة. ما لا لم' في نارا ربي بشار
إليها بتاريخها القديم، لكنها لا تبدو حرة أو وحيدة، في حط ما كان بشكل طبيعي
للحياة دون أدنى تهديد حوانظها المهذمة وكنها الحرة معده أو أنه حفاتر انارية، فمع
وجود المباني المشيدة من الخشب لا يمكن القيام بحفاتر وبالتالي التمام حفاتر انارية بالمعنى
التقليدي للمصطلح

في مدينة نارا، ما هو قديم هو حديد وما هو حديد هو قديم، وما يتقن هو البعد
الزمني والحين والكتل الحرة ينتهي بها الأمر إلى أن تعرق في الزمان، ونظمو الروافد

حسبة ففي العاصمة القديمة كانت ماضي المعابد تندو وكأنها أحدث تستعيد حيويتها رغم
عدم امتداد الأبدى إليها. ويأتي ذلك من خلال السات التي تحيط بها طبقا مع إيقاعها
حيث أن الأساس فقد كان من حاسه يرى أنه محير على الإسهم بالدور الموصوفه. وكانت
نتيجة تحديدا هي أن ثار 'دارا' تنحى في حانة حائط عبر عادية رغم هشاشتها الموهمة.
كما أن مدخلها قطع فية مخطوطة تعتبر كمر لا يثرون سواء في حقل الفن البدني أو مشكل
عنه في الفن الأوروبي لاسيوي

نصف إلى ما سبق بوحده في دارا أيضا ثار منحصصة في احتفاظ على الأثر. إنها
'كصور' التي ترتفع إلى حور معد. وكانت نصل أسطورية من حنس أقيمت على
قواعد من مادة حده نفسها. حيث روفد لأفضية اندر كية ومتعاضدة حتى تشكل حوائط
قوية ومنبة وخاصة في لأركان حيث يتوضع مع روفد أخرى متعاضدة عبيد. وهذا من
أحجور المقربة التي يتم تنفيذها في هذه هذه عند استخدام حجر كمادة بناء لا يمكن لها أن
لهم الأصابع ذات في هذه حانة التي تستخدم فيها مادة المعصوية لا يمكن أن يصل إلى
المنح نفسها ذلك أن لأحزاب السات شدة مكررة في تصرف يمكن أن يكون مثبرا
مكررا. وكانت لكي حائط على هذه حانة حده روفد حدها عصبك كجهد مرقص.
وبما يمكن أن جعل منها حور معد. من هذه حور باستطوع برعور

الشوسوير (الشوسوير) هو حده روفد روفد نظرا لثرائه الفني. حيث
هناك مجموعة من القطع التي ليست من هذه المجموعة. حيث أنه الترع بها
عند وفاته في منتصف القرن الثامن. مع هذا حده روفد. حيث ذلك من خلال
قربته كوميو-كوحو (Koken) وروية لا صور، ويرتبه كوكس Koken ظلت
هذه القطع مخطوطة بدقة مساهمة لصور حده روفد مع هذا مع هذا مرة واحدة سوبا
تهويها وتنظيها حيث كان ذلك يتم في هذه سحر شوير من كل عدم في ظل إجراءات
أمية وقواعد طقسية. ولهذا السبب وصلت إلى هذه مجموعة الفريدة المكونة من أعمال
فنية شديدة التنوع والتي ترجع ليس فقط إلى أصول بابلية وصينية وإنما إلى أصول هندية
وفارسية وكذلك العالم الهلستى والروماني

الشوسوير في دارا ليس إلا القصة وأجزاء العلوي لعدد كبير من الكوز الموجودة في
العديد من الأدبرة والقصور والمتاحف والمزارع في اليابان. كما أن القطع الفنية اليابانية لا

تعرض بشكل دائم على شاكلة ما يحدث في العرب أو تعرض في القصور أو المتاحف أو المنازل الخاصة. هي قطع فنية عادة ما تكون مصنوعة من مواد هشة قاسية للتدهور في وقت قصير إذا ما بقيت معرضة بشكل دائم للهواء والصوت. أضف إلى ذلك أن الفن الياباني مرتبط باللحظة *circunstancial*، حيث يحده شديد الارتباط بتصل من وصول لعدم وبأحداث معينة. إن الفن بالنسبة لشعب مستغرق بشكل قوي في الطبيعة يجب أن يتأقلم على ما تمليه هي عليه وليس ذلك فقط من خلال مقصد العمل وموضوعه بل أيضاً ما يتعلق بالاستمتاع به.

هذا هو في الأساس، السبب الرئيسي الكاش وراء الشك التام بأن الرسم الياباني ليس له إطار حقيقي. وهذا يجد أن حوسبه أورنيث أي حاسبت لفت لانشه في مقاده "تأملات في الإطار" إلى هذه الخصوصية التي تعتبر نوع من الاختلاف الجوهري بين الفن في الشرق الأقصى والفن العربي ورغم أنه لم يتعمق بسعيل في جوهر المشكلة، أشار إلى حل لهذه المشكلة في صفحات سابقة من مقال نفسه. بعض سمي يعتبر جزيرة متجربة تطفو محاطة بواقع من مختلف الجوانب وحتى شاملي ذلك من الضروري أن يكون احسد الفني منعزلاً عن الإطار الحيوي ولا يمكن أن يحتمل حسيه. حقيقة من الأرض التي سببر عليها إلى الأرض المرسومة والأكثر من ذلك فوي من ذلك حذره خطوط فاصلة بين ما هو فني وما هو حيوي يفسد عليها متعب شعبة. ومن شأنه أن يوجه سبي مدور إطار، تنوي خلط خطوطها وحدودها مع الأشياء سمعية حار ذلك سمعية فوي فوي. وبالتالي تفقد الرشاقة والإيجانية وهذا من الضروري أن يسمى الحاسد سمعية على وجه السرعة وبشكل راديكالي وأن نشهد أنفسنا فحاة ومدور أي سمعية في لار سمعية للاوافعية للوحة، لاند من وجود عازل؛ إنه اللوحة.

غير أن عزل اللوحة، المهمة التي يقوم بها الإطار العربي، يعني رفضاً لجوهر الفن الياباني، فالعمل الفني في الشرق الأقصى ليس جزيرة خيالية تطفو محاطة بواقع من كافة الجوانب بل هي فقط مركز تكثيف، ونوع من التكون مشكل من المادة نفسها التي عليها واقعنا اليومي، إلا أنها أكثر كثافة واندماجاً مع بعضها غير أنها ليست بهذا تنسم

(١) الأعمال الكاملة، مدريد، الجزء الثاني، ١٩٩٦م، ص ٣٠٤

بالموضوعية والقوة، بل تتغذى بشكل دائم على الواقع المحيط : وهذا الأخير، من جانبه، ينجلى بقربه من العمل الفني ويفيد منه بشكل مباشر من خلال أصدائه وإيقاعاته

اللوحة اليابانية تتجاوز نفسها وتنفذ في الظرف المحدد المحيط بها وتتقوّل بشكل طبيعي عليه دون أن تتمكن من إرادة تغييره ولهذا فإن المشاهد الفنية يجب أن تعرض في الفصول الزمنية الخاصة بها، وغير ذلك يكون اعتداء على الطبيعة أن يتأمل المرء مشهدا للشئاء في الصيف والعكس بالعكس . اللوحة الشتوية إذن ليست إلا صورة مكثفة ومختصرة (وكاننا نشهد أنفسها في مرآة مقعرة) للشئاء الفعلي ويحدث الشئء نفسه في إطار ما يتعلق بالحياة الاجتماعية . وعندما يحضر زوجان حديثا الزواح بشكل مفاجئ إلى دار يابانية فليس من المعتاد استقبالهما على الفور، فعليهما أن ينتظرا حتى يتم تعليق لوحة مناسبة في الصالة، بها - على سبيل المثال - أغصان صنوبر وشجرة كرز وبامبو، وهذا ثلاثي نباتي يرمز إلى عمر مديد وسعيد لهما بما في ذلك المستقبل

والأسباب نفسها التي تستكن وراء عدم وضع إطار للوحة يجب أن تكون مأخوذة في الحسبان لتفسير الفضاء الواسع للعمل الفني في اليابان، فالفهم الخاص بالعمل الفني عن العمل الفني في الشرق الأقصى هو شديد الرحابة مقاربة مما عليه في العالم العربي، وهذا يعني افتراض وجود القليل من التمييز إزاء الأداة المستخدمة هناك مسافة فنية فاصلة بين لوحة لجورجيوني أو رامبرانت وبين مركب أو كوك يرحع إلى عصره، وهي مسافة أكبر بكثير من تلك التي توجد بين قطع يابانية مشابهة وهي المسافة من غير المتفق عليه وجود تمييز واضح الحدود بين الفن العظيم والنسب من صناعية ورحرفية وهنا فإن رسما أو صفحة عليها نقوش كتابية ومروحة وسبنا بحمل ساموراي توحد كلها على الدرجة نفسها من حيث القيمة الفنية . وبالتالي فإن ذلك الخط شديد الطول ومن الضروري تجزئته وإبرازه لي شكر قطع في صالات المتاحف أو في العرف الخاصة أيضا

إن اللوحات والتمائيل والأدوات الموسيقية والقطع النسجية والصناديق والأسلحة والقطع الطقسية والعظاات (البوذية) والمخطوطات المقدسة... الخ، من تلك التي يمكن الاستمتاع بمشاهدتها في كل من مدينة نارا وكيوتو، يصعب للغاية أن يكون لها قرين، في حودنها وحالة الحفظ التي عليها، في العديد من البلدان التي وردت منها. ومهما كانت

درجة الغرابة، ليس الأمر أنها تشكل عينات باردة توجد في المتاحف، بل مجموعات متكاملة ومتسقة. لا تتناقض وأساليبها المتنوعة والعقليات المختلفة التي تعبر هذه القطع عنها وكذا تواريتها المختلفة فيما بينها مثلما عليه الحال في الصالات أو المتريبات في متحف علمي، وإنما تتناسق بشكل هارموني، تبدو الحواف الحادة للقطع وكأنها مبرودة، وتبدو المسافات بين القرون مختصرة والأساليب الفنية ذات التوجهات المختلفة أسلوبيا متقاربة وكأنها ريش مروحة تتجه نحو ذلك المركز وهو مركز الالتقاء، وقد أتت هذه القطع من مسافات بعيدة من الأراضي الأوربية الآسيوية وبالسبب للأرخييل الياباني غير العادي من المنظور الجغرافي فقد كان له دور فريد في إطار التاريخ الثقافي والعني المعقد في القارة العجوز، لكنه ليس دور المبادرة والتحفيز لكن دور الحفاظ والتنمية والتكامل.

في نارا ولدت الثقافة اليابانية ولكنها تأخرت كثيرا زمنا عن الثقافات الآسيوية الكبرى إلا أن هناك حالات قليلة، يمكن رصدها، حققت تقدما سريعا على مدار حياة الشعوب، وهو تطور عذته الإسهامات المتنوعة للقارة القريبة، ومع هذا هناك بصمة أصيلة يدعمها ما عليه البلاد من كونها جريرة، حيث يمكن رصدها في الإرهاصات الأولى سواء في الأدب أو النحت أو الفنون الزخرفية فالقصاصد التي يتصسسها "المابوشو" أو 'سلسلة العشرة آلاف ورقة' تعكس التأثيرات المحلنة وأحيانا التقليد الواضح ولكن هناك حساسية أصيلة بدأت تظهر من خلال الإسهامات لشديدة الاحلاف وعجأة تظهر أشكال شعرية تسيطر على الساحة طوال مئات السنين وسعرمن مع مرور الزمن (طبقا لما يؤكد أحد الباحثين ممن لهم باع في هذا المقام وهو د.والد.كن) للدهور والصعف بدلا من التطور في جوانب أكثر أهمية.

هناك نوع من الانفراجة النسبة لراها في منحونات نارا فالأشكال في التراب engreda في بونتين Bonten وفي تابشاكونن Taishakuten التي يحتفظ بها متحف هوكيدو hokkedo في معبد تودي-جي إنما ترهن على وجود هارمونية كاملة بين الحياة الروحية والشكل الجسدي الذي ربما لن يعود إلى الوحدود في الفن الياباني^(٢). فالشخصيتان

(١) 'مختارات من الأدب الياباني' بيورك، ١٩٥٥، ص ٣٣

(٢) 'روبرت تربت بين' العمل المشار إليه، ص ٢٩

هنا عبارة عن آلهة هندوسية قبلتهما البوذية في عصر قديم. ثم وصلت إلى اليابان مع سفر طويل من خلال التبت والصين وكوريا. وعند تأمل الصلاة الممنوعة التي عليها التمثالان والتي تنسم بالاستدارة نجد أنها تتناغم مع المثالية البوذية في الهدوء الذي تتم الدعوة إليه في الهند من خلال منحوتة جوبتا Gupta. كما هاجرت أيضاً التقنية التي بها تمحت هذين التمثالين إلى اليابان قادمة من المدارس الكبرى التي كانت على عصر أسرة تا أنج Tang الشهيرة بتمثيلها. ولترك جانباً الفن الروستيك الإقليمي الخاص بـ تون هوانج Tun-huang، لنرى أنه لم يصل إلينا إلا القليل من المنحوتات الخاصة بهذه المدرسة والتي تعتبر من هذا المذبح الذي نجده عند المؤرخين في ذلك العصر، والسبب أنه لما كانت منحوتة من مادة خشب لم تتمكن من الصمود أمام العنف والمطاردة الدينية التي ألهمت الأرض الصلبة وخاصة في القرن التاسع. عكس هذا أحد الأشكال المنحوتة de greda de Nara التي استلهمت الفن الحضري في العواصم Tang وصلت إلينا كاملة لم تُمسّ وحظيت بحماية الحر والروح المحفوظة للبلاد وأوصحت لما سداهة قيمة فن شرقي عظيم. وذلك من خلال إردهار غصن يبدو أنه يلع حدا لا يتسرع فيه شيء كتب جروسية "سوف يكون التميز اليابسي هو أن اليابان في أوج عظمتها نسبةً لتويرة التي أنت إليها من آسيا، حملت علي عاتقها أن تمحنا هندا وصينا أسمي في أعين لأحوال من الهند والصين الأصليين. وأن تخلق في ذات الوقت من هذه الاستعارات بظاهرة فـ يابايا عميق الأصالة".

نعلما بأن نتجاوز فيه ونفدب حجم مسبق السند واحاص بعملية التناقض بين الأصالة والتقليد. وبين لبونرسالة وسورية ورسم كثره الأبر لتي طلت باقية هناك الفس من المشاكل الصعبة احل مقاربة سنت احادية بدرجة اليومية اليابانية في باب من بارا، إذ ساهم فابون كوريون وحيسون وراسون ورهان من اليهود أو التت في هذا إردهار الفني الفريد، وليس هناك حبر دلس على هذا إلا إقامة التمثال الضخم لبوذا في دير تودي-جي، الذي يعتبر مركز شبكة الأديرة البوذية التي كانت تمتد بشكل واضح في كافة أنحاء البلاد. وهنا يمكن القول بأن أساس استنهام هذا الأثر مرده، بلا شك، إلى لو-يان Lo-yan في الصين حيث تعرف أن قد أقيم هناك عمل نحتي ضخم لبوذا من الحجر

(1) Art Treasures of Japan, edited by Yashiro Jukio, Tokio, 1960, I, pag 72

وقد أدى الخافر الخاص بالتقدمة للتمثال إلى نوع من العدوى المتنامية والقاسية، وتجاوز الأمر مجرد إقامة التمثال، إذ كان الأمر يتطلب موافقة باقي الآلهة المحلية في اليابان. وما يجد أن جيوجي Gijogi الراهب الشهير أرسل إلى إيريمي Isc وذلك حتى يعرف وجهة نظر الإلهة الكري للشمس Sol، أي حدة الإمبراطور وبعد سبعة أيام من الصوم انتهى الأمر بالمعوث أن سمع السوء الصادرة عن هذه الإلهة والتي تترك الأمر، كما أنها سوءة جاءت في صورة أبيات شعر صبية تنادي بالتوحيد بين الشمس ويودا

وعلى هذا أخذ يتكون ويتشكل المذهب التوفيقى بين الأدب والدي عليه سوف يسي الفن والثقافة اليابانيين وفي عام ٧٤٢ صدر أمر إمبراطوري لبعل أسبة في بناء الصورة. وهي خلط في الص بين المعتقدات ولأشكال الطقسية لودية والشتوية والكونشيه ورعم اchied الذي نذل في هذا العمل أدت عمليات فشل في متلاحقة إلى نطاء ذلك حتى عام ٧٥٢ حيث أقيمت احتفالية تكريس، وخلالها تم عرف طقسي لعبور الصورة وذلك كنوع من الرمزية لافتتاحها وحبها كل جمع رحر سلاطه حصوص وكذلك عشرة آلاف راهب، إلا أن من قام بتنظيم هذه الاحتفالية كان مصوف هدا يدعى بوديسيب Budhisena، كما كان معروف في اليابان باسم راسون Barammon أو الكاهن الأكبر براهمان Brahman

كانت لا تزال هناك فرق كبيرة بين المذهبين، لأن الأثر الذي ورد ذكره كثيرا في التاريخ الديني والثقافي يبالا، فحتم ملامح المذهبين بوجه سلس والتي تنسم بقبيل من اللطف مثلما نجد ذلك في كل تماثيل يودا لما العبد من سمات السكان الأصليين، يمكن أن نلمح، ولو بشكل ضعيف للعدة، ملامح وجه تماثيل الإله أنولو في حوص البحر الأبيض المتوسط والتي كانت في الهد تماثيل السودج الذي جمدى في الساتيل الشبيهة بالشر في جاوتاما Gautama اتسم التطور الأبتوسي ونسي احص بالصور بأنه سار مشوارا طويلا، فالطبيعية العربية أحدث تكتسب طامع طنسبا وأصحت كهونية والعبون الواسعة الغاضبة التي توجد في الرؤوس الموروثة عن أحر مرحلة في العصور القديمة

(1) G.B. Sanson, "Japan - A Short Cultural History"

الكلاسيكية أصبحت مغمضة عند المرور بواحات آسيا الوسطى، أي حيوان Miran ونروفان وكوهيتان وكيزيل الخ. وبالنسبة للنظرة التي تغوص في اللانهاني، تتحول إلى نظرة داخلية خاصة، رغم أن الأهداب تنطق على بعضها بشكل شبه كامل. هناك انطباع بأن النظرة لا زالت تائهة في اللا محدود، أي أنها نظرة حبيمة مثل الإطلالة على بحر عميق يتمكن من إحداث نقب في الشخصية ثم تتوه في هذا الأفق اللانهاني

ومن الأفضل أنه، بدلا من الوقوف أمام رأس بودا الكبير التي أعيد صهرها عدة مرات نظرا لما تعرضت له من هزات زلزالية متتالية، يجب أن سنغرق في تلك الاعتبارات من خلال تأمل تمثال ياكوشي نيوراري Yakushi Nyorai، أي بودا الشفاء المحفوظ في دير ياكوشي-جي. وفي هذه الحالة نجد أن هذه السلسلة من التأملات أمر إجباري نظرا لما عبه القاعدة البرونزية العاملة للتمثال فعلى وحوهها الأربعة هناك موضوعات زخرفية نعلن بوصوح عن أصولها المختلفة حيث حيوانات الإلهية الأربعة التي تمثل الجهات الأربع (التين يمثل الشرق، والعنقاء Eaux يمثل الجنوب، والسمر يمثل الغرب، والسلحفاة تمثل الشمال) حيث تبدو محمولة في أوجحات الأربع لقاعدة التمثال والتي تشهد على الإسهام الصيني عبر أنه يوحد في وسط كل وجه من وحوه القاعدة أشكال بدرة لعبد، وهي تؤكد من خلال ملاحظته مرقية و لأسلوبية الإسهام الهندي، بينما نجد شريط من المعينات والراعة الزخرفية على سبي من تأثير الإبراني وفي الأعلى قليلا، تحت تمثال بودا، هناك موضوع كلاسيكي على محور من حنيات حلزونية عمارة عن سيقان غن وأوراقه

ويؤكد هذا الصنف الببائي، العربي للعبد في لبنان شكل قاطع الأصول المتوسطية لهذا العصر الزخرفي الذي يجد تراسلا مثيرا يتمثل في أعمدة من الخشب عبر البعيدة زمنا. لأن الموضوعات الفنية المختلفة، ومعها التنوع الأسلوبي الذي يوحد في القاعدة المذكورة تكامل كلها في صورة واحدة، وهنا فإن العين والنظرة الحيرة يمكن أن تفكك مكوناتها. هناك أيضاً نوع من التكامل الأفضل الذي يتمثل في العديد من الإسهامات الفنية والثقافية في تمثال بودا الطبيب، حيث يبدو أنه يطفو في الفضاء رغم كتلته السوداء في وضعية تتسم بالهدوء والرفعة الروحية. وها هي الأصداء المتعددة والآتية من القارة بأكملها تتكامل

وتنصهر فيما بينها بشكل يمكن أن يقال عنه أن التمثال يستحيب لأقصى المتطلبات الجوهرية
الخاصة بالحساسية الفنية اليابانية .

XV. الشرق الأقصى والغرب الأقصى

شرق والغرب هما مصطلحان متادلا العلاقة، لكن مسار كل واحد منهما ليس بالآخر هو حد مختلف، والصورة الشمسية التي تعني وجود هذه العلاقة نفترض أن شرق هو الأصل وهو نقطة الانطلاق. وهنا فإن تاريخ الإنسانية سار من الشرق إلى الغرب. ولهذا السبب نفسه يجب أن يتم النظر إلى الغرب كنهاية وتوابع للشرق وكأنه نهاية بنيته من خلالها تأمل المسار الكامل للخط ويصدر حكمه عليه.

وهذا هو الشرق يصبح كحقل منطوري من جهة الغرب وذلك نظرا لتكوينه جغري. هناك شرق أدنى وشرق أوسط وشرق أقصى، لكننا عندما نتجه نحو الغرب لا نجد حداثته. كما أن انطلاقة أوربا نحو أمريكا تتسم أكثر بأنها عملية تكرار أكثر منها جديدة. ولشعوب الأوربية أخذت تتناسل وتعيد نفسها في العالم الجديد، أي في أسبانيا الجديدة والحضرة الجديدة. وفي ذلك الأوان كان هناك ما يسمى Far West، إلا أن هذا المسمى في الوقت الذي كان المصطلح يتضمنه يبرز أن الغرب هو منصة الإطلاق الوحيدة بني من خلالها تجري عملية التأمل والتي لا توجد مقاربات أو مبادعات خفية منه هو الحال في المشرق.

مع. يمكن للغرب أن يقترب وأن يبتعد عن الشرق، أو يمكن قول الشيء نفسه بشكل آخر. أن هذا الشرق بكل ما فيه من تدرجات يتبدى في عيون الغرب في وضعية بعيدة أخرى أو أخرى. وفي هذا المقام نجد أن تاريخ قصة البعد أو القرب في العالم الشرقي، كما أنه من مستويات أو جغرافيات، مقارنة بالغرب، هي تعبير واضح عن الفكرة التي هي الغرب عن نفسه.

وفي إطار المناظير التي عليها المنظومات الفلسفية التاريخية القائمة خلال القرن التاسع عشر، فإن الشعوب الآسيوية تتبدى في أبعاد غامضة. فالهند يقول هيجل - " تعيش منذ آلاف السنين في محبة الأوربيين من حيث أنها أرض الأعاجيب دون أن تكون معروفة بالصبط، وقد جذبت الشهرة التي كانت عليها دائما، لكنوزها الطبيعية وحكمتها، البشر نحوها. فمنذ زمن بعيد توجهت الأنظار نحو الهند وأصبح حافظا دائما في التاريخ العثوري على الطريق إلى الهند والولوج إلى كنوز ذلك البلد العجيب". كانت هذه الشهرة تعني المعد والعرابة التي تساندها الحوائل الجغرافية القوية. واستنادا إلى قاعدة البيانات والملاحظات التي تم الحصول عليها من كتابات لور إليفستون L. Elphinstone، وهذا ما لخصه هيجل بدقته المعهودة في باب عملية التقابل بين بلاد الفرس والهند بقوله " إن الأوربي الذي ينتقل من بلاد فارس إلى الهند يلاحظ تناقضا ضخما، ففي اللحظة التي يشعر فيها وهو في هذا البلد الأول وكأنه في منزله حيث يلتقي بأرواح أوربية وفصائل وشعف إنساني يصطدم سريعا عند انتقاله إلى الهند تنقبض ذلك في كافة التفاصيل^(١)

هذا التشابه القائم بين الفرس وأوربا كان يعني بالنسبة لهيجل وجود مصير مأساوي ناتج عن التاريخية المشتركة. حيث كان الفرس أول شعب تاريخي، ولهذا فإنهم أذعنوا وأظهروا من خلال هذا الصرف كبرياءهم الكبير " أمكن للإمبراطورية أن تدع، ذلك أنه كان بها مبدأ الروح الحرة فوق الروح الطبيعية، وبدأ استغلال الروح "

هناك أيضا حوته الذي لمس الخط الناصر مع الهند، ولكن بدرجة أقل من هيجل. كما أن الحماس الذي كانت تشعنه فيه بلاد الفرس لم يكن أقل من عليه الحال عند الفيلسوف الألماني ولما كان حوته شاعرا كانت إمكانية الارتباط والتمثل أعلى وهذا ما نراه في West-östliche Divan الذي استلهم فيه عمل حافظ Aflak، لشاعر الفارسي الذي عاش خلال القرن الرابع عشر. تبدو صفحات الكتاب وهي في حالة تأرجح دائم بين الموضوعات الشعرية الشرقية والعربية، أي بين المعش للمعامرة التي يقوم بها البدوي وبين عشق العاشق، بين الأفكار الصوفية الفارسية وتلك الخاصة بالعصور الوسطى، التي

(١) 'دروس في فلسفة التاريخ العالمي' ترجمة- نوبوس أيرس، ١٩٤٦م، الجزء الأول، ص ٢٨٨، ٢٤٩

عادت لتسيطر على الروح الناضجة للشاعر مثلما كان عليه الحال في سنوات صباه. إنه يؤكد ذلك بقوة من خلال هذه الأبيات التالية:

Wer sich selbst und andre kennt
Wird auch hier erkennen
Orient und okzident
Sich nicht mehr zu trennen

(من يعرف كيف هو وكيف هم الآخرون/ لا يسعه إلا أن يعترف/ أن الغرب والشرق/ لا ينفصلان)

هذا الشرق الأخ لا يذهب بعيدا جدا، ولا يتجاوز الهند Indo. ففي الـ noten und Abhandlungen التي كتبها جوته للإسهام في فهم كتابه، يتضح بجلاء التناقض الواضح الذي كان موحودا طبقا لكلامه بين فارس والهند، وبين التوحيد العظيم الإيراني والتعبودية في تعدد الآلهة التي عليها اليهود وفي هذا المقام نجده عندما يتحدث عن الفرس القدامى بقوله: هناك الكثير من مسهم منتشرة كأشياء مراكز حيوية في كثير من الأقاليم، لكن ما يبدو لي أمرا متبراه هو أنه لا يؤثر عليها قريبا من أماكن التعبد للآلهة الهندو⁽¹⁾.

يفصل نهر Indo، لدى كلا المفكرين، بين شرقيين مختلفين أحدهما لا يكاد يكون شرقيا بل هو بالأصح امتداد للعرب والتي هي شرق حقيقي، أي عالم عربي وغير مفهوم. وهنا ربما كان من اللازم أن نخصى عدة عشرات من السنين حتى يصعد الأوربي على درجة السلم التي كان يقوم عليها الشرق الهندي، لم يكن الأمر مكررا كثيرا في أن النقبة هي المزيد من المعرفة والمعاملة الأكثر تودة والمرتبطة بالظروف بذلك العالم الغريب، أكثر من كون الأمر مرتبط بعملية نضج الوعي الأوربي الذي جعل الأمر مناسباً لفهمه بشكل أفضل ومن المؤشرات القائمة على ذلك هو أن عددا غير قليل من المفكرين الذين شدوا بشكل أكبر إلى أعماق الروح الهندية وأصبحوا أكثر حماسا وإيمانا بما تنبئ به إنما ينسبون إلى أمم في وسط أوروبا وليس إلى الأمم الأطلنطية والاستعمارية.

(1) der West-Östliche Divan, Deutscher Taschenbuch Verlag, 1961, pag 133

غير أنه كان من اللازم صعود درجة أخرى من السلم وهي درجة أكثر صعوبة، إلا وهي الشرق الأكثر بعدا وغرابة، إنه الشرق الأقصى مع ما يتضمنه من حواش عرقية وثقافية وسلوكية... الخ، وهي جوانب شديدة التنوع عما عليه العربون كان شرق دور الأساس الهندي الجرمانى، ودون تلك الطرق الواسعة في الاتصال التي فتحت الطريق أمام الغزو الهلنستى في حالة الهند وكذا أمام الإسلامى فيما بعد ثم الإنجليزى ثم إنه ما زال هناك خلف آخر أراضي القارة الأوربية الآسيوية بلد آخر أكثر بعدا، وهو بلد غريب وفانتازى حتى بالنسبة لسكان الإمبراطورية الصينية أنفسهم إنه هذه المجموعة العربية من الجزر اليابانية التي تعتبر جسرا غامضا للوصل بين أكبر القارات قاطنة وأكبر المحيطات قاطنة انطلاقا من موقعها الجغرافى والأثرى بولوحى.

غير أنه لهذا السبب الشرق الأقصى تحديدا كانت اليابان ذات سمات شديدة التفرد، ومن بينها أنها اعلقت انغلاقا تاما عن الغرب، الأمر الذى بدا أنه يريد من غرائبها وبالتالي من شرقيتها. لم تكن هناك أية معارف عن اليابان في زمن هيجل وحوته ولا يعنى الأمر فقط أنه ليس هناك فصل محصص لذلك سدد في كتاب "دروس حول فلسفة التاريخ العالمى" لهيجل بل لأنه لم يذكر اسم اليابان في صنيحانه أو في أي صفحة أخرى من مؤلفات الفيلسوف الألماني رغم أنه تحدث عدة مرات عن الصين لقد اعتقت لبيان على نفسها انغلاقا محكما مع بداية القرن السابع عشر وحافظت على عزلتها بشكل صارم لدرجة أنه لم يظهر لها أي أثر في أعمال واحد من العقليات لأكثر رعة في معرفة بعض النظر عن كونه الأكثر عمقية وثنيلا لأوروبا القرن التاسع عشر

وفي عام ١٦٣٦م صدر أمر من "الشوجون" منع أي مركب أو أي من الرعية اليابانية الخروج من البلد وإلا فالموت هو مصيره، وحتى دخول الأمر نافدا صدرت التعليمات بعدم بناء أي مركب لديه القدرة على عبور المحيط، وهذا صدرت الأوامر بطرد من كانوا من سلالة الأسبان كافة من البلاد وبعد ذلك معامى جرى تطبيق إحراء مماثل على البرتغاليين؛ وعندما أرسل هؤلاء مركبا من مكاو محملا بالهدايا وليس بالمواد التجارية من أجل طلب رضا "الشوجون" كان الرد الفورى قطع رؤوس أغلب أعضاء الطاقم باستثناء هؤلاء الذين من الضرورى وجودهم حتى تعود السفينة إلى مكاو وهي تحمل رسالة تقول بأن على البرتغاليين "ألا يعودوا للتفكير في اليابانيين، وكأنهم عبر موحودين على

ظهر الأرض^١. هناك استثناء فقط للهلنديين في جزيرة صغيرة للغاية، تقع أمام نجازاكي، حيث كان التجار قد اصطنعوها ليعيشوا تحت رقابة صارمة، وكانت تشكل وسيلة الاتصال الدنيا بين اليابان والغرب.

لكن هذه العزلة التي عليها اليابان، والتي كانت تجعل من البلاد "شرقاً بعيداً للغاية" وشرقاً أقصى "شديد الغموض"، كانت ممكنة نظراً لوجود عدة سمات جغرافية وثقافية وسياسية عجيبة تجعل منها شبيهة بالبلدان الأوروبية؛ تم اتخاذ قرار بعزلة اليابان بعد تجارب عديدة وحسابات وتأملات، وكان ذلك يعني أن هناك تنظيمًا سياسيًا كفؤًا قادرًا على تنفيذ ذلك وكذلك وجود وعي بالاكتماء الذاتي الثقافي الذي يتطلب نضجًا تاريخيًا فعليًا. كان يفترض أيضاً وجود الأدوات الحربية والتقنية الضرورية لتنفيذ سياسة لا تتوافق أبدًا مع المرحلة التاريخية، وكذا من أجل الحيلولة دون أية محاولة لتدخل القوى الأجنبية.

يرجع الانغلاق الياباني بدرجة كبيرة إلى قابليته لفضاء الأفكار وأنماط الحياة القادمة من أوروبا سواء كان ذلك مرتبطاً بالمطومة الروحية أو المادية. وسرعان ما شعرت جماعة اليسوعيين بالاستعراب للحفاوة التي قائلهم بها السكان الأصليون "بالسنة للناس الذين تحدثنا معهم حتى الآن - هكذا كتب سان فرانسيسكو خابيير^١ - هم أفضل ما اكتشفناه حتى الآن، وبدولي له من بين الناس غير المؤمنين ليس هناك أحريين أفضل من اليابانيين. بهم ناس حسو المعشر وعادة من الطيبين وليس الأسرار، وهم ناس شرفاء لدرجة نثير الإعجاب".

شعروا أيضاً بالاستعراب للحفاوة التي استقبلوا بها من قبل الحار والصناع والبحارة والجنود الأوروبيين وسرعان ما قلدهم السكان الأصليون. كان أول بحري يلمس في اليابان عام ١٥٤٣م في تاناكاشيما Tanagashima وهي جزيرة صغيرة تقع جنوب الأرخبيل، وكان أبرز شيء أثار إعجاب السكان الأصليين، كان شينًا بعمله الأجانب في أيديهم "مستقيماً من الخارج وله محرى من الداخل ومصنوع من مادة ثقيلة" إنه وصف للبندقية القديمة arcabuz الذي نحده في وثيقة يابانية تعرض بالتفصيل رد فعل السكان الذين حاولوا التقليل من شأن هذا الشيء الحديد بأن طقتوا عليه مصاهيم تاوية taoistas، كما أنهم أصيبوا بالذهول بما عليه هذا السلاح الباري وفائدته القتالة

^١ رسالة تاريخ ١٥٤٩/١١

وعندما أطلق الأوربيون البنادق المذكورة أمام أعداد كبيرة من المشاهدين "أصيب الجميع بالاستغراب ثم الفزع لينتهي بهم الأمر إلى الصراخ بصوت واحد قائلين "نريد أن نتعلم ذلك!"^(١). وعلى الفور قام سيد الجزيرة بشراء البندقيتين من البرتغاليين رغم السعر الباهظ. وأمر الصنّاع بتقليدها. ومن الجزيرة الصغيرة انتقلت حمى استخدام الأسلحة النارية في كافة المحافظات، وتقدمت صناعتها لدرجة أنه في عام ١٥٧٥م أمكن الانتصار في المعركة التي دارت حول بلدة نجاشيو Nagashino بفضل استخدام المدافعين عنها حوالي ثلاثة آلاف بندقية، الأمر الذي حال دون تمكن هجمات الفرسان من الكار. كما استخدمت هذه البنادق في معارك يابانية أخرى لكنهم لم يكونوا يعرفون استخدامها بشكل فعال. كانت هذه الأسلحة فعالة في المعركة التي دارت حول نجاشيو، وأحدثت تحولا حاسما في التاريخ الحربي والسياسي للبلاد

وما حدث في أوروبا حدث في اليابان حيث أدى استخدام الأسلحة النارية إلى إبعاد الفروسية وإحلال المشاة محلها من حيث هي تشكيل حربي قوي. وكما حدث في أوروبا أيضا كان ذلك يعني انتصار سلطة سياسية مركزية على النظام لسياسي للامركزي والفوضوي الذي كان عليه الفرسان الإقطاعيون. وبالفعل نجد أن ثلاثة آلاف بندقية التي كانت تدافع عن مدينة ناجاشينو كانت تنسب لحيش بوشو Choshu الذي وحد اليابان

ها قد بدأت خطوات في طريق التوحيد عندما حدثت البلاد في اتصال مع العرب لكن الأداة المستخدمة هي السلاح الناري الذي هنا وسعد حرفة عبر عادية على تطور تلك البلاد^(٢). كان هناك اتجاه موار لهذا الحظ مثل الذي حدث في سر فيه الملكيات الأوربية ذات السلطة المطلقة مبرها في هذا الجانب وذاك على وجود توجه حربي وتوسعي

هناك روح تنظيمية وجماعية شبيهة بما هو موجود في أوروبا وكانت تسيطر على معسكر ناجويا Nagoya وقد حدث ذلك عام ١٥٩١م حيث كان هيدي يوشي Hideyoshi يقوم بتجميع جيشه العظيم لغزو كوريا وقد جمع مؤنا حوالي ٤٨٠ ألف رجل وكان عدد الذين جرى تجنيدهم وتحريكهم طبقا للوثائق السرية ٢٢٥ ألفا إضافة إلى

(١) Vid Sources of Japanese Tradition, Columbia University Press, 1961, pag 320.

(٢) جورج سانسون "تاريخ اليابان" لندن، الجزء الثاني، ١٩٦١، ص ٣٢٩

نسعة آلاف مرتبطين بالأسطول. لم يكن الأمر عبارة عن مجرد عملية تجميع عددي بل كان عبارة عن ماكينة حرب معقدة تتطلب حسابات وتجهيزات كبيرة. تمت مصادرة المراكب وأطقمها من المحافظات المطلة على البحر وكان ذلك طبقا لدخول القادة daymies وكذلك الأمر بالنسبة للعدة والأدوات المساعدة الضرورية لهذه الحملة البحرية. جرى رسم الخطط بكل تفاصيلها. كتب جورج سامسون " - وطبقا للوثائق كان التنفيذ جراً في التنظيم وهو تنظيم مماثل إن لم يكن أفضل من أية عمليات تنظيمية في أوروبا المعاصرة".

فشلت الحملة الحربية كما أن الميل الحربي لليابان والمتراكم على مدار حروبها الأهلية العنيفة والطويلة والتي حاول هيدويوشي hideyoshi أن يوجهها نحو الخارج، أخذ يهدأ، أو بمعنى أصح انقلب إلى الداخل وأصبح في خدمة نظام استبدادي ومنعرج زاهد quietista بداه لياسو I eyaso، الذي حلف نوبوناغا Nobunaga وهيدويوشي، وتم استدعاء هذا التوجه أيضاً لوضع أسس اليابان الحديثة. تولى هذا الأمر السياسي وضع الأسس القوية للنظام العسكري الساكوفو bakufu في توكوجاوا الذي استمر قرنين ونصف من الزمان، وحافظ على مدار ذلك الزمن على عرلة اليابان. وحقيقة الأمر أن هذه السياسة كانت مناقضة لتلك التي تسير عليها الملكيات الأوروبية التي كانت تمر مرحلة توسع في لعالم. ولهذا السبب نفسه وهو أنه لم يكن في اليابان نظام سياسي شديد الكفاءة وله سمات شبيهة بدرجة ما بالأنظمة الأوروبية المعاصرة ما كان قادراً على إقامة نظام يقف ضد توجهات الزمن

كانت توجد في البلاد قيم سياسية لا تتفق على الرعماء أو الطبقات الربعة في البلاد بل كانت منتشرة في كافة أرحاء المجتمع. وفي هذا المقام كان الأب ألبيندرو بالخابو يكتب في 'موجز الأمور في اليابان' عام ١٥١٣ م. وفي السور جميعاً من اللون الأبيض وفي حالة بقطة ذلك أن العامة والفلاحين نربو سور على قسم فاصلة لدرجة يبدو معها أنهم نربوا في بلاط ملكي، وهم في هذا يتموقون ليس فقط على أهل الشرق بل على أهلنا في أوروبا. ومن حانه محد القبطان الإنجليزي ويل آدمز كـ يؤكد على أن اليابانيين في عام ١٦١١ م " هم حكومون من خلال مدينة عظيمة ولا توجد بلد في العالم تصاهبها في هذا".

(١) تاريخ اليابان، الجزء الثاني، ص ٣٥٢

الشيء الملحوظ هو أنه عند قراءة كافة الرسائل التي كتبها اليسوعيون لا يوجد أي شعور بالتفوق السلالي أو الثقافي على اليابانيين. بل وليس هذا فقط إذ أحياناً ما يحدث العكس وهذا ما يكتبه الأب أورجانيو إلى رفاقه في أوروبا. في معرض مقارنة معهم، هذا إذا ما نحينا جانباً ميزة الدين، "siamo barbarissimi" وكتب ح. ب. سامسون "لا يجب أن نشعر بالمفاجأة بالترحاب الذي وجده المبشرون في الشعب الياباني. فليس هناك أي بلد آخر في آسيا كان أفضل استعداداً منه بكل فئاته الاجتماعية لتلقي دروس لتثوير والمعاملة الودودة. ومن حقائق الأمور أيضاً أنهم طوردوا مطاردة شعبة شكل لم يحدث لهم في أي مكان في العالم. ويمكن فهم هذا التناقض من خلال الطابع الثنائي dualista للمجتمع الياباني حيث يجمع بين حصر قوي في باب الأختلافات الاجتماعية وبين انعدام الرحمة بشكل مطلق في تشييد القصور

كانت السهولة في استقبال المسيحية من قبل الشعب الياباني، وخاصة في المحافظات الجنوبية، الذي جعل لهذه الديانة أهمية سياسية متدخلة من حيث قدرتها على أداء دور في دعم التحالفات الأحبية في باب مقاومة السادة لأقصاء عن "يسوحيوسو" حديد. يقول كانت هذه السهولة هي السبب الذي دفع برعماء هذه البلاد ضد بحرييات راديكالية ضد ديانة العربيين. وكان من الممكن أن يستخدموا في بلادهم لأجرائات أسبديت أصول غريبة، ذلك أن هذه الفترة كانت تشهد سقوطاً في سمعة الأسراء الأوروبيين منذ "cuius region ejus religio" وعموماً كان لا يسمي والديني لليابان يوعا من البرهان على وجوه الشبه القائمة بين لغات العرب و لغات اليابانيين. وهذا ما تدعى أيضاً في باب المعرفة العلمية.

وهنا نجد أن ج. ب. سامسون، أستاذ المحفوظات في جامعة امويوسوع، يلمح دائماً على أنه كيف أن سياسة الانطواء الثقافي التي مارسها الأسراء من شعبة "توكوخواوا" أسهمت في البرهنة على حالة العطش التي يشعر بها اليابانيون لمعرفة الأوروبية، مقارنة باللامبالاة التي تجلت في موقف الصينيين رغم أنهم استمروا في اتصالهم مع الغرب حتى عام

١٧٢٣م وفي هذا أشار المؤرخ المذكور^(١) إلى أنه أثناء حكم أسرة مانشو manchú قامت مجموعة من الجهابذة اليسوعيين . بتقديم جزء طيب من المعارف الغربية ووضعه رهن إشارة المثقفين في البلاد . إلا أن هذا الإهداء الكريم قوبل باردراء من قبل البيروقراطيين الصينيين المعجبين بأنفسهم . ولا يكاد يلمح أي تأثير للعلوم الغربية على الحياة في الصين وظل ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر . عكس ذلك حدث في اليابان ذلك أن أوروبا كانت بمثابة من خلال عدد من التجار وقناطنة السفن الذين يسكنون في حي ضيق في منطقة الميناء . وبالتالي كان السكان الأصليون هم الذين بذلوا الجهد من أجل النفاذ إلى العلوم الأوروبية .

تمكنت اليابان من خلال كتب علم التلك أو الطب التي ترحمها اليسوعيون إلى الصين . أو من خلال تلك التي قدمها التجار القادمون من "بلاد الوطينة" (هولندا) إلى مجموعة رانجاكوشا Rangakusha أو "العلماء الهولنديون . وكذلك بنصل الاتصالات مع بعض الرجال الأوروبيين المارزين . تمكنت من الإبقاء على الاتصال بالعلوم والتقنية الغربية رغم الصعوبات . الأمر الذي يفسر تلقيها السريع عندما سقطت الحواجر التي جعلت البلاد معزولة حتى بداية عصر أسرة 'ميحي' Meiji .

ربما كان من الأمور والأحداث الأساسية البارزة في التاريخ العلمي ألا تتمكن وجوه الشبه البارزة هذه بين اليابان والدول الأوروبية من أن ترحم مد وقت مكر في عملية تبادل أكثر صراحة ومباشرة ذلك أنه أب كانت الجهود المبذولة التي قامت بها أقلية من الناس أصبحت البلاد مغلثة الأنوار أمام الانصب المرحي . غير أنه استمرت حصاره بابابية منظمة وراقية لكن في إطار راكم . أما الأورسة فقد طلت في مساره الصاعد الذي يقص من جانبيه وارتطت تنوسعها في الكرة الأرضية . ومن البدهي أن النصر كان حليهما . لكن كان يمكنها تعلم الكثير من هذا الأرحيل الذي اعتق أنواه أمامها بقوة وكرياء . وسرعان ما أصبحت مختلفة تماماً تلك المتكرة الثائلة بأن أوروبا تكونت من الشرق في الوقت الذي ظلت فيه على مدار القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر وقد نصح وعبها التاريخي البونفرسالي ، مصحوباً بمجموعة من المفاهيم الخاصة من مختلف الحضارات والتي اجتمعت في تركيبة معقدة وواحدة .

^١ المصدر السابق . ص ٢٠٣

عكست هذه التركيبة مضمون أكثر إمكانية وإسبابية. فمن خلال الناحية التاريخية اليابانية يتضح جلاء أن مصطلحي الشرق والغرب مرنظر بعضهما. وأن حد لأقصى من الشرقية يعني في حد ذاته بداية الاستعمار الأرض كروية وإذا ما استمر انفراد في سيرة نحو الشرق ينتهي به الأمر في الغرب. وكان الأسس يعرفون من شرق سادس عشر أن اليابان ليست فقط مجرد أرض بعيدة إذا ما اتخذ المسار المنحني إلى الشرق بل هي أيضاً الأرض الغربية القصية إذا ما اتخذ المسار الموحدة لمصادرة

الأمر هنا هو أن المرء يأسف لعدم وجود أي ذكر للنسب في كتاب 'دروس حول
فلسفة التاريخ العالمي'. ذلك أن معرفة هذا النسب كانت ستوسع إحصاء احصاءات
الشرقية وتغير المظور العام حيث يتبدى الشرق من خلال دوللات إدارية أحسنه في
تكوين أوروبا المعاصرة. لم يكن الشرق ليظهر في منظور ديمست وثالث مجموعة من المصنف
الجغرافية الأكثر بعدا والأكثر تكتلا ولأكثر صعبة. بمعنى سمحني بالمصطلح وأكثر
لا إنسانية في حقيقة الأمر ولكن يتبدى كعصاة توسع دائرة النسب. حقيقة ليسهلي به الأمر إلى
نقطة البداية ثم نعتق بدائرة على نفسها بتكون منسوبة إلى من سخطها وسماوي جغرافي
يرتبط بكروية الأرض وحالاته غير كماله. الأمر في الشرق توحيد وأخوية
في باب احمراب والتاريخ منسوبة

يمكن تخيل بعض صفحاته بشر بعد أن يكون قد قرأها. وهي صفحات يمكن أن نعلم أن صاحبها لم يقرأها. تتناغم معه روح هذا الكتاب بصدق تام. ورغم بعد المسافة وأحياناً ما يكون نمطاً بسيطاً يكتبها ذلك الكلاسيكي الأديبي يعقبه في صفحاته من صنع من دواوين وهيلانة، ولو عرف ليس فقط المشهد الإنساني للبحر المتوسط بل أيضاً الأديبي الذي يوحى به المكان والذي يفصح عن حداث شعري شديد الاختلاف عن الحداث الشعري العربي، إلا أنه يثير دهشة مشابهة وغير متوقعة! وببعد عن الهند، أي على الحبيب الآخر من الصين كان هناك بلد غريب مكون ليس من خلال كتل قارية متلاحمة بل من جرر ووديان وسهول وجبال رائعة التكوين، كان يعيش فيه بشر لهم متاعهم ومعتقداتهم وعاداتهم التي تعكس تنافاً من ملامح أقصى العرب رغم الاختلافات الأخرى.

XVI- التقنية والثقافة الشرقية

أرادت اليابان أن تنعم دور دوست الأكثر ذكاء من مفيستوفلس Melistoteles
 كان بهم إمبراطورية الشمس الشرقية. وشكل أساسي، آخر شخصية لفوست، المهندس
 والمسيطر على العصر. كما أنه أيضا كان مهتما بظاهرة استعادة شانه طالد أن ذلك لا
 ينطبق أن يسع روحه الشرقية واحتصار المول حد أن التقنية الفايوسية للعرب كان يجب
 أن تسهم في تطوير القوة لإمبراطورية اليابان. ستي تعدت على العصاراة الأكثر بقاء من
 الدجة التاريخية لها. مؤسسة التحولات ستي بدأت بطريقة ممهجة في عصر أسرة
 'ميجي' كان يجب أن تقتصر على استيعابها لاحتماعية وأنها يظل الجوهر التقليدي
 في البلاد سببا لا يمس. وليس هذا بل أصبح مدعوم بتفصيل الأدوات الحديدية التي
 تخدم في مات حدائنه و مستمر ربه

إلا أن مقصير احصارة ستي مع... أكثر ما كان يقطه استنبطون
 اليابانيون. الدين لم يكونوا يؤمنون به. فسادت الروحانية monists والطوعية
 المرتبطة بدهومهم عن العدم. وسماها... ديمية داخلية وتقدمية، تميل إلى
 الفرار من رقابة الإنسان بنفس درجة... عندما سم إنتاج ثلاثة ملايين طن من
 الصلب أو أربعة كان من الضروري استحداث... ساعات دسات مصممة
 ومدافع وكماري وقضبان سكك حديدية ودمرات دول أي أساس سطية الحياة في اليابان،
 لا أن أفران الصهر العالية تنوالد بفعل قنور انوالد، وعندما يقبل الأمر إلى إنتاج ثمانية
 وعشرين مليون طن، وهو حجم إنتاج اليابان عام ١٩٦١ أو إلى ٤٣ مليون طن، الإنتاج
 المتوقع عام ١٩٧٠ فليس من الممكن استهلاك كل هذه الكتل الحديدية في صناعة الأسلحة
 وفي المشروعات العامة وها هو المد الذي عليه المعدن المصهور يهدد بإغراق ودفن
 الانراضات والأسس التي عليها حضارة نباتية في جواهرها.

ومن الأمور المثيرة والمدهشة هو أن اليابان، ذلك البلد المنتج للخشب بطبيعته، أصبح البلد الذي صعد بسرعة عالية سلم إنتاج الصلب، حيث تضاعف إنتاجه مقارنة بما كان عليه وضع البلاد خلال السنوات السابقة على الحرب. لم يكن الأمر محاولة لملء فراغ قائم أكثر منها الوقوف في مصاف الطبيعة في حقل تقني واقتصادي يبدو أنه غريب على الطاع الأصيل لذلك البلد. ولهذا فإن هذه الظاهرة مهمة من المنظور الصناعي والثقافي. أي العصريين شديدي الارتباط ببعضهما في الحياة اليابانية. ولا يرتبط الأمر فقط بمصير اليابان بل يرتبط أيضاً بالتقنية الغربية نفسها والتي تتركز في الأساس حول صناعة الحديد والصلب منذ الثورة الصناعية الأولى

هل يحمل معه هذا التقليد لهذه التقنية من قبل العرب أكثر مما هو محدد استخدام خطوات صناعية واقتصادية بمعنى أنه يمتد أيضاً إلى الأشكال الجمالية والثقافية بعمامة في العرب؟ أو هل توجد إمكانية أن تكون هناك أنماط شديدة الخصوصية، مثل تلك التي توحد في اليابان في هذا المقام، قادرة على مقاومة المدّ القوي الذي يتمثل في المواد الميكانيكية الجديدة. وليس ذلك بشكل سلبي وخامل، مع وجود محاطرة مؤكدة في الضياع بشكل متسارع بدرجة ما، بل يمكن أن يكون هناك رد فعل شجاع قادر على استخدام المادة الجديدة من المنظور التقليدي الذي يتسم بأنه - انطلاقاً من تقليديته - قادر على أن يواكب التطور والتفاعل مع المتطلبات الجديدة؟

هذا هو السؤال الذي يوجهه المثقفون اليابانيون للأوروبي بشكل يومي. وهو السؤال نفسه الذي يردده الرحالة وخاصة عندما يصعد أو يهبط المرة تلو الأخرى مستخدماً المصاعد في الفنادق اليابانية الحديثة.

الإجابة في مثل هذه الحالة تميل إلى الإيجابية لأسباب من بينها أن المصاعد سليمة ودقيقة للغاية لدرجة أنك لن تنتظرها، فعندما نضغط على الزرّ يضاء المفتاح، بمعنى أنه يتحول إلى شيء لا مادي ويصبح رمزا محضاً واعداء بسهمه اللامع. ولا يتأخر الوعد في التحقق بوصول المصعد في صمت ويتوقف دون أدنى خلل عند مستوى الأرضية. وسرعان ما يعتاد المسافر دخول المصعد بثقة دون أن يدقق فيما إذا كان هناك عدم استواء بين الأرضية وبين أرضية المصعد حتى يتجنب أي خلل، إذ أن هذا الخلل يحدث بشكل شائع ليس فقط

على مدار تصور ثقافة شديدة الجمالية والصبرية كما هي الثقافة اليابانية، إذ تصحح كلها عبارة عن عملية نسبية لا تكل للوصول إلى كمال أداء العدسة التي هي زجاج العين البشرية

عبر أنه ربما كانت العمارة الحديثة اليابانية أفضل حقل لسبر أعوار المشاكل الناجمة عن اللقاء النسبة العربية بالثقافة الشرقية

فالسوء التقني باستخدام الخشب بطل ما قبل بكل ثقافته، ومن المستطاع أن يستمر وقتاً طويلاً رغم أنه أعلى من السوء على الطريقة العربية إلا أن الأمر المهم في الحقيقة ليس الحفاظ على أنماط تقليدية وصراخها مع الأنماط المسورة من في ظاهرة التناصح والتكامل. وهما ظاهرتان لا يقتصران على العناصر الزخرفية أو غير الخشبية بل يتعمق الأمر بمفهوم المثل نفسه. إذ هناك حرية الاتصال بين الفراغ الداخلي والخارجي وهناك إحلال للسلطة الناجمة عن التركيبة الوصفية محل سعة الجمالية التي تقدمها العناصر الزخرفية. هناك تناغم بين المكونات المختلفة للسرل طمناً للمساحة التي هو عليها، فسرل الياباني مشيد انطلاقاً من نمط الخشبية أو النادى. هناك مفهوم الحركة والتسوية لقطعة الأثاث والقطعة الزخرفية الح. وهذه كلها من سمات العمارة الحديثة التي ترى نفسها مسبوقة بالعمارة التقليدية اليابانية

تعتبر الـ *sculpture* أي "روح الساحة" من أهم حرك الراوية في كافة مكونات الثقافة اليابانية وخاصة في العمارة. في حالة ساحة مع عناصر الإنسان العربي، وذلك للارتباط القوي لهذه الروح بمفهوم ساحة الحديث. ذلك أنه من المهم الإحاح على أن الأمر عبارة عن تأثيرات لا تقتصر فقط على ساحة وحدها بل تمتد في الوقت ذاته إلى التقية الإنسانية، كما أن تلقي دروس العمارة الحديثة اليابانية التي كانت محل عبادة خاصة من قبل المعماريين الأوائل في العالم العربي كان ممكناً بفضل التطور في استخدام المواد وتقييمها الواعي هناك استخدام المعادن الخفيفة، وخاصة الألمنيوم حيث جعل الأنظار تنجبه نحو تقدير العمارة اليابانية التي تستخدم الخشب، وهي عبارة تسبق في حد ذاتها ذلك الفهم، وذلك لممارسة عملية التنعيم والتركيب للأخشاب المستخدمة بدقة ومهارة لدرجة تبدو معها أمراً ميكانيكياً في نظر الغربيين

وقد أشار برونوتات B. Tout إلى أن العدة التي يستخدمها النجار الياباني تنمو
 متنوعة وادقة لتلبية ولتخصص أكثر من "الأوروبي الذي يقوم بسر أعواره وينسوله من
 خلال عدة ميكانيكي". ويعتبر لورق كمادة شئت شديد الاختلاف عن الرخام غير أنه
 من منظور معمري فإن مدون الحائط والقصو والاتصال بالقضاء الخارجي الحج
 الذي ينظمه استخدم أي من مدينتين فيه شبه كبير بينهما، وهذا ليس من المسعة القول بأن
 لنبلا الأمبراطورية دي كاستورا في كيوتو تعتبر أقرب إلى قبلا حديثة في دوسلدروف أو
 ميلان مقارنة بـ "الترينور نصعير" في قصر فرساي أو "مرل الفلاح" في رنخويت

بدون تشبيه احديته في زمان هي في أعليها موجهة إلى الإنسانية مدمعة وإن عيب
 معتر الأوربيين أن توسع من منظور وسائل أنفسا عن الإسهامات الممكنة الأنية من
 شعوب غير الشعوب العربية ومدت شتيته حديثة في العرب لكنها كانت مدعوة إلى تجاوز
 لإصر الذي ومدت فيه سرعة، وقامت وراء ملعب دور كأنها مكتبة لستيرية حمراء. وهذه
 الأخيرة كانت مهيبة شكل جيد شتيته ذلك والعمل على اردمهم شكل لانس فيه.
 وحقيقة الأمر أن هذا لا يشمل كافة الشعوب بل يقتصر على بعضها وأحد نيت التي
 يوجد في مكان قصبي، مدعوة بالنسبة مدته من الشعب الجديد معينه. وهذا يجب على
 لأوروبي أن يقوم بحيل موقف ولا يمكنه من الحصول على فهم مقصير نفسه في بعض
 شرفي بل حتى يميز شكل الفصل من حيث هو، أصولها في العامة العربي نفسه

بها مهمة لا يمكن بدرجة ولا من مسئولية خاصة في كونه بعدد رتبة
 قبلا كاستور لإمبراطورية، سماء سماء على وجهه في شوارع حديثة أو في
 الصخور والمعروف سبعة ملاذ من سماء سماء سماء كونه مهيبة عن العنوم
 والشتية، هي مدينة حالية في المدام لأول ورسيه وملحمة، كذلك كان الأمر بالنسبة لروما
 عندما شيدت لتكون المركز الأساسي لخدمة عصر النهضة والتي من خلالها أحد العرب
 بخصر خطواته في العالم الحديث وهذا من شيوخ ماكرما بروما، ورما، شكل أفضل،
 شيء وسط بين روما وفلورنس وذلك مددا لهذا الصنف من الشتيه حتى لا تثار حوله
 الزواج وإذا ما كان الكتاب الذي ألفه فوسكو مارابيسي Fosco Maraini مؤرخا بعنوان

١٠ البدر . بُعد واحد من أقصر الكنت عن ذلك البلد المعبد فإن مرء ذلك في الأساس هو
أو مصوره إيطاني

لأمر أهم في المقارنة لا يسحب كثيراً على المصموم الفني مثلما ينسحب على
الموظيفة التي كانت مهبة لها تلك المدن في تطور العوالم الثقافية التي إليها تنسب إنها إذن
مدرستين وراءه كتل ضخمة من انتقادات الكلاسيكية وهذا هو شكل أكبر في حالة
المدرسة اليابانية . ذلك أن الثقافة الصينية تعني بالنسبة لها كما لو أن الإمبراطورية الرومانية .
ومعها أنب . لم تتدهورا بل طلتا قائمتين مدرجة أو أخرى من درجات الحيوية كما أن
كيتونو تبدو شبيهة بكنة مدينتين الإيطاليتين في أمر لبس فيه حلل ، وهو أن "الميكادو" أو
"سلطة أدبية" . مارست على مدار القرون في كيتونو وطيفة تسديدة لشبه تلك التي
مارستها أسوات والتي كانت على شاكله اموظيفة بني مدرستها الأباطرة الرومان
لأستند ديور في اعرب . لم يكن الإمبراطور حقيقي بنيم في كيتونو بل في كاما كورا
Kamakura . أو في بيدو (لا) . ومثوقه أخرى في منصوره لارتدواجية بين السلطة
الكسبية والسلطة السياسية هو . شكل عدم . أمر مشترك بين أوروبا واليابان وفي هذا الحد
كيتونو تنسب روم أكثر من شبيهة بكنة أو بعد أو بسفيسر .

هناك أيضاً وجه شبه آخر يتم كنهه في سبورع أو الأديرة التي توجد في
كيتونو وهو شبه يحل في قصعه في أعاصير من ربحه في أشرب إليه لها ، وذلك
حتى يمكن فهم الانقسام السريع بين حقبة ربحه في أشرب إليه لها . أشرب يتعلق بالذنية اليابانية
التي تتحلى بوصوح من حلال الش . كتب حروس . إن الفن الصيني كان في
مدرسة حتي لدى كثير الفنانين العظماء فهو درس ساهل . لكن الياباني . حتي وهو في
شكل أعمال مشتركة مدرسة فنية لا يرب بخور سحفية الفنان الصارمة وذلك بنفاد
صير

ففي لوحات مشهد الطبيعي كحد أن الموضوع وصريقة معارته يعكسان دائما معنى
الذاتية ويشمل ذلك عندما يتعلق الأمر أيضاً بتكليف عمل ما طبقاً لأشكال نمطية . إذ هناك
دائماً الكثير من المشاهد الطبيعية الموروثة في مدرسة كاتو والتي يمكن مشاهدتها في أديرة

كـيـونـو حـيـث تُـرى بـشـكـل مـحـدـد ذـكـرى أـحـد الخـلـجـان، وذلـك الطـريق الجـبـلي وهدـه القـريـة الـتي يـسـكـنـها الصـيـادون .

هـذا المـلـمـح الذـاتـي أو الفـردـي مـوجـود بـشـكـل أدق وأكـثـر أهـمـية، فـي إطـار تـلك الـاعتـبـارات، فـي اللـوحـات الخـاصـة بالشـخـصـيات . تـخـتـلف الأـعـمال النـحـتـية والمـرسـومـة الـيابـانـية فـي هـذا الأـمر عـن الصـينـية ابتـداء مـن أصـولـها الأوـلى وخصـاصـة فـي العـصر الذـهـبي الذـي عاشـته كـامـاكـورا خـلال القـرنـين الثـالث عـشر والرـابـع عـشر . الأـمر هـو أن اللـوحـات المـيتـافـيزيـقـية الصـينـية تـتـحوـل فـي الـيابـان إلـى درـاسـات نـفسـية مـحـددة، فالـمـشـاهـد يـشـعر بـأنه فـي حـضـرة أفـراد يـتـقنـون السـمـات البـشـريـة وهـذا لا يـحـدث فـي القـلـيل مـن الحـالـات لـكنـها شـخـصـيات فـردية حـقـيقـية لـيـسـت مـثـل تـلك الـتي تـوجـد فـي أـعـمال أسـرة سـونـج Sung، أي لـيـسـت مـجـرد أـمر صـاهـري أو ذـريـعة إنـسـانـية للإعـراب عـن القـوى الكـونـية .

هـنـاك صـلة حـمـيمـة بـيـن هـذه الفـردية الحـمـالـية وبـيـن الفـردية الدـينـية الـتي عـلـيـها البـوذـية رن وهـنا يـقـول د ت سـوزوكـي "أكـبـر مـطـلـع عـلى هـذه الطائـفة " إـذا ما كـانـت طائـفة رن فـي لبـوذـية أـحـدثت تـأثـيرها عـلى الحـياة البـابـانـية قـطـبة . وخصـاصـة فـي الحـانـب الجمـالـي . بـدرجـة غـير مـسـوقـة لـدى كـافـة الجـمـاعـات الأخرى . ورن دت مـردـه أن الرن يـتـوجـه مـبـاسـرة إلـى الأـفـعال ولبـس إلـى مـفـاهـيم الحـياة . تـوصـح البـوذـية رن مـوقـفا مـبـاشـرا وحـدسـيا أـمـام الحـياة وتـقـوم فـي ذـلك عـلى أـسـاس سـيـطـرة حـاسـمة لـلفـرد اـسـطـلاق مـن حـذور اللاوعـي نـفـسـها حـيـث تـنشأ السـاطـة فـي التـعـبـير والمـيل إلـى التـنـويـه ورقي الأسـلـوب واخـرية الفـريـدة للـفن الـيابـانـي الحـيد . والـفن عـند البـوذـية رن هـو عـمـل يـمـثـل اـحـلاص والإلـهـام وهـو نـوع مـن تـقـنية الحـرية .

قـد يـكـون غـير مـسـمـوح بـوصـع مـقـارنـة قـربـة بـيـن هـذا الصـف مـن الذـاتـية البـابـانـية والأوربية، أو بـيـن ازـدواحيـة السـلـطـات الاجـتمـاعـية القـانـمة فـي التـارـيـخ الأوربي وبـيـن الـيابـانـية . أضـف إلـى ذـلك أن تـارـيـخ الـبابـان شـهـد سـلـسـلة مـن التـحوـلات الحـاسـمة وـحـددت تـوجـهات شـدـيدـة الـاخـتـلاف فـي مـراحـله المـخـتـلـفة وبـالتـالـي فإن هـذا التـوازي أو المـقـارنـة أـمر بـصـعب اتـخـاذـه وخصـاصـة عـندما نـرى أن التـارـيـخ الأوربي قـد اتـسم بـانـكـسـاراتـه السـريـعة . وبـغـض النـظـر عـن مـكـانـية اصـطـدامنا فـي هـذا المـقـام بـنـوع جـديـد مـن درجـة التـشـابـه لا يـسـعـنا إلـا التـعـبـير عـن

(١) 'مقدار عن البوذية رن' الطبعة الثالثة ١٩٤٣ باريس، ص ١٣٤١

الإحساس بأن الفن والسياسة والثقافة في اليابان تحركت بصفة عامة في إطار جو أكثر حرية مما عليه الوضع في الدول الشرقية

وأبرز شيء في هذا المقام هو القدرة الإبداعية للإقطاعية اليابانية. ففي أغلب الدول الإقطاعية هذا يعني التفكك والفوضى ومرحلة استقالية مدمرة بين فترتين إمبراطوريتين. لكن كانت قرون احلل في النظام الإقطاعي في اليابان، مشما عليه الحال في أوروبا، قروا تتسم بالثراء المكري الكبير وهنا كتب إي ريشير I. I. Rischauer. يقول بأنه "عندما دخلت اليابان عصر الإقطاع خلال لقرن الثاني عشر كانت أمة صعبة وصعبة ومتحلقة اقتصاديا وتقع على حدود العالم متحصرة. لكن مع بقرن السادس عشر حرحت من الفوضى الإقطاعية أمة متطورة اقتصاديا يمكن تصورها الأمة لأوربية في كثير من الجالب. فقد زاد تعداد لسكان من خمسة ملايين و عشرين مليون كما حققت كافة أنواع التنمية تقدما ملحوظا

رأى كل مفهوم لدولة في اليابان من وجهة. وهذا ما كتشفناه في عصر "توكوجو" مقاربة سديمية متجددة. وهذا من مفهوم لأحر حبت أثرت على مدار القرون ثقافة رستقراسة عدية حيدة. وهذا ما كتشفناه في كافة لغات الاحتماعية الآن هذه تضم لارستقراسة. وهذا ما كتشفناه في كافة لغات الدونة الاستبدادية لأسرة "توكوجو". وهذا ما كتشفناه في كافة لغات الفتقدت اليابان شروطها أساسية كـ... وهذا ما كتشفناه في كافة لغات الاستبدادية ذات طبيعة فردية في حيزها. وهذا ما كتشفناه في كافة لغات المسيحي الذي تعتمد في سيرة شروق سديم. وهذا ما كتشفناه في كافة لغات الأرضية

كانت الفردية لشديدة الاستحسان ولا... وهذا ما كتشفناه في كافة لغات مبالغ فيها لصالح نظم الدولة. إذ أصبح سلاحيون... وهذا ما كتشفناه في كافة لغات هدفا للاستغلال. ثم ظل هذا النظام سائد... وهذا ما كتشفناه في كافة لغات "مبهي" حيث استوردت ليس فقط العموم و شتيبة من عرب وإنما أيضا لنظام الرأسمالي الذي عمل أكثر من مرة على تغيير أشكاله العيبة حتى يؤدي بموقف إلى النمو الاقتصادي

(١) اليابان - مصبي واحصر - يوليو ١٩٥٣ - ص ١٦

ومن جانب آخر هناك الضغط الجماعي الذي يرداد من جراء احتفاء الازدواجية المكونة من
بيكدوالشوحون (الدين والدولة) والتي أدت إلى إضفاء الطابع الديني على السلطة
السياسية الفعلية. وكذا إلى تغييرات خطيرة مثل تلك المتعلقة بآردواجية السلطة المدنية
وسلطة العسكرية. الأمر الذي أدى إلى القضاء على النظام الدستوري، الذي كان قد
تقدم ونضج بشكل نسبي. خلال العشرينيات

لكن لم يكن هناك شيء يحول دون التماسي التقني (مع كل ما يحمله من مخاطر ونتائج
مدمرة في حقيقة الأمر) وأر يستند في هذا على مفهوم الفردية والحرية الذي يتحلى على
مدى قرون كثيرة في الحياة المدنية. كما أنه ظل حياً تحت البسمة العليا الجماعية أي أن هذه
الفردية كانت ذات سمات خاصة في حقيقة الأمر مثل مفهومها الأرستقراطي للتوازنات
الاقتصادية وميلها إلى دمج الشكل والمادة والمواءمة بين النفع المادي والمتعة احتمالية

بحسب وضع تقنية عربية في خدمة حية. وقد طلت هذه التقنية تقوم بدور السيدة
وبين دور اخدمة. إلا أن انتشارها في أوضاع جغرافية وثقافية متنوعة ونظورها السريع
حلال اسوات لأحيرة جعل من الضروري الإسراع في تدل جهد حاسم لجعلها أكثر
إسبابة المهمة عدية في التسعوية والسعد. وحتى يمكن مع حنها بشكل جيد هي في حاجة
إلى مساهمة كافة لتسعون. كل في قدر مهمته خاص به لا هو إسمي. وذلك من أجل
تحجيم هذه الفردية الخطيرة. وربما كان الأمر العربي عذراً بشكل يريد عن أحد في سيرته
وأصبح حراً مملوفاً فيه من موشب. هذه التسعون أخرى أدارت طهرها لها. بشكل يزيد
عن حد. أو أنها تركت نفسها بها وبها. بها بشكل كبير. وربما بعد البانان على
مسافة ملائمة للإسهام في هذه المهمة. وسأذكر على شاكسة ما يقوم به عدد قليل
حد من البلدان

XVII - على أبواب الصين

لا تقبل هونج كونج بإقامة المزيد من ناطحات السحاب مثل باقي مدن العالم وذلك لإبواء عدد السكان الذي يتزايد، والذي انتقل من ثمانمائة ألف إلى ثلاثة ملايين في غضون خمسة عشر عاما. تتبدى المدينة نفسها وكأنها ناطحة سحاب ضخمة وواسعة، وعندما تُرى المدينة ليلا من الجانب المطل على القارة تراكب أضواء النوافذ إلى ما لا نهاية دون أن يسهل تخديد الحي الذي إليه تنسب هذه المجموعة الحضرية أو تلك. غير أن اللغز سرعان ما ينفرج في الصباح، فاجزاء السهلي من الجزيرة. الذي فيه المركز الحضري، فكتوريا، "يتسم بأنه صغير جدا نظرا للمنظومات احديدية للسكك". كما أن الكتل الخاصة بالمباني الحديدية تنقل الانطباع نراكبها من حيث أنها مقدمة على مصاطب متوالية تم تصميمها في سفح الجبل الذي بجمل، بشكل شبه كامل. الجزيرة الرئيسية في هونج كونج، تمتد المباني على سفح الجبل، وتغترب بعضها من فكتوريا بيك Peak \ متقاصعة مع المكان وخلفية السماء الزرقاء.

وحتى يكون هناك المزيد من الحرارة في صورها رنمت المباني على الأرض الصعبة تركة المباني الثانوية التي حرقت على نسيجها. إلا أنه يبدو أن هذه الأخيرة لم تستسلم، إذ انصبت أبراجها كأنها تنافس تلك التي تسمع نبرة أنها الأعلى من حيث الموقع هناك أبراج أخرى في مرحلة الإعداد وسط العانة وفوقها بدأ سركب الروافد الأسمتية أو الحديد، يبدو أن الجبل بكامله قد أسلم نفسه لحمى البناء. ويحس القول بأن البشر، الذين يتمتعون بالكثير من الوسائل والتقنيات أكثر مما كانوا عليه أيام بناء نابل الحقيقية، يحاولون التشييد ليس انطلاقا من السهول كما حدث في ذلك العصر والأوان بل من خلال الإفادة من ارتفاع الجبل، وانتهى الأمر باعتبار ناطحات السحاب التي كانت مبعثرة آنذاك على الجبل تبدو وكأنها قطع صغيرة جاهزة للتركيب ضمن لعبة من لعب الأطفال مشكلة بذلك مبنى وحيدا عملاقا.

لكن هونج كونج هي بابل، وليس ذلك من خلال أسلوبها المعماري بل من خلال تنوع لغاتها وحالة التنوع في العقلية والأيدولوجيات والرقع الجغرافية التي يثرسها كل ذلك، إنها تقف في وضع وسط بين أنظمة جيوسياسية وعوالم أيدولوجية ومفاهيم تتعلق بالزمان والمكان شديدة الاختلاف فيما بينها، كما أن التوترات الموجودة تحت السطح تبدو وكأنها تبرر ذلك النوع من التجشؤ المعماري الذي عليه الجبل فمن ناحية هناك القارة بكل ضخامتها ومن ناحية أخرى هناك المحيط، ومن ناحية ثالثة هناك المفهوم الخاص بسكنى الأرض الذي يتسم بالاتساق والتسلط في الحياة السياسية، وهناك المفهوم المربك telasocracia الأنجلوساكسونية؛ أنها الأنماط الأكثر دينامية والحاركة عن المدار والمداولة في اجور، والتي هي للرأسمالية بلاشك، أمام تلك العناصر التي لا زالت قائمة في هذه المستعمرة التي تنسب إلى العالم الصيني القديم الذي يفتح عربصا وغامصا وبخضع لثورات رهيبة من وراء 'ستار البامبو'.

وضعت السلطات البريطانية نظام مدعوم في ذلك العلم الذي يتسم بالنوران، فهو هونج كونج هي مستعمرة تابعة لنجاح البريطاني، وهناك آلاف المفسرين الذين يدخلونها وبالتالي تغير تبعيتهم بدلا من النظام التوري في كثير من نواحي مرتبطة بسنن المحافظة العبيدة، وينحسرون إن رعابا الملكة إيرابيل هرب موضوعها من صحوة حبة في مدته وفرروا لدهاب إلى أعلى حين والعيش هناك حيث أمر احاكمه ١٩٩٧-١٩٩٨ في قوة ومورعة نوريف حيد، حبة النهاية من خلال سمات ساسكي، وذلك حين سمع من سكان الهندوء والنور اسفسي الضروريين لمنظمات المهمة خاصة بسلامة ساسكي

لا يُعرف كم من الوقت يستغرق ذلك، ولأنه امبرية البريطانية، التي كانت منذ سنوات قليلة تحكم مئات الملايين من لاسيوس، نرتب معنهم أملاؤها ما عدا هونج كونج رغم أنها تدخل في البلد الأكثر بانه للتلاقح في اسبا ومن السهوي أن هذا موقف مؤقت للغاية بالنسبة لوضعية من التعايش مع الصين التي نجدها ماونسي تويج، لكن البعد الاحتمالي الذي تتضمنه لوائح هونج كونج يبدو أنه وراء هذه الحمى التي نهزها وكأنها لما كانت غير واثقة من المستقبل أسلمت نفسها لتعيش اللحظة حاصرة بكل ما فيها.

قطعتان متباعدتان لكماشة ضخمة كانت تضم بين فكّيها بعض المناطق، لكنها اليوم لا تكاد تضغط للوهن الذي أصابها.

هونج كونج هي أكبر مما يمكن للسائح أن يتخيلها عند وصوله، إذ تتجاوز مساحتها الألف كيلومتر مربعاً. أضف إلى أنها مستعمرة بالمعنى الحرفي للكلمة نجدها مكونة من سلسلة من الجزر وشريط صغير على شاطئ القارة إضافة إلى قطعة أخرى أكبر على سبيل الإيجاز من الإمبراطورية الصينية في نهاية القرن التاسع عشر؛ إنها ما يطلق عليها "الأراضي الجديدة" حيث يمكن للرحالة أن يتحرك بارتياح ويطوف بالقرى واحتقول الزراعة التي لا زالت فيها الحياة على الطريقة الصينية التقليدية. تعلن شركات السياحة عن رحلات لها وكأنها أمر فريد وليس فقط لأنه ممنوع على الرحالة أن يزور باقي القارة الصينية بل لأنها القطعة الوحيدة من الصين التي لا تزال فيها الأنماط التقليدية للحياة قائمة ذلك أنه في الجمهورية التي ينزعها ماوتسي تونج محد أن لتحرية الرهبة للقرى (الكومونات) قد أصابت المجتمع بهزة قوية حتى في العلاقات الأسرية أما بالنسبة لثورموزا، فإن طول مدة الاحتلال الياباني لها والسمات الخاصة بالطعام الحالي أدت إلى إدخال تعديلات جوهرية عليها طبقاً لما تراه وكالات السياحة والسفر

ومما لاشك فيه أن هناك حرعة من الحفنة نسكن تحت هذه الدعابة، فهي هي حكومة المدينة تسهر على العاية بهذا الركن لصعد من الاسراطورية ادمامية الأطراف وكأنه متحف آثاري حقيقي وأر بدخله الرار الر عت في ذلك فهذا مصدر مع كبير للمستعمرة أكبر من عائداتها الزراعية، ذلك أن كفة دمات الأرر المنحة لا تكفي لتعديّة سكان هونج كونج أكثر من عشرة أيام في العام ها هي الترى قاعة هناك وحقول الأرز التابعة لها والبحيرات وما بها من بط يعوم على صفحة مياهها والإسطلات والحيوانات التي شهدها الرحالة كثيراً في شكل وصفي في روايات بيرل بوك

تعتبر قرية كام تن Kam Ten المركز الحضري المهم بأسوارها الحامية لها من اللصوص، ومنازلها مصطفة بشكل هندسي ومعتمة، أما نساؤها فهن يصنعن قبعات كبيرة من القش وقد علقن فيها أشرطة من القماش لسنا ندرى وظيفتها وما إذا كانت الوقاية من الشمس أم لا، أو تفزع الذباب أو أن هناك أسباباً جمالية أو طقسية وفي آخر الشارع الرئيسي هناك مبنى متواضع

يقوم بدور المعبد ودور الغرفة الحفنية؛ إلا أن الأطفال الصغار الذين يبلغون من العمر خمسة أو ستة أعوام، ويهرولون مع شقيق كثر صفرا مربوط على الظهر، يبدو وكأنهم في عيون الرحالة يهودا على استمرارية الروح الأسرية القديمة

يتمتع وادي شتين Shetin شهرة سياحية كبيرة إذ كانت حقوله شهيرة بالأرز الحيد الذي كان يرسل إلى مائدة الإمبراطور. هناك توجد قرى عمرها يزيد على مئتين عام، تطيعا للسلطة الأمريكية. كما يوجد معبد وقبر قديمان. أما في الجزء العلوي لإحدى الهضاب هناك صخرة ذات شكل غريب تسمى 'أماح وطفلها' Amah y su، ولها قصة يتم سردها بالتفصيل في ورقة إلى جانب ورقة قائمة الطعام الذي يتناوله السائحون المبحرون من الأنحوس كسور على أساس أنه فاتح شهية روماني

يكاد يكون كافة السباحين الذين يترجمهم مرء من دول الكومولث، أحدهما كسدي من أصل سلافي. محم في إدمونثون الثرن. يتحدثون دون توقف عن رحلته التي قام بها مؤخرا إلى روسيا. حيث ذهب إلى هذه نسية مدعوة نظرياً كموستكو وذلك حتى يعرف عن قرب الحياة الدينية في البلاد. والحسنة سعيدة حول الحياة الروسية ورعته في أن يشاهد كل شيء وإفادة من بوقت بهر وسلا. من خلال الحولات السياحية، هي حديقة ملاحظة من أنية وساحرة من طرف رحالة الغرب. فسياسة تعمل هدوء احتش، إنه حقن واسع ووحيد هبانه يوع من حارب. لإسلافي. رعمه به لا ينف من وصف لأمر متفاصله في مررعة استه ليس من مسموح منعته. من رعة معاج بكل من مربع الأمطار قليلة، وأحباً ما يمر عدم دون أن تغفر. وعدم من أحد سلاحي يتم إبلع الطيب يحلثهم من خلال اللاسلكي ويثوم هد. لأحر. سلا. سلافة نفسة عنهم بالطريقة نفسها استنادا إلى وجود مجموعة من العوالت مدوية مدومة في بوح. في حيااة الإسعافات الأولية المرلبة وعليهم أن ينتظروا عدة ساعات حتى يصل منه حبيب الإسعاف.

هذا الحو، الذي يصنفه الأسري. لا يمكن أن يتعرض أكثر. لا مع المشهد الذي نقوم بوصفه، وهو مشهد مليء بالأس في حقون الأرز والقرى بعض الطر عن الأحياء ذات المنازل الرحبسة التي شيدتها الحكومة للاحتش. وهي عبارة عن خلايا تحل حقيقيه حيث الخدمات مشتركة ونكل أسرة غرفة واحدة يشعر الكسدي بالضحك ويحن للوحدة

والعزلة التي في أرضه رغم أنه مواطن (وليس من الرعية). هناك من يسألني نفسه بالحدوث عن مقارنات إحصائية. فتعداد السكان في استراليا لا يكاد يتجاوز ثلاثة أضعاف سكان هونج كونج اليوم، ويمكن لكل سكان نيوزلندا الجديدة أن تستوعبهم المستعمرة

تقول ذلك سيدة تعيش في مزرعة بالقرب من ويلجنتون، وقد علت وجهها ابتسامة رقيقة. لقد ذهبت إلى هونج كونج عدة مرات خلال السنوات الأخيرة ولا تستطيع أن تتعرف على ملامح المدينة في الرحلة التالية. إنها تتغير بسرعة. يبدو أنها تبلغ من العمر ستين عاما، وقد مرت مؤخرا بمدريد في رحلة العودة، وهي سيدة اجتماعية تتحدث، دون سرعة ولكن بدون توقف، عن منزلها وحيواناتها وزهورها الرقراء العذبة وخاصة عندما تسقط وتظل فترة طويلة على الأرض دون أن تذبل

يفصح وصفها عن حساسيتها، وتسهم في ذلك أيضاً خطة العروب ووضعها الشجرة التي دارت حولها الدردشة ليست مرهرة لكنها تعلو وسط الملاح لأن منطقة "ريبولزبي" Repulse Bay لا يوجد مد البحر في هونج كونج هو الباسيفيكي حقيقة. في تقابل وتناقض مع العدد الهائل من السكر الذين ينقشون المستعمرة وإداما كان الناس يعشقون الرموز الحية هذا إذا ما كانوا يلبسون على سس الماء لعشقوا تلك الشجرة التي يجب أن تضم صمم زهورها. عندما يأتي فصل الربيع، حال الأرض والبحر والهواء.

لطيفة وبناءة تلك الرفقة مع السكان العرسيين الذين يعيشون في منطقة المحيط، كما أنها فرصة لتأملات حادة يبدو أن هناك الكثير من أفضل سمات الإجليزية مستمرة حتى في آخر أطراف العالم، وتمثلت هذه في الرعية البعيدة الذين ينقشون في الأراضي الجنوبية. هناك شيء ما لست أدري كنهه عبارة عن الهدوء والسلام ولربما الخبوي في هؤلاء الرجال والنساء الذين يعيشون على الطرف الآخر وسامحون من اجمع بين صفات الفلاح والسيد، وبين الراحة التقية والبساطة الطبيعية، ولكن زال كل هذا من العالم الأوربي العجوز والصناعي؛ لكن عالمهم هذا يتسم بأنه حار بشكل يزيد عن الحد، وبالتالي فهو معرض للخطر. ويكفي أن يكون هناك نصف عدد الريادة السكانية السوية في الصين لتحل محل السكان البيض في خمس العالم

عبر أن زيارة الريف الصيني التي تم من خلال "ستار البامبو" رعوية للغاية ربما لأنها اقتصررت على إقليبه يقع على الحدود. وهناك نهر صغير هو الحد الفاصل. وبحو مصه في البحر تتوجه بعض الأعشاب سساليها المتعددة الزوايا والتي تسطع عليها أشعة شمس هناك زو جاد من القرى يمكن أن يلمحهما في عمق المشهد وبحوهما طريق مائل بنوا في العمق وهو طريق مهجور للغاية وريفي. وبالقرب من النهر. على احبب الآخر. هناك عدة من الفلاحين الذين يفلحون الأرض. هناك بعضهم في غدو ورواح في الطريق يكر أن يقر شكل ملائم للعبية. فوق الحبل الذي نجد أنفسنا عليه. "معرفة الدولة" يكون دليل. وهما في الرحالة يسي انقلب سنار المستقبل ويترك نفسه للذكريات الموحية من خلال واحدة من الكتب الحميلة في الأدب المعاصر

وفي أيردين Aberdeen. ميناء الصيد الذي أصبح عبارة عن حلبة محل. من حبل إلى جانب آخر. هناك آلاف من الشمن sampan واحشائش. وهذا أمر يشبه أنه تقليدي للغاية لكنه ربما كان متهدا فيه بشكالية لدى من يرافقه. فهناك لا يزال الناس يعيشون طبق للمسادى الأكثر قدما مكونين حلبة أسرية محددة مضادة للتواعد الواجب تدعيم في القرى السمودحية com mas يولد المرء ويعيش ويموت على تلك التواعد ويستمر الأمر حبل بعد حبل هناك بيت مرصع وسط المراكب حيث يتم طهي العشاء قبل عند حلول المساء يعود انشاس سبور العشاء وهم الذين كانوا يسبرون في طريق. فيقثرون إلى المراكب تحفة ومرح. وهناك أفعال يلعبون مع الكلاسالكالات دائما بوحودة صعودا وهبوطا. المرة تلو الأخرى. على السلالم أو الترحلق على درارين سم

وحقيقة الأمر هناك تقاليد طريقة وعادات ومعتقدات مستمرة. لكن القمر مدقع وعدد المراكب كثير جدا هناك أكثر من ١٢٠ ألف يعيشون فوق الشمن sampan ولتش. ويبدو كأنهم أتوا إلى بلدة أيردين. نحنا عن مأوى وهي مراكب أنت من كل اموى الصبية وانطلاقا من جبل صغير إلى جوار الطريق يمكن رؤية ميناء أيردين سكامل وما يمكن أن نغيزه أسفل المكان الذي نحن فيه هو المباء. وبعيدا بعض الشيء تتولى امرك نعطة المكان لدرحة يصعب على المرء رؤية الربنى التي تحيط بالميناء. ويمكن القول "تكاثر وكأنها حقل مرجان تحت حقل آخر أوسع. لكنه أقل كثافة، وهو المقابر

البوذية. ولا زال المشهد حتى الآن مثيرا بسبب التناقض مع الغابة التي تُرى في الجبل والتي
نقطعتها بلوكات حديثة من المباني السكنية .

XVIII - الورع الرهيب لأنجوكور

مد أن بدأ العصر الحاضر يجد الإنسان الغربي يشعر بحساسية شديدة إزاء الأطلال. وفي بداية الأمر تتجه هذه الحساسية نحو الأطلال التي تنسب إلى ماضيها هو سواء في العصور الوسطى أو العصر القديم. وكان الإنسان الروماني قادرا على الاستمتاع، في حقيقة الأمر، بالأطلال الغربية، لكن رؤيته انتقيدية للماضي كانت تجعله يفصل أطلاله، فأمام أطلال أنجوكور Angkor أو ما تسمى هتيك قلب رومانسي شعر بأنه مفعم بمشاعره غوها وبطر لعدم وجود علاقة ترضيه بالماضي العرسي فيها تدخل في سياق آخر يعثره حين مقارنة كنيسة أو قصر روماني وهو حين لا يقصع في أعماق التاريخ لكنه يتوه في الحراف السبعة لا يتعلق الأمر بالأطلال من حيث أنها أطلال مخنونة بشكل سري بين يدي الطبيعة، أو أنها سيرة معمارية في حده ذات شوي ونه ذات يوم من الأيام نحتت وحرحت من سنده العميق

هناك أيضا مدينة طروادة وشمسوس Khabasa حيث نحتت يوما ما لكن جاء ذلك بعد جهود مصيبة وصوبلة من سحت و عدد، حصره عصب بكر لم يحدث شيء من هذا بالنسبة للأثار المشار إليها اند حيث ظهرت في يوم تمت أدم لأعين المشدودة للمكتشفين، بكر كتلتها الأنارية القاحلة ولا تعطي مهابه لاسر بكر نسكتها الطبيعة بدأت عمليات بناء أنجوكور خلال القرن التاسع ومحرم سدها في القرن الخامس عشر، وتولت العابة لمرها بعد ذلك كان من الضروري إحلاله مرتين في وقت لاحق، إذ أنها كانت تعتبر سيدة أطلالها كانت المرة الأولى في نهاية القرن السادس عشر وكان ذلك على يد ملوك كمبود حيث كانوا يصطادون الفيلة أحد الأبياء فعثروا على المدينة القديمة دون أن يتمكنوا من دخولها نظرا لسطوة الأعشاب واختناش التي تسيطر عليها وتعطيها. ومع هذا كانت

في حالة حفظ حبة إذ بعد أعمال التطييف التي وصفتها المورخون وأنوا عليها حرق اتحاد
فرار من البلاط إلى العاصمة القديمة، حيث عبر المشركون الرنعلبور ولأسر عن
أعقابهم به

لم ينص رمن طويل إلا وحررها البلاط واستعادتها العامة من حديد وطلت كذلك حتى منتصف لقرن التاسع عشر حيث لم تظهر أمام أعين الأوربيين وحتى بداية القرن العشرين. وتماسمة زبارة بيرلوتي. كانت مدينة أنكو كورنوم Thom. ٨. معطاة بالكس معاصر العنة وكان الضروري احروح منها قبل أن نحل "ساعة السم" والبحث عن منحة لقصاء الليلة في محر لروار المشيد فوق دعامت، على يد رجال الدين الموديين في حور معبد أنكو كورنات

أصنف في محاضر وقرآن. ثم يكرر من استطاع في أوروبا في تلك المدة كانت
مفاجئة الآثار منها هو حال في حوكور. منهم لا يستاء بعض الحالات غير العادية
مثل بيسنوه (Pisnue). ويستمر هو في الأساس من المدة التي كانت في طبيعة قو
سطة. فبعد الاصلاخ على أصلاخ كسبة وحسن حال. من المدة التي تعرفوا ندموا وكان
ضحايا وبسبب كائنهم موقوف. ويعتبر من المدة التي تعرفوا بيسنوه في المدة
بصفة الإجمال أو سببها. لا أساس لها من المدة التي تعرفوا بيسنوه في المدة
الأسحة وهي في حالة حال

لكن الأمر مختلف فليس الأمر بالضرورة أن يكون الإنسان في موقف مبدئي هي فيه هو خارج عن مقتضى الأساس الموضوعي، فهو لا يجمع بين ما هو عليه وبين ما ينبغي له ليس على مدار الزمن بل يعود إلى ثبوت ما عليه من قبله من حيث هو، بل يرجع إلى أنار طبيعتها الزمنية، إذن نجد أن الاشتغالات التي يسبقها وجوده وامتلاكه أو ما يعبر عنها بالانتماء كثيرا بتدهور المستحضر الشئوي من حواء مرور بمرور ولا بد من ربطه بعدم الاستقرار الإنساني

(۱) سرمد، قبیضہ حرمیہ، کوکھور و کوکھج، حلالہ، سندھ، علی، علی، (سندھ - معانی و لسانی)

(۷) حاج و انجمن کور، دیرس ۱۹۱۲ء، ص ۱۱ و ۱۲

من حيث هو كذلك. أي أن الحديث هنا يدور حول مشكلة إقامة الإنسان على ظهر الأرض وليس أساسا على إيقاع المسار التاريخي لشعب أو حضارة.

ومن الأمور الحقيقية أنه كان هناك سبب إنساني في البداية ألا وهو نظام الاتصالات الذي تفكك. وتنظيم المخاطر الذي لم يتم تفعيله، وإمبراطورية أصابها الدمار فجأة. لكن الكتلة الحجرية هي القطعة التي أخذت تندرج وبعدها يبدأ الانهيار. كانت الطبيعة في الانتظار. وهي العين المراقبة التي ترصد إهمالا بشريا لتلقي نفسها برمالتها أو أشجارها أو طمي أنهارها على المدينة أو المعابد التي كانت تعني تدخلا غير مسموح به من قبل الإنسان. كانت هذه المعابد بدايات للمجتمع في كفاحه ضد العاصر. وهي مواقف من الصعب للغاية الاستمرار فيها. التي تنهاوى عندما يغيب الوعي عن الإرادة الإنسانية في رب نذل جهوده. من يتأمل هذه التساؤلات الآتية لا يعبه كثيرا أن يعرف فيما إذا كانت ترجع إلى ألف عام أو ألفين وما إذا كانت تنتمي إلى هذه الحصار أو تلك. إنه يرى الإنسان وعمله يرى مشكلة وضعه كسكن في هذه الأرض بعض الطر عن الاختلافات القوية المستخدمة في الساء أو المعتقدات أو لأحسب النية الحمالية التي تعبر عنها الآثار

بشعر المشاهد بوجهي الطبيعة. فس حارب هناك الإحراوات الشديدة التنوع والعمق. حيث تمكن من المنح لشري. حارب في نهاية المطاف لا تحطمه أو تستطيع أن تعمل ذلك. الشتر فقط هم المدور على ستمصل ما أتجوه بأيديهم إنه نهر الحياة التاريخية ثوراتها وحروبها. لسه العبد حارب على القصر على الأنار من حذورها وكذا المدن الطبيعية هي أقل عدوانية حتى ولو كانت في أقصى درجات قسوتها وهناك الكثير من الكوارث الطبيعية التي عانى منها شعب. حاربها بضم صم إحدى شانحها الكثير من الاحترام لأعماله مقارنة بما ينفعه لشرب أنفسهم مع هذا المنح

وبدون تحشو مركان فيسويو *Acchro* لم يكن بالمستطاع أن نحول في مدينة رومانية كأننا مواطنون من الإمبراطورية. وسور حربة طمي البيل الذي لا يرحم أو طمي الثمر لم يكن ليصل إلينا معبد مصري مكمل مثل معبد إدفو أو لوحات الفريست سليمة من تلك التي تنسب إلى العصر القديم مثلما هو الحال في الكيس اليهودي *Doura* *Europos*. وبدون بحيرات بايستوم *paestum* والهزات الزلزالية في سلبنتوني

فمنها ما يعرف على أنه بيولوجية عصبية مدونة و دور مدونة نفسيه سرى
فمنها ما يعرف على أنه كيميائية مدونة سرى تحت مجموعة لآثرية عصبية
و حذرة في آس

ومن حلال منعه مني قد منتهى بكيفية هذه الآثار بتكرار معنوي على أنه معنوي
وأنجل من تكوير ضديته من نقص بصفته في بعض حالات بكيفية مبنية. وحيثما وجد
بكم. وبسبب هذا معنوي حقيقي على بعض منكري رطله في مورد تعقيب. وحيثما
بكبب بتكرار في ترتيب مورد وانكشف عن وجود حذر. واما عيبه من مذكر موصولة
كقمة نظر حذف حوا. وبكيفية في هذه حصة غير في مرة على بتأثير على حوا
الاسمي والاستيلاء عليه ذات في كثر موز. واما في حصة والاقلة في احد في
منها في ويكي ذور في مقتضى هو بعب. مني كانت في رطله نفس مورد على بصفحة في مدحمة
ونحت في بعبه بصفحة ويدا من مورد مسمي على بصفحة بعبه في رطله في بعبه
بمرد انها تربد بعبه وكن في بعبه منكري نقص من حمت معارف في مورد حجب على في
هو مادي. وكذا نفوق تحت مسمية بالامتنية. بعبه رطله مني في حصة في اسر على
الارض

عند مرور الأمر في مقعده محمد بن عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود
في بصرى بعد أن قدمه حذاف بن قيس بن عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود
وحواله إلى بني عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود
ولا يوجد في بعض حكايا في مقعده محمد بن عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود
يعبرنا ويصل الأمر إلى أن يكون في بني عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود
التي تثار يكتسب هذه الهدية أيضا في بني عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود
الوجود الإسلامي حيث يؤكد في الأخير أن الأمر في بني عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود
حذوره في الأرض ولكن في بعض حكايا في بني عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن مسعود

غير أن الأضلاع في الحوكور معتمة في سدها بسبب ركنها. فليس هناك هبوط للهروب. إنها حذور قوية وأعتبت ذات شراع وحذو حادة ومنتصت بتعقيد المرور. وبالنسبة لما يتعقيد ما هو فوقه كحد قمع وأضلاع ومساكن بني تعقيد +

وبفصوصها والنباتات الطفيلية التي ترتفع مستندة على الجذوع وأحيانا ما تكون أقوى من الجذوع نفسها؛ كل ذلك يحول دون أي مهرب إلى السماء. إنها أطلال مدفونة في النباتات، استولت عليها الأرض، الأرض الحية والخصبة القوية وذات السيادة. وكأنها أذرع غول تنفذ الجذور لتمدد في الفراغات وبين الفجوات القائمة بين الكتل الحجرية. ليست جذورا تخرج من بطن الأرض لتمتد على سطحها بحثا عن إذن بل هي جذور تدخل في الأرض وقد سنت من جذع مستقيم يقوم على حائط كبير أو فوق قمة قبو. إنها تشبه مغالب حيوان مفترس تداخلت على ظهر فريستها، وهي شبكة من الحيات الطويلة جدا التي تلتف على أحساد أسيرة وتضغط عليها حتى تستخرج منها رحيقها الحيوي.

وبالفعل تبدو وكأن الأشجار، أي ما يسميه الفرنسيون *figuiers du ruines* أشكال الأطلال - وهو اسم سائح الاستخدام لديهم - تبدو أنها تعيش على الأطلال وكأن بهار حيق مكنون يجعلها تنمو بشكل خاص وتتفوق على الأشجار التي تقتصر على التغذية على العصارة الاستوائية. إن الأشجار التي تنمو فوق أطلال أنحوكور تنسم بأنها معقدة ومشوهة بشكل عام، إذ تشبه كتلا عضوية قد لا تنسب إلى مملكة النبات بل إلى مملكة أكثر تعقيدا وحركة وذات دلالة، وكأننا بالطبيعة الاستوائية تردهر ولا تحترم الحدود الفاصلة بين تلك وأخرى. حيث تختلط في الكيان الواحد حياة النباتات وحياة الحيوانات وكذلك حيوت البشر. وبالفعل. في بعض الأحيان. تبدو الأشجار أشباحا غريبة تغذت ليس فقط على الأطلال بل على أحلام الرهاس ورؤاهم وعلى حماس وحرارة المحاربين ويمكن أن يقال أن الأغصان الكبرى أو الجذور المكشوفة أو الحدوع نفسها تبكي أو تهدد بحركة غير واضحة صادرة عن عبيد شبه ملانكيين صعدوا من أعماق المحجر النباتي

وتأخذ هذه الأشكال (أشكال الأطلال) *figuiers des ruines* في تحريك الكتل الحجرية وهدم الحوائط وتدمر الكرائيش وتلتهم الأفاريز بما عليها من رسوم منحوتة والزروس الضخمة للإلهة التي تتوج الأنواب أو الأبراج. هناك الطحالب ونبات كثة المعوز *Liguen* التي تغطي الحجارة وتجعل من أشكالها وكأنها زنبكية وأكثر تعبيرا وكأن أحشاءها الصلبة أخذت تتحول إلى لحم نباتي. لا يتعلق الأمر بتدمير بل بنوع من التروم الذي يستمر يوما بعد يوم مثل أي مسار حي؛ ليس كل من دير تا بروهم *Ta prohm* أو براه كام *Prah Kham* حقولا مليئة بالأطلال بالمعنى التقليدي بل هي سلسلة

من انباني احية. قبيلة للسكنى فيها في الأعبس لأعم. وفي نهاية ذهبها انصوية بمكر أن يظهر الرهان. ولعلهم هم يظهرون رعم أنهم قد لا يعيشون هناك في ذبح محاور مشيد من الحشيش أقيم مدسوات قليلة يرتدون ملابس مذهبة ورؤوسهم حبيثة ولامعة. وهم بهذا يبدون وكأنهم تحليات ملائكية في نهاية صحور الأبرة. في بيت مساق نصيبة الكائنة بين الأعمدة أحيانا ما يظهرون فجأة وسط مسات ستي نسب مديرو. وكل هذا ضمع من ضوء أدر تلك البقعة من السحاب. ثم تأخذ كافة الأنوار في الانتشار بسبب هذه البضاعة ذات الحرارة المرتفعة

عبر أن وجود مرهم نيس ضروري. دلائر لدى تركه دلائل من مرهم سديم قموا. على ما يبدو شكل مدحى، بهجر معد ودية حوكور. نسبه لله وفتح ومسح على كنهه احمرية. ولا يبدو النضمت محم على دور لا يوجد من بوقلة موقلة أوري كنت احية ستي تحبه على مكر دور معبرة به من سوب صوب عرسة ومن أصوات الفردة التي تخرج على لأعصر. أو من ربح سمعية ربريد. وهذه نفوبه بحرق الصمت ونغمه واضح وكثيف مكنة ذات سيات حية بوق مفتح أوج نصيب ذي الحودة وهذه كنه عمليات سيات منة من حور ودمج و لأعصر أو مصوت أو انرايل ستي أنت على لسار منذ دلائل من ربح سديم دور

هناك حور من نورج وسط هذه الأعمدة. ربح دور احمرية ستي مكر تموت بين الأدرج الهرقية للأشجار ومند. سيات حية سفير. ستي عله اخذوع التي تتلوى تحت عن لنور وهي ا حية من سيات. سيمر بصرع. غير أنه بسبب التوتر الذي عليه محاربون به سيات من نورج. أوريه كنت معركة غير حثيقية ومنحبة ذلك أن كل سيات حية سيات. ومع باقي المعاصر الموجودة كانت العناية أحد المعاصر مدرجة في معاصره حية بلا درمر. وعلا ما كانت تحتل أغلب أجراء النكوبيات النية. وبسبب عمليات معنود Lamparos هناك توريقات باهتة.

هناك أيضا ما يسمى بـ apsaras. أي مراقصات هندسات. وسيتي تتحول في زهور يوما بعد يوم منذ أن تم تحتها في سلاسل زحرفية صحنه. وكان عصر استوائية حديثة

حيث نبت من الحذع أدرع المحاربين الذين يجاربون في صفوف جيش Roma. وعندما
قيمت الشرفة الرائعة المسماة 'شرفة الفيلة'، فحتى تتمكن خراطيمها من تحمل الوزن
بدي بوحدها فوقها التصقت كمسامير بالأرض وسبقت في هذا جذور الأشجار التي تشق
لهواء بشكل فيه سطوة حيوان مفترس وقبل ذلك بوقت طويل، أي قبل هجر أنجوكور
لحد أن الخبات. nagas، التي تقوم بدور الدرايزين الضخم الكاش أنام احداق أو أمام
سحيرات كانت تشبه الخدوع الممددة والمتوجهة بالخرصة البانعة وكأنها المروحة المكونة من
الرزوس المنصبة

أحرهم الرحال على الاسحاح إلى العبة. غير أن الأشكال النحتية لها، في المسقط
لرئيسي للأتراح. طل هناك شيء من أنها مستلهمة هناك كانت المعابد معزولة عن الغابة
حيث كنت على مناطق هرمية الشكل ومحاطة بخنادق واسعة، غير أن هناك لغة رموز تقوم
بدور الوسيط وعندما عادت العابة من حلال الصراع بين الشجار والكتل الحجرية أصبح
هناك تدح حيم كان ذلك مصير حقيقي. ولهذا لم تتأخر العابة عن أن تشعل ما كان لها
من حديد بعد عملية لطرد الأولى. خلال لقرن السادس عشر وعندما جرى اتخاذ قرار،
من يد الأوربيين. خلال القرن العشرين. بانقد أصل أنجوكور. لم يتحقق هذا الغرض
لأن شكل حربي ذلك أن الرحال لم يجرؤوا على كسر هذا التلاحم الرهيب بين الغابة
ونفسه

وما لاشك فيه أن الأنماط السبية ورموز سحنية وتنظيم الآثار لم تكن في حقيقة
الأمر إلا إبداعا شريفا، غير أن الإسار قد قصر على استلهم الطبيعة وكانت هذه
معاصر تعني نوعا من التحرير والارتداء للأشكال الطبيعية. إنها كانت تنطلق إلى الآفاق
بعاضة للماورائية وغالبا ما كنت تصمم في حواجزها المتاعب والآمال التي تغلج القلب
الإنساني. لكنها كانت ابنة الطبيعة وكانت هذه لأخيرة تشعر بأن من حقها المطالبة بها
كنت الطبيعة البكر تشغل مالها، وهو الكتل الحجرية والحدائق والبحيرات رغم أن هناك
وسيط دكي انضم إلى هذه الخطوات الخاصة بإعادة العزو. هناك الشكل الفني والمعنى
ومصمون الذي أعطاه الإنسان لتلك الحجارة والتي كانت الطبيعة الاستوائية تلتهمها في
عملية تشكيلها، ولكن دون أن تتحلى عن وضعيتها. بل إنها بلغت حد الكمال، وكان
لأشكال الفنية التي خرجت من بين يدي الإنسان من حلال الحجر زودتها بصورتها النقية

والمثالية والثرية بالمعنى الخاص بفكرة أفلاطونية ويدخل في هذا أن قلب رحل الآثار
استسلم أمام هذا المشهد العجيب .

وإذا ما كان مسموحا للمشاهد أن يطوف بكافة الأماط الهلنستية المألوفة لفهم
المشهد، فبعد عن الأفلاطونية، فما عليه إلا أن يلجأ إلى ما يقدمه لنا التراجيديون
الأثينيون . وعلى شاكلة ثلاثيات إسكيل I-squilo، نجد أن الصراع المأساوي الذي تمثله
الأشجار والأطلال ينتهي به الأمر إلى التصالح وهي مصالحة تفرق قلب الرحالة بورع
غريب، إذ بغض النظر عن المشاعر التي يحس بها فإن النتائج تبدو وكأنها عملية صعط
خارجي، تتسم باللبونة لكن مستمرة، تؤثر في الأساس على حسده يعتبر الرحالة نفسه
مستغرقا في جو كأنه الفردوس على الأرض إنه فردوس غريب يتحاور حدود الراء،
حيث كان يمكن أن تفتقر خطيئة الكرياء الإنساني من خلال هذه المدحة الديونيسية . ولكن
في حجم الغابة الاستوائية والآثار التي يقيسها، ولا يقتصر الأمر على العمران بل بقوله،
وأنه ابن الطبيعة التي تتدى أكثر قوة وأكثر حكمة فوق الأطلال، وكأن المعامرة الإنسانية
قامت بدور الإغلاء من شأنها، رغم فشها

ورغم وحود الكثير من الأطلال لا يوجد في العالم حوض أحسن، فذلك أمر قد
مضى، أو أنه، بمعنى أصح، عدا إلى صدر أنه يرتفع من يوم من الأيام مخلوقات جديدة
أكثر تميزا، أي سورمات على طريقة سنه وفهد، ذلك حوض سلام والورع، يساهم
فيه رجال الدين الذين يحسبون يهدوء على لسانهم وقت حلول المساء، كما أن غمائل يودا
المتحفظة تظهر في ظل المعابد ولا يكاد يؤثر عليها شيء من سموم بقعة هناك أيضا الحماموس
الذي يلتقي بنفسه في مستنقعات القصب والعصفور من يوم يسر اندلج لتي النصقت بمؤخرة
الجاموس . وهناك الباعة الحائنون الذين يجرحون لاستماد من وراء الأشجار الصخمة دون
أن يفرغوك أبدا رغم أنهم يعرضون عبيث سنكين ذات اتصال لامعة في أماكن معرولة
وهناك الشباب نصف العرايا وهم ينتظرون أن تتركوا الدرابزين المحيط بالبحيرة الملكية
ليستمتعوا بالغطس في مياهها

XIX - ملكية الغابة

لا يمكن للخرائط والمخططات والصور أن تؤدي إلى الخروج بانطباع عما عليه أنحوكور، والرحالة يحمل في ذاكرته البصرية صورة معبد أنحوكور بات، ويعرف من خلال قراءته أن هناك المزيد من المعابد لكن لم يتمكن من تكوين فكرة واضحة عن عددها أو عن أهميتها. فقد كان على كل ملث أن يسي معبده الجديد، وهو معبد لا تطرأ عليه تجديدات كبيرة. كما يصعب تجديد ما من خلال إعادة تصورها بمعنى أن هذه المعابد ينظر إليها على أنها وحشيات طر متبعة بلاثر نفسه. وهذا في حقيقة الأمر عبارة عن سلسلة لا تنتهي. من الضروري رؤيتها حتى ينتهي الأمر بمرء إلى تكوين صورة عن وجودها المكثف؛ ويحدث الشيء نفسه مع أنحونظ التي لا نهاية لها التي تحيط بالمدينة الملكية أو الأديرة أو المتعلقة بالبحيرات والحرارات المنحصصة للرعى

تبلغ مساحة المدينة ملكية أنحوكور يوم 110000 أ. تسع كيلومترات مربعة. دون أن ندخل احتادق في هذه المساحة وهي من مائة متر عرضا وتحيط بالمدينة من الأصلاخ الأربعة في مسار يبلغ تسع عشر كيلومترا. وسرى 14.000 العربي هو بحيرة صناعية تبلغ مساحتها كيلومتر، من الشمال إلى الجنوب، وسبعة كيلومترات من الشرق إلى الغرب أما بحيط معبد أنحوكور بات فيفصل إلى ثلاثة كيلومترات ونصف وعن السكان الذين كانوا يقبضون في تلك المساحة الضخمة يمكن أن يكون فكرة من خلال الوصف المحفوظ في نابرهم Ia Prohm حيث يشير إلى أن المعبد كان به النار وسعمائة متلفا و ٢٢٣٢ مساعدا إضافة إلى ٦٦٦٢٥ رجل وامرأة كانوا يعملون في خدمة الآلهة وفي إحدى الحملات الليبية جرى استهلاك ١٦٥٧٤٤ شمعة

وبالنسبة لحجم الأطلال وصل إلى درجة أنه في غضون ثلاثة أيام جرى التطواف بسرعة بها في سيارة. لكن من غير الضروري أن يطوف بها الرائر حتى يتوفر على الإحساس بما هو كولونيالي، فكل واحد من الآثار يتجلى بنفسه وليس فقط من خلال كتلة البناء بل أيضا من خلال المعنى المقدس الذي إليه ينسب. والمعبد نفسه يريد أن يكون ميرو Meru أو كايلاسا Kailasa، أي الجبل الرئيسي في العالم، ويقيم أبراجه، مثل قمم أخرى كثيرة، من الكتل المقدسة الموزعة على شرفات كثيرة تذكر بالمناطق المختلفة للإقليم العلوي للكون، وهذا ما يتضح ببداهة من خلال المحاور الأفقية والرأسية للبناء وتوجهها نحو الجهات الأربع، أي القمة والنظير (السمت). وحول المعبد هناك السور الذي يتبدى على أنه cakravala، أي السلسلة التي تحيط بالحبل المركزي للعالم، وخلعها تمتد الخنادق تشبه مياهها التي تغطيها زهرة اللوتس المقدسة مياه المحيط الذي يحيط بالعالم. هناك أيضاً الشمس والقمر والنجوم ضمن البناء حيث يفترض أنها كلها تدور حول الميرو، (الجبل الرئيسي).

ليس من الصعب أن نؤمن بوجود صورة المحيط الأساسي في أنحوكور، فعلى بعد عدة كيلومترات من المعابد نجد مياه خنادقها تتصل بمياه "البحيرة الكبرى" أو Ionle Sap، وهي البقية الباقية من ذراع للبحر تولت رواسب نهر ميكويح فصله عن المحيط، لكنها لم تتركه يموت بل العكس إذ تزود بحوية غريبة تفصل الفيضان وهبوط مستوى المياه في مجراه طبقاً للإيقاع الأقصى للرياح الموسمية. تشكل البحيرة الكبرى واحدة من الظواهر الطبيعية الفريدة على ظهر الأرض إذ أنها عبارة عن رنة من مياه تكمن شواطئها أو تتمدد حتى تصل إلى مكان قريب من أنحوكور من خلال التذبذب الناجم عن الإسهامات المائية بالزيادة أو النقص في مياه نهر الميكونج. هذه الظاهرة الهيدروليكية العربية التي تُرى مصحوبة بظاهرة بيولوجية ليست أقل منها غرابة وهي ثروة سمكية في مياه البحيرة، حيث كانت عنصراً حاسماً في تطور حضارة كمير (الخمير) Kmer، استناداً إلى المشاهد المنقوشة على أفاريزها واستناداً إلى الأهمية، التي تصل إلى درجة الهوس، التي عليها المعبد الجبل

يمكن أن يفهم بسهولة ذلك الطابع المقدس الذي عليه الجبل بالنسبة لسكان بلد سهلي، تغمره مياه البحيرة الكبرى التي تفيض، وحيث أيضاً لا تفيض، حيث يتحول إلى بركة من جراء الأمطار الموسمية، التي تجعله مناسباً لنمو النباتات وللحياة الحيوانية. تزدهر الأشجار الكبرى

التي تغمرها المياه التي تجعل من كمبوديا بلدا شبيها بما تفتنى به رامبو . ملينا بالسموات الملبدة
وهنا فإن الفيل واحية هما من الحيوانات الأكثر تمثيلا لهذه الجغرافيا الغريبة . وهي التي
تجدها في معابد أنجكور . وهي توجد في الأعلى وفي المناطق الحافة . على المعابد الجبل أو على
المسور والطرق التي تقود إليها . وهنا فإن المتهوم الأسطوري القديم للعالم على أنه جبل يبرز
من بين المياه الأساسية كأن شيت يدركه جيدا ذلك الذي يسكن في إقليم أنجكور عما بعد عام .

ولهذا السبب نجد أن تطور العمارة الدينية يدور حول فكرة المعد الجبل . أي أن
الشكل الهرمي القديم يحل بسيته الهندسية محل الواقع الطبيعي . وفوق هذا الواقع تقام
ماني ذات قباب تمثل رمزا لتمام جبل العلم . ثم يأخذ عدد هذه القباب في التكاثر بمرور
الزمن وتتعدد نيتها العامة حتى ينتهي بها المآل إلى ذلك التوازن المعقد المكون من شرفات
وأبراج وسلالمة ودعا ليز . الح . وهذا ما يشهه التعبير عن الإعجاب به في أنجكور .
غير أن التعقيدات المعمارية التي عييف معد لا تحول دور التبسيط الطبيعي للرموز الأساسية
له ودور فهم ثقافته . الإستراتيجية السخنة معبد سور المعماريون kmets (احمير) ثقافات
بها الكثير من حيل فهناك طريقة تركيب حجارة فوق بعضها وما يعزبها من حواب
فصور حيث لا يوجد انساق بين سكن حجرة وبين شكل المعماري . كما أن ساء القباب
به يتجاوز أدا ثقافات الهندسة

ليس الضروري أن يكون . . . حتى يلمح حواب القصور المذكورة . إذ
بسطها ووضوح حبر سماء دور الذي مواد للربط على الشاف
والذي يرجع إلى المعصور لأوسه ثقافتها ثقبة بناء
الثبات كانت غير كافية حتى ثمر ساء أمام الهرم إلا أن يفتح
نفسه محرى آخر . وعند مقاربة هذا الحبر عليه فحات 'القطرة'
ومما هو موحود في أماكن أخرى كـ إدراك ذلك التوحه التقني
لعربي منذ قديم الأزل

لكن ليست هناك علاقة قوية بين ثقبة ساء وبين ثقبة نسبة لمسي ما . وبصل الأمر
في هذا المقام . في بعض الأحيان وإذا ما كان المعماريون الخمبر
قد برز على إقامة قباب مثل تلك التي توحده في 'الصريح' أو في 'سنا صوفيا' أو قبابا مثل

قباب كاتدرائيات جيورنا أو بوفيه beauvais لكان التاريخ العالمي للفن حُرِّمَ من تلك الحلول المثيرة للإعجاب والتي جرى تقديمها من خلال تقنيات بسيطة لمواجهة المشكلة التي تعترضهم، وفي إطار جوانب القصور في تقنية القباب في المنطقة الاستوائية وبالتالي بندرج القصور على الارتفاعات الداخلية، فإنها ليست قصوراً بهذا المعنى وإنما نتيجة طريقة خاصة يتسم الإنسان بها في هذا المكان تتعلق بالشعور بأنه من سكان الأرض، فالمنزل بالنسبة له ليس إلا مقاماً مؤقتاً وعارضاً، وبالتالي فإن محاولة تحويل منزل إلى مقر إقامة ضخمة للآلهة وإدراج القبة العادية لتصبح كأنها نخل محل القبة السماوية هو أمر لا يمكن تحبُّله وقوله

من الواجب في حقيقة الأمر أن تكون في المعابد فراغات معمارية مغلقة، لكنها صغيرة وفي الطل وكأنها على شاكلة كهف في الخلل ليس الأمر عبارة عن استعارة بل معاشة أسطورية محددة للعبادة إذ أن أول شيء نخذه في معبد للحمير kmer هو رمية الجبل "ميرو" بقممه المختلفة، أما الثراع الداخلي لمصنعي ليس إلا مكاناً تم حفره فيه.

لا يوجد في تلك المعابد الصحمة والمعقدة من تلك التي ذكرناها أي تكرار غامض، ولا يوجد الشيء نفسه في كاتدرائية، أي أن العناصر الكوبية المختلفة في اتساق إيقاعي داخلي ويكاد يكون موسيقياً، والشيء نفسه بالنسبة للمعبد الحميري حيث توجد متسقة في هذا الإطار لكن هذا فقط في الشكل احرشي والتشكبي. فصحح التوصل إلى حل يتجاوز إمكانيات الفن الغربي، الذي يعني في المقام الأول بالمرعات الداخلية منذ أن ظهر الخماس خلال العصر القديم لبناء القباب وفي مواجهة المبدأ بعربي في التنظيم الداخلي للمبنى المقدس. نجد في أنجوكوريات أن المبدأ الهندي احاص بالتنظيم احرشي يصل إلى ذورته.

ومن حيث التوازن هناك تقابل وتكامل: فمن ناحية هناك لأشرطة الأفقية للشرفات والدهاليز بأعمدتها وأسقفها؛ ومن ناحية أخرى هناك الكتل الرأسية للقباب في شكل عمامة tiara. كما أن هذه الكتل تتسم بالتوازن الكامل فيما بينها حيث يتجلى مقياس البناء المركزي من خلال صور مصغرة له في مستويات أدنى تدريجياً وكذا في أركان الدهاليز. كتب برسي براون في "تاريخ العمارة الهندية" (١) عبارة عن طلاقة بين الأجزاء

(١) تاريخ العمارة الهندية، بوماي، ص ٢٢٠، ورد من خلال سيامير روبرت الفن والعمارة في الهند، بلكنة سلسلة درج الفن، ص ٢٣٤

والكن. من حيث الحركة الإيقاعية لمفهوم كامل، وفي كلمة موجزة نجد أن أنجوكوربات ليس لها مثيل إلا نادراً بين الآثار في معرض إيقاع بنائها articalacion. لكن الإيقاع الخاص بها ليس ذاتياً وهندسياً وإنما هو صوفي تجريدي وكأننا في حضن كائدرائية قوطية دون إيقاع خارجي وكوني. ولا يشمل ذلك العالم الذي نعيش فيه بل الكون بأسره.

وعندما ترك البشر مدن أنجوكور ونفذت الطبيعة إليها وجدت كل شيء مُعداً لإضفاء الطابع القدسي النهائي والماورائي والذي يتجاوز الحدود الإنسانية أي أنجوكور الغاية فوق المعابد. وهنا فإن الأرض تحت القبة الحجرية كانت تشعر بالألم لفاذ الجذور من خلالها. وتتحول السرفات إلى حدائق رائعة. وتتكامل القباب من حيث رمزيتها عندما تحمل فوقها شجرة استوائية بضخامتها لتبدو كأنها "شجرة العالم" التي تتوافق في الـ Upanishad مع البراهما Brhma

نجد أيضاً أن الرخرفة بها الرعشة الكونية. وهي عبارة عن زخرفة خارجية في المقام الأول. في شكل أفاريز طويلة داخل دهليز ضيقة تقوم بدور حمائي لها أكثر من عزلها عن العالم الخارجي. أما المشاهد المتنوعة فعادة ما تكون مشاهد حرب، إلا أن الغاية حاضرة بشكل شبه دائم. وكذا قوة العضلات والرحوه والقسوة نفسها التي هي طابع المعارك والاستشهاد والذي يطبق على الأسرى. تنسم كلها مذاق وحشي طبيعي.

الطابع الكوزمولوجي (الكوني) يتسبى بقوة في أنجوكور. وهو طابع مرتبط بالينولوجيا الهندية والآلهة والسياديين. ومن خلال الأفاريز المكرسة لذلك نجد أنها عبارة عن قوى طبيعية رمزية تجسدت هذه القوى في سلسلة من التماثيل أمام الأبواب الكبرى، وترتبط، المرة تلو الأخرى. بالحبة ماسوكي Vastuk التي التفت حول نفسها على جبل مندرا mandara وأخذت تجذبه نحو "حر اللب". كما أن المشاهد الحربية هي أقل واقعية من تلك التي نجدها على الأفاريز الأسورية وكذا المصرية التي تنسب إلى الدولة الحديثة. وبعد الحديث عن الموضوعات المصورة بشكل قوي نجد أنها ليست الحملات التاريخية بل عبارة عن حملات أسطورية قام بها جيش روما وجيش كرشنا. ويحدث الشيء نفسه عند تجسيد أحداث حياة الملك. حيث أن ما يهم فيها هو مدى علاقتها بالأساطير وانخراطها في إطارها.

لم تكن حضارة الخمير محاطة بحضارات حربية أخرى مثلما حدث للأشوريين أو
الحثيين أو المصريين، حيث عاشت هذه المناطق توترات قوية في عالم شبه واحد ودينامي.
وبالتالي لم يكن هناك أي مجتمع من مجتمعات الجوار بقادر على أن يضارعها أثناء قرون
ازدهارها، كما لم تكن هناك أيضاً في تلك الأصقاع شعوب رحل قادرة على تهديدها،
فالتحديات مصدرها الأساسي الطبيعة وليس الإنسان. الأمر الصعب في إقليم أنجوكور
كان ببساطة، وهو وجوده، أي أن يتنفس وسط ذلك البحر الطيني المتلاطم ويدافع عن
المدن حتى لا تفرق ويحافظ على المياه للإفادة بها وقت الحفاف والدفاع عن نفسه ضد الغابة
المستعدة دائماً للاقتضاض على الحقول الزراعية، والسيطرة على هذه التتمة من الحضارة
فيما لو أهمل الإنسان أداء مهمته.

هذه الملحمة التي تنطق بها المشاهد على الأفاريز وعلى الأبراج والأهرامات والمعابد
الكاملة في أنجوكور تعتبر نوعاً من الملحمة البشرية الكوبية أكثر من كونها تاريخية. فحقيقة
الأمر أننا لا نرى الحضارة التي نشأت منها معابد أنجوكور، أي أنماط التفكير والأدب
والعلوم وطرائق العيش هذه لا نهمنها، أو بمقوية أدق، ندو وكأنها لم تكن موجودة إلا
في إطار الإسهام في بناء آثار. ولو لم تكن هناك لأصلال لكان من الصعب أن نعرف شيئاً
عن تلك الحضارة وهذا أمر أو حكم سببه في إطار العاصر الخاصة التي أدت إلى
وجودها، إلا أن حضارة الخمير لم تتجاوز إطارها في السبل والمكان^(١) ولا حتى بلغت في
داخله قوة روحية أكثر من تلك القوة اللارمة لسكيا وحيودها تتسم المعتقدات الدينية
المرتبطة بمعابد أنجوكور بالبساطة، وهي تكرارية واوية لدرجة تدو معها متوائمة تماماً مع
الحجر، ومن هنا قوتها الرمزية وعظمة كتلتها.

وجد مجتمع الخمير نفسه محمراً على تحمل أقصى الصعوبات السياسية التي عرفتتها
جماعة إنسانية وخاصة خلال الألف سنة الأخيرة، في سبيل أن يطلق الحجر بأنشودته
الرائعة. والسبب هو أن السلطة السياسية نادراً ما بلغت درجة فرض استبداديتها المطلقة إلا
في كمبوديا القديمة، ولم يقتصر الأمر على البشر وإنما شمل ذلك الطبيعة أيضاً.

(١) تاريخ العمارة الهندية، بوماي، ص ٢٢٠، ورد من خلال بيامين رودند الفس والعمارة في الهند، بليكان،
سلسلة تاريخ الفن، ص ٢٣٤

وفي الشرق الأوسط القديم نجد أن الملكية قامت هي الأخرى بوظيفة كونية إذ كانت حصر الصلة بين النظام الاجتماعي ونظام الكون لكن وظيفتها في حضارة الحميز (الوظيفة الكونية) أكثر مداعة وحسماً لا يقتصر الأمر على النظام الملكي في إحداث انسجام بين نظام الطبيعة والنظام السياسي بل هو من ضلع في بذل جهد تنظيمي يتعلق بالطبيعة نفسها لنفي تخنى في أنماطها الحبوية والقوية تحيط بالحصارة التي كانت تمثلها ومن هنا كان نقديس الملكية في معابد أنخوكور طابع عبر مسبوق، يتسم بأنه أكثر قوة مما كان عليه في مصر رغم وجود خمسة آلاف عام تفصل بين حضارة وأخرى.

كان طقس "ديباراخا" Devaraja يتطلب التعبد إلى لنجام (Lingam)، كمعصر جوهري، وهو المركز الدكوري Lalico لتسيبا، ويدخل في هذا تداخل رمزي للشجرة ومحور الكون ومن هنا يتم وضعه في مركز الجبل المعبد من حيث أنه الأمفالوس omphalos الكون. تلقت الملكية الحميز نوعاً من القدسية بهذا الشكل وهي أكثر ديامية وحبوية مقارنة بأغلب الملكيات المحاورة لها أما الفراعنة والأباطرة من السريان أو الفرس، ومعهم أناصرة الصين والبيات كنت لهم صلة بالقوى السماوية ذات الطابع الرصين والدائم، ارتبطت مع حميز بشكل حيوي بقوة إلهية حيوية ومأساوية كما أنها نظية لاستوائية

كانت ملكية العانة وملكبة القسعة سدسة وعبر الرحيمة والسديدة الكرم، وهي ملكبة التي تنعى بها الأفاربر والسائن والامات والقباب التي لا تخصى التي ترمز عما بهام شكل عمامة قمة حمل المبرو ان استن السبي أنخوكور فهو اخذ في السماء ويتحول كل يوم إلى غط أكثر تخنية وأكثر مارونية حتى سمي به الأمر إلى نوع من التشعع الرائد في الأشكن والرموز التي تصل إلى أعلى حاسنها Bayon

تبدو الخواطر والأعمدة المربعة والأنواب احاصة بهذا المعبد وقد عظمها الحونن، كما أن القباب نفسها التي يبلغ عددها ٥٤ قبة، تحولت إلى ثمانية هالك أربعة نعة كرى في كل واحد منها للبوديستبا Lukesvara حيث تعبد إنتاج الصورة التي نوحده في القبة المركزية والتي تكررت أيضا أربع مرات أخرى في كل واحد من الأبواب الكبرى التي تفتح وسط الأضلاع الأربعة للمدينة الملكية.

كانت تقوم بالوظيفة السحرية المتمثلة في إعلان جوهر السيادة، والسلطة الدينية لـ Devaraja من كافة زوايا المعبد، ومن أبواب مقره وتجعل ذلك ينتشر في كافة أرجاء المملكة والغابة. كانت ملكية مرتبطة ببهجة فنية حقيقية. وحتى يمكن الوصول بالأنشودة العظيمة لأنجوكور كان ما بقي هو أن تقدم الغابة نفسها في المعابد.

XX- سيام أو الاستقلال في المنطقة الاستوائية

بتمتع ذلك البلد الأسطوري، سيام، بميزة ملحوظة وهو أنه تمكن من الحفاظ على استقلاله طوال القرن التاسع عشر والقرن العشرين دون أن يسقط تحت سيطرة القوى الاستعمارية الأوروبية. إنها مبررة، ترجع في الأساس، إلى السمات الحربية والمدنية التي عليها مكثها الدين استطاعوا المدورة تمهارة وسط الميول الأحنية، كما نحجوا في الوقت نفسه في ثني عدد غير قليل من انتقبت وأنماط احياة في الحصارا الغربية سيرا على النهج الياباني.

كما كانت لكثرة الكثرى التي حثت بالبلاد في نهاية القرن الثامن عشر، أي عندما قام اعرافا الرمايون تدمير مدينة Ayutthaya، وكذا التنظيم السياسي التي كانت مركزه مما أحر على إعادة بناء الدولة من خلال أسرة ملكية حديد ونوحهاات مختلفة، نقول كانت الكثرة سسا في دفع تابلاند مواجته مسكن لتوسع الاستعماري الأوربي في ظل ظروف أفضل مما كانت عليه دون استوية حسنات نفسة وعقليات سياسية متهالكة. يجب أن يصح في لحسان أيضا حظ جيد بلاد حتى يدرث وصعها الفريد خلال الفترة المعاصرة، نسي أن يدرث تصارب المصالح الاستعمارية من فرنسا وإجلترا، إذ صدقتا عام ١٨٩٦ على معاهدة لضمان استقلال سيام كدولة مستقلة من الهند الصينية والهند البريطانية، حتى لاندحل القوتان الاستعماريتان في صدام

وحقيقة الأمر أن هذه المعاهدة التي تمت التي ترجع في المقام الأول إلى المهارة والحسن السياسي الذي كان عليه شولالونجكورن Choulalongkorn (راما الخامس)، أدت إلى تحيد وسط سيام، حيث اقتطع منه خلال العقد الأول من القرن العشرين خمسة وستون ألف كم^٢ من الأراضي المجاورة للمستعمرات الفرنسية والإنجليزية. لكن المعاهدة المذكورة ساعدت على إنقاذ ما هو جوهر في البلاد حيث تهيأ الأمن ليقوم بمهمة غربنة مملكته قام

بالعديد من الإصلاحات وألغى العبودية وأنشأ مجلساً تشريعياً وحكومة أقام خطوطاً للسكك الحديدية وخطوط تلغراف وأقر نظاماً حديثاً للاتصالات التلغرافية وأقر قانوناً جديداً للعقوبات. اقترب النظام القانوني للبلاد، من الأنظمة العربية مدرجة كبيرة حيث لم تتأخر كل من إنجلترا وفرنسا من تقليل مزاياه خارج الأراضي.

وفي هذا السياق، أي تحت بنية علوية ذات طابع عربي، يحج الملوك النابليون في إنقاذ مجتمع السكان الأصليين والحفاظ على أطماع حبانهم ومبولهم وعاداتهم. إنها حالة فريدة في المنطقة الاستوائية الآسيوية، وسرعان ما يدرك الرحالة الموقف من خلال الكيفية التي ينظر بها إليه السكان الأصليون حيث لا يرون فيه ذلك الأبيض الاستعماري أو ورثته بل يرونه على أنه عضو في مجتمع وأنهم لا يشعرون بأية عقد نقص أو عدوانية نحوه بنفس النظر عما عليه من فضائل ونقص. إنه موقف فيه كبرياء وفيه ثقة بالنفس وفيه لطف من قبل السكان الأمر الذي جعل إقامة المرء طيبة في ماكونك.

تسهم الثروة الطبيعية في البلاد الكبير أيضاً وهي العدد غير المبالغ فيه للسكان وكذا حفة وطرف المنطقة الاستوائية، حيث تجد لسوق الأسواق نى يهوى، مطية العيش الشديدة القرب مما يفترض أن الفردوس على الأرض موجود، ولهذا فإنها كانت قابلة للاحتراق فمن المنطقة الاستوائية بدأت السفرة الأوربية في السرة الحديثة وفي القديمة أيضاً، فهام البرتغاليون والأسبان والهولنديون وسائر الدول الأوروبية كل يتيم إمبراطورته على هواء فوق الصحرة المرة في المنطقة الآسيوية، وسبحون في الإبقاء على هذه الإمبراطوريات حتى وقت قريب، وفي الوقت نفسه الدوليم الدافئة في آسيا، من تلك التي تتمتع بتطبيقات سياسية أكثر ثباتاً وشدة، تقوم على فصل المحاولات الاستعمارية للنفاذ إليها لكن كان هناك استثناء في الهند الآسيوية، وهو عبارة عن واحة للحربة للسكان الأصليين، وذلك حتى يتمكن من التعرف على أندية حيوات الأفراد والمجتمعات الشديدة الاختلاف عما عليه المجتمعات العربية والتي تمت في ظل ظروف جغرافية مناسبة ومنها سهولة الحصول على الثمار الاستوائية.

يجدر بنا أن نتأمل تلك الأقطار من خلال اجوانب المختلفة للحياة، أي كيف يستحمون وكيف يقودون سفينة وكيف يتزوج ملوكهم وكيف يتزهون ويشاركون في الحياة العامة التي عليها الرهبان.

يبدو أن البوذية أو الهندوسية أو الإسلام، في كثير من البلاد المستعمرة، تعيش في ظل ما هو قديم وغير متطور عندها، بينما نجد أن أنماط الحياة الحديثة ذات الأصول الغربية والتي تقدم لهم بشكل دبوي بالكامل ودون أية خلفية دينية، تبدى وكأنها تطفو في فراغ روحي. وكأنها شيء مادي سوف يؤول به الأمر إلى تدمير المعتقدات الدينية التقليدية والوعي الديني كفة. وهنا فإن البوذية، التي تنبج في الأساس إلى إبعاد المؤمنين بها عن همومهم الدنيوية، هي دبابة تتعرض في الأساس لهذه التأثيرات المدمرة، وتقدم نفسها غالباً على أنها التعبير والصمان للهدوء الاجتماعي.

إلا أن البوذية في سيام تبدو وقد اندمجت في الحياة الحالية للبلاد، فلم تنكمش في أعماق المعبد القديمة بل هي نوع حي وشط في مواجهة مشاكل العصر. وهنا يمكن مشاهدة الرهبان الودير في كل مكان برووسهم الصغيرة واللامعة ومبولهم لارتداء لون يثير الحيرة ومن الصعب تحديد هويته، أي بين السيموي والرعتراني يسبرون حفاة وقد علقوا شطهم التي يلقون بها الصدقات على الكتف ويعبر وجوههم تعبير يستحود الإعجاب هو الزهد والنمغ لكن فيما يتعلق بشكل الشظية وطريقة السير على الأسفلت هناك شيء يمكن أن نستشفه بعمق بقدرتهم بالرهبان الفرنسيين في أمريكا الشمالية إذ أنهم رعم القماش الصوي لخن الذي يرتدونه وكذا حرمهم التي حاح من شط الرمس ودور التشكيك في وفائهم للعهد بفسيس أسيس ١٩١٨ يحملون بضمة نصف حدة لأمريكية American Way of life

لا شك أن متارة مبالغ فيها، فمن خلال حساسية والرهد الفرنسيين تأتي الكثير من ملامح روح احداثه، اما لوديه ثم ديت على ما لدت عليه متوحة نحو مسار مختلف جداً وهذا فإن لون التوجه الودي يعبر عن ديت بوضوح، فلا يمكن لراهب مسيحي أن يرتدي مسدلاً له مغزى روحي وله رمزية في لاسرق للروحي كما لا يجوز على ذلك أيضاً حتى في ظل طقس ديني غير عادي فالعين العربية لا تمثل باللون الذي تمبل إليه البودية اللهم إلا إذا كان متعلق بملابس خاصة بالمناسبات الكبرى مثل العاءات الواسعة، واحلل الخاصة باحتفالية الكلاب dogo الفينيسية والمعاطف القصيرة لبعض الآلهة المينولوجية

وفي واحدة من تلك المناسبات الشديدة الخصوصية نجراً الجريكو أو تيزيانو أو بوسين Poussin على استخدام ألوان مشابهة لتلك التي نراها كل يوم في شوارع بانكوك من

خلال ملابس آلاف من الرهبان البوذيين. كما أن الأمر له أهمية حاسمة. وفي هذه الحالة فإن العادة أو الميل ليس هو ما يقولب الراهب بل يشمل الأمر المجتمع الذي إليه ينسب. هذا الميل الرائع يعبر لنا عن أن الحياة الدينية البوذية لها بعد حميم جدا وشخصي. إنها تبحث عن الرضا خارج الحياة وعن الإشراف الصافي للضمير وذلك من خلال النتيجة القائلة بأن الراهب البوذي هو عنصر أقل دينامية بالنسبة للحياة الاجتماعية من الراهب المسيحي وأنه متسول سواء على مستوى الحياة الدنيوية أو على مستوى الحياة الآخرة.

ومع هذا فإن رجل الدين في شوارع بانكوك له سمة أخرى غير تلك التي يحدها فيه في المدن التي خضعت للسيطرة الأوربية، فهو هناك يبدو على هامش المجتمع الحالي. ومجرد مسؤول، يسير على السمط القديم، تابع للمعابد القديمة وعصو في طبقة اجتماعية وثقافية مدفونة تحت تلك التي تحدها الإدارة الأوربية، أو مسموح بها في إطار نوع من الأبوية الفلكلورية. غير أن عكس ذلك هو ما تحده في بانكوك حيث الراهب هو بطل كامل سواء في الحياة التربوية أو الاحتفالية سواء كانت دبية أو أخلاقية في البلاد. وفي هذه الأديرة التي لا تعد ولا تحصى في بانكوك نجد أن ما قدم لا يقصر فقط على التربية الدينية بل يندرج أيضاً على التعليم العلماني بالنسبة لقطاع كبير من البلاد. هناك نصف مدارس الدولة مقرها الأديرة حتى عام ١٩٥٠ م، وفي أيامنا هذا أكثر من الطلاب الجامعيين وهم أكثر بكثير من الدول الأخرى في جنوب شرق آسيا. يعيشون في هذه الأديرة وكأنهم مقيمون أو في مدارس داخلية.

وبالنسبة للقانون السويدي (allmog) الذي علم على كل ذكر أن يعيش حياة الراهب على مدار شهرين على الأقل طوال مدة إقامته. سم تسميه حرباً في سيام، وعلى هذا فإن الأغلبية الساحقة من الناس ارتدى العباءة الذهبية وعاش حياة الرهد والمسكنة الديرية هناك الكثير من الرهبان الذين ممر بهم في الشارع أو هؤلاء الذين يتحدثون وهم جالسون على المقاعد المتعددة الألوان إلى جوار المعابد، ينتهي بهم الأمر منذ قليل بتقمص العادات ثم يتخلون عنها بعد وقت قصير. لكن الأمر بالنسبة لمن يراقب المشهد هو أنه من المستحيل تمييزهم عن المبتدئين الحقيقيين أو عن هؤلاء الذين قصوا أعواماً طويلة يعيشون حياة الرهبنة. هناك تداخل حميم بين المجتمع المدني والمجتمع الديني وهذا أمر يبدو على الأقل

من وجهة النظر الغربية - من المستحيل رصد حدوده، أي الحدود الفاصلة بين الجدي
سنجد والجندي المحترف

ولما كانت بانكوك تأسست مع نهايات القرن الثامن عشر فإن معابدها وأديرتها مبان
حديثة، أقيمت في ظل أسلوب تقليدي مشرقى شبيه بالأسلوب القوطي الذي يرجع إلى
القرن التاسع عشر - أو أنها مشيدة بمواد وبأسلوب غربيين الأمر الذي يذكرنا بكنيسة
"القلب المقدس" في باريس، أو بآثار أخرى نمطية في إطار العمارة الدينية في الغرب. من
الداخل، هناك بعض المعابد المضاءة سيرا على متطلبات الإنارة المعاصرة كما أنها مزودة
بوسائل اللازمة من أحل تدرج الحرارة والمقاعد المريحة التي تثير حسد وغيرة أي قس
حناني كما أن التراتيل التي يترنم بها الرهبان تتسم بطابع يجعلها تبدو وكأنها صادرة عن
درش بلجيكية

يتولى الشعب والطقس القدرة ولتح حماية المقدسات الدينية وعندما بدأت الأسرة
سكية تذكري، ساء لدولة السيامية على أسس حديثة مع مطلع العصر الحاضر، وقامت
في وقت ذاته بإدخال إصلاح سياسي وادري بدلت جهدها في هذا المقام بالنسبة للرهنه وباقي
الهيئات احصاة بديانة بودية، حيث سكن دمجها بشكل حميم في الحياة العامة للبلاد وعلى
إيقاع الذي كانت فيه بدون لاحد من ضمن تحت من السيطرة الأوربية أخذ قدر الملكية
لسامية يرتفع ووصل الأمر إلى عتباتها من حيثها معه عن الإيمان

وحلال ثلاث مرات على مدار العام، تبدأ موسم الأمطار والحر والبرد، يصعد
ملك سيام إلى المدح الكبير لودا اسمه في جميع سلاسه طبقا لمطلبات الطقس ونحت
مدح، عن البمين والشمال، هناك قدر من ١٨٤١٨٨ وكذا ساعة تحليلية إنها هدايا
لديها مليون الثالث والملكة فيكتور حيث من مواطنون التامعون لكل طرف ينظرون إلى
عضهم البعض من خلال حدود سيام، دون أن يعرفوا على احتبارها بسبب الخوف المتبادل،
الهم إلا إذا كان في شكل ضغوط تتعق بهذه الهدايا

ومن بين هذه الهدايا هناك عملية إرسال مجموعة من المعمارين من ذوي الخيال
لوسع واحصر الفكاهي وذلك لمساعدة الرملاء من السكان الأصليين وكذلك القادمين من
"العالم السماوي" في إقامة قصور ومعابد في العاصمة الحديثة للمملكة، ومن المستحيل

تصوّر وجود مجموعة من الماشي المتعددة الألوان والمثيرة مثل تلك التي يتكون منها معد
"بودا إسميرالدا" B. Esmeralda وماقي المعابد و estupas والمحسات والذهالير الكبرى
والمنشآت من كل صنف وهي التي تتجاوز وسلاصق داخل المقر المقدس المحذور للتفسير
الملكي الكبير في بانكوك هناك تراكب للأستيف ذات الأحياء المتضرر والتي تنتهي بـ
'holas' متحدية الأرواح الشريرة بحركة سبب إلى عالم مصارعه الثيران هناك مساحة
بين عباآت رجال الدين الذين يتحولون في هذه الأماكن ومن ماء الذهب المذهوبة به
الأبواب والأعمدة، وبين قطع النور سلس المسائرة و"الكشنة" في ملابس الحاكس B. Esm
العصلاق" في إير estupas

[illegible]

ومع هذا الحد كبر ذلك حقلها في ...
حرى ترميه عبادة وثقة على يد لست ...
الرموز الخاصة بالسلطة السياسية لديه، ...
تحتفي وراء الومض المثير، في أعين الأورس ...

نادراً ما حظيت الملكية تمثل هذه الأسس العامة، ويرتبط بها أكثر كفاءة مثلما حدث في تايلاند. ويرجع تكوين أحرف الألفبائية إلى المادّة الشخصيّة التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر على يد ملث عدده هو رام نام ساج، كما أن هناك عصر أدبي جديد في تايلاند في الفترة الأخيرة على يد ملث فاج انود Vajiravudh الذي ترجم أعمالاً لشكسبير ولغيره من كبار الكتاب الأوربيين ودارسهم أخرى من خلال اللغة الإنجليزيرة لمجموعة من الأعمال الدراميّة المكوّنة بالسكربتية القديمة أهمّ الملوك السياميون أيضاً بنظم الحياة في البلاط بطريقة دقيقة، فنّد قام شولالونج كورنا بنفسه

تحرير كتاب 'الاحتفالات الملكية أثناء شهور السنة'. وبالنسبة لما يتعلق بالحياة الاقتصادية فإن الوظيفة التي مارسها الملك كانت حاسمة. والأمر هو أنه حتى عام ١٩٣٢م كان يتمتع بحق مبدئي في احتكار كل ما يتعلق باستخدام الدخل القومي. ونادرا ما كان يحدث ذلك عمليا.

وحتى يتم تتويج الملك شولالونج كورن، أقيمت في عام ١٨٧٣ احتفالات غامضة صفا ما هو متبع في التراث الرمزي الهندي. فعلى الخوالب الأربعة لجبل اصطاعي أقيم في ماكوك بهذه المناسبة جرى وضع تماثيل لأربعة من الحيوانات حول نافورة للتعميد وهي الأسد والنبيل والتور والخصال. أي أنها الحيوانات نفسها المنحوتة على واجهات تاج Capitel سرباطه Samath. القريب من بيارس. والذي أمر الملك أسوكا Asoka ببنائه خلال القرن الثالث قبل الميلاد أثناء الاحتفالية جرى تعميد الأمير بالمياه التي نضها الأفياء الأربعة تلك الحيوانات طفت بلطفوس السحرية الخاصة بالنصيب والتي ترجع إلى بدايات إندو إيريت والتربيع الهندي

بها تطبيق مبدأ Pratibimba. كما يشير إلى ذلك بـ روبالد^١ وهو عبارة عن إعادة البناء التي تتشبه بـ... من موحود لأقاليم ما وراء الطبيعة. وذلك حتى يتمكن البشر من دحوتها وسجلت من قبلهم من خلال الرمزية كان الحل الاصطناعي لدي أقيم في ماكوك هو... أي حين... أن الحيوانات الأربعة وبوايرها فهي تمثل لأحرء الأربعة والأنهر لأربعة... معنى أن كل هذا هو صورة طبق الأصل للنظام الكوني كما أن الدور... أي... من شأنه أن يجعل ماكينة أحياء تعمل لوكاد... في كور صغير جدا ليس هناك ملك أوربي كان له هذا التمجيد...

^١ العمل مشاربيه، ص ٥٥

XXI - مجتمع برمائي

تتوفر الملكية السامية على طقوس أخرى أقل إثارة من طقس التتويج، منها اعتبار ملك بمثابة رأس لبلد برمائي. ورغم أن الرحالة لا يتوافق في فترة وجوده مع تلك الاحتفالية، فإنه لا يترك زيارة المكان الذي تتم فيه وهي القوارب الملكية.

القاربان الأكثر أهمية يسميان ناجا Naga وهانسا Hansa ويمثلان، على التوالي، حية وبجعة أسطوريين ابتداء من الرأس الذي يمتد بجراً، وكأنه مقدمة مركب، حتى الذيل الذي يرتفع وكأنه مؤخرة المركب على شكل حركة توحى بالوداع. يبلغ طول القارب بالكامل خمسين متراً ويقوم بتشغيله ستون مجدفاً يرتدون حللاً قديمة ذات لون قرمزي، يقومون دفعة واحدة بتشكيل مجاديفهم الذهبية في المياه العكرة لنهر مي نام Me-nam. هناك أطواق من الياسمين تعلق في المقدمة معلنة مرور الملك فوق هانسا، التي تتولى أمر الهداية الملكية على ناجا عندما تتوجه الاحتفالية نحو معبد يطل على شاطئ النهر.

وينتهي الحال بهذه الاحتفالية والقوارب تحت سقف خشبي لامع مدهونة بماء ذهب للحشف أو الريش المتخيل على ضلعيه. ولا زالت ترتفع وسط المكان السرايات محصنة للشخصيات الملكية وكأنها تستوحي محفة الفيل. تستند المجاديف على الروافد خفية، وهناك بعض الزهور على سطح المياه الراكدة لا زالت تحتفظ برائحة الاحتفالية، ولا يكلف تخيل ما يحدث الكثير من الجهد، فليس الأمر باحتفالية سرية ذات مضمون سحري بل هي عبارة عن التتويج الرسمي لنمط حياة مقبول لدى كافة الرعية، وعندما تحمل الملكية السيامية في قواربها الكبرى (الجندول) فذلك يعني أقصى قدر من التمثيل لها.

يفعل كافة التايلانديون الشيء نفسه، فالقارب هو واحدة من أدواتهم للذهاب إلى عمل أو إلى المعبد أو البيع أو الشراء أو نقل الماشية أو الصيد في أي ركن من أركان هذه

الشبكة المعقدة من القنوات Klongs التي تقوم عليها بانكوك أو الأحياء المحيطة بها ودائماً ما تمر من تحت نافذة غرفة الفندق أو مراكب أخرى أصغر حجماً ومسطحة. محملة بالأخشاب أو الفحم أو الصناديق حيث يتم نقل تلك المواد من شاطئ إلى آخر في التوجه المقدس وذلك لتصحيح انحرافات التيار، أو تمر القوارب الصغيرة، حمولة شخص واحد، حيث يترك صيادها قاربه نهبا للتيار بينما يقوم بإعداد الصنارة أو إلقائها في المياه أو أن يربل من الشعب سمكة من تلك الشديدة الشبوع.

تمر صفوف المراكب الكبرى وسط النهر وهي مراكب واثقة من طريقتها، تلمع فجأة تحت الشمس الاستوائية لأن الأسقف غالباً ما تكون معدنية، كما أن صورة المركب تفترض في حد ذاتها وجود الأضواء الخافتة كما هو في نهر السين أو نهر الرين، ثم تناجأ العيون عندما تكتشفها في جو مختلف تماماً وكان الرسامون الانطاعيون الفرنسيون الذين كانوا يكونون حبا شديداً مثل هذه المراكب، يرسمونها من خلال بقع قاتمة وكأنها سرب من طيور سوداء، لكنهم في بانكوك كان عليهم أن يستخدموا الألوان الرمادية الأكثر إضاءة صمم الألوان التي يستخدمونها.

غير أن هذه الصور تذهب بعيداً عن جو بانكوك، ولتدرب هناك ليس مجرد وسيلة لنقل بضاعة بل هو عدة من أجل حياة اسبوعية، لا تنوء بوصف عدة وأولها هو تسهيل قدرة الإنسان على الحركة، ونختلص المدرك أو ما يسمى من حيث المثاقفة على قواعد خشبية مدقوقة على الشاطئ المضي أو في مخدتي سحر، حيث القوارب التي تستخدم كأداة ضرورية ومستمرة وهي الانقسام لوحيد، وهو فسر هذا على الأقل على عدة شهور في السنة، بين المنزل والعالم أحساد النابلايين مسسة على مداس القرب وكذا القرب أيضاً وكأنه جلد هذه الأحساد أصنف إلى ذلك أن اسبوعية حتى سحر في بطارها المراكب وسط القنوات الكثيفة الحركة تعني عملية دمج داححة من العربة والسائق لدرجة ينتهي معها الأمر بأنهما يمكن أن يكونا الشيء نفسه أي الوحدة المعنوية نفسها.

يسهم الطقس ودرجة الحرارة بدورهما في هذا المتمد، فعلى مدار العام هناك متعة في التلامس بين الحياة والجسد رغم أننا في عز فصل الشتاء، فالباس ينزلون إلى المياه ويخرجون منها بثقة أكثر من أهل شواطئ البحر المتوسط في عر آخر ينزل الأطفال إلى الحياة ليلعبوا وهم عراة سواء نزلوا من القوارب أو تعلقوا بها. الرجال كذلك، بمن فيهم كبار السن،

يستخدمون الصابون على نصف جسدكم بعناية وسط المياه بينما تدخل النساء بسيقانهن
ورم يفعلن ذلك لغسل فرشاة الأسنان التي انتهين من استخدامها أو إثناء إعداد الشاي، أو
منه بالمياه وغليها بعيش التايلاندي على حافة المياه، أو فيها بمعنى أصح وكأنه كائن
برماني حقيقي.

فينيسيا هي الحالة السديدة السبه بما يحدث في بانكوك، إذ يتم الإعلان عن مقارنة
بينهما في أدلة الرحلات المرة تلو الأخرى. بانكوك هي فينيسيا الشرق؛ لكن رغم أن وجوه
لنسه يمكن أن تكون لافتة للانتباه فإن الاختلافات قوية أيضاً.

في فينيسيا نحد أن استخدام القنوات له هذا المفهوم الواسع والحيوي مثل الذي هي
عليه في بانكوك حيث لا يكاد يحد أي ممارسة حياتية إلا وهي قائمة هنا القنوات في
العاصمة التايلاندية هي في آر معا الشوارع والوافير والحدائق ومشاغل الأسماك وغرفة
احمام وحوض العسيل والسوق والمحاري الخ. وليس ذلك بالنسبة لسكان أحياء
عينها أو لسكان الأرياض بل معظم سكان المدينة ويحدث الشيء نفسه في كافة البلدان
ونقرى الواقعة على الدلتا الواسعة لسهر سي-نام Me-nam

وخلال فترة الفيضانات، أي شهر أكتوبر ونوفمبر، يصل وضع المياه بالنسبة
لكافة سكان المنطقة المحيطة إلى أقصى مدى له. إذ تفيض مياه الأنهار ولا تحترم إلا السج
الشجرة للمزارع التي هي عبارة عن قطع من لأرض المرتفعة ومعها المنزل. وعندئذ تتم
احتفالية أثناء الليل التي يكون فيها المسير بدراً. وهي احتفالية "لوى كراتونج Loy
Krathong" (١). كما أنها معروفة أيضاً في الهند لكها في سيام نكتسب سمات
شعبية وحماسية نظراً للتضاريس الجغرافية الفريدة للبلاد. المهرحان عبارة عن وضع كوب،
مشكل في الأساس من ورق البامبو، على صمحة المياه وفيه قنديل مضاء، وكذلك بعض
لخورد وإحدى العملات المعدنية. يطنو الكوب ببطء وبأعداد كبيرة في القنوات والأنهار
في كافة أنحاء البلاد وهي عبارة عن مراكب صغيرة جداً وطقسية وذلك للاحتفال باللحظة
الكبرى للفيضان في العام، أي عندما يكون قد انتهى فصل المطر ليترك المكان للشمس
الساطعة وسط السماء الصافية التي تضرب بأشعتها فوق محيط الفلاحين حتى تنمو البذور.

Phya Anuman Rajadhon, Loy Krathong, Bangkok, 4.a d. 1966.

توافقت رحلة العودة مع فترة هذه الاحتفالات؛ وعندما أخذت الطائرة في الهبوط في الوادي حول بانكوك لم يكد المرء يكتشف مكانا حتى تتمكن الطائرة من الهبوط، كان المشهد كله عبارة عن بركة ضخمة. وفي نهاية ديسمبر كان الموقف قد تغير، إذ انخفض منسوب المياه وغاضت من الحقول ولم تكن الخضرة بانعة بل كانت لونا خفيفا ومصفرا. أما القنوات فكانت خطوطها المستقيمة واضحة المعالم.

وهنا فإن التناقض بين هذا المشهد وسابقه كان واضحا ذلك أننا شاهدنا قبل ذلك بعدة أيام المشهد الفوضوي الذي عليه وكان ذلك قبل كيلومترات كافية بعيدة عن مصب نهر ميكونج Mekong. فابتداء من سايجون وحتى بنوم بنه تختلط المياه بالأرض لدرجة أن المرء لا يدري هل يعتبرها على أنها دلتا نهر أو هي مجموعة من البحيرات أو نهر بفيض، ورغم أن المعالم المختلفة تبدو بعد ذلك أكثر وضوحا حتى ترى على شاطئ الكتلة المائية "للبحيرة الكبرى" رقع خضراء وكذلك مؤكسدة للساتات التي لا زالت غارقة في المياه لكن من الصعب تحديدها من الطائرة. الأمر الذي يجعل المشهد غير واضح المعالم بالكامل.

غير أنه مع بداية الشتاء نحد حقول الأرز المحيطة ببانكوك منتظمة وكأنها رقعة شطرنج. تسير المياه صافية في شرايينها من القنوات تاركة الخنول الزراعية، ورغم هذا فإن المياه لا زالت هي البطل في المشهد الذي يمتد وكأنه ورقة حصراء ضخمة يُرى فوقها النظام الجغرافي لشبكة الأوعية أو القنوات حتى تسير العصرة بثوة وحبوية لدرجة أن المنطقة المحيطة بالعاصمة تضاعفت مساحتها أربع مرات لتكون مراعي الأرز.

المياه المحيطة ببانكوك هي عصارة حية وليس ذلك للحقول بل للمجتمع بأسره. وعندما تسافرون بالسيارة في طريق ما سوف تفاجؤون بأنكم لا تصادفون بشرا آخرين غير هؤلاء الذين تحملهم السيارات أو الناقلات. لا تجدون عربات كارتو أو فلاحين يسبرون على أقدامهم أو يمتطون صهوة أحد الحيوانات. ترونهم وهم يعملون على مسافة بعيدة بعض الشيء في قطع من الأرض تخصهم. الواحدة منها ملاصقة للأخرى دون أن تكون هناك مسافة للطريق، وهناك لا يفهم المرء كيف يستخرجون المحصول أو كيف ينقلون الأدوات الحقلية الثقيلة. ومع هذا لا يتأخر المرء كثيرا حتى يفهم السر فالطرق تم بناؤها

مرفوعة وذلك لحمايتها من الغرق ، وحتى يحصلوا على التراب اللازم لرفع مستوى الطريق
فمما تجريف الحواشي المحيطة به ، للدرجة أن هذه المساحات التي تم تجريفها تحولت إلى
نبات

إليها طرق المواصلات المائية تسير بمحاذاة الطريق البري وهي طرق بصعب تمييزها
بشي من يسافر بالسيارة وليس هذا بسبب عدم الاستواء بين الأرض والطريق بل لأن مياه
هذه القنوات عادة ما تكون معطاة ببعض الساتات وينظر إليها المرء على أنها جزء من
احتفل من الضروري أن يكون هناك قرب وتشق الطريق لنفسها بين البساتين المائية أو أي
نوع آخر من الساتات، حتى يتأكد المرء أن هناك مياه تحت هذه الحضرة الأمر الذي يجعل
هذه القنوات مريحة لنقل أهل البلد، ومن خلالها يقوم الملاحون بنقل متحات حقولهم أو
عدة الملاح أو أن ينتقلوا هم أيضاً من خلالها. وعدة ما تكون قوارب خفيفة لها غاطس
ضئيل جداً وعدم استعداد عن لقنوات حارية نوارية بطريق البري فهي قادرة على العبور
ولو كانت هناك كمية مياه قليلة إلى وسط احتفل رعيه من المياه عاصت

تتمت إنباء من نخوة احتفول ومن من البرودت وتندو كأنها كرات الدم احمرار
أنه الدورة لدموية حيث تصل إلى كل حد من الأسحة تتحرك المرأة المعجور والطفل
ورحل الدين فوق احتفل. وكل حد من على شيء لا يرى كنهه بسير ويتقدم، بشكل عبر
مفهوم. مدور محلات ومنح نفسه من بعد الاحتفال التي تعطي التيار الهادي لمياه
أحدى لقوات. من خلال مقدمته. مدور من الحسنة والرنينة لمحداف لا يرى

هناك محديف أطول في الأعلى موجود في حشاش ' quiqueillero لتحديد
للمسافر أن تلك القوات ليست مجرد وسائل للاتصال بل إنها محاري منية شديدة العسى
والتوفر على الأسماك وهي أسماك تأتي من البحر لنبيع ونتمدد إلى آخر الدلنا حتى نصل إلى
الأركان القصية في حالة عشق للأرض والمرتمعت التي تناب السمك في فترة التوالد
وعندما يهبط مستوى المياه تبقى الأسماك أسيرة في البرك أو البحيرات التي لا زالت قائمة
ولهذا فإنكم يمكن أن تروا في أي من مناطق الروافد البلاندية أحد الصيادين سواء كان طاعنا
في السن أو طفلا، أو رجلا أو امرأة، سواء في الصباح أو المساء، وقد حملوا أدوات متنوعة،
كما أنها مرتجلة في كثير من الأحيان. هناك عصا أو بوصة، وهناك خيط من أي نوع مربوط

به شخص ، وضع الطعام فيه بشكل سيئ لكنها تؤدي إلى نتيجة طبية غير بعيدة عن المكان الذي يعيش فيه وتحت قدميه دون حاجة إلى نزول السلم

الطبيعة سخية في تايلاند . هناك سكانها الذين لا يبلغون الكثافة التي عليها السكان في بلاد آسيوية أخرى ، ولا بد أنهم لم يعانون الجوع أبدا ، ولم يعانون طبعاً البرد وهما السمتان الرئيسيتان اللتان كانتا تسوطان الإنسان البدائي . هناك وفرة المياه وإليها تضاف الأرض المروية بها وهي أرض وفيرة الثمار تقدم كل أنواع الثمار . وتعتبر سيام أحد مراكز إنتاج الأرز في آسيا ، لكن أشكال الاستغلال المقنن للأرض لم تلغ الطرائق العبقريّة التي عليها الطبيعة بما تُمنّ به على الإنسان ، ومن جانبهم يبدو السكان راضين ويتمتعون برعاية بسيطة وطبيعية وسط مشهد نموذجي في حقيقة الأمر

هنا نجد أن الناس لم يتعارضوا مع الطبيعة بتغييرها كما أنهم يشعرون أنهم في حضنها . كان الناس بالطبع قساة ولكنهم كانوا قساة مع أنفسهم . ففي Ayudhya عاصمة البلاد خلال الفترة من القرن الرابع عشر حتى القرن الثامن عشر ، كان الدمار شاملاً عندما استولى عليها البرتغاليون عام ١٧٦٧م . حرق تدمير كل شيء ، سواء كانت الآثار أو الأسرة المالكة أو الإدارة أو الكور النسبة والأديرة التي تركت كلها في العاصمة . على شاكلة ما يحدث في كافة البلاد الآسيوية . وبسبب ذلك كانت هناك حاجة إلى وقت طويل وجهد كبير لإعادة حياة البلاد حول عاصمة جديدة . كانت العاصمة القديمة قد شهدت تدهوراً ودماراً شديدين لدرجة عدم التفكير في استخدامها . لكن ونجح مما فيه من أطلال بها للطبيعة .

إلا أن أطلال هذه المدينة القديمة تحلت كثيراً عن أطلال مدينة أنجكور الغير بعيدة . إذ كانت هذه الأطلال تفتقر الحمية والصحامة ، كما أن الطبيعة لم تكن بالقوة التي عليها الأدغال في كمبوديا . لا بد أن المدينة كانت صحمة استباحا من المسافات الكبيرة الفاصلة بين أطلالها المختلفة ، لكن المعابد المتهدمة كانت ذات حجم حميف ونكاد نظير في الهواء . وفوق عدة درجات هرمية هناك قاعدة المبنى *estupa* المستديرة التي تنتهي بمسلة طويلة ورفيعة على شكل جرس مكتب ولكن بحجم كبير . وهذه هي السمطة التقليدية لهذا النوع

من المائي في تايلاند حيث تتجلى في فرايدي Phra Cedi⁽¹⁾، حيث نجد فيها مكونات من
 أصول سيلانية وأخرى من شمال تايلاند. وحولها تتصافر الخضر بشكل رشيق وأملس
 وهي عبارة عن مجموعات من النخيل التي تنمو إلى جوار البحيرات أو الأنهار. ترعى
 الحاموس على هواها على الشاطئ وتدخل أحيانا في الحمأة أو تعوم في المياه لكن رأسها
 مرفوعة، ومتجهة نحو الشاطئ الآخر. الحيوانات في سيام هي أيضاً حيوانات برمائية.

هناك فتاة صغيرة تقوم بتحريك شبكة صيد كبيرة دون أن تبذل جهدا كبيرا، وهي
 شبكة مشدودة على قوس معلق على عارضة خشبية كبيرة يسهل تحريكها. تجذب الشبكة
 من المياه. ومن خلال حساس صغير quisquillero تأخذ الأسماك التي تتقافز هناك
 امرأة عجوز تقف على قدميها وتقوم بالتحديق على مياه شديدة البطء وهي مياه نهر
 صغير. وتقوم بتوجيه قاربها الصغير ليمر من فتحة الجسر حيث مرّ من هناك للنو قارب
 آخر عليه امرأة وطفل صغير وعلى الخسر. هناك بعض الأطفال يكادون يكونون عراة
 جميعهم وهم يحملون أسماكاً من الصنف المعتاد تمكنوا من صيدها بصنارة قوية حيث يتولي
 أحدها بعض الشان بترك هؤلاء البعض يفترب منهم من الغرباء ويعرضون الأسماك
 وينصاحكون

وعبر بعيد عن امكان هناك على نهر كبير لبوذا برقد وراسه مستندة إلى
 ساعده في لحظة انتقاله إلى البرق. وهذا السمط شديد الشبوع في البوذية
 التايلندية وفي معبد وات فو Wat Phra في بانكوك هناك تمثال ضخم راقد لبوذا يبلغ
 امتداده تسعة وأربعين متراً مغطى بالزهر واللاكية. كذلك الأمر بالنسبة للقطعة
 الحنية Ayudhya لكنها قطعة أكثر سامية كما أنها محصنة وموجودة في الحلاء دون
 معبد بضمها يمر الفلاحون إلى حوارهم وهم عائدون من الحقل

بأخذ الجهد الجسدي يتباعد عن أعضاء جاوتاما Gautama؛ تغمض العيون
 سطاء، وقد أصبحت شبه مغمضة وهذا متاعم مع لحظة مغيب الشمس، لكن النهار لا
 يبدو أنه يريد الذهاب، فمن وراء الأفق هناك برودنا أخرى للطبيعة.

(1) Phya Anuman Rajadhou, "Phra Cedi" بانكوك، الصفة الثانية، ص ٥

XXII - بينارس يلها الضباب

كانت الرحلة بالطائرة من كلكتا حتى بينارس Benares مصحوبة بقراءة التعليق
 الذي كتبه كونت كيرلنج في كتابه 'يوميات رحلة فيلسوف' حول امدية المقدسة في
 همد وهو تعليق ينسم بطوله، كما أنه مشعم بالصور التي يستخدمها كمدس وإيمان
 والشمس ساطعة من خلال صفحات الفيلسوف البريطاني اللطيفي على شاكبة سطوع
 من لحم (الشمس) عند من ولدوا في المناطق الباردة في الشمال وكثيرة هي الهبات التي
 يجد أن أشكر الشمس عليها أنا هم أشعر بأنني شديد التقرب من قلب العالم عن أي مكان
 آخر ولم أعد أستعرب القول الذي بشر أن كل حكمة عديمة مصدرها الشرق.
 أتت من اسطق القرية من الشمس، فكل شيء محدد، وهذا تنحى الروح حينما لوحد
 فواشعير عنها. وهنا أقول أن كل قوة هي مادية ومصدرها الشمس في هدية مفاد

تعد الصور المصينة إلى دهن الفارسي وتغلق حواشي روح سبق مع مدرب مدى يلته
 وهذا أيضاً أشعة الشمس الحقيقية التي تعرق الفضاء الداخلي مصدر للفساد، وفي الأفق
 نحلى سلسلة جبال الهيمالايا التي تشع بورا من خلال قممها سحب وكذا لسماء تحظى
 بنفوذ مصدر آخر للضوء غير الشمس بل هناك قاعدة على الأرض وبالفعل تعد الضوء
 لا بسقط فقط من السماء بل يصعد أيضاً من خلال الكوكب الرحاحي، ونحت الطائرة
 مدار صفة محترمة من السحب التي تعكس الضوء القادم من عل ولكن بشكل طفيف،
 حيث يتبدى الفضاء الواسع مترعا بوضوح شامل ومتسق، ويمكن القول أنها كما نجر في
 الصف الذهبي للبيضة الكونية التي تصفها النصوص الهندية الأربعة Vedas

١ بعض لشار إليه، الجزء الأول، ص ٢٣٨

في هذا المقام لا يبذل خيال المرء جهدا كبيرا ليتصور المشهد الذي يصفه لنا الفيلسوف الرحالة: "مشهد رائع للشمس وهي تطل في الأفق بينما هناك المؤمنون كأنهم التحل حول الخلية ينحنون أمام عطية الحياة بورع وتقوى. الهندوسية لا تعرف بوجود إله شمس. ولا تتعبد أبدا بصفاتها روحية. لما هو مادة، لكنها تأمر بأن يقدر أتباعها الشمس ذلك أنها أبرز التجليات الملموسة للسلطة الإلهية الخالقة...". "وفي الصباح، أي عندما ينتشر المؤمنون ويغطون الدرجات ghats، أثناء الصلاة، في شكل موجات ذهبية، يصعدون نحو الشمس الوليدة، وهنا يتجلى المعنى في شكل جمالي بسيط: حيث يبدو أن الجو غمرته الروح الإلهية" (١).

يبدو المسار أيضا على هذه الشاكلة رغم وجود مقدمة مضئنة في الطريق الذي يربط بين المطار والمدينة.. الضوء هنا أكثر وضوحا مما هو عليه في كلكتا، كما تسهم درجة الحرارة المنخفضة في زيادة الشعور بنقاء الجو ولكن دون أن يكون على ذلك تأثير آخر آت من اللون الذهبي الذي نفترض دائما وجوده في إطار ما هو مقدس

لكن أول اتصال بينارس كار عند العروب وقد تبدت ملامح الشفق الذي يبدو أنه يكثف ألوانه في القبة المقر في معبد دورجا Durga نفروده التي تتسلق فوق الخليات المعمارية أو تتكور في فحواتها هربا من البرد الذي أخذوا يشعرون به مع حلول المساء. وسرعان ما يسيطر البرد والظلام على المعابد الأخرى وعلى شبكة الشوارع الضعيرة المشابكة التي تنوء فيها، إلا أن الظلام في مدينة معنمة تعتوره بعض الأمساء، فما يفترض أنه ضوء ليس إلا ظلا، فالظل الذي أخذ يلف الميدان شبه الحالي الذي به مسجد أورونجرب Aurungzeb وإلى جواره المعبد الصغير الذي يضم ثنال ناندي (Nandi) تورشينا، وهذا ليس له تفسير إلا التدليل على الازدهار، إذ من خلال هجوة ضيقة الطريق الوحيد ليلقى غير المؤمن نظرة منه يمكن رؤيته وهو داخل "المعبد الذهبي" قدس الأقداس في مدينة بينارس المقدسة.

تخفت قوة الظلام من خلال النيران الموقدة للاصطلاء حيث يتحلق حولها الناس. لم يكن ذلك الوهج المقدس للشموع بل هو لمعان أقل طقسية وأكثر نفعية مصدره مواد

(١) العمل المشار إليه، ص ٢٣٧

قدسة للاستعمال تم جمعها كيفما اتفق وهي بوصف البامبو وبقايا أثاث قديم ولحاء أشجار. إلا أن جو المدينة كان يصفى القدسية أيضاً على تلك النيران التي تدفع الرحالة دائماً للتفكير في الاحتمالية الكبرى التي تنتظره. أي عندما يصبح الجو المحيط وكأنه متوهج حرارياً عندما تظهر على صفحة مياه نهر جانجس Ganges تلك الكرة النارية التي هي في كل أوان وخاصة عند القرب من الأفق شمس إندوستان Indostan (أي شبه القارة الهندية).

إلا أن الطبيعة نفسها أخذت على عاتقها أن تخيب تلك الآمال على مدى صباحين متوَلين. فعند الاستيقاظ كانت مدينة بينارمس غارقة لبس في خيوط أشعة الشمس بل في ضباب كثيف يجعل من الصعب السير في الشوارع. وكانت نجر على بدل أكر جهد ممكن التأقلم على الوضع إذ يمكن أن ينتظر المرء أن يظهر من حلال الصباب 'fog' رويداً رويداً، كلما اقترب من ناكسي لندي. أو أحد المارة الذين يبتون أنفسهم في المعاطف، وليس 'الريكاشو' تلك العرة ذات المحذتين التي بحرف سائق فثير يسير حافياً رت الثياب أو يظهر براهمي يضع على رأسه عمامة ملونة لدرجة أنها تحمل كثرة ألوان في منطقة ما تحت استوائية

ومع هذا كان الوضع على ذلك حال. كدت الشمس تقتصر على اختراق كتل الصباب كلما تقدم النهار واقترب المساء. كدت أشعتها تلمع بدرجة فيها فضبة متعنة وحلال الصباح لا يكاد المرء يرى شيئاً من دأج ليلها حارس. وكانت القوارب تتحرك فيه وكأنها يقودها الرمز Caron نحو عمدة شلال. وعندما يقترب منتصف النهار يتحلى المشهد حتى يصل إلى درجة شبهه سبت. يستند في اللوحات الشمالية nordicos لكوروت Corot. لون صفحة المياه ممتلئ وسات العبيدة ذات لون رمادي يميل مخضرة. والسماء رمادية اللون، والوحود البشرية واحدة ومرببة.

غير أنه عندما يقترب من كل ذلك الثارب الذي يحس فيه يفتش كل شيء كان الصباب يلفه. وإذا ما غابت الألوان والدمع، من حلال رسائلهما البعيدة، وأصبح الواقع مرثياً عن قرب فإنه يرى بدقة شديدة وكأنها أمام لوحة لفنان يرسم الأشياء عن قرب، وعدئذ تتجلى بوضوح قدرته على الدقة المعمارية. وبالنسبة للطقوس الدينية، كانت عكس الطقس، إذ هي ذات طابع حاسم وجدير بالعناية. فأن يغطس المرء في مياه نهر جانجس ذات صباح حار ربما كان أمراً غير ذي قيمة كبيرة. ولو كان ذلك على الأقل

من وجهة نظر الزهد الأوربي ، مقارنة بالقيام بالوضوء في الظروف الصعبة التي كانت تحيط بنا . وأحيانا نجد برودة المياه - التي يتسم الهندي بحساسية شديدة نحوها - كانت تثير رد فعل فيه القليل من الطقسية بالنسبة للأذرع حتى تتعود على الحرارة الجديدة . لكن لن تتمحي من الذاكرة تلك الصورة الطقسية الخاصة برجل متقدم في السن ، له ملامح شديدة النبل تحت شكله الرمادي ، حيث ضم يديه وبدأ تأملاته الروحية دون أي اعتبار للظروف المناخية قبل أن ينزل إلى المياه العكرة بخطوات ثابتة على سلال Ghat Dasah Wamedb ، حيث كان الخالق براهما يقوم منذ ملايين السنين بالاحتفال بالتضحية بالخليل .

لم يكن التقاة كثيرون على شاكلة ما كانوا في الأيام الحارة التي وصفها لنا كيسرلنج . فها هي الشمسيات الكبيرة المائلة للاحمرار كانت ملقاة ومهملة بدون رهبان يعنون بها وبدون جموع المؤمنين حولها . ولم يكن من الممكن لنا أن نعيش تجربة الانخراط في المشهد الذي يهز المشاهد ، طبقا لما قاله الفيلسوف ، عندما كانت الجموع نحبي ظهور الشمس يصيححاتها " om " وهو مقطع صوتي متكرر يدخل بالإنسان في حالة وجدانية هي النفس الروحية atman . وفي المشهد الذي كنا ننميه كالبحيم الصمت والوحدة ، إنها وحدة أو عزلة حميمة يعيشها كل واحد من التقاة الثلاث الديس كانوا يقيمون الشعائر الطقسية هم أنفسهم دون أن يدخلوا في شعور جماعي ، فهم كانوا يعيشون ، كل فرد على حدة ، الحالة التي هم عليها

كنا نرى بينارس شديدة الاختلاف عن بيت معدده ، فهي كانت بينارس مغمورة في ظروف خاصة غير مواتية . تعيش موحدة من شد الموحات برودة لم تشهدها منذ ربع قرن . لا يمكن للمرء إلا أن يألم لتلك الظروف التي اترعت من العيون الاستامبا الكلاسيكية لبينارس . لكن يمكن أيضاً الإفادة من الوضع وتأمل المدينة ولكن من زاوية تكاد تكون غير مسبوقة . وربما إذا ما تأملنا بعيوننا من هذا المنظور يمكن اكتشاف جوانب غير معروفة ، ومن يدر فيما إذا كانت أكثر أصالة من تلك المعتاد رؤيتها في الأستامبات المعروفة التي أصابها التآكل من كثرة الاستخدام .

لا يتأخر الرحالة في اكتشاف مياه تنزل أسفل نهر الجانج وأعالیه ، وأن الأمر المهم في مشهد درجات السلم لم يكن المشهد في حد ذاته والخاص بالناس وإنما كان هو أعمدة

الدخان التي كانت ترتفع من أعلى مصنعي طرقيتين، لم يكدر مرة. في مدينة. بغيره من كثرة الغمام. وعندما أخذ هذا الأخير يشتعل لم يكن من الغمام اكتشف أن نبت هي كتل من الغمام بل هي كتل من الدخان التي تصعد إلى أعلى ثم تدور في سقف الغمام. وعندما اقترب القارب من الأماكن التي يصعد منها الدخان يوضح أنه اكتشف قبل الدخان إليها كميات الحطب لإحرق الحنث

تعتبر كميات حرق الحنث على شواطئ نهر الحاح واحدة من كميات الرئيسية في مشهد في بيارس. لكنها نادرا ما تصل إلى درجة الأهمية التي وصلت إليها خلال 'عيد البلاد' Navidades من عام ١٩٦١م. ذلك أن الأسباب مادية بني حنث دور رؤيت ظهور قرص الشمس المهبب وأدت في الوقت نفسه إلى غياب الكثير من متحمسين من مؤمنين عن السلاله. وهي التي أدت إلى كثرة عبر معهوده في كميات الحطب بني تحرق والدهن من حولها. وعدة ما يتم حرق حمسين حنة بومبي في محرقات بيارس. لكن هناك محرقه واحدة فيها يمكن تمييز أكثر من ستة كميات مصنعة بصفة بن حنث أخرى بن حور البهر في انتظار دورها

تحدث الصحفي عن مئات من المصنوع حسب لوحة يرد في ضمن بهد. وكانت بيارس إحدى الأماكن التي تنفذ من بهد. هناك فوي سواه كن لاكتفص شديد في درجات الحرارة أو لوهم احسدي بن عده من سكر يأتي من بيارس ليمنوا تجددهم إليها شهرتها مدينة. وهم بن المصنوع في بن من كفة أنحاء بهد. حيث بلغ بهم الوهم احسدي ما بلغ البهر بنهم بنسج حنث مهلا في هد بوادي أمام حنث الموت الباردة كانت بن حنث لا حنثي حنث مصدقها في شارع. كوا بمرور بها إلى جوارنا دور أدبي رهبة وهم بنمنحون مد ش بهد بن حموع نغبرة. وكوا بكمون الحنث على محفات من البامو. كانت حنث بن حنث مننوقة في فماش نبص. أم النساء ففي فماش أحمر مع شريط ذهبي هناك بعض بمرور البصراء شبيهة بمرور calendulas للنبات. كانت مشورة أو على شكل طوق. وكانت تزين الموني بصلتها لعلامة لوحيدة وعلى البلاط كانت الزهور نفسها موضوعة فوق رأس معضة. حيث كانت هي السمة الحنازية الوحيدة لمن توفي منذ قليل بوضع عند فلق الصبح إلى حور رواق آخرين حنثا إلى المكان لكنهم لا زالوا في حالة غفوة.

لا تكاد تكفي سلالم المحارق إذ كانت تدخل ، بشكل دائم ، جثث جديدة ، كانت تغسل سريعا ثم ترك إلى جوار الشاطئ حتى تجف ، بينما يقوم أهل المتوفى بالسير في الإجراءات الرسمية وشراء الخشب والكريمات الصحية . وربما كانت هناك بقرة مقدسة تساعد بزفيرها في جفاف الكفن وقد حملت في فمها بعضا من القش الذي هو مخدع العثر .

الديانة الهندية شديدة الروحية لدرجة أنها لا تولي أية أهمية للجسد ، فهذا هو مجرد لباس للروح تخلعه لتضع ثوبا جديدا ، ولا يعرف أحد من أي صف سيكون وهذا في إطار اللعبة الغامضة الكارما (الطاقة الحيوية) والتجسد في آخر . ثم تعاد الجثة إلى العناصر التي هي منها دون أي عناية أو اهتمام بمصير الفرد الذي تقمصته . يتم حرق الجثة العادية في الهواء الطلق من خلال النار ، وفي الشهر إذا ما كانت هناك ظروف خاصة مثل الأمراض المعدية أو القداسة أو الطفولة .

إلا أن نهر جانج يحتوي على مشهد آخر أكثر تأثيرا في عيون الغربي من محارق الجثث . إنه المزيج الحقيقي والإله الحقيقي لبيدرس . وعلى شرفة ترتفع أعمدة الدخان من المحارق وكأنها أعمدة من البخور البشري

تُعد المعابد في المدينة بالثالثات لكنها صعبة وحبيبة لسااء ودور قيمة معمارية كبيرة ذلك أن المعابد القديمة هدمت على يد المستعمرين . فأي ساء متواضع أو أي ركن يمكن أن يتحول إلى معبد ، وهذا يصعب تحديده لا ذلك من خلال تصرفات إيمانية يقوم بها أحد الحجاج حيث يركع على راسه في الساحة المعابد ليست من الديانة الهندوسية الأماكن التي يجتمع فيها المؤمنين إذ هي محال الذي لا يقتصر على اجتماعهم فيها سريعا قبل الذهاب إلى النهر الذي هو لهدف كمال "المعد الذهبي" نفسه ليس إلا نوعا من الملحقات لنهر جانجس حيث يقوم الحجاج بحمل مياهم في أواني من البرونز الأمر الذي يجعل المقر المقدس مبللا بالمياه في كل مكان

أثناء الشتاء تقل المياه كثيرا في النهر ، وهناك أغلب أجراء محراء جافة ولا يكاد المرء يلمح شاطئه على الجانب الآخر من المدينة بسبب الضباب . وبالنسبة للسلالم الكبرى التي توجد في حوائط المعابد وفي المقارنات التي شيدها المهراجات لإيواء من يحجون إلى المكان ويمرون في أملاكهم ترى بوضوح آثار الشوارع الكبرى عندما يعبر النهر عن قوته ويمرر

الكتل الحجرية وأبراجا بكاملها. هناك خط يحدد أقصى ارتفاع للمياه يرجع إلى عام ١٩٤٨م حيث تجاوز الأبواب والنوافذ وتجاوز أيضاً السلالم الخاصة بمنطقة حرق جثث الموتى.

وهذا النهر يجري اليوم هادئاً وكأنه نهر فرنسي في يوم من أيام الضباب. وهنا ربما يزداد الخوف من تنامي قوة النهر المدمرة، والتي لا زالت تُرى آثارها على الآثار التي تطفح بالرصوبة. لا تقوم الشمس بمعالجتها بأشعتها العفية. كما أن الكتل الحجرية وباقي الأشياء عادة ما لا تضربها أشعة الشمس بقوة بل تعيش الآثار بعيدة عن بعضها وملفوفة في هالة من لظن وتغطيتها طبقة من العرق البارد الذي يخرج من داخلها. ولا تزيناها النبضات التي توحيها التي تمثلها الشمس التي هي قلب العالم الهندوسي. ولهذا فإن نهر جانجس يبدو هادئاً لكنه ذو قوة فريدة يلف طبقات الهواء بالبخار الذي يخرج من مياهه ويضع بصمة التآكل على الكتل الحجرية والحيوانات والحجاج. يختبئ النهر وراء ظلاله ليزيد من غموضه والانطباع بالما ورائية

تبدو الآثار المبتلة أنها ناعمة له أكثر من أي وقت مضى وكأنها خرجت من بين أمواجه ويتواضع حم سجدة إلى حوار الأمواج آملة أن تلين الحجارة وتصبح مادة هشة انتظارا ليوم ربما كان قريباً لتحرقها حبه لهنر مثل الأجساد البشرية وتذوب في عمقه مشاركة بذلك في لعبة الحياة والموت التي لا تنتهي

XXIII - قباب وحصون

إذا ما تأملنا هذا الفضاء الشاسع الذي هو شبه القارة الهندية لوجدنا أن الموت، كسمة اجتماعية، يتجلى بطرائق شديدة الاختلاف فيما بينها، وإذا ما كان الهندوس يرون أن مكونات الجثة يجب أن تختلط على الفور بعناصر الطبيعة، فإن الأمر عند الـ *parsis* (أصحاب ديانة بارسس) هو أن احتة ليس لها مكان في العالم المحيط بنا، وليس ذلك سبب ما كان لها من قيمة بل سبب حقارتها. فأن تُحرق الجثة عند من يعبدون النار، لدين هم "البارسس". تلاميذ نور أستر و *zoroastro*، يصبح بمثابة تدنيس أظهر للعناصر على الإطلاق، والذي يعتبر أمر راسخ هو إلهي. أما دفن الجثة فهو يعني أيضاً تدنيس الأرض الأم التي هي مصدر الحياة وعلى هذا لا يدري "البارسس" ما الذي يفعلونه مع هذه النفايات الإنسانية مصدر عدم النظافة فيقومون بتسليمها إلى القوى الطبيعية الجهولة لتفعل بالجثة ما تشاء فعلى قمة برج، وهو الذي يطلق عليه "برج الصمت" في بومباي، يوضع الجسد باحترام ويترك لمصيره.

لاشك أن الأمر يتعلق بمنهوم عظيم للموت، غير أن الأمر السيئ هو أن الطبيعة ليست على مستوى هذا المنهوم البشري. وبالنسبة للطبيعة وعملية تقسيم المهام التي تسيطر على كل شيء فيها نجدها تتوفر على عوامل محددة للغاية توكل لها المهمة التي لا يتخذ البشر قراراً حاسماً بشأنها. ولاشك أن من بين هذه العوامل، أو العاملين، هؤلاء الذين أسسوا لذلك الطقس الجنائزي، إذ كانوا يضعون في الحسبان دور الطيور الجارحة التي نهبط من عليانها وقد تبدت مخالبها النبيلة القوية التي تخفي في لمعانها السماء. النسر هو طائر ربوبي ولم ينجح اليونانيون في ابتكار عقاب أكثر نبلا من أجل أنبل أبطالهم الأسطوريين. لا منقار النسر الذي يقوم بنقر لا يتوقف لأحشاء برموتيو.

غير أن جثث البارسس لا تعرف قوة طيران النسور التي نهبط بكبرياء من السماء وعند وضع أصول هذه القواعد الجنائزية أتوا أيضاً بمشكلة عويصة إلى عالم الحيوان، إذ أصبحت غير قادرة على الطيران وفقدت كبرياءها، حيث أصبح ذلك غير ضروري، وفقدت البصر الفاحص القوى وأخذت تقف على أغصان الشجر التي فقدت لحاءها، إلى جوار "برج الصمت" وتودع طعامها المؤكد. وأصبحت لا تعاني المخاطر ولا تحلق في السماء بكبرياء وتحولت إلى طميبليات للموت، وتحولت هذه الطيور الشائثة إلى واحدة من الاستامبات الخفيفة للخلق إن التشدد بشأن الموت وعدم تفهم البشر للوضع الأخير لأجسادهم أسهما في إفساد الطبيعة

تصبح عملية الدفن إذن وسيلة فنية في المقام الأول في باب التعامل مع الموت وهناك عدد لا نهائي من المقابر ينصح عن ذلك في الهدد بإلحاح لا يوجد في أي مكان ولا حتى في مصر؛ فعندما ينتقل الرحالة من بيارس إلى أجرا Agra أو دلهي، عواصم الهند الإسلامية، ينتابه الاستغراب الكبير لكثرة وضخامة الأضرحة ومن المؤكد أن الضريح في هذا السياق هو أكر تعريف وتأکید في لقاء الشخص. ويمكن أن تكون له معان أخرى كثيرة مثل الدينية والسياسية والكوبية. ربح، لكن الأمر لدي لا مرء فيه هو أن الهند تولى اهتماماً بهذا البعد الجسدي وهو من المعنى الذي فيه نحد للعالم الهندوسي؛ فإذا ما كان العالم الهندوسي يعني بإعادة احته إلى الطبيعة، فالأمر في العالم الإسلامي هو اعتبارها أمراً فوق الطبيعة، حيث يوارى الجسد، عندما يكون حثة إسان بارر، في وسط مبنى ضخمة له سماؤه الخاصة به وكونه الرمزي الذي هو أعلى تأكيد للحلود

أحياناً ما يكون للضريح صالة لأداء الصلوات مثلما هو الحال في المسجد الجامع في دلهي، إلا أن أغلب الأضرحة الكائنة في الشمال العربي للهدد تصم الدفات الخاصة بها، أي واحد من أحد العارفين بالله أو ورير أو ملك أو إمبراطور أو ملكة محبوبة حبا رومانسيا مثلما هو الحال في تاج محل. ومن ناحية أخرى، عندما توجد هناك مقبرة ضخمة، مثل تلك التي أقامها الإمبراطور "أكبر" في "أجرا"، ليس لها قبة عندئذ يدرك الزائر أن هذا المبنى لم يتته العمل فيه، دون حاجة أن يقرأ أي كتاب عنه.

هناك أسباب كثيرة تجعل من الهندستان الإسلامية فردوس المقابر. إنه الميل الإسلامي للمباني الجنائزية ذات القباب (الأضرحة). هناك ميل لبناء القباب منذ زمن

طويل عند المنغوليين - أي "سكان المحلات" في آسيا الوسطى الذين وضعهم لنا
ماركوبولو وكالبخير وآخرين من الرحالة الذين عاشوا في العصور الوسطى - حيث أصبح
موروثهم هو المبنى الكوني المستدير وذو القبة⁽¹⁾. وأخذوه معهم إلى جنوب الهيمالايا.
هناك أيضا عملية تأكيد أنت من لدن شعب غاز لا يقنع بهزيمة شعب وإخضاعه أثناء حياته
من كان يريد أن يؤكد سطوة زعمائه الكبار حتى بعد الموت. وفي نهاية المطاف هناك أيضاً
الطامع الانتقالي لعواصمهم أي المسلمين كنتيجة للمتطلبات الحربية والسياسية التي
كان يجب أن يضعوها في الحسبان في الهند.

توجد في منطقة دلهي وحدها مخططات ستة عواصم إسلامية حيث تم الانتقال من
وحدة إلى الأخرى في غصون قرون قليلة؛ كانت أولاً مدينة "سيرى" Siri التي شيدها
علاء لدين عام ١٣٠٤م. ثم تأتي بعد ذلك توحلا كباد Tughlakabad التي شيدها
توغلاك شاه عام ١٣١١م. وبعد ذلك جاهنپناه Jahanpanah، حيث أسسها محمد
نوعلاك عام ١٣٢٥م. وبعد ذلك فيرورباد التي أسسها الإمبراطور فيروزشاه توغلاك، ثم
بورنا كيلا التي تأسست وشيدت في عصر حمايون Humayun وسحرشاه. وهذه المدينة
لم نخط بمباركة الأباطرة عقبة وجاهشير ترحع المدينة ذات الأسوار التي هي دلهي القديمة
والتي لا زالت قائمة حتى الآن إلى عصر س. حصن الأحمر على عصر شاه جاهان عام
١٦٣٩م وبالتالي أطلق عليها شاه جاهانabad .

ويعذرنا القارئ على هذه السلسلة المتطولة من الأسماء والتواريخ ذلك أنها ربما تنفع
في تكوين فكرة عن مساحة الأطلال، التي لا تقرر، الخاصة بدلهي وهي أطلال لا لبان
صحمة منعزلة عن بعضها أو لمدينة كاملة بل هي خاصة بكثير من المدن التي تكاد تكون
منحورة، حيث أقيم الكثير منها لتكون عاصمة لإمبراطورية ضخمة. وفي منطقة الاتصال
الأكثر مباشرة بين حوض "الهندو Indo" وحوض نهر جانجس، وغير بعيد عن الأراضي
خاصة بالمسيطرين الذين ظلوا على تهديداتهم في القيام بموجات جديدة من الغزو، نقول
كدر من الضروري إقامة عاصمة البلاد. غير أن في هذه الأصقاع المكونة من هضاب كثيرة

(1) Vid, E. Baladwin Smith the Dome A Study in the History of Ideas, Princeton
University Press, 1950, pag 81 y sigs

الحجارة حيث كانت مهياة لبناء الحصون، كان من الصعب إقامة مساكن حضرية. وتتابعت المدن وحصونها الواحدة إلى جوار الأخرى في حتمى إنشائية خلقت وراءها منطقة أطلال غابة في الضخامة لا يرى لها مثيل على الإطلاق في العالم.

هي منطقة ضخمة لأسباب منها عمليات التأسيس تم الانتقال ثم الإحلاء من السكان وهذه كلها نتيجة قرارات شخصية محددة ليست إذن مدنا تشيد ثم تنهار مع مرور الزمن نتيجة مجموعة من العناصر المشتركة بل كانت مدنا تظهر ثم تختفي فجأة بناء على مرسوم فيه اعتساف صادر عن إنسان إنه إنسان قادر على أن يجعل سكان دلهي يتقلون ليس فقط لبضعة كيلومترات، وإنما لثلاث كيلومترات مثلما فعل ذلك محمد شاه توغلاك عام ١٣٣٨م حيث غضب كثيرا من بعض الأبيات الشعرية التي كانت تهجو حكمه فأجبر سكان العاصمة بالكامل على الانتقال إلى دولة أماد Daulatabad في دكان Deccan.

كانت دلهي آنذاك في حالة ماضية مع القشرة وبعدد من حيث لثروة وتعداد السكان. كان الجميع محبرون على معاداة المدينة في غضون ثلاثة أشهر وحرى تنفيذ الأوامر الصادرة بصراحة، فعندما وجد عبد الستار رجلا مصابا في الشارع هبوه إلى حصرة محمد بن توغلاك، الذي قرر مساعدته على الترحيل من أمر موضعه في التحقيق، وبذلك أصبحت المدينة خالية تماما من السكان.

وهنا كتب المؤرخ باران Barani في سنة ١٣٥٠م كسورج يقول "هناك إنسان ثق فيه كثيرا أكد لي أنه ذات مساء صعد السور من فوقه فوجد في بعض المساكن دلهي التي لم يكن يخرج منها أي دخان أو ضوء صااح متعجبا "روحي لا سعيدة وفلي هادي".

يمكن للرحالة أن يعاود عيش هذه لتحرية العربية التي عاشها السور لكنه لم يصل إلى ذلك الإحساس، بل سيشرح أنه في سلام وأنه قد جرى لانتقام من هذه الأطلال الحاوية على عروشها من خلال الحركة المحمومة التي تعيشها الحواضر الحديثة كان هؤلاء المسلمون الهنود العظام يعشقون، على مستواهم، العزلة في الحياة، وبعد أن يموتوا كانوا يدفنون في مبان

(١) ورد من خلال إتش جي رولسون، الهد تاريخ ثقافي موحر، لندن، ١٩١٤، ص ٢٣٢

ضخمة خالبة تماماً لدرجة أن ذلك يبرز الملامح الحجرية للمقبرة ويتواءم مع طبيعة ساكنها الذي لا يراه أحد، ولا يوجد أي شيء آخر اللهم إلا آية قرآنية وكأنها شريط بسيط.

وفي الوقت الذي نجد فيه دلهى حقلاً شاسعاً من الأطلال، هي أيضاً حقل كبير من المقابر، وهي مقابر ذات أضرحة بها قباب بصلية الشكل، غير ثابتة، تقوم إسطواناتها مثل القباب الغربية، بل متفتحة وكأنها على وشك السقوط من فوق المبنى، نفختها روح هؤلاء الموتى العظام حيث كانت تريد أن تدفعها إلى أعلى.

هناك مجموعات من المقابر محاطة بجدران على الطراز الإنجليزي أو الإسلامي، وربما يتهددها التطور العمراني، حيث نجدها في أي حي من أحياء دلهى. هناك الكثير منها مهجور أو تحول إلى أطلال وربما سقطت القبة التي كانت تعلوها. غير أن القبة تقاوم السقوط على أية حال وتصمد أمام عاديات الزمن بشكل أفضل مما عليه الحصن رغم قوة الكتلة الحجرية وسمك الحوائط المشيدة بشكل مائل إلى الداخل أدى احترام ذكرى من هو مدفون هناك إلى الحفاظ على المبنى بينما نجد أن الحصون لم تعد ذات جدوى وبالتالي لا نحظى بأية حماية اللهم إلا إذا كانت هناك قرية مثلما هو الحال في قلعة نوجالاكباد Tughlakabad حيث نجد أن القطاع الذي يوحد تحاه مقبرة توغلاك شاه، الرجل الذي شيد المدينة وهو الذي أخلاها من السكار ومنها هاك حسر يعبر بحيرة صناعية مؤدياً إلى الحصن وبذلك يث فيه شيئاً من بطولته الحادثة

في دلهى نجد الارتباط شديداً بين الحصن والمقبرة، وينطبق الحال على كثير من الأقاليم في البلاد، إنه نوع من تأكيد السيادة سواء في الحياة أو الموت، ولهذا فإن خيال الرحالة الأيبيري يربط بشكل عفوي كل ذلك بالذكريات الوطنية. تتسم الهضاب والمرتفعات التي تقام عليها حصون دلهى بالقوة وصعوبة الوصول إليها مثلما هو الحال في الأراضي السلطانية الأيبيرية. هناك أيضاً شبه بين النباتات هنا وتلك القرى في حوض نهر دوبرة. الفارق هو أن القردة التي تجري هنا وهناك على الأسوار وكذا صغير أحد مدربي النعابين هما العنصران الوحيدان اللذان يصنعان المشهد الحربي محل المشاهدة في موضعه الجغرافي الصحيح.

توينبي، مولع بالحصون الهندية، ولذلك خصص لها أفضل فصول كتابه "من الشرق إلى الغرب"، ولا يسع الرحالة الأييري إلا أن يتفق مع رأي المؤرخ الكبير رغم أنه أقل إحساسا بالدهشة منه، والسبب هو أن توينبي، من حيث هو إنجليزي بالسليقة، يصدر عن رؤية سهلة للحصن، وبالتالي كان إعجابه أكبر بهذه الحصون المذهلة التي تعلو قمم الهضاب وتختلط بها لدرجة أنه "لا يوجد خط فاصل بين ما بدأتها الطبيعة وما استكماله الإنسان. وهنا يبدو أن هذا العمل الإنشائي ينمو معتمدا على الصخرة الحية التي عليها يقوم"^(١).

لا شيء من هذا يثير استغراب الهسباني، بما في ذلك الطابع الخاص الذي عليه الحصون الإسلامية اللهم إلا ذلك التوجه المتحدي الذي عليه الحصون في الهند حيث نجد أن الإسلام كان يؤكد وجوده ويمتد بينما نراه على الطرف الآخر، في أقصى الغرب كان يعاني من الانكماش. تتسم الأبعاد بأنها غير مسبقة وكذلك التقنية المستخدمة في الإفادة من الكتل الحجرية الطبيعية لجعل عملية تسلق المكار أمرا مستحيلا ويسهل ذلك "الحمار والثعبان" وهذا ما نراه بشكل واضح في حصن دولناد الذي يعتبر المفتاح الاستراتيجي للدخول إلى دكان Deccan ومتصد الحجاج لهؤلاء التعساء من أساء دلهي.

ربما يبدو مفاجئا للهسباني وجود علاقة حميمة بين قصر وحصن، ولا يقتصر الأمر على العمارة وإنما على حياة الناس أنفسهم حيث كان تجمع آلاف من الفلاحين في مكان شديد القرب من الحصن في صفوف طويلة حالسين على الأرض. رحالا وساء كل بمعد عن الآخر في وضعية التقاط الأناس من خلال تلقي لطعام اسعدد الألوان الذي يوزعه عليهم القائمون على أمر الجماعة، حتى يقوموا على النور بالصعود إلى الحصن وريارة قبر الولي الكائن هناك في الأعلى.

كان الوقت متأخرا، عند العودة إلى إلورا Ellora، للقيام بالصعود إلى الضريح، وكان الشيء الوحيد الممكن الاقتراب من اخندق مخترقا الأسوار المختلفة والمتعاقبة.

(١) من الشرق إلى الغرب، ص ١٣٤

لا يمكن للمرء أن يصل إلى هناك أبدا فورا كل سور به باب منحن محصن جيدا
هناك آخر ثم آخر ويفصل كل واحد عن الآخر صحن أو حقول مهجورة. أي أن الجهد
العماري بأكمله كان مبدولا في هذه السلسلة من الحلقات الدفاعية لجعل الوصول إلى
الحصن أمرا مستحيلا. وفيما يتعلق بباقي منشآتها نجد أن الأمر ليس عبارة عن أسوار أقامها
الشربل التضاريس الوعرة للصخرة حيث قام الحجارون باستخدام الأزميل لجعل الصخرة
متعامدة على المكان وملساء.

لاشك أن هذا كان عملا سابقا على الغزو الإسلامي، نفذه حرفيون قاموا بنحت
معبد وأديرة إلورا Flora. هناك خندق منحوت في الصخرة يحيط بالمدينة تحت الصخور
الهندسية، التي تلقى عليها الشمس آخر أشعة لها، بينما كان هناك ظل غريب يخيم على
صفحة المياه الراكدة المائلة للاخضرار، بشكل يكاد يكون مقدسا.

وعند تجاوز الخندق من خلال جسر متحرك، يأخذنا المسار إلى نفق متعرج لصل إلى
نمة الصخرة حيث أنشئ هناك الحصن الخصب الأخير وكذا ضريح الولي. هناك شبكة
حديدية يمكن أن تغلق المدخل يتجاوز الأمر كونه واقعا، إذ كان يبدو أنه نتاج خيال جامع
في عالم الألوان فالصخور تميل للزرققة وكنلة واحدة وأثيرية في الوقت ذاته مثل تلك التي
يمكن أن يتخيلها جويلا في لوحاته التي تنسب إلى المرحلة السوداء في مساره الفني

من المؤكد أيضاً أن صورة الهند سوف تنى حبة في محيلة الرحالة الأيبيري وخاصة ما
يتعلق بحالة الهوس ببناء الحصون

XXIV - الحقول اللانهائية

لا نعرف في أوروبا حقولا مثل التي توجد في الهند، ولا يقتصر الأمر فقط على بداية الثورة الصناعية بل ابتداء من الثورة الزراعية خلال القرون الوسطى من العصر الوسيط؛ وباء على ذلك الهوس المنتشر اليوم في باب المقارنة والمساواة نرى أن مختلف حضارات سارت في طرق موازية وعلى مراحل لا توجد بينها وبين بعضها مساحات زمنية كبيرة، وهنا نجد أننا لا نرتكب فقط خطأ تاريخيا بل نحرم أنفسنا من التجربة الحيوية التي تقدمها لنا الأنماط الشديدة الاختلاف فيما بينها ومع هذا فهي جميعها إنسانية لدينا معشر الذين نعيش على هذا الكوكب .

وعندما نتأمل استخدام مصطلح "العصور الوسطى" نجده مستخدما بطريقة عشوائية وغير تاريخية الأمر الذي يجعله عائد يطبق على أنماط حياتية خارج أوروبا شديدة اختلاف والتنوع في محاولة للتوصل إلى مساواة جوهرية بينها وبين تلك الأخرى المحددة لعمية لأنها فترة عاشها الإنسان الغربي أثناء قرون من تاريخه تحمل تلك التسمية . وهنا فإن الرؤية التاريخية الحقيقية تعتبر شديدة الريف وشديدة عدم الثراء؛ فقد كانت الحضارة لأوربية خلال العصور الوسطى حضارة ريفية بدرجة كبيرة، غير أنها ابتداء من القرن الحادي عشر - على الأقل - أخذت تتسم بسمات فريدة تجعلها مختلطة عن الحضارات الريفية الأخرى وخاصة الحضارة الهندية .

هذا هو الإحساس الذي يمكن أن يشعر به أبسط الرحالة الذي يفتقر إلى معارف تتعلق بالتطور التاريخي للزراعة الأوربية؛ أما من يتوفر على تلك المعارف فإنه سوف يتوصل إلى نتائج حاسمة عندما يقارن طريقة استخدام الحيوانات والسماد في الهند، وكذا نوعية منازلهم وقراهم والسلوك الذي تتخذه الجماعات الاجتماعية التي كانت موجودة في

أوروبا على زمن الرهبان السيستريين غير أنه ليس من الضروري أن تتوفر الكثير من المعلومات حتى يدرك الرحالة ما الذي يجده أمامه من أنماط حياة اختفت من الزراعة الأوربية منذ زمن طويل ، وربما لم تكن موجودة على الإطلاق يشعر الرحالة في هندستان بأنه يرجع إلى الوراء ليس فقط قرونا أو آلاف السنين بل إنه ينتقل إلى حالة وحوادية لا يوجد فيها الزمن ، حيث يجد أن أنماط التقدم التقني ليست متخيلة اللهم إلا إذا كانت مفروضة من الخارج ؛ فالإنسان لم ينفصل بعد من الصدر الغذائي للأرض ويعيش ملتصقا به مثل الحيوانات أو النباتات ومن هنا نجد الجمال الرائع والكامل المحسوس للحقل في الهند .

هناك عنصر جوهري يدخل في إطار تلك التجربة : إنه الإحساس باللانهاية ؛ ففي أماكن أخرى على هذا الكوكب يمكن اكتشاف أنماط حياة مشابهة : في مصر على سبيل المثال . لكن هناك ، يوجد الشعور بالمحدودية متلما هو الحال في باقي أنحاء العالم العربي ، فالصحراء ليست بعيدة أبدا عن الحقول ، الأمر الذي يؤدي إلى الانطباع بضخامتها . إلا أنه عند النظر إلى حوض نهر جانجس ، على هضبة دكان Deccan نجد الحقول تمتد دون حدود . هناك ستمائة ألف قرية ، منتشرة بطول شبه القارة الهندية وعرضها ، تعيش أنماط حياة متشابهة الأمر إذن يتجاوز مجرد تكرار حسابي محرد أو انطباعا ذاتيا عند المشاهد ، إذ بالنسبة لكل قرية هندية يبدو تأثير باقي القرى عليها وعلى كل فلاح وعلى مئات الملايين من البشر ؛ فلا يقتصر الأمر على أن يكون كل واحد منهم عضوا في تلك الجماعة الضخمة بل هو يمثل لها ومثال حي على المصير الجماعي المشترك لهذه الحقول اللانهائية

كتب جواهر لال نهرو^(١) يقول " كان هناك في قاعدة البنية السياسية للهند نظام القرى المستقلة ذاتيا والدائمة بينما يذهب الملوك عن العرش ويحلسون عليه . لقد اقتصرت الهجرات والغزاة القادمين من الخارج على إدخال نوع من التقيص لهذه البنية دون أن تمس الجوهر " . وهنا يمكن القول أنها بدلا من أن تتعرض للضعف ، أفاد الزمن في زيادتها قوة وانتشارا مع مجيء الثورة الصناعية رغم أن هذا يبدو أمرا متناقضا . فإذا ما قام الإنجليز في العاصمة بالتضحية غير الرحيمة بالحقل المسمى old merry England ، لصالح نمو طبقة البروليتاريا الحضرية فإن هذا المسلك أتى بنتائج معاكسة .

(١) 'اكتشاف الهند' ترجمة نوبوس أيرس ١٩٤٩م ، ص ١٩٥

تعرضت للصناعات التقليدية للدمار بسبب التغيرات الحديثة فاضمح العمار
 وحيث لا يشغل إلا حريق واحد، وبهذه الطريقة تحول هؤلاء إلى عبء على الحقول، وأحد
 بعد بعد برداد، ومعه أخذ الثمر ينشر في البلاد حيث هبطت مستويات معيشتهم بشكل
 غير مسوق هذه العودة الإحصائية في الأرض والحقول التي قام بها القصور والعمار أدت
 في وجود حيل منزلة ودفنهم بين الزراعة والصناعة ثم أحدثت الزراعة تأخرها دورها في
 في نفس برنيسي بنسب

ينشر مرحلة ندي ينتقل على لأرض الهندية شغل يقع على كتفه وهو لكثرة
 متحدة من ملاحين التي تنقصه من خلال سلسلة من الأحبار المتنامية والتي برداد
 بعد من خلال ملاحين نديين بدحوون محل شكل مرئيل نديو أقدمهم وقد
 غرست في ندي وحقول سبب من حيل من عبء، ومن

بعد من ملاحين من ندي ملاحين الهندية ندي دحيه مدفع المقبول ندي ن
 حوض متحدة من ندي ملاحين، دور ندي ندي، منحول في ندي محدود
 لا حركت به وبعد ندي ملاحين ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 بعد وهو حركت من حركت أو حركت ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 ونجدة ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 بعد ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 بعد ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 سرح ابيه ندي لا حركت ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي

بنوم النيران سرح حيل ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 مشبه لإرضاء لدعشة حركت ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 بعد ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 بعد ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 بعد ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي
 بعد ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي ندي

ثم رفع فوهة البئر لعدة أمتار عن مستوى سطح الأرض ومن هالك يبدأ خط منحدر يمتد بشكل كاف يسمح للظهور الكامل للحبل غير المشدود، بحيث يدخل لهذا العرض في الأرض من خلال نوع من الدهليز ذي الاتجاهين، أي الدخول والخروج. وعندما يرى المرء البئر من بعيد تبدو الحيوانات وكأنها تخفي من على ظهر الأرض ثم تعود للظهور معها وترتفع رويدا رويدا حتى تصل إلى قاعدة مرتفعة فوق الأرض حيث يتم من جديد ربط الحبل بها لبدء العملية نفسها المرة تلو الأخرى منذ قرون عديدة

نصب المياه في حوض مشيد من كتل حجرية ضخمة تم إعداده بمهارة حتى يستوعب كمية المياه كاملة دون أن تضع منها قطرة واحدة، ثم تسيل بشكل هادئ بحيث يكون هناك وقت كاف لصب القرية التالية قبل أن تنتهي ساققتها، بحيث تسيل المياه بدون انقطاع في الحقل الذي يتم ريته. وفي أعلى البئر هناك فتى ينتهي للنو من تمرير القرية على الكتل الحجرية اللامعة بعد أن يتوه بضط توارده بعبي الفتى وهو يقوم بالضغط على حبل شربة حتى يترعها تماما من ماء. لدي يكد بضط سها. وفي هذه اللحظة يصعد روحان من زوجي الحيوانات بصعوبة على الحبل. كان هناك بعض الرجال متشدين في الس، أحدهما طاعن في السن، يتألمون العملية وهم جالسون إلى حوار فوهة البئر أحدهم هو مالك الأرض أو البئر أو الثيران وربما كان من على المياه في القرية

وعند حلول النساء كان الرحلة على الأحسن من. الحوس إلى حوار هؤلاء الرجال وأن يتوه بصره في اللانها في ص. هذه السبب السمة لبعده ومع هذا ليس ذلك أمر بدائيا فالتقنية والجهد الإنساني وسحر، ومع ذلك، حوار البئر تبدو بذلك لفصولي الذي يطل من فوهة البئر بمثابة حائط مشيد من الناس يقفون عليه لا عار عليها، فهو حائط نظيف كما أنه يفرص في الأرض هندسيا. كما أن العمليات مختلفة تتطلب اقتصادا في الجهد كما يبدو من الواضح أنها ذات خطوات محسوبة بدقة وكأنها ساعة. لكن نظرا لهذا الإنجاز الجيد والطبيعي في توافقات خطواته التي تحسنت كثيرا مع مرور آلاف السنين يعتقد المشاهد أنه أمام مشهد طبيعي أكثر من كونه آلة تقنية محسوبة

وعلى زمن "الفيداويين" vedicos كان اليهود قادرين على حفر آبار شديدة العمق لبلوغ المياه العميقة، وهنا نجد النصوص القديمة تصف لنا خطوات استخراج هذه المياه التي

تتفق مع ما يحدث اليوم في إقليم "الوار"^(١)؛ لكن نظراً لقدم الإجراءات التقنية تحديداً يبدو الإنسان وهو يقوم بتفعيلها وكأنه، ينفذ قانوناً لا يخطئ أبداً. يقوم هو بتنفيذه لكن بشكل تلقائي. يكاد يكون غريزيا حيث لا يكاد المرء يميز بين المهمة التلقائية التي يقوم بها الإنسان وتلك المهمة الملقاة على عاتق البقرات.

وحقيقة الأمر، هناك مهندسون متخصصون في الأعمال الهيدروليكية في الهند، حيث قامت خلال الخطة الخمسية الثانية بتنفيذ أعمال لري مساحات ضخمة من أراضيها. غير أنه في عام ١٩٦١ من أي مع نهاية الخطة الخمسية المذكورة آنفاً، ظل هناك مليون ونصف المليون هكتار من الأراضي الجديدة القابلة للري دون استغلال. ولم تتمكن الحكومة من مضاعفة الإنتاج إلا في ١٢٪ منها^(٢). وإذا ما كان مكلفاً للغاية تغيير العادات عندما يتم تقديم المياه للفلاحين من خلال أنظمة مريجة للري، فالصعوبة تزداد في باب تغيير طريقة رفع المياه من الآبار التي يشيدها الفلاحين أنفسهم.

لا يخطر على بالهم أبداً إمكانية ظهور مشكلة جديدة تتعلق بشكل الخوض ودرجة بلل حيث تنزل الحيوانات أو التغذية أو المعاملة التي يجب أن يتلقوها؛ إذ أن كافة هذه المشاكل تم التوصل إلى حل لها يوماً ما لا يدري أحد حتى أي يوم كان، إلا أن الحلول تشكل نوعاً من النظرية المقدسة والمقبولة والأبدية. ومن هنا فإن وجوه من يتولون أمر الحيوانات ابتداءً بالفتى الذي يفرغ القرب من المياه وهو يغني مروراً بكبار السن الذين يرافقون العملية وهم جالسون. نقول تعلق وجوههم اللامبالاة وكذلك الثقة والكبرياء، فأعينهم لا ترى المشهد المحدد والنفعي للأشياء بشغف بل تنظر من خلال ذلك نظرة عميقة، أي بينما يعملون يتأملون كما تتأملون شجرة مزهرة أو الأطفال وهم يلعبون.

تسهم المياه أيضاً في إضفاء الجدارة على المشهد، فالمياه تضيف نبلا على الشخصية الإنسانية، خاصة المرأة عندما تكون شحيحة ويصعب الحصول عليها، ففي أي مكان على ظهر الأرض هناك النساء وهن يتبادلن أطراف الحديث سوياً إلى جوار النبع أو البئر وهذا بشكل صورة جميلة: لكن الهند بلد ليس له مثيل، فلا يمكن أن يكون هناك أي بلد قادر

^١ جان أوبير "في الهند القديمة" باريس ١٩٦١ م.

^٢ كسوم ماير Blossoms in the Dust، لندن، ١٩٦١، ص ١٩٢.

على أن يباهي هذه الأعداد الهائلة لفسائنها وفتيانها الصغيرات وشاباتنا والطاعنات في السن اللاتي يرتدين الساري sari بمختلف الألوان ويحملن الجرة البرونزية على رؤوسهن وقد انعكست عليها أشعة الشمس وكل ذلك مرتبط ببعضه البعض في توازن صعب ورشيق. كذلك الأمر عندما تقوم المرأة باستخراج المياه حيث يكلفها ذلك جهد كبير، ذلك أنها تجد نفسها مجبرة على جذب الحبل، وهي في ميدان القرية، على الطريقة التي تقوم بها البقرات في الحقل ومع هذا فإنها لا تفقد جاذبيتها.

تشكل الآبار في القرى الهندية محور الحياة ومصدر احمال، وهما فإن الإنسان التواق يتوقف إلى جوار الشر ويبتلى في حالة تأمل بطيء، وهناك يجد لغة يسهمها هي في الوجوه والتصرفات وهمهمة الأصوات وهي تتحدث مع بعضها لقد جعلته التوراة شديدة الحساسية نحو آبار الشرق، فإذا ما كان الرحالة يطوف بأحاء الهند يواتيه الإحساس بشكل شبه دائم بأنه يشاهد مناظر تتعلق بالعهد القديم أو العهد الجديد، ويرجع هذا في المقام الأول إلى الآثار والقيمة التي تكمن وراء الاهتمام بها وهي حثف وعندما يدخل المرء إلى إقليم وفير المياه يروى ذلك الإحساس، لكن تمكن أن يفسر الوحوش نفسها والحيوانات وأنماط حياة شبيهة، لكن وجود المياه على سطح الأرض يعني الأصداء النوراتية

ومن بين الحيوانات التي نسهم، سباع لا يمكن أن نرى هذا الانصاع عن أن الهند هي حقل لا نهائي هو كثرة ماله فيها للادرج السباعية من أي من الحثول أو الشوارع الصبيقة، أو عربية هو مجموعة بشرية، فمن عند السباع في الحثول الهندية أن يجد العامل وحيداً، وهذا لا يقتصر فقط على من يركب العربات بل يفسس أيضاً ذلك الذي يمسك بيد المحراث. هم في طريقهم وفي أرضهم حيث يعملون ويترامون بنسجون بوحود وفرة من العناصر البشرية؛ تتوالى عربات الكارو في سلسلة طويلة ترتبط الواحدة بالأخرى وكأن السكان جميعاً في حالة همزة من القرية خوفاً من حش من العراة نسير النساء في الطريق وهن يحملن جرارهن أو الأحولة فوق رؤوسهن في صنفوف طويلة وذلك لحمل تراب للمشاركة في أعمال بناء أو الذهاب إلى قرية مجاورة

هذه السلسلة الطويلة من النساء وهن يحملن جرارهن Cuenco على رؤوسهن في صف منظم هي من المشاهد الجميلة التي ينبغي أن يشاهدها المرء وهو يطوف بأنحاء البلاد.

ترى النساء في تلك الصفوف في كل الأنحاء. تسرن صامتات دون النظر إلى الأرض حتى يستقيم وضع الثقل على رؤوسهن كما أنهن لسن في حاجة إلى النظر إلى الأرض اللهم إلا إذا كانت الأولى التي تتقدم الصف وتفتح الطريق أمام الأخريات. هن متماثلات القوام والحركة والاتجاه والألوان الزاهية للملابسهن، وهن بذلك يشكلن كائنا جماعيا غريبا وممتعا.

الثقل الذي يحملنه لا يؤثر على رشاقة حركاتهن لأنه قليل. فالتراب أو الرمل الذي يحمله في صفوف طويلة يمكن نقله ببساطة في عربة كارتو بشكل جيد، إلا أن هذه الوسيلة الإنسانية في النقل، المحزنة، آخذين في الحسبان الأبعاد الاقتصادية لها، لها بعدها الذي يصفى لنبل والذي لا أدري كنهه. تضيي المبالغة في استخدام الأيدي البشرية بعدا إنسانيا على العمل المراد. فالكتل الحجرية التي تستخدم في بناء الطريق لم يتم الإلقاء بها حيثما اتفق بحوافها الحادة بل جرى وضعها بعناية فائقة تزيد عن الحد وربما بنوع من الملاحظة أيضا وكأنا تأمل تكوين لوحة فسيفساء ولو جرى وضع وابور رلظ لتعبيد الطريق لكان أمرا عبة في اللفظة.

هناك نوع من التناقض فيما يتعلق بالانطباع بوجود حقول لانهاضي في الهند، إذ يبدو أكثر منطقية أن يكون ذلك في إقليم أقل كثافة سكانية مثل الأنديز أو سهول أمريكا الشمالية حيث يقل تعداد الموارد البشرية. هذا الحد الأرض وفيرة بشكل يزيد عن الحد، لكن لأرض ليست الحقول. فالحقل هو لأرض ومعها الإنسان الذي يرتبط بها وهو الفلاح. وإذا ما كانت ثروات كبار الملاك في روسيا لبيصرية تعد رؤوس الجليد من الفلاحين فإن لثروة البرقية في إقليم ما، وهي التي تحل من الأرض حقلا. تقاس بعدد البشر الذين يخدمونها. ولما كان الفلاحون الهنود وهذا حاد آخر من جوانب الحقول المطلق يخدمون الحقول أكثر من إفادتهم منه فإنهم بدون وكأنهم أدوات ملحقة له وفضلة.

ولهذا فإن المؤس والقدارة تتوارى بعد قليل من الولوج إلى الحقول الهندي، لكنها رهينة في المدينة، فهي لا ترى إلى جوار الأرض، بل هي عبارة عن الولوج الإنساني المباشر في وسطه الطبيعي الأمر الذي يجعله يدمج معه مشكلا جسدا واحدا ومطلقا من الجغرافيا البشرية. وما هي الأقدام والشعر وغطاء الرأس والملابس الرثة والمهلهلة لهؤلاء تشهد بشكل صارخ على قوة الأرض ونفاذها. لا توجد في الحقول الهندية تلك الأقمشة البيضاء

مثل التي نجدها في الأقاليم الأشد فقرا في أوربا من تلك التي نراها فوق أحجار النهر أو على الصدور أيام الأحاد والتي تعبر عن نوع من التمرد على الأرض وتعتبر ملاحظة مصطنعة وتجريدية تناوئ الكتلة المطفأة، أو أنها تحاول أن تقلد المراعي التي غطاها الثلج أو شجر البرقوق المزهر أو أي شيء آخر مبكر من تجليات الطبيعة .

لا تسمح الطبيعة الراديكالية التي عليها الحياة الهندية بمثل هذه الميول، فغسيل الملابس هو عبارة عن قيام رجل بدهسها بقوة في الماء وذلك حتى تستجمع الذراع أكبر قوة عنف على حجارة النهر . وبالنسبة لمن عليهن أن يقمن بغسل الثياب ليس بأيديهن الأنثوية إذ أن هذه الأيدي شديدة الارتباط بالأرض . كما أن الأيدي، أي أيدي الغسالات، هي التي تثمر في جعل الأقمشة بيضاء في أي قرية من القرى الفقيرة في قشالة أو كالابريا .

وبعد فترة قصيرة يتم نسيان المفاهيم الأوربية المحددة سلفا، فالألوان موجودة في طرق الهند، وهناك الألوان الزاعقة والعنيفة وخاصة في ملابس النساء وفي قرون الستتور cebu وبقرات الجرّ، وفي شيلان (عمائم) السائقين، لكن كل شيء مقعم بالتراب . وكذا الشمس نفسها عند الغروب إذ لا يبدو الأفق واضحا بل تبدو وكأنها تعزق في الأرض .

XXV- الروح الحيوانية

في الحقل في الهند هناك اهتمام كبير بقيمة ديكارت من حيث كونه الفيلسوف الذي حدد العالم الحديث ، ولم يكن ذلك بما قاله عن الوعي وعن الأنا ، ذلك أن الهنود هم في هذا الشأن ، مثل غيره من الشؤون الأخرى ، يريدون القول بأنهم كانوا سابقين على الفكر الغربي ، ولكن برؤيتهم أن هناك تماثلاً بين الحيوان وبين الماكينة : وحول هذه النقطة الأخيرة نجد أن المفكرين الهنود الولعين بالأمر يعترفون بالسلمات النوعية للفكر الغربي وكذا سلسلة النتائج المترتبة على هذا التماثل لم يفعل ديكارت إلا صياغة مفهوم شديد الشبوع ، لكن صياغته هيأت الطريق أمام قدوم الحرار الزراعي والثورة الزراعية المعاصرة . وقد جاء هذا بشكل خاص عندما جاء هوبس Hobbes بعد ديكارت بوقت قصير وجعل من المجتمع المدني ، أي من الإنسان الحبير ، ماكينة أيضاً أصبحت مع مرور الزمن ماكينة زراعية شديدة التعقيد والتركيب

غير أنه بالنسبة للحقل في الهند يجب أن نساعد أنفسنا عن كل تلك المفاهيم ، فليس هناك علاقة للحيوان أو للإنسان بالماكينة . كما أنها عبر سليمة تلك المفاهيم الأخرى الأوربية الأكثر قدماً ونبلًا والتي حلت محلها مفاهيم أخرى في أيامنا هذه رغم أنها لا زالت قائمة حتى اليوم في شكل التعامل مع الخيل على سبيل المثال فالحصان في نظر الهندي لا يجب اعتباره حيواناً حقيقياً ، إذ هو شديد النبل وبالتالي أهانه الإنسان . على الهندي لحقيقي أن يرى الحصان على أنه قنطور مكون من نصفين ، أي شبه كائن موزع بشكل غامض بين مملكتين من ممالك الخلق . وهنا نقول أن الهنود في العصر الكلاسيكي كانوا معجبين بالخيل على أنها كائنات غريبة لا يمكن تربيتها في المنازل ، بل كان من الضروري الذهاب للبحث عنها في بلاد بعيدة أي في أواسط آسيا وذلك حتى يمكن استخدامها في

الاحتفالات والأعياد وكذا في فرق الخيالة التابعة للملوك والأمراء المحاربين^(١). غير أن هذا كان يعني نوعاً من التدهور مهما كانت النوايا فالخصان المحض والحالض ليس في حاجة إلى مزايا أخرى غير التي فيه وهي السمة الحيوانية المحضة.

الإعجاب بأحد الثيران المحصصة للمصارعة ليس له أي قيمة من منظور حيواني صرف، فهو ليس هذا ربما ما يفكر فيه الهندي - إلا شكلاً من الترجسية؛ فما نعجب به في الثور المصارع هو الإعجاب بالإنسان القادر على تحدي شجاعته، أو، إن شئنا القول، نعجب بقرون الثور ورأسه حيث يمكن أن تقضي على حياة إنسان سريعاً إذا لم يتفادها بجسده في لعبة بسيطة تصل في مستواها في الدكاء إلى مستوى الغريزة الحيوانية. أثناء مصارعة الثور يبرز الإنسان أنه أرقى من الثور لا من حيث قدرته على ابتكار أسلحة معقدة ولكن لأن ذكائه ينزل حتى تلك الأنماط التلقائية في الحركة الحسدية، حيث يتعامل الإنسان مع الحيوان بندية فيها تساو. وإذا لم يكن التشبيه من هذه الزاوية فلن نعجب بالثور المدرب على المصارعة وبالتالي لن يكون موحوداً

من البدهي أن مصارعة الثور تتطلب التعامل المباشر والحميم مع الحيوان ويصل الأمر في بعض الأحيان إلى تعامل ديني معه. ففي الاحتفالات المفضلة نجد أن أهل شبه جزيرة ألبيريا يحملون سمات تشبه ما عليه أهل الهند، غير أن التناقض واضح أيضاً بفضل تلك الاحتفالية، فالهندي يجب أن يكون المشاهد الذي يعبر عن سخطه وهو يشاهد مباراة مصارعة الثيران، وليس ذلك سبب النهاية الحزينة بل انتهاء من اللحظة الأولى للانتصار. أي عندما يستعد الجميع لتحية الصورة العظيمة للثور فحيوانية من حيث كونها مشهداً جمالياً محضاً يجب أن تكون أعلى أمر فاصح عند ذلك المؤسس الهندي

وهنا فعلى الأقل نجد البقرات التي تسير هادئة بحيلة بما بها من جدية مترهلة هي نقابة (روث) الحيوان من الناحية الجمالية. لكن لا يهم، أو بمعنى أصح نعم يهم من المنظور الإيجابي، إذ بهذه الطريقة يتضح بجلاء أن ما هو جوهري في الحيوان المقدس ليس شكله الجمالي وحيويته وخصوبته بل هناك ما يسبق كل ذلك وهو جوهره الحيواني المحض. من الشائع أن بأسف الرحالة للمعاملة التي تخلو من كثير من العناية بالبقرات من جانب

(١) حن أنوير العمل المذكور سابقاً، ص ١١٤

المؤمنين بها وينكبون على الهنود بالنقد لعدم رحمتهم. غير أن الأمر هو عكس ذلك في حقيقة الأمر فالقذارة والهزال وهيام البقرة على وجهها هو أفضل برهان على أن الناس يؤمنون بالفعل بوضعها الإلهي.

تحمل البقرات هالة من القداسة بين قرونها المعوجة، وهي تطوف، حسبما اتفق، شوارع المدن الكبرى بالهند حيث يجري العمل على حمايتها من عدوانها الغاشم على حركة المرور وأماكن بيع الخضروات. وطبقا للأخلاقيات التقليدية الهندوسية فإن قتل بقرة هو إثم أكثر خطورة من اغتيال شخص ينسب إلى العرقية الأعلى، ومن يقترف ذلك عليه أن يدفع ثمن ذلك في صورة أن يبوء بمقعده من النار عددا من السنين يبلغ عدد شعر ذلك الحيوان. ولكن قبل ذلك، أي في الحياة الدنيا، يتعرض المجرم للتكفير عن ذنبه بالعيش لمدة ثلاثة أشهر وسط قطعان الأبقار وأن يكون حليق الشعر ويرتدي جلد الحيوان ولا يمكن له أن يتناول مياها إلا منقوع الشيلم. ودون الدخول في تفاصيل طقسية نقول هناك إجراءات قانونية تم إعلائها بعد استقلال الدول الأكثر أهمية في شمال الهند ووسطها حيث يمنع منعاً باتاً دسح الأبقار، طبقاً لما تنص عليه المادة الثانية والأربعون من النص الدستوري للاتحاد⁽¹⁾

هذه اللوائح والإجراءات النارية المصوغة للبقرة تتسم بأنها أكثر قوة من تلك الأخرى المتعلقة بالعبادة بالبقرة وحالتها المسحبة والعطف عليها فهي ليست في حاجة لذلك وحقيقة الأمر أن الجمعيات المعنية بالرفق بالحيوان ليست أكثر إحتراما مما عليه مصارعة الثيران من منظور ما يمثله الحيوان عند الهندي.

وحقيقة الأمر أن المرء يكلف نفسه جهداً عندما يحاول تمثيل ما يحدث في وعي من يقوم بعبادة حيوان؛ وعندما يكون هدف العبادة نموذجاً، أي ظاهرة عظيمة في الكون فإن الأمر يتسم بالقبول من المنظور الديني، لكن عندما يطل الإنسان بصراحة وبفضول من فوهة البشر الغامض التي هي إطلالة على بقرة فإن الإجابة التي يتلقاها غير كافية. وهذه هي الإجابة التي كان يفكر فيها هيجل.

(1) Donald Eugen Smit, India as a secular state, Princeton University Press 1963, page 49, y sigs.

يقول هيجل^(١): "إن عبادة الحيوانات هي تقديس للداخل الحي غير المرئي... فالحيوانات هي بالفعل الشيء غير المفهوم، فلا يمكن لأي إنسان أن يتخيل نفسه أو أن يتمثل نفسه جزءا من الطبيعة الحيوانية مهما كانت درجة التشابه معها؛ فما هو حيواني هو أمر غريب تماما بالنسبة للإنسان". غير أنه لهذا السبب تحديدا فإن ما هو إلهي يتجلى للإنسان في حالة بدائية من خلال الحياة الحيوانية، "؛ وهنا يضيف هيجل قائلا "إن الوعي الأصم لما هو إلهي بذاته، والذي لازال مستغلقا على الفكر الإنساني يقدر الروح التي تتقمص وتلبس أبسط نمط للحياة، من خلال الحيوان". يرى في هذه الحياة لغزا؛ وما ورائية "وما هو حقيقي أصبح مملوكا" و"محددا في حدس الحيوان".

ورغم أن هيجل يعتبر واحدا من المفكرين الأوربيين الذين يحطون بتقدير كبير في الهند، فالاحتمال كبير في أن يكون مثقفوها الفخورون بالديانة الوطنية معترضين عليه بقوة في بعض الجوانب. كما أن الرحالة البسيط يمكن أن يعترض هو الآخر عليه، وهنا فإنه لا يفعل ذلك بل يقتصر على استخلاص النتائج التي تتدى للناظرين فمن البدهي أنه رغم ما يرى الهندوسي في الحيوان من "روح متقمصة"، رغم أن ذلك في نمط حياة بسيطة، "فذلك لا يعطي الانطباع على أنه أمر عادية في الغرابة وغير مفهوم لدى الإنسان. فالما ورائية الخاصة بالحيوان ليست (مثل أي ما ورائية بالنسبة للإنسان) شيئا غير قابل لبلوغه في حقيقة الأمر، كما أن الما ورائية هي بعيدة شكل أكبر عن حيوان، الذي نراه شديد القرب وشديد التحديد ووفيرا.

تطفر على السطح واحدة من سمات التدبير الهندي وهي التعامل المستمر والمتدل مع الما ورائية، وهنا من المحتمل أن الماورائية التي يكتشفها الهندي في حياة الحيوان شديد العمق، لكنها لا تتوه وراء آفاق بعيدة بل هي قريبة منه، كما أنها تتكرر مرات لا نهائية. فالتدين الذي يميل نحو الحيوان بسم الحياة الهندية بنوع من النشوة بالمطلق لكن ذلك لا يتمثل في الشكل الخاص بذلك المشروب الوارد من العالم الآخر أو من رحيق جرت سرقة من الآلهة بل من نبذ يومي وشائع أو ربما يمكن القول بأنه من مياه لها مواصفات النبذ.

(١) "دروس في فلسفة التاريخ العالمي"، الجزء الثاني، ص ٢٣.

من البدهي أن إدراج الحيوان في تجربة ما وراثية مهما كانت متخفية في روحه يتطلب نوعاً من التجلي التلقائي لها في حركات الحيوان وفي سلوكه. فالحيوان هو، تحديداً، الكائن الذي يتبدى للإنسان على أنه "الحركة الذاتية" automovimiento. ومهما كان آخر محركاً تختبئ فإن الحركات الصادرة عنه يمكن أن تكون ملموسة ومألوفة، ولهذا لا يبدو حقيقة. طبقاً لقول هيجل "أن الحيوان يمكن أن يكون قريباً بالكامل عن الإنسان". هذا هو تأكيد يترتب عليه تعميم على مشاعرنا الغربية، ولا يتعلق ذلك بهذا الذي يبدو أن الهندوسي عليه، وهو الذي عبر عنه غاندي بعبارات فيها أقصى قدر من التأكيد والرؤية الدقيقة عندما قال "أنظر إلى البقرة بنفس التبجيل الذي أنظر به لأمي".

ويدون الدخول في تحليل المواقف العاطفية التي لا يمكن سبر أغوارها فإن من بطوف بالهند في سيارة يكتشف في كل لحظة مسلماً واثقاً من المارة إزاء قطعان الماشية التي تنتشر في الطرق. كما أن السائق نفسه الذي يذهب بنا من نيودلهي إلى جيبور يتفادى الأعداد الكبيرة من الحيوانات من كل نوع من تلك التي تتحرك في الطريق، ويقوم بذلك بمهارة عالية. لكن ما يهم ليس المهارة في استخدام المقود بل احداث والصورة المحددة للحيوان وما نعينه هذه الحركات

عندما نتحدث عن الطرق العنتة وشوارع قرية في محافظة سانتاندير (أسبانيا) نجد الأبقار تشكل مشكلة لسائق سيارة مثلما يحدث في الهند، غير أن رد الفعل شديد الاختلاف. فالسائق الهندي نادراً ما يستخدم الفرامل وإذا ما فعل فإن البقرة أو حيوان Cebu توقفت وسط الطريق ولا يكاد يحدث أن تستخدم الفرامل بطريقة غير ضرورية من حراء وجود العقبة الحقيقية وهي الحيوان أحياناً ما تبدو السيارة وكأنها ستصدم الحيوان لكن لا يحدث ذلك، فلقد غير الحيوان وجهته بتلقائية نحو حافة الطريق دون الحاجة إلى أي نوع من التحذير، ويواصل طريقه.

هناك نوع من الاتساق المسبق حيث يبدو أنه يقوم بمهمة تنسيق حركات المواشي والسيارات، بمعنى سائق السيارات. الحيوان، من الساحة الموضوعية، لا يوجد كمشكلة بل هو عبارة عن كائن يقوم بتصرفات غمطية واعتيادية يسير السائق على إيقاعها. أما عند الغربيين فإننا عندما نقود سيارة نتساءل، بدرجة أو بأخرى من الوعي، عن الوجهة التي

ستتخذها البقرة، وما إذا كانت ستوقف أو تواصل سيرها. إننا نقوم باستخدام الفرائل لا لتفادي الصدام بل بشكل مسبق نفعل ذلك حتى يقوم هذا الكائن الذي هو الثرة بتحديد وجهته ونعرف بعد ذلك ما الذي سنفعله

الأمر الغريب هو أن ذلك يحدث لنا معشر الذين قصيب قروما يؤكد فيه أن حيوان هو ماكينة: أي مجموعة من التركيبات التي تتجاوب مع الحسابات العقلانية وأنها قليلة للسيطرة عليها واستخدامها من قبل الإنسان، بينما نجد اليهود يرون أن حيوان هو نوع من التجلي المحدد لعالم ما وراءني. وهنا فيهم يتأملون بدقة حركته وليس ذلك تصبفاً لقنوني عقلائي يتعلق بالحسابات والاحتمالات بل لأمر سيّط. وهو نوع من لطيف مع مركزه الحيوي. إنه تناقض ملحوظ يتضمن عظمة مهمة لأسس الإنسان المرتبطة بثقبات حديثة في عصرنا. حياة الخدس تتوحدنا شكل أكثر مباشرة بين حيوان حبة الحيوان. ونحدها في سلوكنا نحو هذه الحياة شكل نفس كثير من الحياة للعنصر والعنصرية التي تنبع من أساس ميكانيكي تحت لبنة الحيوان

أضف إلى ذلك أن هذا الطريق الخدسي والسياسي يسمى بـ "مخطوط على حرفة الحيوية". إنني أحاول أن أكون في مجال سابق يسمى "بعض سميرة". ومن خلال حركاته وكذا من خلال الأنماط السجلية من هذه الحركات معرفة الحياة الحيوانية الوافرة التي تحيط بنا. وهذا أمر حتمي لأنه لا يمكن أن لا نحظى بها فهو يعرف تماماً اللحظة التي سوف تقهر فيها مجموعة من شعور وسيلنا التي نحن أحدها ما تصادفها على قارعة الطريق. لا يترعها، كما يشع شعور سادس. احذر! فعندما يدرك هذه الطيور أننا شاهداها تبدأ طيرانا غير منسق لا يتوافق مع حجب

ليس من الضروري أيضاً استخدام لغة النسيه حتى يستعد عن صريف ذلك الفرد الكبير ذو الوجه الأسود وطويل الذيل والذي يجري أمامنا على الطريق، ويترك غمر وفي هذه الحالة فإن التدخل الإنساني هو نوع من تدنيس المقدسات، ذلك أن هذا الصنف من القرود ينسب إلى درجة عالية في قائمة الحيوانات المقدسة. ولهذا فعندما أخذنا نراقب بإعجاب الحركة الإيقاعية الغريبة للقرود على مدار مئات الأمتار نحده بأخذ جانب الطريق أو بقفز قفزة إلى غصن شجرة. لا يشعر السائق بالمفاجأة، فهو يعرف تماماً اللحظة المناسبة التي

سوف تتم فيها قفزة القرد ثم تأخذ السيارة بزيادة سرعتها دون أن تضع لحظة في التوافق مع حركات القرد.

يحدث الشيء نفسه مع حيوان السنمة Cebu والجمال وابن آوى والسنجاب لطريف الذي يقلد العصافير في سرعة حركته وشعره. كذلك الأمر في حالة ظهور أحد ليمور. يؤكد السائق أنه رأى مرتين نمورا على الطريق الذي نسير فيه، وهذا ليس مستغرب ذلك أننا نمر بمنطقة ضخمة مخصصة للصيد "Sanctuary of game"، طبقا ل لوحة كبيرة معلقة بها طنطنة كنسية، وهذا ما كان متوقعا في الهند، يمكن أيضا العثور على احيوانات المفترسة خارج تلك المناطق وهذا ما تؤكد الخرائط السياحية التي يعلقونها في المدق في أي إقليم، حيث نجد الكثير منها تضم صور النمر والذئب والفهود واضع... لح

كما أن طبيعة الأرض التي عليها منطقة الصيد تفصح عن أن وجود الحيوانات البرية في الهند أمر طبيعي، فلا توجد نباتات من نوع معين حتى تضيئي البهاء على مكان إقامة النمر، فالخيل الذي يمتد من ألوار وحتى حبيور ليس عاليا أو أشما عن أية مناطق جبلية في شبه جزيرة أستراليا، وربما لهذا السبب سر من ما تتدد الخوف الطبيعي الذي عليه الرحالة، إضافة إلى اعتياده على التعامل مع الحيوانات الذي اكتسبه وهو يطوف بأحاء البلاد. مررنا بالكثير من الحيوانات دون أية حيوات أو الاستخدام المناحي، للفرامل الأمر الذي يجعل المرء على ثقة في أنه إذا ما ظهر نمر سوف يحول تلك نفاهم بيننا وبعد أن عرفنا على مدار عدة دقائق طريقة حركته وشعنا من سمته كسب سواصل سيرنا نحو وجهتنا.

ليس للهندي حياة واحدة فقط، وهي حياة الحيوان العاقل، فهو، بدرجة كبرت أم صغرت، مفعم بهذه الحيوانات المختلفة للحيوانات، يراها على شاكلته ويجعلها جزءا منه. ومن جانب آخر نجد أن الإنسان الأوربي يحاول أن يجعل حياة الحيوانات جزءا منه لكنه يقلل من شأنها مسبقا ويحصرها في مرتبة الماكنية ويحرمها من الروح وبالتالي من الأهمية بتعامل مع الحيوانات من منطلق ذكائه - لهذا يراها ماكينات - وليس من خلال غرائزها وردود أفعال الحيوية ووضعها الشبيه في الطبيعة.

يعني كل هذا وجود خطر داهم فاستنادا إلى المفهوم الميكانيكي لحياة الحيوان، أي ذلك القطاع الكبير في الطبيعة، والشديد القرب منا، نجده يفقد طبيعته عندنا ويتحول إلى مجرد شيء في إطار ذكائنا النظري أو العمل. وحقيقة الأمر أن الإنسان ينتصر ويعلو شأنه باستخدام المصطلح المضاف للحيوان، "حيوان عاقل"، طبقا لتعريف أرسطو، لكنه يقلل من شأن المصطلح الأول الذي يتسم بالجوهرية في نظر أرسطو على الأقل، وبالنسبة للمفهوم الميكانيكي المحض - لا كما هو موجود في كتب الميتافيزيقا بل في البعد العملي - للحياة الحيوانية، نجده أحد الأسباب بالإحساس بالعزلة التي يعيشها الإنسان الحديث وقلة تفاعله واندماجه في الطبيعة.

الحيوانات عند الهندي ليست فقط مجرد كائنات حية أخرى مثله، أو كائنات تشاركه مصيرا مشابهها بل هي شيء أكثر راديكالية: إنها العنصر الذي يضع الوجود الإنساني في اتصال مباشر مع القوى الغامضة للطبيعة: بمعنى أن الحيوانية هي الحذر والأصل بالنسبة للهندي ومن هنا كانت رؤيته الدينية. عادة ما نكور ظالمين مع ما تعنيه هذه الدينية، وهنا يشير هيجل^(١) إلى أنه يتم القبول بسهولة بصورة الإنسان الذي يبجل السماء والشمس والنور والبحر ذلك أن "هذه الأشياء، من حيث كونها، عناصر تتسم بما هو يونفرسالي وتجريدي". غير أن حقيقة الأمر هي أن حيوان كمرد حي أرقى من الشمس، "ومن الأمور الحقيقية أن الشعوب التي عبدت الشمس والحوم لا يمكن اعتبارها أرقى من تلك الأخرى التي تعبد الحيوان، العكس هو الصحيح".

هناك نوع من الخير، في إطار الأصداء الدينية، يمكن أن يجنيه الرحالة من هذا التدين الحيواني، إلا أن ما يحدث هو أن الذاكرة والخيال مترعار بآلاف الانطباعات اللطيفة والمحبة: فهناك ثقة حيوية كبرى تلفه وهناك إيقاع أكثر طبيعية وهدوءا ينبض في عروقه. تغرد الطيور الليلية وهي على الأشجار بنغمة غامضة لكنها ليست مخيفة، وربما يأتي من بعيد عواء ابن آوى، كما أن الجداجد تحرق الظلام وتعطي الانطباع عن المكان وكأنه سماء تتلألأ فيها النجوم.

(١) المصدر المشار إليه سابقا، ١، ص ٢٣

هو انطباع له مبرراته لأن الشمس المرصعة بالنجوم في الهند لا ترتبط كثيرا بذلك
النظام الذهني الذي عليه أوربا كانت . ومهما بلغت درجة وميض الشهب فالعنصر المسيطر
هو الظلمة التي يخرج من بينها ذلك الوميض . هناك في سماء الليل معنى غامض ، وغريزي
وأعمى يدخل في إطار الحياة الحيوانية ، ولكن ليست في إطار الميكانيكية السماوية ولهذا غنى
شريهارشا Shriharsha الشاعر الكبير الذي عاش خلال القرن الثاني عشر :

انظرا فمع النجوم

في السماوات البعيدة

نظم الليل قصيدة تتغنى بالظلام .

XXVI-الاستثناس وفن إلتورا

إذا ما أردنا أن نصل إلى فهم شيء مما يشعر به الهندي إزاء الحيوان علينا أن ننسى فكرة الاستثناس، فالاستثناس على الطريقة التي نفهمه بها في الغرب، هو مفهوم ضيق للغاية، إذ يعنى التمييز الحاسم بين الحيوانات البرية والحيوانات المستأنسة من منظور لا يتعلق بالحياة الإنسانية من حيث هي بل من منظور "البيت" الذي له مفاهيمه على الطريقة الأوروبية، وهذا هو نوع من المار الذي يفترض وجود طريقة خاصة تتعلق بإحساس الإنسان كساكن على هذه الأرض وسيدّها. بمعنى أن كل ما يحيط به هو تابع له وهذا شيء يفهم على أنه إيجائي.

يمكن اعتبار هذه السبعة من سائر سني، ووصف الحيوان البري 'بالحر' أو 'الطبيعي' لكن ذلك كله لا ينسب له سمى، والإعجاب بالحيوان البري أمر روماني وعربي، صوان ما يشعر به الكثير من مفكرين العرب 'البري الطيب'، وإذا ما كان الغربي، المتعب من حصارته، يحن حالة الإنسان البدني الذي يسكن العمامات ولم تؤثر فيه سلبا الفنون والتقدم، فكيف لم يكن ليعجب بالحيوان البري؟

من الطبيعي أن يكون كذلك، أي أكثر مما عليه الهندي، ذلك أنه لا يبدو له وجود تلك التقابلية بين ما 'هو منزلي' وما 'هو بري'، وبين ما هو 'منحصر' وما هو 'طبيعي'. في الهند ثمة حيوانات برية أكثر مما عليه الحال في إنجلترا، حيث مات آخر ذئب منذ عدة قرون، إلا أن الإنجليزي يشعر، وبكل أمان، بالمريد من الإعجاب بالحيوان البري من حيث هو كذلك مقارنة بالهندي، النمر لا ينظر إليه هذا الأخير على أنه حيوان مفترس بل هو، ببساطة، حيوان، مثله مثل ذلك الكائن تحت 'المستأنس' الذي هو البقرة المقدسة، كما يتم الشعور به أيضا من حيث هو حيوان محض.

هذه البقرة المتسولة والتي تنتقل في الشوارع ليست حيوانا مستأنسا بالمعنى الحرفي للكلمة فليس لها مأوى تركز إليه، تنام على الرصيف، حسبما أمكنها، وتشارك "الحمالين" في النوم في العراء؛ وعندما ينامون تحت سقف من السقوف أي في أملاك أصحابها من الصعب أن يطلق على الكثير من الأبقار الهندية سمة "الحيوانات المستأنسة" ذلك أنه إذا ما استندنا إلى الخلط القائم بين الأسرة والحيوانات فإن المنزل هو للبقرة مثلما هو أيضاً بالنسبة للملكة. تتطلب فكرة "الاستئناس" أن تكون عملية الاتصال بين الإنسان والحيوان في نقطة قريبة من الأول، إلا أن الاتصال الحميم للغابة القائم بين هذا الأخير وبين الهندي يتم في منتصف الطريق بين الطرفين. والشيء نفسه يمكن القول فيه بالنسبة لاستئناس الحيوان وكذا "حيوانية" الإنسان.

لهذا أيضاً من الضروري الاستغناء عن مكون جوهري في عملية الاستئناس ألا وهو النفعية، وهي مفهوم يقلل الكثير من نيل علاقات الصداقة التي يمكن أن تكون قائمة بين الإنسان والكلب أو الحصان. فرغم أن المالك لا يجبر الكلب على القص أو الحصان على الحرب، فخلاصة القول نجد علاقة ودية يمكن أن تكون قائمة بينهما حيث تركز إلى نوع من التبعية الأصيل ذات المصلحة. هذا الصف من السعية هو أقل وصوحا بكثير في الهند؛ فالبقرة الهندية تنتج من اللبن أقل عشرين مرة، في المتوسط، مقارنة ببقرة دانماركية. وهذا تقدير مؤلم للغاية من المنظور الاقتصادي، لكن الأمر لا ينتهي دلالة على هذا المستوى من القضايا؛ ذلك أنه لكي يتم حلها لابد من الانطلاق من منظور آخر مختلف حيث نتضح من خلاله الدلالة الواضحة له قياساً على وقوفه على التقيص من حالة من يقوم بملاطفة الثعابين.

وحتى يمكن فهم هذا المشهد الغريب تحب المقابلة بين مصطلح ملاطف الثعابين encantador وبين المصطلح الغربي، مروض، domador، هذا الأخير هو مصطلح فظ يوضح بجلاء مفهوماً فيه المخطا للحيوان على أنه مجرد شيء فيه خضوع ولكن ليس خضوعاً للمتطلبات النبيلة للإنسان بل لتلك المتطلبات الفظة التي يفتق عنها ذهنه.

وعندما تستخدم الكلمة بالنسبة للحيوانات القريبة من الإنسان يكتسب معناها نبلاً واختصاراً إذ يقال Doma del caballo أي يختصر من اللفظة المقطع الأخير وكأنه نوع من

لتسبيل ، وبالتالي يتسم ذلك بأنه يحمل رسالة عبارة عن نصرف إنساني يستهدف أن يجعل من إخصان حصانا حقيقيا ، أي بإبرار أفضل صفاته لكن الأمر بالنسبة للحبوانات البرية محد أن لفظة doma المحتصرة (المروض) تفقد معناها ، فتعمل الإنسان ، المروض ، هو عبارة عن إحصار الحيوان على فعل شيء مناقض لطبيعته الحقيقية

لكن الأمر بالنسبة "لملاطف الثعابين" يختلف إذ لا يجبر ثعبان الكوبرا على القيام بعمل غير جديد لا يتوافق مع طبيعته مثلما يفعل من يقوم بترويض الأسد المسكين المحسوس في نفسه إنه لأمر مثير للحسرة ولأسف لكنه في الوقت ذاته يقدم درسا للإنسان الغربي لدي عزاء الشوهد منذ العصر الروماني من خلال مشاهد السيرك ، فمن يقوم بملاطفة ثعابين لا يجبرها على القفز من خلال قوس أو شيء من هذا القبيل بل يقتصر عمله على استخدام آلية لموسيقية حتى يجعل الثعبان في وضع قائم وهو الوضع الحيد الذي يمكن أن يكون عليه في واقع الأمر وبالنسبة لهذا المصطلح العذب "ملاطف" encantamiento به لا يعني أن يتحلى شيء عن دته على شكلة ما نجد في الأقاصيص الأوربية بل أن يكون ذاته في حقيقة الأمر ، وعند بنويه ملاطف الثعابين بلف الثعبان حول رقبته وكأنه رابطة عنق فإنه لا يندهى بذلك وينصب سفينيق له مثل "المروض" الغربي بل يقتصر على طلب بعض قطع العملة حتى يوصل حبه هو وحسب بقة ثعبان الكوبرا .

ليس بلاغة أن يكون الحيوان في مركز الحياة الهيدبة ، فهو في وسط الشارع ووسط البعد وفي وسط الحياة الاقتصادية ، وهو يسعى الحربي للكلمة في هذا القطاع الأخير أما في العرب إن مرسي قطعان الماشية بهمالا في معرفة شجرة العائلة لحيواناتهم وغدائها المناسب والحفاظ على حالتها الصحية والحصول على أعلى منتج لكنها عندما تموت يتم تقطيعها بلا رحمة ، وتتم الإفادة من كل مكوبها لأقصى درجة وبشكل سريع دون أن يبقى في هذا الاستخدام أي صدى لها من الحياة الحيوانية وحتى وقت قريب كانت قرب النبيذ أو الزيت تعني شيئا من البقاء بالنسبة للحيوان إلا أن التقنيات الحديثة في صناعة العبوات جعل كل ذلك يختفي . في الهندستان نجد القرب موجودة وشائعة عن أي وقت مضى في الحياة لغربية ، حيث كان استخدامها هناك يحمل نوعا من الازدراء بخنثي وراء الاحتقار المقنع عند استخدام لفظة "جلد" pellejo

أجهل ما هي اللفظة الهندية، لكن يمكن الظن بأنها ستكون لفظة أكثر احتراماً بكثير، ولو اقتصر ذلك على المعاملة للشيء. فعندما يذهب فرد إلى بنوع احياة وهو يحمل قربة فارغة، يواتي الإنسان الانطباع بأنه يتأبط حيواناً ثامناً أو ميتاً، وعندما يتم صب الماء فمن خلال رقبة القربة ويتجلى الشعور بأنها تنتفخ باردة تحت يده فهناك احتمال كبير بأنه يشعر كيف تعود الحياة للحيوان وأن الماء الذي يسيل بين يديه يهتز كأنه دم حيوان. هناك احتمال كبير أيضاً بأن الشاب الذي يحدث الحبل وهو فوق النر في إقليم ألوار يشعر بين معصميه بالعرشة السحرية التي تتقل من الحيوانات التي تخر القرب (الحلدة) الخاصة بالحيوان الميت وقد امتلأت بالحياة، والتي سينم تقربها خلال خطوات وهذا يعني دورة بعث وحياة ثم موت في تكرار لا ينتهي

وفيما يتعلق بالروث فلا بد أن الهندي يرى فيه أنه فصلات حيوية وهو شيء لا يصل إلى أن يكون ميتاً بالكامل. ولهذا وللهندي ليس في عحنة لردمه. واستخدام الروث كسماد عند العامل الأوربي لا يقتصر فقط على السعد المتعدي بل يشمل ذلك أيضاً الرعة في التخلص منه في أقصر وقت ممكن. يحدث لعكس في الهند، إذ ما كان يتم حرمان الأرض من الروث الأسر الذي يضر بالزراعة فليس ذلك فقط بل يعتقد سكان مستور غنلاسي بل هناك أيضاً رعية، ربما يفخر بها شعب يتقدس الحيوانات، بل أن هناك شيء سيء سمحوا عن حيوان قدر الإمكان ويتم أقصى إودة منه من خلال لأسباب متنوعة

ولأسباب متديريقة أو فلسفية أو اقتصادية... الهندي أن الهندوس يتوفرون على مجموعة من الموانع الحسية أكثر شمولاً من تلك التي على أسسها مثلاً في العالم الغربي، فأحياناً تكون الأسباب ذات لسمعة لا حرجية هي وأشد أهمية منها هو الحال في الأفيال الممتازة لمهرجا جابور. حيث كانت هناك رطة سحرية ومن أفضل الاختلافات في أحد صحنون القصر ثم كان هناك تدخل سريع من قبل الهندوس، دون اللجوء إلى أدوات خاصة، الأمر الذي كان ضرورياً للحيلولة دون انساح الأعطية الحسلة التي وضعت لهذه الحيوانات ذات الجلود السمكية والتي طرحت أرضاً لتسهيل العملية

وأيضاً بالنسبة للأفيال التي استأجرها المهرجا لاستخدامها في حمل السباح من أجل صعود ذلك المنحدر المؤدي إلى قصر أمير Amber الشهير رغم ما هي عليه من أعطية.

كانت في حاجة إلى معاملة مشابهة. وما هي كرات روئها تسطع عليها أشعة الشمس التي تفد من بين الشرّافات انتظاراً لحدوث شيء لا يدري المرء ما هو.

أما روث الأبقار فهو متنوع، إذ أحياناً ما يكون سميكا في شكل كومات كبيرة، تأخذ سيارات النقل والعربات الصغيرة من طرق الهند لبيعه كموايد للوقود. كما أن نقص الأخشاب هو السبب في هذا الاستخدام القليل الحدوى الاقتصادية، أضف إلى ذلك وجود عامل الاعتقاد بأن النار التي تتغذى على هذا فإن لهيها ليس بالأمر العادي بل تنقل شيئاً من ذلك الذي يطلق عليه أيضاً في الغرب، الأرواح الحيوانية. إذن نجد أن فكرة القذارة غالبة للغاية لدرجة أن الروث البقري يستخدم كنوع من الصابون لتنظيف الأواني؛ كما أن الهندي الطيب الذي يشعر بسكرات الموت يمسك بذيل البقرة حتى يكون واثقا من أنه سوف يذهب إلى عالم أفضل^(١)

يدخل الروث البقري أيضاً في المشاهد الحمالية التي تعبر عن السعادة. فهذا هو لوحات الفريست لأجانتا Ajanta، الذي يعتر علامة بارزة في الرسم الهندي، نجدها فوق عملية تخضير في الحائط المشيد أساساً من هذه المادة غير النبيلة. ولا يرجع هذا فقط لأسباب تقنية ولكن لأسباب أكثر عمقا، أي أكثر قدسية وسحرية

يتم في كثير من الحالات اكتشاف علاقة ملحوظة بين هذه المادة المذكورة وبين لصورة المرسومة، فإذا ما تأملنا جيدا في تلك اللوحات القديمة والمتدهورة لأجانتا مثل لوحات "الكهف x" سنرى قطعاً رائعاً من الأفيال وسط الغابة؛ إنها حيوانات قوية ومهيبة، وما هي أعضاؤها الكبرى ترتبط ببعضها وكأنها قطاعات من كرة باستثناء أنياب الفيل، حيث تصبح وظيفتها هي الإحاطة الدائرية هناك فيل من الأفيال المرسومة له ستة أنياب، وهو الفيل المركزي في اللوحة والأقوى من ذلك الفيل الذي هو بوذا نفسه في تجسده

وإطلاقاً من المفاهيم الدينية الهندية من البدهي التفكير في أن الفنون التمثيلية تدور حول حياة الحيوانية، لكن مع هذا نجد الأوربي يشعر بالاستغراب، وهو الذي اعتاد على

^(١) راولس، لعمل المذكور، ص ١٢٩

الأشكال الحيوانية في الفن البوذي من تلك الشائعة في المتاحف الأوروبية، رغم أن هذا الفن ظلّ يدور طوال قرون في بلده الأصلي حول الأشكال الحيوانية وحتى وصل الهند إلى قرار بتمثيل بوذا في صورة بشرية سيرا في هذا على منهاج آلهة أبولو الهلنستية والرومانية، تصوّروه في شكل غزال وفيل وكذا في صورة أنواع أخرى من الحيوانات التي يتجسد فيها. كما أن أشكال بوذا سرعان ما أخذت شكلا حيوانيا غريبا رغم ما يبدو عليها من بعد صوفي.

وبالنسبة للتماثيل الرائعة لبوذا التي تنسب إلى مرحلة حوتتا Gupta (من القرن الرابع حتى القرن السادس الميلادي)، مجدها بعيدة جدا عن تلك الثورة الغريزية التي عليها الحيوان، غير أنه يوجد في إطار هذا النقاء اللاجنسي شيء بالنسبة لمن اعتاد على الفن الكلاسيكي في حوض البحر المتوسط يذكره ببص اللحم فالملمس ملتصق بجسد الشكل لدرجة يصبح معها حده، وهي ليست تماثيل عربية مثل تلك البوذية الرومانية، إلا أن الملمس يفصح عن تقاسيم الجسد لدرجة يبدو معها أنه غير موجود، وعكس ذلك يحدث، حيث لا يتجلى الهيكل أو يتم الشعور به، مثلما يحدث في حالة الحيوانات، فالنسبة العظمية ملحوظة أكثر في الإنسان عن الحيوان ولو كان ذلك على الألف في نظر وحساسية النحات الذي يعيش في حوض البحر المتوسط. سيرا في تماثيل بوذا التي ترجع إلى عصر "جوتتا"، أي العصر الكلاسيكي للهند، تبدو وكأنها شيئا من عظمية، فكل شيء فيها هو اللحم، وهو خم ناعم وحساس ويستلب إحساسا فسيولوجيا محضا. بل مفعم بالروح والتأمل لكنه حمحي تتجلى معه حيوته رمزية.

ومع هذا ما يتضح أن ذلك الصنف من التماثيل الهندية غير كاف، ومن جانب آخر فإن المنحوتات الهندية البوذية autopomorticas والروحية سوف تواصل مسارها الفني في كل من الصين واليابان، ففي الهند نجد أن الهندوسية تنتصر بوصوح ومعها ذلك التوجه الفني المرتبط بالحيوان. كان ذلك أمر تعبيري عن توجه للسكان الأصليين أكثر من كونه، بشكل أو بآخر، تعبيرا أكثر حرصا وتخفيا أو أكثر انفتاحا وربما فظاظة، على مدار تاريخ الفن الهندي. وفي هذا المقام كتب رولاند "إن الفن الهندي في كافة عصوره

يمكن تشعير بالدهشة لدرجة تمكن الفنان الهندي وقدرته على تصوير الحيوانات في الكثير من هيباتها التي ترتبط كل واحدة منها بسمات النوع الذي تنسب إليه .

وهي أوصاف حقيقية وصحيحة ومتحركة ولها توبيعات لانهاية وعندما يرى أعلى عمدة أسوكا Asoka الشهيرة أشكال حيوانات كهنوتية يمكن أن يكون واثقاً بأن ذلك له تأثير حارحي . وبالفعل تجد منحوتات أسوكا تسير على نهج نماذج فارسية حيث هناك مصور رمزي للحيوان وهذا يتجلى في العنصرية الهندية لكن هذه العنصرية سرعان ما تهضم التأثيرات العربية وتقدم لنا الحيوانات في صورة طبيعية مقعنة بالحياة وبعيدة عن أي قولة ونسكية تقليدية . ولأوران التي نخدم في سقف أحياناً تدور في حلقة تبدو وكأنها تريد أن تكسر خطوط الهندسية التي تنتمي . تنوي أعناقها وتنزل بها أو ترفعها ، تعود إلى ما كانت عليه وتعود ريشها في بحر حرية حركة وصرنق عبر معروفة في فنون الشعوب الأخرى

بجذات الشيء نفسه سرهري وسادات . بدتدو هذه وتلك ، في الفن الهندي ، ملبنة دده والسف أكثر منها ملبنة . معقصة : تنده حيوانية التي هي من سمات الفن الهندي نوعاً من الوحدة العربية بين كافة نحسها بعض سطر عن لتوحفات الدببة المختلفة وبعض النظر عن اممكة بصبغة بني ساسا . ود م ك ت تحس . كما أشربا سلفا ، في حالة الصوفية لمودية ، في لوح من لوحه حية حية ور ، المواقف التأملية الربعية ، فإنها بهذا تنحسد ، وفي حالة الرهري وسادات حية دت في صورة ننس برنمع بها إلى مستوى عضوي أعلى وهذا تحسد م ساسا . لوح ساسا مسطرة في الفن الباسي

ولهذا السب فإن الفن الباسي هو في الأساس من العنف مثل الرهري . بسما تجد الفن الهندي إيروتيكي للأستف ومن أهم أن يكون المطلق هو وجهة النظر الحيوانية الهندوسية حتى تنهم الإيروتيكية التي يحفظها العيون العربية والشائعة في الصور البشرية والإلهية التي تنتشر في المعبد الأفلاطونية إذن هي أمر عبر مقبول تماماً في الفن الهندي ، وعندما يبدأ المرء بمعطيات الفن الهندي يتحول الحب الروحي إلى أشكال جسدية صارخة

تجري عملية إضفاء القداسة على حيوان في الفن دون أي تحوير . إذ ليس من الضروري التضخيم أو إضفاء البلب أو الإعلاء من شأن ناندي Nandi . أي الثور الذي يقوم بدور الوسيلة لشيبا ، حتى يكون مقدساً في النقوش البارزة الكبرى في إلفانتا

Elefanta. الفنان لا يرغب في شيء آخر إلا التعبير عن جوهر الحيوان الذي نراه كل يوم. والشيء نفسه يحدث لشعبان الكوبرا الذي يرقد على كف الإله نفسه في ترميمورتى Trimurti في إيفانتا، وهو في شكل يمكن أن نراه في أي من التعايين الكوبرا التي ترفع رأسها على إيقاع موسيقي "ملاطفها".

وعندما ننظر إلى معبد كايلاسا Kailasa الشهير في إلورا، تبدو الأبعاد الضخمة له وكذا بهاء تكرار الموضوعات وكأنها تضيء على منصة الأفيال التي يجلس عليها معنى مختلفا؛ غير أنه إذا ما قمنا، بعد الاطباع الأول المفاجئ، بتحليل كل واحد من الأشكال وكذا الإجمالي، إضافة إلى الوظيفة التي تقوم بها في إطار الطابع العام للأثر، فسرعان ما نكتشف وجود معنى يتوافق مع ما أشرنا إليه للتو. فالحيوانات تظهر في صورة طبيعية شبيهة بالنفوس البارزة في بهرهوت Bharhut وسانشي sanchi وكذلك باللوحات الأولى في أجاتنا. إنها عبارة عن حيوانات فردية محتلة الواحدة عن الأخرى والتي تأخذ كل واحدة منها سمات خاصة مميزة مثلما هو الحال في صراعها مع بعضها أو لعنها وشمسك برلومنها أسدا عابرا.

ليست حيوانات رمزية ومكهوتة على طريقة ما نراه في أحد لأفارير الفارسية، إذ هي تقوم في حقيقة الأمر بحمل المعنى على ظهورها. إنها ليست حيوانات يتم التعامل معها بالشكل الواقعي الذي عليه الفن في حوض البحر المتوسط، ولو كان الأمر كذلك لتهاوت بفضل الثقل الواقع على كواهلها الطبيعة naturalistic فيها مقدسة ولها قوانين جاذبية وحدها لا تنسب إلى العالم الذي يعيش فيه. أو أنها من هذا العالم على شاكلة ما عليه البقرة المقدسة بالسنة للهندوسي مع كل ما يرتب على ذلك بالسنة للماورانية

إنها حيوانات استخرجها الفنان من العمق العامق الذي عليه الطبيعة وليس هناك فنان بشري قام بملمحة فنية مماثلة ذلك أن المعبد بكامله، وهو أكبر من البارتيون، منحوت في كتلة صخرية. إذ قام المعمار يون النحاتون بفتح فجوة في الجبل بحثا عن الجبل الأسطوري لكايلاسا Kailasa، مقر إقامة شيفا، واكتشفوه محمولا على كواهل الفيلة، وحولوا المعتقدات القديمة إلى واقع فني يقول بأن العالم قائم على أجساد حيوانات

هناك واقع رائع بقله هذا الأثر إلى المشاهد، وليس مثله كثير على ظهر الأرض،
وهو العلم الأسطوري الحقيقي يبدو المعد نفسه بكل ما فيه من أعمدة ودهاليز وغرف
والرح والهة وكأنه ينارحج هو والصابين بالمعنى الحرفي للكلمة ومعهم تخطيطاتهم على
عدة من فوق ظهر الفيلة

XXVII أوربا من منظور الهند

هناك فارق كبير بين معهد كيلاس في ييلورا وفكتوريا ميموريال V. Memorial في كلكتا، وهذا الفارق هو فارق رمزي وفني وجمالي. فهذا الأخير طبقاً لـ ك. م. بانكر^(١) يمرر في آن معاً لظموحات إحدته وحدودها ليس له روح إلا الجمال كما أنه يقع في ظرف ربع وبمثل خلاصة قرر من الحيد في الهند، لكن لا يتم استخلاص أي قيمة منه أو أنه يشع أي حمار، ومنه المنحطة الأولى. ويسمى الحرفي للكلمة، لم يكن شيئاً آخر إلا قطعة منحنية كان تنفيذها لأسر مدبرين من على حبة الأمل الكبرى لدى البريطانيين لأنهم لم يتمكنوا من أن يتصوروا في الهند من يصارع "الأعمال العملاقة" - chefs-d'œuvre الهندية وبالتالي هناك فند من عمق سنتة فيما يتعلق بعشرينهم، حيث أظهرت عدم قدرتها على الوصول إلى قلب الهند أو روحها.

أغلب هذه الآراء صحيحة، وهناك بعضها كان أقل في حكمه، فمبنى "فيكتوريا ميموريال" ليس فقط مجرد قطعة منحنية بل هو نفسه منحماً يصمم تلك القطع التي أنت من كل مكان والتي تنسب إلى العاهة التي كانت تقيم على الشواطئ البعيدة لهر التايمز. وبالمسلة لعدم الأصالة القوية فإن ما برهن على ذلك بشكل قاطع هو مجموعات التماثيل التي توجد فوق واجهة المدخل وكذا القطع التي تحيط بالقبو، حيث تم تصميمها وتنفيذها في إيطاليا لكن كل ذلك لا يعني فشل هذا المبنى في كلكتا بل توافقه مع التوجه السائد في العمارة الأوربية في بداية القرن العشرين. وبالنسبة للمباني المشابهة له في لندن لجدها تعاني

^(١) أسبا والسطرة العربية من القرن الخامس عشر حتى يومنا هذا، ترجمة، باريس، ص ١٥٦

جوانب القصور المذكورة، ولن يكون المبنى أجمل لو كان جرى تصميمه وتنفيذه من خلال أناس من القارة الأوربية.

ربما أرادوا بهذا المبنى الاقتراب أكثر من قلب الهند وروحها، مع مخاطرة العناية بطبيعتها الحميمة، وربما كان المبنى ليظهر أقل فخامة وأقل بذخاً وأكثر تجريداً إمبراطورياً وفيه حالة رضا عن نفسه دون أن تكون له غايات ترانسندننتالية. وخلاصة القول هو أن هذين البعدين الخاطئين، استناداً إلى النص المذكور، لهما جانبهما الإيجابي طبقاً لمؤلفه وكذلك طبقاً لكثير من الكتاب في الهند المعاصرة الذين يعترفون بذلك. هناك القليلون الذين انتقدوا روح التسامح التي حدث بالنظام البريطاني باتخاذ موقف الابتعاد عن المشاكل الحميمة للروح الهندية، وهناك القليلون جداً ممن يعبرون عن عدم رضاهم عن الوقاحة الإمبراطورية التي فيها نواب الملك و"الخدمة المدنية الهندية" في إضفائها على السياسة البريطانية في القارة الآسيوية.

كتب بانيك^(١). "إذا ما كان ليتون Lyton هو مخترع النظرية الإمبراطورية، كان كورزون curzon هو ممثلها الأبرز وهو يكاد يكون رمزاً للسلطان البريطاني في هند إمبراطورية تضيف على جيرانها نفحة من عظمتها وفخارها ومن الأمور ذات الدلالة المهمة هو أن كورزون، قبل أن يعين نائباً للملك، كان يتهباً لمهمته الكبرى المتمثلة في رحلات تشمل كافة حدود الهند وفي هذا قال لورد مورلي في اللحظة التي وجهت فيها الحملة إلى التبت، أنه لم يكن يأنف من القيام بلعبة "حرا ن موجول" (الماسة الكبرى) وأصبحت إمبراطورية بكاملها رهن طموحاته السياسية الكبرى، فقد طالب بأن يكون للهند الأولوية الأولى في الموضوعات المتعلقة بحوب قارة آسيا وكأنها أصبحت بلداً مستقلاً". وإذا لم تكن اللائحة الخاصة بالهند قد طرأ عليها أي تحسن ملحوظ في إطار مثل هذه السياسة الطموحة، لم يحدث الشيء نفسه في حالة اللائحة الخاصة بالإمبراطورية الهندية، التي تحولت إلى قوة آسيوية كبرى. وهنا يرى جوى ونت Guy Wint أن

(١) المصدر السابق، ص ١٥٤

الإخبر كانوا يعملون في آسيا على وجه الخصوص لصالح الهند وكانوا يقدمون خدماتهم إلى مزارع الهند أكثر من تقديمها ملكت إنجلترا^١

كنت هناك. وراء هذه السياسة التي انتهجها الإخبر، دوافع خاصة بهم وهي امتعنة بدت لمصر العظيمة التي كانوا يمارسون عليه سلطتهم وكذلك السير على نهج من سبقوهم في أماكنهم. فلم يكن لورد كورزون الوحيد الذي لعب لعبة "الماسة الكرى" فهو موسى فيكتوريب ميسورين^٢ كان ما فيه من رجاء إيطالي يستلهم أبرز أثر للأثرة ملكية وهو نوح محسن وكذا ملكت إنجلترا نفسها المخطط بكافة أنواع الملابس والرموز لظنينة يستدعي الرضا Darbar الإمبراطوري في قاعة عرش الشاه جهان. في القلعة الحمراء في دلهي. وذلك منتهي تكريم كدر أمراء الهند وعلية القوم بها كما كان لا يتقال العاصمة من مدينة كوكند متحاربة. سني ولدت تحت السيطرة البريطانية. إلى دلهي الإمبراطورية. فسادت سنوحي رسمي بسبب جورج الخامس. والذي يبرز اردهار السيطرة البريطانية في الهند. دلالة عسك حري. بد الإضافة إلى مدن دلهي القديمة التي تحوت في ضلال حوت قامة دلهي الحديثة سني تنوقت على سائقنها في العظمة واسماء

وهو هو حينه رئيسي مجلس أمنه لأرسقراطي الإخبري بنحرك على هواه في عالم حادي شكل و... من خاص نائب لبنة وبيلة، إلا أنه حري عليه التصحيح بفضل صورة... من... ومثلت اجتماعية موحدة لأعراض عملية تدحل في يوم مع... لا... كانت تتعلق بشعابا غير ذات قيمة كبيرة... من كبار المشرعين ومنظمين... خلاف كبير بين الإمبراطورية القديمة والحديثة ولم يقتصر الأمر على... الاقتصادية والتفنية والاجتماعية أصابها التغيير مع مرور الزمن. من هناك ما هو جديد وهو المعد احاص بكتابة والتنظيم المؤسسي نظرا للدينامية الفارسية التي عيبت لأوربي. وإذا ما أردنا التحديد نقول إن التاج الإمبراطوري كان في صدر الأمر الذي يعني وجود مسافة بعيدة في الهند بين المجتمع القائم

^١ مريض في آسيا، لندن، ورتدوير، ص ٢١

وبين الجهاز السياسي الإداري الذي شيد بشكل فيه نقشف في المكونات وخاصة على الصعيد البشري .

ومن هنا فإن من يطوف بحقول الهند سوف يفاجأ بوجود القليل من الأثر الملموس للمسيطرين القدامى ، وإذا ما ركزنا النظر على التفاصيل الصغيرة الظاهرة التي تحيط بنا نشعر أننا في مجتمع من المجتمعات الخاصة بالسكان الأصليين فما فعله الإنجليز هو التقيم بيناء المدن الكبرى والمباني الإدارية أو التجارية العملاقة وشبكة الاتصالات والسدود ولزج والنظام القضائي والمالي . الخ ، وقدموا ، إضافة إلى ذلك ، لغة تساعد السكان الأصليين من مختلف الأقاليم اللغوية في شبه القارة على التناهم فيما بينهم ، لكن كل ذلك كان بمثابة الحوائط الخارجية لمبنى ضخم تعلوه قمة أثرية يمكن تحتها لنقطة أن يواصلوا حياتهم القديمة وعاداتهم الموروثة والاستمرار على سلالانهم ومعتقداتهم في ذلك التدهور وتركها تتدهور وتفسد

ورغم كثرة القذات في المنشآت الإسلامية والإقليمية في دهمي وعبر من المدن الهندية هذا يوجد أيضاً في 'بكتورب ميسور' وفي سدوير مرعبة معمارية لها صلة بلغة الرسمية السياسية ، ربما كان من لأمن ، في باب الإسرار استوري للصبغة السياسية للنظام البريطاني في الهند ، لإدلة من أمانة نسخة مأخوذة لا عن العمارة لأرضية وإنما عن العمارة لحرية . فتركبة هذا العهد السياسي لا تخلص إلا أن تذكر مذكرة المركب الكبرى من مطلق أنها لا تلت على دوراتها سرعة المسرع وفيها قوة لأصلاخ حيث توجد بين جساتها مواد حشوية وحشور وأنها ذات حدود عامة رشيقة وكذلك من أجل الأغراض الصالحة من وراء هذا الهيكل الذي كان يعيش فيه سم في أسوأ الظروف مثلما كان هو المعتاد في السمن في ذلك العصر

إن عملية المقارنة بين الدولة والسمة هي أمر شديد الشوع في المصطلحات السياسية ابتداء من العصور القديمة ، لكن الصور فيما يتعلق بالتركبة السياسية التي أقامها الإنجليز في الهند تتطابق تماماً وليس ذلك من وجهة النظر المعتادة حالياً ولكن من المنظور التحليلي

بدأ الأوروبيون العصر الحديث بعقلية محرية ، لكنهم وجدوا في العالم الحديد أرضاً سهلة ومفتوحة كانت تدعوهم إلى الإقامة فيها وأن ينسوا البحر . أما في حالة الهند ، فإنه إذا

ما كان المحيط مليئا بالمراكب التي هزمت الأساطيل الهندية والعربية فإن الأرض أغلقت أبوابها أمامهم بفضل القدرات الحربية التي عليها سكان تعدادهم كبير ومنظمون. وكان على الأوربيين أن يقنعوا باستيلائهم على بعض المواقع على الساحل من تلك التي سمح لهم بالتواجد فيها بشكل أو بآخر، الأمر الذي هبأ لهم الرقابة على النقل العالمي والبعد عما هو داخلي. وفي عام ١٦٨٥م تمكنت أورو نجرب Aurungzeb من هزيمة البريطانيين الذين كانوا يريدون توسعة مناطق سيطرتهم على الشاطئ، هذا رغم حالة الأفول التي كانت عليها السلطة المغولية.

كانا عالمين مختلفين، فعلى مدار مائة عام لم يقل أحد بأهمية الإنجليز في الهند، وإذا ما كانوا هم الذين يسيطرون الآن على خطوط الملاحة البحرية بعد أن طردوا البرتغاليين لم يكن لذلك أهمية لدى الملوك المغول ومستشاريهم الذين هم حريصون على البعد القاري لسياسة الهندية التي أعطت ظهرها للبحر اللهم إلا استثناءات قليلة على مدار القرون. غير أنه عندما قدمت الإمبراطورية المغولية وكذا باقي السلطات السياسية في الهند الفرصة المتاحة بسبب ما عليه من ضعف ومن تناحر داخلي، تمكن الإنجليز الذين كانوا حبيسي مراكبهم وموانئهم طوال فترة طويلة من الزمن من الانطلاق نحو غزو شبه القارة وأبرروا مواهبهم الحربية والسياسية من خلال الماورة واحصول على معلومات من المعسكر المعادي ومهارة لا تقارر في توجيه الصربات وشعبان لإفادة والاستغلال حيث كان كل ذلك يتسق مع أسلوب الشركات. وكذلك الشركات البحرية أخذت أن السيطرة البريطانية في الهند تنسم بالطابع البحري والتجاري الذي عساه "شركة الهند الشرقية" وهذا لم يُمحَ رغم أن البلاد ارتدت الثوب الإمبراطوري

عاشر الآسيويون في أقاليمهم ومثار إقامتهم ولم يكن باستطاعتهم أن يفهموا المعنى التاريخي لتلك الأنشطة التي يقوم بها الأوربيون الذين ينسمون بالولع والخفة والنفعية واللا أخلاق من حيث أنهم يسبرون على قواعد غير ملزمة اللهم إلا الأخلاقيات السائدة والمتأصلة. ووصل الأمر في هذا المقام إلى أنه بعد معركة بليزي Plassey، ١757م، لم يتم أحد بتقديم تنازلات في الهند للبريطانيين إلا للمهرجات من حيث كونهم المسيطرون لقادمون على شبه القارة. كما لم يفلح المؤرخون والسياسيون الهنود في أيامنا هذه والذين

هم من أنصار الاعتراف بالجوانب الإيجابية التي كانت في النظام البريطاني، في فهم العقلية السياسية التي كانت مصدر إلهام المهمة البريطانية.

جاء هؤلاء المؤرخون إلى استخدام أطروحات ووجهات نظر أيديولوجية خاصة بالخبولنيك الأوربية السائدة في بداية القرن العشرين، وميزوا بوضوح بين القوى البحرية والقوى القارية معنيين انتصار القوى القارية انتصارا لا مناص منه. هناك سمة عامة تنسم بها السيطرة الأوربية في آسيا، ابتداء من أيام فاسكو دي جاما، واستمرت في المراحل المختلفة ألا وهي عملية محاصرة القارة، وكان الفشل، لذلك، أمرا محتوما. وهنا يقول بانكير^(١) "لقد تمكنت الشعوب التي تقيم على الأرض في آسيا أن تؤكد ذاتها وبجراح ضد إغواءات القوة البحرية. وعموما فإن انسحاب الأوربيين هو محصلة يقظة الأمبراطوريات الأرضية التي تحررت بقوة من قيود التجارة البحرية".

إن عملية المقابلة بين العقلية الأرضية والعقيدة البحرية، اللتين هما من سمات العالمين الشرقي والغربي على التوالي، لا تقتصر على العصر الحديث الذي انطلق فيه الأوربيون سفنهم وأخذوا يحومون بحار الكرة الأرضية، بل يمتد ذلك إلى كافة مراحل تاريخها ابتداء من العصر القديم وليس من العريب أن نكتشف في الكتب التي ألفها آسيويون وجود نظرة إعجاب وحو نحو اليونان ذلك أنها، بغض النظر عن اكتشاف البحار، عانت ازدهارا قصير الأمد ولم يتق منه إلا إبحارها العظيمة، بينما نجد أن الحضارتين الهندية والصينية برهنتا على قدرتهما على السقاء والتأقلم وتمكنتا، رغم الأزمات والتغيرات الكثيرة، من البقاء طوال فترة طويلة من الزمن، محافظتين على سماتهما الأساسية".

هناك أمر مثير للجدل حول مفهوم هذه "السمات الأساسية"، ومع هذا فإن هذا الطرح يسهم في تقويض قيمة الإبداعات الأوربية وخلع الصفة التاريخية عن مسار الزمن. بالنسبة للتاريخية الأوربية يصعب على الأجانب إدراكها اللهم إلا علوم الفيزياء والتقنيات التي عليها والعمل على إرضاء الضمير من خلال مفهوم التفوق. فالثورات العلمية والصناعية الأوربية ينظر إليها على أنها مجرد أحداث تاريخية، وأنها وقعت نتيجة دوافع

(١) العمل المذكور سلفا، ص ٣٢.

انفجرت في العالم الأوربي . لكن لا يتمكن أحد من اكتشاف وجودها في السياق العام لتاريخ الغرب . وهنا يتم النظر إلى أن تلك الدوافع كان من الممكن أن تحدث أيضاً في الشرق إذا ما كانت قد سمحت بذلك واحدة من العقليات الإصلاحية الكبرى مثل عقلية 'أكبر' Akbar .

ورغم وجود الإهمال من جانبه . ومن جانب كثيرين آخرين من الممكن تعويض الزمن الصانع دون إضعاف " السمات الأساسية " للحضارات العظيمة والدائمة في آسيا . وهنا يؤكد رجاراو Raja Rao . بقوله بأن " الهند باستقرارها الذي لا يصبیه الحلل وسياقها الفلسفي مفتوحة على كافة التأثيرات " وإذا ما كان من الظلم الحديث عن نفورها أو نوابها العدوانية أو احتقارها للتفاوت الأخرى فيها يمكن أن تمتص تأثيراتها لكن في إطار معاييرها الفلسفية وتراتها

ومع هذا فإن حضرة الصناعة الحديثة مستخدمين هذا المسمى ليست ثقافة أخرى إلى جانب الثقافات بل هي مجموعة من العناصر المتداخلة مدججة فيها تنسم بالدينامية والتآكل . وصاحبة أيضاً في تلك حضرة شريفة رغم أنها نشأت من خلال القوى البحرية . وإذا ما كان تطورها تحدث في الأساس بروحانية في البلاد التي ولدت فيها فلا يمكن فهم كيف أن غير مهينين وغير متدربين على ساحة معهما من البلاد العربية يمكن أن يقاوموا خطوات العرسة

وعلى أية حال . هذه أزمة يجب مواجهتها حتى نسوي اسمها الأخلاقية والثقافية وليس على أساس المواجهات السياسية ومسئوليات الاستعمارية . كانت البس آخر الدول الآسيوية الكبرى التي دخلت طريق الأوربة وسارت في شكل تآكلي ومحسوس دون أن تصادر على تقاليدها وعلى نظامها القديم . ومع هذا فهي اليوم واحدة من البلدان التي أسهم فيها تطور الحضارة الصناعية في تآكل قيمها الروحية . والساسة للقيصر من المدافسة بين القوى الأوربية من أجل السيطرة عليها حالت دون أن تقع في نفس المصير الذي وقعت فيه الهند منذ بداية القرن التاسع عشر . أي بالسقوط تحت نظام استعماري . وليس هذا فقط بل السقوط في نظام فوضوي تحت عطاء من السيادة الوطنية المصطنعة التي أدت إلى تفكيك كافة القواعد البسيطة لثقافتها

١١ من أجل حوار بين الثقافات : جريدة امركز الأوربي للثقافة . أبريل ١٩٦٢ . ص ٩٢

والمؤهلة لكتابة اليونانيات الأكثر ثورية القادمة من الغرب .

هذا الاحتضار البطيء الذي عليه الصين لم يتم السماح به للهند بسبب حرب الأيام السبعة وبعد ذلك الحروب النابليونية التي أطلقت العنان للأيدي البريطانية لتحكم سيطرتها على شبه القارة وبذلك هيأت الفرصة الممتدة والمكثمة لفترة السيطرة الأوروبية على بلد آسيوي . وعموما فإنه مع كل ما هناك من متاعب وحالات الفقر التي لا تحصى محد آر السيطرة الإنجليزية على الهند لم تكن الأسوأ في إطار الظروف التي مرت بها دول آسيوية أخرى . تمكنت الهند لأول مرة على مدار تاريخها من تحقيق وحدتها الوطنية وتكامل أقاليمها المختلفة ومراكزها الثقافية ونقلت الهيكل العام لدولة حديثة على الأقل ذات الأبعاد الإمبراطورية التي سوف تفتح بفرصة تقديم مفهوم عظيم مساوي لثقافة الهندية كان ذلك مناقضا لما كان سيحدث في البلاد العربية في آسيا ، التي حظيت ، حتى وقت متقدم من القرن العشرين ، بدعم الإمبراطورية العثمانية في حالة حموت ضد لاسعمار الأوروبي ، الأمر الذي أدى إلى ميراث يتمثل في قومية حاصلة بحراً وعبير مستقرة ، بعد فترة وجيزة من السيطرة ، وذلك لأسباب من سبب أنها كانت ضد لسان التلماني الإسلامي الذي يميل إلى إنشاء تكتلات سياسية دينية كبرى

أضف إلى ما سبق أن إحتلال الهند امرأه حديوي عظمه من المنظور الأيديولوجي ، أدى حقنوع البلاد مسعمرة أو سبه المسعمرة الى رد فعل معاد للدول الأوربية ، مصحوبا بمحاولة السيطرة على نفسها وتدخله والتعظيم فيها أما الماركسية ، بما تحمل من أيديولوجية الصراع الفئسي والرأسمالية الإمبريالية ، كان ردها راديكاليا وغليظا إزاء تلك المشكلة الشائكة لحوايت وهب بعد أن إحتلها بقدام من حاسها ردا أكثر مرونة ، بحيث تحلت في منطق إثنين هما إحتلها شكسبر وميلتون أي إحتلها الأمة السياسية والكفاح من أجل الحرية والعلم والقدم التنقي ، أما الأخرى فهي إحتلها قانون العقوبات الصارم والسلوك الذي لا يرحم ، والإقطاع ورد العمل ورغم أن كلا الاتجاهين عاشا معا ولم يتفصلا ، كان على أحدهما أن يقوم بالدور الرئيسي أي بالسيطرة على الاتجاه الآخر ، وهنا يؤكد نهرو " إن لم يكن هناك مناصر من قيام إحتلها السيئة بتمثيل ذلك الدور في الهند وتدخل في عملية اتصال بالهند السيئة حيث كان عليها أن تدفع بها للحركة " .

لكن كانت هناك انجلترا الطبية التي كان من الممكن أن توكل إليها الهند الطبية،
وبالفعل هناك الكثير من التوجهات المناهضة للسيطرة الإنجليزية تستخدم حججا
استخرجتها من الأسلحة الإنجليزية الجيدة: أي من فلاسفة عصر التنوير ومن الشعراء
لرومانسين الليبراليين أي من إستيوارت ميل وسيدجويك وويلز ومدرسة الدفاع عن
المرأة. واستخدام كل هذا ضد الذرائع السيئة التي كان يسوقها المسؤولون على السياسة
الإنجليزية الكريهة في الهند. أضف إلى ذلك هناك بعض اللوردات الإمبراطورين الذين
كانوا يديرونها يتسمون ببعض الجوانب الطبية طبقاً لما أشرنا إليه من خلال الوضع في
الهند يكتشف المرء الإمكانية الهائلة لاغتياح الفكر الإنجليزي وكذا التنوع الثري في ألوانه
وتمحيصاته.

هناك أمر مفهوم بشكل أكثر هو حوار الأوربي مع الهند وبالتالي فهو أكثر إثارة
للصحر من ذلك الذي يمكن أن يجري مع دور آسيوية أخرى فالعالم الأوربي ليس
موجوداً هناك اللهم إلا أنه عذرة عن مجموعة من معارف العلمية والتقنية، طبقاً لما يحدث في
ليباز، في شكل تبادل يبعد إلى الأدهى تتعارض من المسيحية والإسلام، أو أنه نوع من
النظرية المضادة شكل مطلق ومتناقض استند إلى منطيات تورية أوربية، تسعى للسيطرة
لمقاومة على كافة ما هو أوربي، منتمية، يحدث في الصين ما هو أوربي تحده في الهند شكل
أكثر اكتمالاً وبه تمحيص كما إنه أساسي إلى أن هناك حياة تاريخية طويلة، مؤلمة، قامت
بمد جسور قوية يحاول المعص أن ينقطعها شكل غث ماعصمة ما هو أوربي نعتد في كل
مكان على روستات أوربية، أي القومية، القبية، الديمقراطية، الماركسية، إلخ، لكن
ماهضة ما هو أوربي ليست أكثر أوربية مما هو عنه في الهند

ولهذا السبب هناك دراما عميقة تعيشها الهند والعالية العظمى من المثقفين الهنود
هم في أزمة مع أنفسهم ذلك أنهم موزعو الشتات بين حتم لبلادهم واغترابهم
occidentalismo حيث من الصعب وضع حدود فاصلة بين هذين الشعورين، ومن
خلالها تنساب توجهات حاسمة في هذا الاتجاه أو ذاك. ولا يقتصر الأمر على أفراد بارزين
أو جماعات اجتماعية بل يشمل المجتمع بأسره حيث يعيش متأثراً بعمق بهذا الانشقاق.
وهنا يرى بوضوح ما يتعلق بالدين الذي هو أمر جوهري في حياة الشعب الهندي. خلال

الفترة الأخيرة توصل باحث أمريكي^(١) إلى خلاصة مفادها أن الدولة الهندية أوشكت على تنفيذ المفهوم الغربي للدولة الدنيوية واضعة في اعتبارها ما يحدث في الدول الإسلامية والبوذية التي أضفت الطابع الديني على أبنيتها السياسية بعد الاستقلال ما هي النتائج التي سوف تترتب على هذا التوجه لدى شعب يعتبر الدين أكثر من عقيدة أي أن الدين عنده سلسلة كاملة من القواعد تحكم شكل كامل حياة الفرد والجماعة؟

يمكن الإجابة على السؤال بالقول بأن القواعد التشريعية لا يمكن لها أن تعبر عن عقلية شعب مثل الشعب الهندي مهما بلغت من الدقة والحرم. وهناك كتب جان جوندا J. Gonda^(٢)، الباحث المتمرس في هذا الشأن، يقول "بالسنة للملايين من الناس فإن الخوف من القوى الشريرة أو التي يمكن تفسيرها على 'المحلبين' هو الدافع الكامن وراء تصرفاتهم الدينية ولا زالت الهند هي البلد التي يتناقش فيها الباعة وسانقو الناكسي في قضايا دينية أثناء عملهم، وهي البلد التي تكفح فيه الأحزاب السياسية فيما بينها باسم الدين واستخدام أساليب مثيريئة حيث يقدس الفلاحون محاربهم ويقدس صغار البيروقراطيين قلم الكنتاة" ويستند كسوم مر ١٩٧١ إلى أسس محددة هي الدراسات الاجتماعية منتقدا خطأ النادح الحاص موضع حصة رابعة سيرا في هذا على معايير شبيهة تلك التي تحكم التشريع الديني للدولة من سادا إلى الافتراض الذي ينحو إلى بلوغ مستويات رفاهية أفضل. وهذا يرتبط سدا أو سحر سادغير التي يطرح عليها المشروع ويخلص الباحث بالقول بأن السنة من جوان self-generating process with its own momentum إذا لم يتم تعديرو وتوسط التقدم القيمي في المجتمع والبنية الاجتماعية حتى تحدث هناك مرحلة مع الاتحاد والاحتمالية والاقتصادية للتخطيط".

كيف يمكن تنفيذ ذلك دون الحاجة إلى اللجوء إلى الإجراءات الصارمة المطبقة في الصين: هذا لب المشكلة، وهو أكثر من الساحة الأخلاقية والتربوية عنه من الناحية الاقتصادية والتقنية، وهي المشكلة التي تصطدم الهند الموحدة ومعها الغرب بالكامل فهذا

(١) رونالد بوجير سميت. العمل المذكور سابق، ص ٤٩٩ وما بينها

(٢) العمل المذكور، ص ١٩٤

الصف من السياسة الدنيوية المجردة والراديكالية مدين بالفشل ، اللهم إلا إذا واكب ذلك بعض الإجراءات العنيفة والثورية لتحول المجتمع . كما أن السلوك المحافظ الشديد مدين بالفشل أيضا مثل الخيار السابق . قام كبار المفكرين الهنود مثل طاغور واوريندو Aurobindo وراداكريشنان Radhakrishnan ببذل جهد من أجل إيجاد طريق وسط بين التراث والزمن الحديث . غير أن هذا الحل يتجاوز إمكانية اكتشاف ثقافي وبالتالي - مطرا لضخامة القضايا المطروحة وأهميتها الكبرى - يتطلب التعاون الاقتصادي والتقني والثقافي والخيري من كافة أنحاء العالم الحر .

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
١٣	الباب الأول : أمريكا
١٥	I- أمريكا من أحو
٢١	II- سلما دور الخليجان Bahia وأمريكا البرتغالية
٢٩	III- سانتياغو دي شيلي أو الأسرية
٣٥	IV- على متر قطار في الهضاب
٤٥	V- الصعود إلى بوتوسي Potosí
٥٥	VI- المرتفع العسي Cerro
٦٥	VII- فن شديد الرفعة
٧٥	VIII- ألف ليلة وليلة في بوتوسي
٨٧	IX- نزولا نحو مدينة سوكري Sucre .
٩٥	X- التحرر والولاء
١٠٥	XI- بحيرة تيتيكাকা Titicaca من حيث أنها متوسطة Mediterraneo
١١٥	XII- كوثوكوليبا
١٢٥	XIII- بوتوبيا الهند (العالم الجديد) في إكوادور
١٣٥	XIV- كيتو و "مدينة الشمس"
١٤٧	XV- سانتو دومينغو بين العالم القديم والعالم الجديد .
١٥٧	XVI- رناء مولدة Mulata من هايتي .
١٦٧	XVII- قرطاجنة والدفاع عن الهند العربية (العالم الجديد)
١٧٩	XVIII- أمريكا وإقليم الأندلس

١٨٩	XIX- المكسيك والشعور بأنها إسبانيا الجديدة
١٩٩	XX- من الإسترداد إلى الغزو
٢١١	XXI- بين روما والصين
٢٢١	XXII- الهند الغربية والملكية الكاثوليكية وأوروبا
٢٣١	XXIII- الازدهار الباروك المسرف في أسبانيا الجديدة
٢٤١	XXIV- الانعزال والتقدم
٢٥١	XXV- من المكسيك إلى فيلادلفيا
٢٥٩	XXVI- التباعد بين الأمريكيات الثلاث
٢٧١	الباب الثاني : آسيا
٢٧٣	I- في الطريق إلى المشرق
٢٨١	II- مانيلا دون تعلق بالتقاليد
٢٨٧	III- الفلبين وأمريكا
٢٩٩	IV- داخل الأسوار وكافيتي Cavite
٣٠٩	V- الخط القطري diagonal لطوكيو
٣١٧	VI- القرى وحقولها
٣٢٣	VII- على شطآن المحيط الباسفيكي
٣٣١	VIII- ماتسوشيما Matsushima أو المشهد المثالي
٣٤١	IX- البحر المتوسط الياباني
٣٤٩	X- الطبيعة والإنسانية
٣٥٧	XI- الميتولوجيا في مياجىما Miyajima
٣٦٧	XII- معبد الغابة
٣٧٥	XIII- الخشب والحجارة
٣٨٧	XIV- نارا Nara متحف أوربي آسيوي

٣٩٩	XV- الشرق الأقصى ، والغرب الأقصى
٤٠٩	XVI- التقنية والثقافة الشرقية
٤١٩	XVII- على أعتاب الصين
٤٢٣	XVIII- الورع الرهيب لأنجوكور Angkor
٤٣٥	XIX- ملكية الغابة
٤٤٣	XX- سيام أو الاستقلال في المنطقة الاستوائية
٤٥١	XXI- مجتمع برمائي
٤٥٩	XXII- بينارس يلفها الضباب
٤٦٧	XXIII- قباب وحصون
٤٧٥	XXIV- الحقول اللانهائية
٤٨٣	XXV- الروح الحيوانية
٤٩٣	XXVI- الاستئناس وفن إلورا
٥٠٣	XXVII- أوربا من منظور الهند

تم الانتهاء من طباعة هذا الكتاب
في ٢١ أكتوبر ١٩٦٢ في "ورشة
الطباعة"، دار نشر قشتالة، ش.م.

أدب الرحلات يعدُّ تقليدًا قديمًا، وله صرُّ خاص، والعديد من رحالة العرب قد زودوا المكتبة العربية بروائع ملاحظاتهم عن أنحاء عوالمهم. في هذا الباب فإننا نقدم ترجمةً لكتاب مثير انتظرة المكتبة العربية طويلاً، يتناول حقبةً ومناطق بعين تجتاز البصر إلى البصيرة. بين يدينا يمر "لويس ديث دل كورال" على الطبيعة الجغرافية التي حددت تاريخ الاستعمار والتاريخ المحلي لشعوب المناطق التي اجتازها، وهو إذ تهبط طائرته إلى تلك النواحي يلاحظ الطبايع المختلفة الماثلة بالعين المجردة، ويتدرج في العمق التاريخي والأنثروبولوجي لهذه الأراضي، مزوداً سرده الأخاذ بالطرائف التي تناثرت بين شعوب هذه البقاع.

هذا الكتاب هو حصيلة رحلتين، أولاها إلى الأراضي الأمريكية الجنوبية، خلال الفترة من التاسع من أكتوبر عام ١٩٥٥، وحتى الثامن من يناير لعام ١٩٥٦، أما الثانية فكانت إلى الأراضي الآسيوية خلال الفترة من بداية نوفمبر ١٩٦١ حتى الرابع من يناير لعام ١٩٦٢. يتضمن صفحات الكتاب أيضاً رحلتين أخريين استغرقتا ما يقرب من شهرين إلى دول الشرق الأوسط، وكان ذلك خلال فصل الربيع من عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦١.

سواءً أكتفتَ قارئاً مهتماً بالتاريخ أو الجغرافيا أو أدب الرحلات، أم كنت تبحث عن كتاب يزودك بالمعرفة الطازجة عن أمريكا اللاتينية واليابان والهند والشرق الأوسط، فإنك ستجد ضالتك في هذا الكتاب.

لويس ديث دل كورال (١٩١١-١٩٩٨)، كاتب إسباني، كان مستشاراً للعدل، وعالماً في السياسة، عمل كمستشار عدلي، ونائب قاضي في المحاكم الإسبانية في أول جلسات قضائية في عصر فرانكو، استكمل دراسته في جامعة برلين، ثم عمل كحاجم في مجلس الدولة الإسباني في ١٩٣٦، أصبح أستاذ لتاريخ السياسة ونظم التفكير بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة مدريد، وحصل على دكتوراة شرفية من السوريين.

د. علي منوفي، أستاذ اللغة الإسبانية وآدابها بجامعة الأزهر الشريف، ترجم العديد من الكتب من الإسبانية، وحصل على وسام الاستحقاق من الملك الإسباني، صدر له "إسبانيا بشكلي جلي" و"مواطنون في العالم".

